

التبيان

الجزء: ٧

الشيخ الطوسي

الكتاب: التبيان
المؤلف: الشيخ الطوسي
الجزء: ٧
الوفاة: ٤٦٠
المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة
تحقيق: تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
المصدر:
ملاحظات:

الفهرست

الصفحة	العنوان
٣	فهرس المواضيع سورة الكهف
١٠١	سورة مريم
١٥٧	سورة طه
٢٢٧	سورة الأنبياء
٢٨٧	سورة الحج
٣٤٧	سورة المؤمنون
٤٠٣	سورة النور
٤٦٩	سورة الفرقان

التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
٣٨٥ - ٤٦٠ هـ
تحقيق وتصحيح
أحمد حبيب قصر العاملي
المجلد السابع

(١)

١٨ - سورة الكهف

قال مجاهد وقتادة: هي مكية، وهي مئة وعشرون آية في الكوفي وإحدى عشرة في البصري وخمس في المدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له

عوجاً (١) فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين

الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً (٢) ما كُتِبَ

فيه أبداً (٣) ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر (لدنه) بأسكان الدال واشمال الضمة، وكسر النون والهاء

وإيصالها بياء. الباقيون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء من غير واو، إلا ابن

كثير، فإنه كان يصل الهاء بواو.

واعلم أن (لدن) اسم غير متمكن، ومعناه (عند)، قال الله تعالى " من

لدى حكيم خبير " (١) فالنون ساكنة في كل أحوالها، والهاء إذا أتت بعد حرف ساكن لم يجرز فيها إلا الضم نحو (منه) فالأصل (منهو) و (لهو) فهو كقول ابن كثير، غير أنهم حذفوا الواو اختصاراً، وإنما أسكن أبو بكر الدال استثقلاً للضم كما قالوا " في كرم زيد " : قد كرم زيد، فلما سكن الدال التقى ساكنان، النون والدال، فكسر النون لالتقاء الساكنين، وكسر الهاء لمجاورة حرف مكسور، ووصلها بهاء كما تقول: مررت به، ولو فتح النون لالتقاء الساكنين لجاز، بعد أن أسكن الثاني كقول الشاعر:

عجبت لمولود وليس له أب * ومن ولد لم يلد له أبوان (٢)

يعني آدم وعيسى. فلا يتوهم أن عاصماً كسر النون علامة للجزم، لأن (لدى) لا تعرب. وحكى أبو زيد: جئت فلاناً لدى غدوة - بفتح الدال -.

يقول الله تعالى لخلقه قولوا (الحمد لله الذي) خص برسالته محمداً صلى الله عليه وآله وانتجبه لا بلاغها عنه، وبعثه إلى خلقه نبياً رسولاً، وأنزل عليه كتاباً قيماً، ولم يجعل له عوجاً. وقيل في معنى قوله (قيماً) قولان: أحدهما - معتدلاً مستقيماً. الثاني - أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها. والأول قول ابن عباس. فعلى هذا " قيماً " مؤخر، والمراد به التقدم، وتقديره أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً أي اختلافاً. وقال الضحاك: معناه مستقيماً. وقال ابن إسحاق: معناه معتدلاً لا اختلاف فيه. وقال قتادة: أنزل الله الكتاب قيماً، ولم يجعل عوجاً. وفي بعض القراءات " ولكن جعله قيماً " وكسرت العين من قوله " عوجاً " لأن العرب تقول: عوجاً

(١) سورة ١١ هود آية ١

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١١٩ وهو في مجمع البيان ٣ : ٤٤٦

- بكسر العين - في كل اعوجاج كان في دين أو فيما لا يرى شخصه قائما ولا يدرك عيانا

منتصبا كالعوج في الدين، ولذلك كسرت العين في هذا الموضع. وكذلك العوج في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان في الأشخاص المنتصبه فان عينها تفتح كالعوج في القناة والخشبة ونحوها.

وقال ابن عباس: معنى قوله " ولم يجعل له عوجا " أي لم يجعله ملتبسا. ولا خلاف بين أهل العربية ان قوله (قيما) وإن كان مؤخرا فتقديره إلى جنب الكتاب. وإنما افتتح الله تعالى هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهله، وبالخبر عن انزال كتابه على رسوله، ليخبر المشركين من أهل مكة بأن محمدا صلى الله عليه وآله رسوله، لان

المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن أشياء لقنوها إياهم اليهود، من قريظة

والنضير، وأمرهم أن يسألوه عنها، وقالوا: إن أخبركم بها فهو نبي، وإن لم يخبركم فهو مقتول، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله الجواب عنها، موعدا فأبطأ - على قول بعضهم - الوحي عنه بعض الإبطاء وتأخر مجئ جبرائيل (ع) عنه، عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعده، وأنه مقتول، فأنزل الله هذه السورة جوابا عن مسائلهم، وافتتح أولها بذكره تكذيبا للمشركين فيما تحدثوا بينهم من أحدثتهم - ذكر ذلك محمد بن إسحاق باسناده عن عكرمة عن ابن عباس - وكان الذين ذهبوا إلى اليهود وسألوهم عن أمر النبي صلى الله عليه وآله النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي

معيط، وكانت المسائل التي لقنوها إياها: أن قالوا: سلوه عن ثلاثة أشياء، فان أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فإنه مقتول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فان أخبركم بذلك فإنه نبي مبعوث، فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه مقتول. فرجعا إلى مكة

واجتمعوا مع قريش فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عنها، فقال النبي صلى الله عليه وآله أخبركم

بذلك. وقال بعضهم: أنه قال أخبركم غدا بما سألتكم، ولم يستثن، وانصرفوا عن النبي صلى الله عليه وآله فمكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا ينزل الله إليه في ذلك وحيا، ولا

يأتيه جبرائيل (ع) حتى أوجف أهل مكة، وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عليه جبرائيل ومعه (سورة الكهف) يخبره فيها عما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وأنزل عليه " ويسألونك عن الروح... " (١) الآية.

فروى ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله أفتح السورة، فقال " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما " أي معتدلا، لا اختلاف فيه. وقوله " لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبيش المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا ماكتين فيه ابدا " معناه أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه، لينذركم أيها الناس بأسا شديدا من أمر الله. ومعنى البأس العذاب العاجل والنكال الحاضر، والسطوة. ومعنى " من لدنه " من عند الله، وهو قول ابن إسحاق، وقتادة. ومفعول " لينذر " محذوف، لدلالة الكلام عليه، وتقديره: لينذركم بأسا كلما قال " يخوف أولياءه " (٢) وتقديره يخوفكم أولياءه، ومعنى " ويبيش المؤمنين " يعني المصدقين بالله ورسوله " الذين يعملون الصالحات " يعني ما أمرهم الله به من الطاعات، وهي الاعمال الصالحات، والانتها عما نهاهم عنه " أن لهم اجرا حسنا " يعني ثوابا جزيلا من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا بالطاعات واجتناب المعاصي، وذلك الثواب هو الجنة. وقوله " ماكتين فيه أبدا " أي لاثنين فيه ابدا خالدين مؤبدين لا ينتقلون

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٨٥

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٧٥

عنه ولا ينقلبون، ونصب (ماكثين) على الحال من قوله " إن لهم أجرا حسنا " في هذه الحال، في حال مكثهم في ذلك الاجر. قوله تعالى:

(وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (٤) ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (٥) آيتان.

يقول الله تعالى أنه يحذر أيضا محمد صلى الله عليه وآله القوم " الذين قالوا اتخذ الله ولدا " من مشركي قومه وغيرهم - عقاب الله، وعاجل نقمته وأليم عذابه على قولهم ذلك.

وقوله " ما لهم به من علم " (معناه ما لقائلي القول هذا يعني قولهم " اتخذ الله ولدا " به من علم) (١) يعني ليس لهم بالله من علم. ومعنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله من علم بأنه لا يجوز أن يكون له ولد. فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك.

وقوله " ولا لآبائهم " معناه ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم، ما كان لهم بالله وعظمته علم. وقوله " كبرت كلمة تخرج من أفواههم " نصب (كلمة) على التمييز، وتقديره كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة، كما تقول: نعم رجلا عمرو، ونعم الرجل رجلا قام. وقال بعضهم: نصب (كلمة) لأنها في معنى: أكبر بها كلمة، كقوله " وساءت

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

مرتفقاً " (١) وهي في النصب كقول الشاعر:
ولقد علمت إذا الرياح تروحت * هدى الرئال تكبهن شمالاً (٢)
أي تكبهن الرياح شمالاً، فكأنه قال كبرت تلك الكلمة. وروي عن بعض
المكيين انه قرأ ذلك بالرفع، كقولهم: كبر قولك، وكبر شأنك، فعلى هذا لا يكون في
قوله (كبرت) مضمّر، بل يكون صفة الكلمة، والأول أقوى، لاجتماع القراء
على النصب، وهذا شاذ، وتأويل الكلام: عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه
هؤلاء القوم " الذين قالوا اتخذ الله ولداً " أو الملائكة بنات الله.
وقوله " إن يقولون إلا كذباً " معناه ليس يقول هؤلاء القائلون " اتخذ الله
ولداً " إلا كذباً " وفرية افتروها على الله - عز وجل - .
قوله تعالى:

(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفاً) (٦) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملاً (٧) وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا (٨)
ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله " فلعلك " يا محمد قاتل نفسك ومهلكها
على

آثار قومك الذين قالوا: " لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً... " (٣)
تمردا منهم على ربهم بأنهم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه

(١) سورة ١٨، الكهف آية ٢٩

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١١٩ وهو في مجمع البيان ٣ / ٤٤٩

(٣) سورة ١٧، الاسرى الآية ٩٠

من عند الله - حزنا وتلهفا ووجدا - بادبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما اتيتهم به. و (أسفا) نصب على المصدر. يقال بخع نفسه ييخعها بخعا وبخوعا، قال ذو الرمة:

ألا ايهذا الباخع الوجد نفسه * لشيئ نحتة عن يديه المقادر (١)
يريد (نحتة) فحفف. وما ذكرناه قول قتادة وغيره. وقوله " اسفا " قال قتادة: معناه غضبا وتقديره: فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا يعنى غضبا. وقال مجاهد: معناه جزعا. وفي رواية أخرى عن قتادة: حزنا عليهم. وفي رواية ثالثة عن قتادة حذرا. وكسرت (إن) لأنها في معنى الجزاء ولو فتحت لجاز قال الشاعر:

أتجزع أن بان الخليط المودع * وحبل الصفا من عزة المتقطع (٢)
وهذا معاتبة من الله لرسوله على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الايمان به والبراءة والآلهة والأنداد، وكان بهم رحيمًا، وهو قول ابن إسحاق. وقوله " إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها " معناه انا جعلنا الذي على الأرض من أنواع المخلوقات جمادها وحيوانها ونباتها " زينة لها " يعني للأرض " لنبلوهم أيهم " أي لنختبر عبادنا " أيهم أحسن عملا " يعني من اتبع أمرنا ونهينا وعمل فيها بطاعتنا، وهو قول مجاهد.

قوله تعالى " وإنما لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا " فيه اخبار من الله تعالى انا منخربوها بعد عمارتنا إياها بما جعلنا عليها من الزينة فنصيرها صعيدا جرزا، والصعيد

مجاز القرآن ١ / ٣٩٣ وتفسير الطبري ١٥ / ١٢٠ وهو في مجمع البيان
٤٤٨ / ٣

(٢) مر هذا البيت في ١ / ٣٤٩ من هذا الكتاب.

ظهر الأرض، والجرز الذي لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس. وقيل إنه أراد بالصعيد - ههنا - المستوي من وجه الأرض. وقال ابن عباس: معناه نهلك كل شيء عليها زينة. وقال مجاهد: "جرزا" أي بلقعا. وقال قتادة: هو ما لا شجر فيه ولا نبات. وقال ابن زيد: الجرز الأرض التي ليس فيها شيء، بدلالة قوله "أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرا" (١) يعنى الأرض التي ليس فيها شيء من النبات. والصعيد المستوي قال: وهو كقوله تعالى "لا ترى فيها عوجا ولا أمتا" (٢) قال سيبيويه: يقال جرزت الأرض فهي مجروزة وجرزها الجراد والنعم، وارضون اجراز إذا كان لا شيء فيها، ويقال للسنة المجدبة جرز، وسنون أجراز لجذوبها ويسسها وقلة أمطارها. قال الراجز:

قد جرفتهن السنون الاجراز (٣)

ويقال: أجرز القوم إذا صارت ارضهم جرزا، وجرزواهم أرضهم أكلوا نباتها كله.

قوله تعالى:

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا) (١٠). آيتان بلا خلاف. يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله "أم حسبت" يا محمد، والمراد به أمته أي

(١) سورة ٣٢، ألم السجدة آية ٢٧

(٢) سورة ٢٠، طه آية ١٠٧

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ١٢١ وروايته (حرقتهن) بدل (جرفتهن)

أحسبت " أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا " بل ما خلقت من السماوات والأرض وما بينهن من العجائب أعجب من أصحاب أهل الكهف، وحجتي بذلك ثابتة (١) على هؤلاء المشركين من قومك وغيرهم من جميع عبادي، وهو قول مجاهد وقتادة وابن إسحاق. وقال قوم: معناه " أم حسبت " يا محمد " أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا " فان الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه، وهو قول ابن عباس. وقال الجبائي: المعنى أحسبت " أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا " ولو لم نعلمك ذلك لما علمته. والأول أشبه، لان الله تعالى جعل انزال سورة الكهف احتجاجا على الكفار بما واطأهم عليه اليهود، والمراد بالكهف في الآية كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قص الله شأنهم وذكر اخبارهم في هذه السورة.

واختلفوا في معنى " الرقيم " فقال قوم: هو اسم قرية - ذهب إليه ابن عباس - وفي رواية أخرى عنه: أنه واد بين غضبان، وإيلة، دون فلسطين، وهو قريب من إيلة. وقال عطية: " الرقيم " واد. وقال قتادة: " الرقيم " اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف. وقال مجاهد: " الرقيم " كتاب تبيانهم. وفي رواية أيضا عن ابن عباس أن " الرقيم " هو الكتاب. وقال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف، وهو اختيار البلخي والجبائي وجماعة. وقيل: جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك، لأنه من عجائب الأمور. وقيل بل جعل على باب كهفهم. وقال ابن زيد: " الرقيم " كتاب، ولذلك الكتاب خبر، فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وما فيه. وقرأ قوله " وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون " (٢) وقال: هو اسم جبل أصحاب الكهف،

(١) في المخطوطة (قائمة) بدل (ثابتة)

(٢) سورة ٨٣، المطففين آية ١٩ - ٢١

روى ذلك عن ابن عباس. وقيل: إن اسم ذلك الجبل (تيحلوس) (١) وقيل تياحلوس (٢).

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا (حنان) و (الأواه) و " الرقيم ". واختار الطبري أن يكون ذلك اسما لكتاب أو لوح أو حجر كتب فيه.

والرقيم (فعل) أصله مرقوم، صرف إلى فاعل مثل جريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول يقال: رقت الكتاب أرقمه إذا كتبه ومنه الرقيم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه. وقيل للحبة أرقم لما فيها من الآثار، وتقول العرب عليك بالرقمة (بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء) (٣) ودع الضفة أي الجانب. والضفتان جانبنا الوادي، ولعل من ذهب إلى أن الرقيم الوادي: ذهب إلى رقمة الوادي. وقوله " إذ أوى الفتية إلى الكهف " معناه " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا " حين " أوى الفتية إلى الكهف " أي حين جاء أصحاب الكهف إلى الكهف، كهف الجبل هربا بدينهم إلى الله، قالوا إذ أؤوه " ربنا آتانا من لدنك رحمة " رغبة منهم إلى ربهم في أن يرزقهم من عنده رحمة. وقوله " وهى لنا من أمرنا رشدا " معناه انهم قالوا يسر لنا ما نبتغي ونلتمس من رضاك أي دلنا على ما فيه نجاتنا والهرب من الكفر بك ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا " رشدا " أي رشدا إلى العمل الذي تحب. وقيل إن هؤلاء الفتية كانوا مسلمين على دين عيسى (ع) وكان ملكهم يعبد الأصنام، فهربوا بدينهم منه. وقال آخرون: هربوا من الملك بجناية اتهموا بها

(١) في المخطوطة (يجلوس)

(٢) في المخطوطة (بنا جلوس)

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

فدخلوا الكهف.

ويجوز " رشدًا " - بضم الراء وتسكين الشين - غير أنه لم يقرأ به - ههنا - أحد، لأن أو آخر الآيات كلها على وزن (فعل) فلم يخالفوا بينها. قوله تعالى:

(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا (١٢) آيتان. يقول الله تعالى " فضربنا على آذانهم في الكهف " يعني بالنوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج بمعنى أباك الله به. وقيل معناه منعناهم أن يسمعوا، والمعنى انماهم. وقوله " سنين عددا " معناه سنين معدودة. ونصب (سنين) على الظرف بقوله " فضربنا " و " عددا " بمعنى معدود، والعد المصدر ومثله نقضت الشيء نقضا، والمنقوض نقض، وكذلك قبضته قبضا، والمقبوض قبض. وقوله تعالى " ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا " معناه بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا، من رقدتهم لينظر عبادي فيعلموا بالبعث أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا " أحصى لما لبثوا " بمعنى أصوب لقدر لبثهم فيه أمدًا. والأمد الغاية قال النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه * سبق الجواد إذا استولى على الأمد (٢)

وقال قوم: الحزبان جميعا كانا كافرين. وقال آخرون: كان أحدهما مسلما

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٢٧ ومجمع البيان ٣ / ٤٥١

والآخر كافرا، فالأول قول مجاهد. وقال: الحزبان من قوم الفتية. وقال قتادة: أحدهما كان كافرا، والآخر كان مؤمنا، ولم يكن لواحد منهما عليم بمقدار زمان لبثهم. وقال قوم: الحزبان هم أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم. وقال قوم: أحد الحزبين أصحاب الكهف، والآخر أصحابهم وقومهم. ومعنى "أمد" قال ابن عباس يعني بعيدا. وقال مجاهد: يعني عددا. ويحتمل نصب "أمد" وجهين: أحدهما - التمييز في قوله (أحصى) كأنه قال أي الحزبين أصوص عددا. والثاني - أن يكون نصبا بوقوع قوله "لبثوا" عليه، كأنه قال: أي الحزبين أوصى لبثهم غاية أي في الأمد. والفتية جمع فتى مثل صبي وصبية وغلام وغلمة. قوله تعالى:

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥)). ثلاث آيات في عدد الكل - إلا الشامي - آخر الأولى "هدى" وعند الشامي شططا. يقول الله تعالى إنا نخبرك يا محمد ونقص عليك نبأ هؤلاء الفتية الذين آووا إلى

الكهف على وجه الصحة. والقصص الخبر بمعاني يتلو بعضها بعضها واصله الاتباع من قولهم: قص أثره يقصه قصصا إذا اتبعه، ومنه قوله تعالى " وقالت لأخته قصيه " أي اتبعي أثره. والنبأ الخبر. وفتية جمع فتى، وهو جمع لا يقاس عليه لأنه غير مطرد، وقد جاء غلام وغلمة وصبي وصبية، ولا يجوز غراب وغربة. ثم اخبر عنهم بأنهم فتية آمنوا بربهم، واعترفوا بتوحيده " وزدناهم هدى " والمعنى وزدناهم المعارف بما فعلنا لهم من الألفاف لما فيها من الآيات التي رأوها، ومن الربط على قلوبهم حتى تمسكوا بها. وقوله " إذ قاموا فقالوا " معناه حين قاموا بحضرة الملك الجبار، فقالوا هذا القول الذي أفصحوا فيه عن الحق في الديانة ولم يستعملوا التقية، فقالوا: ربنا الذي نعبد هو الذي خلق السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها آخر، فنوجه العبادة إليه، ومتى قلنا غير ذلك ودعونا معه إلها آخر " لقد قلنا إذا شططا ". والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه، فقلنا شططا أي غلوا في الكذب والبطلان. قال الشاعر: ألا يا قوم قد شطت عواذلي * ويزعمن أن أودي بحقي باطلاي ويلحينني في اللهو ألا أحبه * وللهو داع دائب غير غافل (١) ومنه اشط فلان في السوم إذا تجاوز القدر بالغلو فيه يشط إشطاطا وشططا وشط منزل فلان يشط شطوطا إذا جاوز القدر في البعد، وشطت الجارية تشط شطاطا وشطاطة إذا جاوزته القدر في الطول. وقوله " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة " إخبار من الفتية بخضرة الملك على وجه الإنكار على قومه " إن هؤلاء " قومك اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها

(١) قائله الأحوص. مجاز القرآن ١ / ٣٩٤ والكامل للمبرد ٤٩ وتفسير الطبري ١٥ / ١٢٨ واللسان والتاج (شطط).

" لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. معناه هلا يأتون على عبادتهم إياهم بحجة واضحة ودلالة بينة. وحذف لدلالة الكلام عليه ثم قالوا: فمن أظلم لنفسه ممن يتخرص على الله كذبا، ويضيف إليه ما لا أصل له. وفي ذلك دلالة على أن التقليد في الدين لا يجوز وأنه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة. وفي قصة أصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيه إلا باظهار كلمة الكفر وأنه يجب الهجرة إلى دار الاسلام أو بحيث لا يحتاجون إلى التلفظ بكلمة الكفر. قوله تعالى:

(وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (١٦) وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا (١٨)) ثلاث آيات بلا خلاف. قرأ ابن عامر وأهل الكوفة، وأبو بكر والأعشى إلا يحيى والعلمي " مرفقا " بفتح

الميم وكسر الفاء. الباقون - بكسر الميم وفتح الفاء - وقرأ ابن عامر ويعقوب (تزور) - بتخفيف الزاي وتسكينها وتشديد الراء من غير ألف - وقرأ أهل الكوفة بتخفيف الزاي والفاء بعدها وتخفيف الراء. الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزاي. وقرأ أهل الحجاز " لمليت " بتشديد اللام. الباقون بتخفيفها وبالهمز.

قال أبو عبيدة: المرفق ما ارتفعت به وبعضهم يقول: المرفق. فأما في اليدين فهو (مرفق) بكسر الميم وفتح الفاء، وهو قول الكسائي، وأجاز الفراء الفتح أيضا. وقال أبو زيد يقال: رفق الله عليك أهون المرفق والرفق. قال أبو علي: ما حكاه أبو زيد في (المرفق) فإنه جعله مصدرا، لأنه جعله كالرفق، وكان القياس الفتح لأنه من (يرفق) لكنه كقوله " مرجعكم " (١) " ويسألونك عن المحيض " (٢) وقال أبو الحسن: (مرفقا) أي شيئا يرتفقون به مثل المقطع. و (مرفقا) جعله اسما مثل المسجد أو يكون لغة يعنى في اسم المصدر مثل المطلع ونحوه. ولو كان على القياس لفتحت اللام. وقال الحسن أيضا: مرفق - بكسر الميم وفتحها - لغتان لا فرق بينهما إنما هما اسمان مثل المسجد والمطبخ.

ومن قرأ " تزور " فإنه مثل تحمر وتصفر، ومعناه تعدل وتميل قال عنتره: فازور من وقع القنا بلبانه * وشكى إلي بعبرة وتحمم (٣) وقرأ عاصم والجحدري " تزوار " مثل تحمار وتصفار.

(١) سورة ٣، آل عمران آية ٥٥ وسورة ٥، المائدة آية ٥١، ١٠٨ وسورة ٦، الانعام آية ٦٠، ١٦٤ وسورة ١٠ يونس آية ٢٣ وسورة ١١، هو آية ٤ وسورة ٢٩، العنكبوت آية ٨ وسورة ٣١، لقمان آية ١٥.

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٢

(٣) ديوانه ٣٠ من معلقته المشهورة

ومن قرأ " تزاور " أراد تتزاور فأدغم التاء في الراء.
ومن خفف أراد ذلك، وحذف إحدى التائين وهي الثانية مثل تساقط، وتساقط،
وتظاهرون، وتظاهرون. قال أبو الزحف:
ودون ليلى بلد سمهدر * جذب المندى عن هوانا أزور (١)
يقال: هو أزور عن كذا أي مائل. وفي فلان زور أي عوج، والزور
- بسكون الواو - هو المصدر، ومثله الجوشن، والكلكل، والكلكال، كل ذلك يراد به
المصدر

وقال أبو الحسن: قراءة ابن عامر " تزور " لا توضع في ذا المعنى، إنما يقال:
هو مزور عني أي منقبض. وقال أبو علي: يدل على أن (أزور) بمعنى انقبض - كما
قال أبو الحسن - قول الشاعر:
وأزور من وقع بلبانه (٢)
والذي حسن القراءة به قول جرير:

عسفن على الاداعس من مهيل * وفي الاظغان عن طلع ازورار (٣)
فظاهر استعمال هذا (الاظغان) مثل استعماله في (الشمس). ويقال: ملئ
فلان وعيا وفزعا، فهو مملوء، وملئ، فهو مملي - بالتشديد، للتكثير من ملأت الاناء
فهو ملآن، وامتأ الحوض يمتلئ امتلاء، وقولهم: تمليت طويلا، وعانقت
حبيبا، ومت شهيدا، وأبليت جديدا، فهو غير مهموز. قال أبو الحسن: الخفيفة
أجود في كلام العرب، لأنهم يقولون ملأته رعبا، فلا يكادون يعرفون (ملأثني).

(١) أبو الزحف الكلبي مترجم في الشعراء ٤٦٢. والبيت في مجاز القرآن
١ / ٣٩٥ وتفسير القرطبي ١٠ / ٣٥٠ وجمهرة اشعار العرب ١ / ٤٤٣، ٣ / ٣٧٠
واللسان والتاج (زور سمهد، عشنزر).
(٢) قد مر في الصفحة التي قبلها
(٣) ديوانه (دار بيروت) ١٨٢ وروايته (على إلا ما عز من حبي).

قال أبو علي: يدل على قول أبي الحسن قولهم (فيما لا بيتنا اقطا وسمنا) وقال الأعشى:
وقد ملأت بكر ومن لف لفها
وقال الآخر:

لا تملأ الدلو وعرق فيها
وقولهم: (امتألت) يدل على (ملئ) لأن مطاوع (فعلت) (افتعلت)
وقد أنشدوا في التثقيب قول المخبل السعدي:
فملا من كعب سلاسله

وقوله " وإذ اعتزلتموهم " خطاب من أهل الكهف بعضهم لبعض، ودعاء
بعضهم بعضا إلى أن يأووا إلى الكهف، رجاء من الله أن ينشر لهم من رحمته
وييسطها عليهم، ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا أي شيئا يرتفق به ويستعان به
كالمقطع والمجزر.

وقوله " وما يعبدون إلا الله " (ما) في موضع نصب ومعناه وإذ اعتزلتموهم
وما يعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان، ويحتمل الاستثناء أمرين:
أحدهما - أن يكون متصلا، فيجوز على ذلك أن يكون فيهم من يعبد الله مع
عبادة الوثن، فيكون اعتزالهم للأوثان دون الله.
والثاني - يجوز أن يكون جميعهم كان يعبد الأوثان دون الله فعلى هذا يكون
الاستثناء منقطعا.

وقوله " فأووا إلى الكهف " أي اجعلوه مأواكم ومقركم " ينشر " الله
" لكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم " ما ترتفقون به.

وقوله " فأؤوا " جواب (إذ) كما تقول: إذ فعلت قبيحا، فتب.
وقوله " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين " أي تعدل
عنهم وتميل، يقال: أزور ازورارا، وفيه زور أي ميل.
وقوله " وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال " قيل في معناه قولان:
أحدهما - تقطعهم في ذات الشمال أي انها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك
قرضته بالمقراض أي قطعته.
الثاني - تعطيتهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها، ومن قرض الدراهم
التي تسترد.

وقال مجاهد: تقرضهم تتركهم. وقال أبو عبيدة كذلك هو في كلامهم
يقال: قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته. وقال الكسائي والفراء: هو المجاوزة
يقال: قرضني فلان يقرضني وجازني يجوزني بمعنى واحد، قال ذو الرمة:
إلى قرض يقرض اجواز مشرف * شمالا وعن أيماهن الفوارس (١)
والقرض يستعمل في أشياء غير هذا، فمنه القطع للثوب وغيره، ومنه سمي
المقراض، ومنه قرض الفار. وقال أبو الدرداء: (إن قارضتهم قارضوك وإن تركتهم
لم يتركوك) ومعناه إن طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وإن تركتهم منه لم يتركوك.
والقرض، من يتقارض الناس بينهم الأموال، وقد يكون ذلك في الثناء تثني عليه كما
يثني عليك. والقرض بلغة أهل الحجاز المضاربة، والقرض قول الشعر القصيد منه
خاصة دون الرجز، وقيل للشعر قريض. ومن ذلك قول الأغلب العجلي:

(١) ديوانه ٣١٣ وتفسير الطبري ١٥ / ١٣٠ وتفسير القرطبي ١٠ / ٤٦٩
والصاحح والتاج، واللسان (قرض) ومجمع البلدان ٤ / ٤٦٣ ومجاز القرآن
١ / ٤٠٠ وغيرها.

أرجزا يريد أو قريضا
والمعنى في الآية ان الشمس لا تصيبهم البتة أو في أكثر الامر، فتكون صورهم
محفوظة. وقيل إن الكهف الذي كانوا فيه كان محاذيا لبنات النعش إذا جازت خط
نصف النهار.

والفجوة: المتسع من الأرض. وقال قتادة: في فضاء منه، وتجمع فجوات وفجاء
ممدود، وقيل الفجوة متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه، وكان الكلب
بباب الفجوة.

وقوله " ذلك من آيات الله " أي أدلته وبراهينه " من يهد الله فهو المهتد "
معناه من يسمه الله هاديا ويحكم بهدايته " فهو المهتد ". ويحتمل أن يكون أراد:
من يهد الله إلى الجنة، فهو المهتدي في الحقيقة. ويحتمل أن يكون: من يلطف الله
له بما يهتدي عنده، فهو المهتدي " ومن يضل " أي يحكم بضلاله أو يسميه ضالا أو
من يضلّه عن طريق الجنة، ويعاقبه " فلن تجد له وليا مرشدا " أي معنا وناصر
يرشده إلى الجنة والثواب.

ثم قال تعالى " وتحسبهم " يعني وتحسب يا محمد أهل الكهف إذا رأيتهم
" أيقاظا " أي منتبهين " وهم رقود " أي نيام. وقيل إنهم كانوا في مكان موحش
منه، أعينهم مفتوحة يتنفسون ولا يتكلمون. وواحد (رقود) راقد أي نائم.
وقوله " ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال " اخبار منه تعالى عما يفعل بهم
وكيفية حفظ أجسادهم بأن يقلبهم من جنب إلى جنب إلى اليمين تارة وإلى
الشمال أخرى.

وقوله " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " قال ابن عباس: الوصيد الفناء، وبه
قال مجاهد وقتادة والضحاك. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: انه هو الباب إذا

أغلّمته، ومنه " نار موصدة " (٢).

ويجمع (وصيد) وصائد ووصد، وفي واحد لغتان: وصيد، وأصيد.
وأوصدت وأصدت. وليس أحدهما مأخوذاً من الآخر، بل هما لغتان مثل ورخت
الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته.

وقوله " لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا " نصب على المصدر، ومعناه لو
أشرفت عليهم لا عرضت عنهم هرباً استيحاشاً للموضع " ولملئت منهم رعباً " نصب
على الحال، والمعنى لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ
الكتاب أجله فيهم، فينتبهون من رقدهم بإذن الله عند ذلك من أمرهم. وقيل إنه
: كانت أضفارهم قد طالت، وكذلك شعورهم، فلذلك يأخذه الرعب منهم. وقال
الجبائي: نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين - لا تتغير أحوالهم ولا يطعمون ولا يشربون -
معجزة لا تكون إلا لنبي. وقيل النبي كان أحدهم، وهم الرئيس الذي اتبعوه
وآمنوا به.

قوله تعالى:

(و كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما
فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعروا بكم أحدا (١٩)
انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن

(١) سورة ٩٠ البلد آية ٢٠

تفلحوا إذا ابدا (٢٠) وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا (٢١) ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (٢٢)

قرأ " بورقكم " - بسكون الراء - أبو عمرو وحده وأبو بكر عن عاصم الباقون بكسر الراء. وروي عن أبي عمرو بورقكم " بادغام القاف في الكاف. وفي (ورقكم) اربع لغات - فتح الواو وكسر الراء - وهو الأصل. وفتح الواو وسكون الراء. وكسر الواو وسكون الراء. والادغام. فالورق الدراهم، ويقال أيضا بفتح الراء، ويجمع أوراق. ورجل رواق كثير الدراهم. فأما ما يكتب فيه فهو (الورق) بفتح الراء لا غير. والورق الغلمان الملاح. وقيل الورق - بفتح الراء - المال كله المواشي وغيرها قال العجاج:

اغفر خطاياي وطوح ورقى

في قصة أهل الكهف اعتبار ودلالة على أن من قدر على نقض العادة - بتلك المعجزة - قادر لا يعجزه شيء، وإن التدبير يجري بحسب الاختيار، لا بإيجاب الطبائع، كما يتوهمه بعض الجهال، لأنه على تدبير مختار، كما يدل على تدبير عالم. ووجه التشبيه في قوله " وكذلك بعثناهم " أي كما حفظنا أحوالهم تلك المدة " بعثناهم " من تلك الرقدة، لان أحد الامرين كالآخر في أنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى. بين الله تعالى أنه بعث أهل الكهف بعد نومهم الطويل ورقدتهم البعيدة ليسأل بعضهم بعضا عن مدة مقامهم، فيتنبهوا بذلك على معرفة صانعهم إن كانوا كفارا.

وإن كانوا مؤمنين تثبتوا زيادة على ما معهم، ويزدادوا يقينا إلى يقينهم. وقال البلخي:
اللام في قوله " ليتسألوا " لام العاقبة، لان التساؤل بينهم قد وقع. ثم اخبر تعالى أن
قائلا منهم قال: للباقيين " كم لبثتم " مستفهما لهم، فقالوا في جوابه: " لبثنا يوما أو
بعض يوم " وإنما أخبروا بذلك من غير أن يعلموا صحته، لان الاخبار في مثل هذا
عن غالب الظن وعلى ذلك وقع السؤال، لان النائم لا يدري، ولا يتحقق مقدار
نومه إلا على غالب الظن. وقيل أنهم لما ناموا كان عند طلوع الشمس فلما انتبهوا كانت
الشمس دنت للغروب بقليل. فلذلك قالوا: يوما أو بعض يوم - ذكره الحسن - .
وقيل أيضا إن الخبر بأنهم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ليس ينافي انهم لبثوا مدة
طويلة، لان المدة الطويلة تأتي على قصيرة وتزيد عليها لا محالة. ثم قالوا " ربكم اعلم بما
لبثتم " ومعناه ان الذي خلقكم اعرف بمدة لبثكم على التحقيق. والأعلم هو من كانت
علومه أكثر أو صفاته في كونه عالما أزيد. وقيل: إن الأعلم هو من كانت معلوماته
أكثر، وهذا ليس بصحيح، لأنه يلزم انه عالم من اجل العلوم.
ثم قال بعضهم لبعض " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى
طعاما " وقيل في معناه قولان:
أحدهما - قال قتادة: " أزكى " أجل وخير.
والثاني - أيها أنمى طعاما بأنه طاهر حلال، لأنهم كانوا يذبحون للأوثان، وهم
كفار أرجاس. وقيل معناه أيها أكثر فان الزكاء والنماء الزيادة. " فليأتكم برزق منه
وليتلطف " في شرائه واخفاء أمره " ولا يشعرون بكم أحدا " أي لا يعلمون بمكانكم
أحدا. وقيل: المعنى وإن ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع فيه لأنهم " إن
يظهروا عليكم " ويعلموا بمكانكم " يرموكم " قال الحسن: معناه يرموكم بالحجارة.
وقال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول القبيح " أو يعيدوكم في ملتهم " أي

يردوكم في عبادة الأصنام. ومتى فعلتم ذلك " لن تفلحوا " بعد ذلك " ابدا " ولا تفوزوا بشئ من الخير.

ثم قال: " وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق " ومعناه انا كما فعلنا بهم ما مضى ذكره، مثل ذلك أظهرنا عليهم واطلعنا عليهم، ليعلم الذين يكذبون بالعث " أن وعد الله حق " ويزداد المؤمنون ايمانا، والتقدير، ليستدلوا بما يؤديهم إلى العلم بأن الوعد في قيام الساعة حق كما قبضت أرواح هؤلاء الفتية تلك المدة. ثم بعثوا كأنهم لم يزالوا أحياء على تلك الصفة.

وقوله " إذ يتنازعون بينهم أمرهم " يجوز أن تكون (إذ) نصبا ب " يعلموا " في وقت منازعتهم. ويجوز أن يكون بقوله " أعثرنا " والتقدير: وكذلك اطلعنا إذ وقعت المنازعة في أمرهم. والمعنى انهم لما ظهروا عليهم وعرفوا خبرهم أماتهم الله في الكهف، فاختلف الذين ظهروا على أمرهم من أهل مدينتهم من المؤمنين وهم الذين غلبوا على أمرهم. وقيل رؤسائهم الذين استولوا على أمرهم. فقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجدا ليصلي فيه المؤمنون تبركا بهم (١). وقيل إن النزاع كان في أن بعضهم قال: قد ماتوا في الكهف. وبعضهم قال: لا بل هم نيام كما كانوا، فقال عند ذلك بعضهم: إن الذي خلقهم وأنامهم وبعثهم اعلم بحالهم وكيفية أمرهم، فقال عند ذلك الذين غلبوا على أمرهم من رؤسائهم لتتخذن عليهم مسجدا. وروي انهم لما جاؤوا إلى فم الغار دخل صاحبهم إليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين مدة مقامهم، فسألوا الله

(١) وفي المخطوطة زيادة وقال بعضهم: " ابنوا عليهم مسجدا " ليصلوا فيه إذا انتبهوا.

تعالى ان يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم إليها، وحال بين من قصدهم وبين الوصول الهيم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه، فلم يهتدوا إليهم. وقيل إنهم لما دخلوا الغار سدوا على نفوسهم بالحجارة فلم يهتد أحد إليهم لذلك. قوله تعالى:

(سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا (٢٣) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (٢٤))

يقول الله لنبيه صلى الله عليه وآله انه سيقول قوم من المختلفين في عدد أصحاب الكهف في

هذا الوقت: انهم ثلاثة رابعهم كلبهم، وطائفة أخرى يقولون: خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، وتقول طائفة ثالثة: انهم سبعة وثامنهم كلبهم. وذهب بعضهم إلى انهم سبعة لدخول واو العطف بعده في قوله "وثامنهم كلبهم" ولم يقل ذلك في الأول. وهذا ليس بشيء، لأنه إنما لم يدخل الواو في الأول، لأنه جاء على الصفة بالجملة، والثاني على العطف على الجملة. قال الرماني: وفرق بينهما، لان السبعة أصل للمبالغة في العدة، كما قال (عز وجل): استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن

يغفر الله لهم " (١) وحكى البلخي عن بعض أهل العلم أنه قال: الواجب أن يعد في الحساب: واحد اثنان ثلاثة أربعة، فإذا بلغت إلى السبعة قلت: وثمانية - بالواو - اتباعا للآية.

وقوله " رجما بالغيب " قال قتادة: معنا قذفا بالظن. وقال المؤرج: ظنا بالغيب بلغة هذيل. وقال قوم: ما لم تستيقنه فهو الرجم بالغيب قال الشاعر: واجعل مني الحق غيبا مرجما (٢)

وقال زهير: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرحم (٣) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهم يا محمد: ربي اعلم بعدتهم، من الخائضين في ذلك والقائلين في عددهم بغير علم. ثم قال تعالى: ليس يعلم عددهم إلا قليل من الناس، وهم النبي ومن أعلمه الله من نبيه. وقال ابن عباس: أنا من القليل الذين يعلمون ذلك: كانوا سبعة وثمانهم كلهم.

ثم قال تعالى، ناهيا لنبيه - والمراد به أمته - " فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهرا ". قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك: معناه إلا بما أظهرنا لك من أمرهم، والمعنى انه لا يجوز أن تماري وتجادل إلا بحجة ودلالة، واخبار من الله، وهو المرء الظاهر. وقال الضحاك: معناه حسبك ما ما قصصنا عليك. وقال البلخي: وفي ذلك دلالة على أن المرء قد يحسن إذا كان بالحق وبالصحيح من القول. وإنما المذموم منه ما كان باطلا والغرض المبالغة لا بيان الحق. والمرء الخصومة والجدل.

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨

(٢) قد مر هذا البيت كاملا في ١ / ٢٠٥ من هذا الكتاب وقد نسبته هناك إلى عمير بن طارق. وروايته (الظن) بدل (الحق)

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٨١ وهو في تفسير القرطبي ١٠ / ٣٨٣

وقوله " ولا تستفت فيهم " يعني في أهل الكهف، وفي مقدار عددهم " منهم " يعني من أهل الكتاب " أحدا " ولا تستفهم من جهتهم. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وقوله " ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " نهي من الله تعالى لنبيه أن يقول: اني افعل شيئا في الغد إلا أن يقيد قوله بمشيئة الله، فيقول: إن شاء الله، لأنه لا يأمن احترامه، فيكون خبره كذبا. وإذا قيده بقوله إن شاء الله، ثم لم يفعل، لم يكن كاذبا. والمراد بالخطاب جميع المكلفين، ومتى اخبر المخبر عن ظنه وعزمه بأنه يفعل شيئا فيما بعد ثم لم يفعل لا يكون كاذبا، لأنه اخبر عن ظنه وهو صادق فيه. وقال قوم: إلا أن يشاء الله، معناه إلا أن يشاء الله أن يلجئني إلى تركه. وقال الفراء: قوله " إلا أن يشاء الله " بمعنى المصدر، فكأنه قال إلا مشيئة الله والمعنى إلا ما يريد الله. وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال: لا تقل اني افعل إلا الطاعات وما يقرب إلى الله. هذا وجه حسن. ولا يطعن في ذلك جواز الاخبار عما يريد فعله من المباحات التي لا يشاؤها الله، لان هذا النهي ليس نهي تحريم، وإنما هو نهي تنزيه، لأنه لو لم يقل ذلك لما أتم بلا خلاف وإنما هو نهي تحريم فيما يتعلق بالقبيح فإنه لا يجوز أن يقول اني افعل ذلك بحال. والآية تضمنت أن لا يقول الانسان اني افعل غدا شيئا إلا أن يشاء الله. فأما أن يعزم عليه من ذكر ذلك، فلا يلزم المشيئة فيه إلا ندبا. بغير الآية.

وقوله " واذكر ربك إذا نسيت " قال الحسن: معناه انه إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقل إن شاء الله. وقال ابن عباس: له أن يستثني ولو إلى سنة. وقال بعضهم: وله أن يستثني بعد الحنث إلا أنه لا تسقط عنه الكفارة في اليمين، إلا إن يكون الاستثناء موصولا بالاجماع. وقال الحسن له أن يستثني ما لم يقم من

مجلسه الذي هو فيه، فان قام بطل استثناءه. وقال قوم " واذكر ربك إذا نسيت " أمرا ثم تذكرته، فإن لم تذكره فقل " عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا ". وقال بعضهم: عسى أن يعطيني ربي من ارشد ما هو أولى من قصة أصحاب الكهف. والذي نقوله: ان الاستثناء متى لم يكن متصلا بالكلام أو في حكم المتصل، لم يكن له تعلق بالأول ولا حكم له، وانه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة الله في جميع أنواع الكلام: من الامر. والنهي، والخبر، والايمان، وغير ذلك. ومتى استثنى ثم خالف لم يكن حائثا في يمينه ولا كاذبا في خبره. ومتى هو استثناء بعد مدة بعد انفصال الكلام لم يبطل ذلك حثه ولزمته الكفارة. ولو لم نقل ذلك أدى إلى أن لا يصح يمين ولا خبر ولا عقد، فان الانسان متى شاء استثنى في كلامه ويبطل حكم كلامه. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (من حلف على أمر يفعله ثم رأى ما هو خير له فليحنت وليكفر عن يمينه) ولو كان الاستثناء جائزا بعد مدة، لكان يقول فليستثنى ولا يحتاج إلى الكفارة ولا يلزمه الحنث. وقد روي في اخبارنا مثل ما حكيناه عن ابن عباس. ويشبه أن يكون المراد به أنه إذا استثنى وكان قد نسي من غير تعمد فإنه يحصل له ثواب المستثنى دون أن يؤثر في كلامه، وهو الأشبه بابن عباس وأليق بعمله وفعله، فان ما حكى عنه بعيد جدا. وقال المبرد، وجماعة: إن قوله " ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " ضم الاستثناء إلى الكلام الذي قبله. ثم قال " واذكر ربك إذ نسيت وقل عسى " استأنف كلاما آخر وقصة أخرى. وقال الجبائي هذا استئناف كلام من الله، وأمر منه لنبيه صلى الله عليه وآله أنه إذا أراد فعلا من الافعال فنسيه فليذكر الله وليقل عسى أن يهديني ربي لأقرب مما نسيته رشدا. وقال عكرمة: " اذكر ربك إذا نسيت " معناه إذا نسيت امرا فاذكر ربك تذكره، وهذا يدل على أنه لم يرد اليمين

في الاستثناء.

وقيل سبب نزول ذلك أن قريشا لما جاءت وسألت النبي صلى الله عليه وآله عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، فقال لهم: غدا أخبركم، فأبطأ عنه جبرائيل. وقيل تأخر عنه أياما ثم أتاه بخبرهم. وهذا ليس بصحيح، لأنه لو كان كذلك بأن وعدهم بأن يخبرهم غدا ثم لم يخبرهم لكان كذبا، وهو منه محال. وقال إبراهيم: إذا حلف الحالف والكلام متصل فله استثناءه إذا قال إن شاء الله. وقال الكسائي والفراء: التقدير: ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله فأضمر القول، وإنما كان الاستثناء مؤثرا إذا كان الكلام متصلا لأنه يدل على أنه يؤول كلامه، وإذا لم يكن متصلا فقد استقرت نيته وثبتت فلا يؤثر الاستثناء فيها. (١) وروي عن ابن عباس أنه قال: " رابعهم كلبهم " يعني راعيا يتبعهم، حكاة قطرب. وقال اخبر عن الكلب وأراد صاحبه، كقوله " واسأل القرية ". وإنما أراد أهلها. (وهذا لا يصح مع ظاهر قوله " وكلبهم باسط ذراعيه ") وقال الجبائي: لما اجتازوا على الراعي، فقال لهم أين تريدون قالوا: نفر بديننا، فقال الراعي: انا أولى بذلك، فتبعهم وتبعه الكلب. وفي أصحاب الحديث من يقول: ان الكلب خاطبهم بالتوحيد والاعتراف بما اعترفوا به، ولذلك تبعهم. وهذا خرق عادة يجوز أن يكون الله فعله لطفاً لهم، ومعجزة لبعضهم على ما حكى ان بعضهم كان نبيا، وهو رئيسهم، فيكون ذلك معجزة له، غير أنه ليس بمقطوع به. وقوله " عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا " معناه قل يا محمد عسى ان يعطيني ربي من الآيات على النبوة ما يكون أقرب وأدل من قصة أصحاب الكهف.

(١) كان في هذه الفقرات المتقدمة وما بعدها، أخطاء كثيرة ونقص واضح في المطبوعة فصحح على المخطوطة ولكثرة الأخطاء نبهنا عليها جملة.

قوله تعالى:

(ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥))
قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به
واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحدا (٢٦))
واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد
من دونه ملتحدا (٢٧)) ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة والكسائي " ثلاثمائة سنين " مضافا. الباقون بالتنوين، قال الفراء:
من العرب من يضع (سنين) في موضع (سنة) فهي في موضع خفض على قراءة من
أضاف قال عنتر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة * سودا كخافية الغراب الاسحم (١)
فمن نون نصب سنين ب " لبثوا " وتقديره سنين ثلاثمائة، ف (سنين) مفعول
(لبثوا) و (ثلاثمائة) بدل، كما تقول خرجت أياما خمسة وصمت سنين عشرة. وان
شئت نصبت " ثلاثمائة " ب (لبثوا) وجعلت (سنين) بدلا ومفسرة لها. ومن أضاف قال
ابن خالويه: هي قراءة غير مختارة، لأنهم لا يضيفون مثل هذا العدد إلا إلى الافراد
فيقولون ثلاثمائة درهم ولا يقولون ثلاثمائة دراهم قال أبو علي الفارسي قد جاء مثل
ذلك مضافا إلى الجمع، قال الشاعر:
فما زودوني غير سحق عمامة * وخمس مئ منها قسي وزائف (٢)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٧١ من معلقته الشهيرة

(٢) لسان العرب قسا) نسبه إلى مزرد

جمع على فعل. وقد كسر القاف كما كسر في (حلى) وقرأ ابن عامر،
" ولا تشرك " بالتاء على الخطاب. الباقيون بالياء على الخبر، فمن قرأ على النهي قال
تقديره " لا تشرك " أيها الانسان. ومن قرأ على الخبر، فلتقدم الغيبة. وهو قوله
" ما لهم من دونه من ولي " والهاء للغيبة. وقرأ الحسن " تسع وتسعون " (١) بفتح
التاء - يقال تسع بكسر التاء وفتحها، وهما لغتان. والكسر أكثر وافصح.
قوله " ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا " الآية معناه إخبار من
الله تعالى وبيان عن مقدار مدة لبثهم يعني أصحاب الكهف إلى وقت انتباههم. ثم
قال لنبيه، فان حاجك المشركون فيهم من أهل الكتاب، فقل " الله اعلم بما لبثوا "
وهو قول مجاهد، والضحاك، وعبيد بن عمير، كما قال " عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه أحدا " (٢) ومن قرأ بالتاء، قال معناه لا تنسب أحدا إلى عالم الغيب. ويحتمل
أن يكون المعنى لا يجوز لحاكم أن يحكم إلا بما حكم الله به أو بما دل على حكم الله،
وليس لاحد أن يحكم من قبل نفسه، فيكون شريكا لله في أمره وحكمه.
وقيل إن معناه " قل الله أعلم بما لبثوا " إلى أن ماتوا. وحكى عن قتادة أن
ذلك حكاية عن قول اليهود فإنهم الذين قالوا لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعا. وقوى ذلك بقوله " قل الله اعلم بما لبثوا " فذكر تعالى أنه العالم بذلك دون
غيره. وقد ضعف جماعة هذا الوجه قالوا: لان الوجه الأول أحسن، لأنه ليس لنا أن
نصرف إخبار الله إلى أنه حكاية إلا بدليل قاطع، ولأنه معتمد الاعتبار الذي بينه
الله (عز وجل) للعباد.
وقوله " له غيب السماوات والأرض " فالغيب يكون للشئ بحيث لا يقع

(١) سورة ٣٨ صلى الله عليه وآله آية ٢٣

(٢) سورة ٧٢ - الجن - آية ٢٦

عليه الادراك، ولا يغيب عن الله تعالى شئ، لأنه لا يكون بحيث لا يدركه. وقيل "عالم الغيب والشهادة" (١) معناه ما يغيب عن احساس العباد وما يشاهدونه. وقيل ما يصح ان يشاهد وما لا يصح أن يشاهد. وقوله "اسمع به وابصر" (٢) معناه ما أسمعته وما أبصره بأنه لا يخفى عليه شئ فخرج التعجب على وجه التعظيم له تعالى. وقوله "ما لهم من دونه من ولي" اي ليس للخلق وقيل إنه راجع إلى أهل الكهف أي ليس لهم من دون الله ولي ولا ناصر "ولا يشرك" يعني الله "في حكمه" بما يخبر به من الغيب "أحدا". ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله "أتل ما أوحى إليك" أي اقرأ عليهم ما أوحى الله إليك من اخبار أصحاب الكهف وغيرهم. وقوله "لا مبدل لكلماته" أي لا مغير لما أخبر الله تعالى به، لأنه صدق ولا يجوز أن يكون بخلافه "ولن تجد من دونه ملتحدا" ومعناه ملتجأ تهرب إليه وقال مجاهد: ملجأ، وقال قتادة: مؤثلاً. وقيل: معدلاً. وهذه الأقوال متقاربة المعنى وهو من قولهم لحدث إلى كذا أي ملت إليه، ومنه اللحد، لأنه في ناحية القبر وليس بالشق الذي في وسطه، ومنه الالحاد في الدين، وهو العدول عن الحق فيه. (وسنين) فيه لغتان تجمع جمع السلامة وجمع التكسير فالسلامة هذه سنون ورأيت سنين وجمع التكسير بتنوين النون تقول هذه سنون وصمت سنينا وعجبت من سنين. وقوله "وازدادوا تسعا" يعني تسع سنين، فاستغنى بالتفسير في الأول عن اعادته ههنا.

(١) سورة ٦ الانعام آية ٧٣ وسورة ١٣ - الرعد - آية ١٠ وغيرهما كثيرا في القرآن

(٢) سورة ١٩ مريم آية ٣٨

قوله تعالى:

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا
تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (٢٨)
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا
اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (٢٩) إن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن
عملا (٣٠)) ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده " بالغدوة والعشي " بضم الغين والواو، وإسكان
الذال. الباقون بفتح الغين والذال، ومع الألف، ولا يجوز عند أهل العربية إدخال
الألف واللام على غدوة، لأنها معرفة، ولو كانت نكرة لجاز فيها الإضافة ولا يجوز
غدوة يوم الجمعة كما يجوز غداة يوم الجمعة.

وقال أبو علي النحوي من أدخل الألف واللام، فإنه يجوز - وإن كان معرفة -
أن تنكر، كما حكى أبو زيد لقيته فينة. والفينة بعد الفينة، ففينة مثل غدوة في التعريف،
ومثل قولهم: اما النظرة، فلا نظرة، فأجري مجرى ما يكون سائغا في الجنس.
ومن قرأ بالغداة، فقله أبين. وقال ابن خالويه: العرب تدخل الألف واللام على

المعرفة إذا جاؤوا بما فيه الألف واللام ليزدوج الكلام، قال الشاعر:
وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله (١)
فادخل الألف واللام على اليزيد لما جاور الوليد، فلذلك أدخل ابن عامر
الألف واللام في (الغدوة) لما جاور العشي. والعرب تجعل (بكرة وغدوة وسحر)
معارف إذا أرادوا اليوم بعينه. أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالصبر على جملة
المؤمنين

الذين يدعون الله بالغداة والعشي، والصبر على ثلاثة أقسام: صبر واجب مفروض
وهو ما كان على أداء الواجبات التي تشق على النفس وتحتاج إلى التكلف. والثاني -
ما هو مندوب فان الصبر عليه مندوب إليه. والثالث مباح جائز، وهو الصبر على
المباحات التي ليست بطاعة لله.

وقوله " يريدون وجهه " معناه يريدون تعظيمه والقربة إليه دون الرياء
والسمعة، فذكر الوجه بمعنى لأجل التعظيم، كما يقال أكرمته لوجهك أي لتعظيمك
لان من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء ويريدون به الشيء المعظم. كقولهم هذا وجه
الرأي أي هذا الرأي الحق المعظم.

وقوله " ولا تعد عينك عنهم " معناه لا تتجاوز عينك إلى غيرهم ولا تنصرف
وقيل إنها نزلت في سلمان وأصحابه إلى سواهم من أرباب الدنيا الممرحين فيها
" تريد " بذلك " زينة الحياة الدنيا. ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا " نزلت في
عبيدة بن حصين. وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها - لا تطع من صادفناه غافلا عن ذكرنا كقولهم احمدت فلانا أي
صادفته محمودا فهو من باب صادفناه على صفة.

الثاني - لا تطع من سميناه غافلا، ونسبناه إلى الغفلة كقولهم أكفرناه أي

مر تخريجه في ٤ / ٢٠٨ من هذا الكتاب

نسبناه إلى الكفر.

والثالث - لا تطع من أغفلنا قلبه أي جعلناه غافلا بتعرضه للغفلة. وقيل لم يسمه الله بما يسم به قلوب المؤمنين مما ينبئ عن فلاحهم، كما قال " كتب في قلوبهم الايمان " (١).

" واتبع هواه " يعني الذي أغفلناه عن ذكرنا " اتبع هواه، وكان أمره فرطاً " معناه تجاوزا للحق وخروجا عنه، من قولهم أفرط إفراطا إذا أسرف، فاما فرط فمعناه قصر عن التقدم إلى الحق الذي يلزمه. وقيل معناه وكان أمره سرفا. ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لهم الذي أتيتكم به هو الحق من ربكم الذي خلقكم فمن

شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر " صورته صورة الامر والمراد به التهديد وهو أكد في التهديد من جهة أنه كأنه مأمور بما يوجب اهانتة. ثم أخبر أنه أعد للظالمين العصاة نارا أحاط بهم سرادقها فالسرادق المحيط بما فيه مما ينقل معه والأصل سرادق الفسطاط قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد إليك ممدود (٢)
وقال ابن عباس سرادقها حائط من نار يطيف بهم، وقيل سرادقها دخانها قبل وصولهم إليها. وقيل السرادق ثوب يدار حول الفسطاط.
وقوله " وإن يستغيثوا " معناه إن طلبوا الغوث والنجاة، وطلبوا ماء لشدة ما هم فيه من العذاب " اغيثوا بماء كالمهل " والمهل كل شئ أذيب حتى ماع، كالصفر والرصاص والذهب والحديد، وغير ذلك - في قول ابن مسعود - وقال مجاهد: هو القيح والدم. وقال ابن عباس هو دردي الزيت.

(١) سورة ٥٨ المجادلة، آية ٢٢

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٩٣ ومجاز القرآن ١ / ٣٩٩ واللسان (سردق) وسيبويه ١ / ٢٧٢

وقال سعيد بن جبير هو الشئ الذي قد انتهى حره " يشوي الوجوه " أي يحرقها من شدة حره إذا قربت منه. ثم قال تعالى مخبرا عن ذلك بأنه " بئس الشراب " يعني ذلك المهل " وساءت مرتفقا " وقيل معناه المتكأ من المرفق، كما قال أبو ذؤيب:

بات الخلي وبت الليل مرتفقا * كان عيني فيها الصاب مذبوح (١)
وقيل هو من الرفق. وقال مجاهد معناه مجتمعا كأنه ذهب به إلى معنى مرافقة.
ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الطاعات ويجتنبون المعاصي بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يبطل ثوابه. وقيل في خبر " إن الذين آمنوا " ثلاثة أقوال:

أحدها - ان خبره قوله " أولئك لهم جنات عدن " ويكون قوله " إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا " اعتراضا بين الاسم والخبر.
الثاني - أن يكون الخبر إنا لا نضيع أجره، إلا أنه وقع المظهر موقع المضمّر.
والثالث - أن يكون على البدل، فلا يحتاج الأول إلى خبر، كقول الشاعر:
إن الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم
فأخبر عن الثاني وأضرب عن الأول.
قوله تعالى:

(أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٠٤ وتفسير الطبري ١٥ / ١٤٨ ومجاز القرآن ١ / ٤٠٠ وتفسير القرطبي ١٠ / ٣٩٥ والتاج واللسان والصحاح (صوب) وغيرها

فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت
مرتفقا (٣١) واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين
من أعناب وحففنا هما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً (٣٢) كلتا
الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا (٣٣) وفجرنا خلا لما
نهر (٣٤) وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك
مالا وأعز نفرا (٣٥) أربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث في المدني
تمام الثانية (زرعاً).

قرأ عاصم وأبو جعفر وروح " وكان له ثمر " " وأحيط بثمره " بفتح الثاء
والميم فيهما، وافقهم رويس في الأولى. وقرأ أبو عمرو - بضم الثاء وسكون الميم -
فيهما. الباقيون بضمهما فيهما.

قال أبو علي: الثمر ما يجتني من ذي الثمر وجمعه ثمرات مثل رجة ورحبات:
ورقة ورقبات، ويجوز في جمع (ثمرة) ضربان: أحدهما - على ثمر، كبقرة وبقر
والآخر - على التكسير، فتقول ثمار كرقبة ورقاب، فيشبه المخلوقات بالمصنوعات
وشبه كل واحد منهما بالآخر. ويجوز في القياس أن يكسر (ثمار) الذي هو جمع ثمرة
على ثمر، ككتاب وكتب، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة كبدة وبدن وخشبة
وخشب، ويجوز أن يكون ثمر واحدا كعنق وطنب، فعلى جميع هذه الوجوه يجوز

اسكان العين منه. ومثله في قوله " وأحيط بثمره ". وقال بعض أهل اللغة:
التمر المال، والتمر المأكول. وجاء في التفسير (إن التمر النخل والشجر) ولم يرد به
التمر. فالتمر - على ما روي عن جماعة من السلف - الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس
الثمرة بدلالة قوله " فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها " أي في الجنة والنفقة إنما تكون
على ذوات التمر في الأكثر، فكأن الآية التي أرسلت عليها اصطلمت الأصول
واجتاحتها، كما قال تعالى في صفة الجنة الأخرى " فأصبحت كالصريم " (١) أي كالليل
في سواده لاحتراقها بعد أن كانت كالنهار في بياضها. وحكي عن أبي عمرو، إن الثمرة
والتمر أنواع المال من الذهب والفضة وغيرهما يقال: فلان مثمر أي كثير المال، ذهب إليه
مجاهد وغيره.

أخبر الله تعالى في الآية الأولى عما للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الذين أخبر عنهم بأنه لا يضيع عملهم الحسن، وما قد أعد لهم، فقال " لهم جنات
عدن " والجنات جمع جنة، وهي البستان الذي فيها الشجر. ومعنى (عدن) أي موضع
إقامة، وإنما سمي بذلك. لأنهم يبقون فيها بقاء الله دائماً وأبداً، والعدن الإقامة.
وقيل: هو اسم من أسماء الجنة - في قول الحسن - ويقال عدن بالمكان يعدن عدنا
إذا أقام فيه، فسمى الجنة عدنا من إقامة الخلق فيها. ثم وصف هذه الجنة، فقال
" تجري من تحتهم الأنهار " وقيل في معنا ذلك قولان:
أحدهما - إن أنهار الجنة في أحاديث من الأرض، فلذلك قال من تحتهم.
الثاني - أنهم على غرف فيها فالأنهار تجري من تحتهم، كما قال تعالى " وهم في
الغرفات آمنون " (٢).

(١) سورة ٦٨ - القلم آية ٢٠

(٢) سورة ٣٤ سبأ آية ٣٧

وقوله " يحلون فيها من أساور من ذهب " أي يجعل لهم فيها حليا من زينة من أساور، وهو جمع أسوار على حذف الزيادة، لان مع الزيادة أساوير، في قول قطرب.

وقيل هو جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، يقال بكسر السين وضمها - في قول الزجاج - والسوار زينة تلبس في الزند من اليد. وقيل هو من زينة الملوك يسور في اليد ويتوج على الرأس.

" ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق " فالسندس مارق من الديباج واحده سندسة وهي الرقيقة من الديباج، على أحسن ما يكون وأفخره، فلذلك شوق الله إليه. والإستبرق الغليظ من الديباج. وقيل هو الحرير قال المرقش:

تراهن يلبسن المشاعر مرة * وإستبرق الديباج طورا لباسها (١)
وقوله تعالى " متكئين " نصب على الحال " فيها " يعني في الجنة " على الأرائك " جمع أريكة، وهي السرير قال الشاعر:

خدودا جفت في السير حتى كأنما * يباشرن بالمعزاء مس الأرائك (٢)
وقال الأعشى:

بين الرواق وجانب من سيرها * منها وبين أريكة الأنضاد (٣)
أي السرير في الحجلة. وقال الزجاج: الأرائك الفرش في الحجال. ثم قال تعالى إن ذلك " نعم الثواب " والجزاء على الطاعات " وحسنت مرتفقا " يعني

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٩٧ وتفسير الطبري ١٥ / ١٤٨ وهو في مجمع البيان ٣ / ٤٦٦

(٢) قائله دون الرمة ديوانه ٤٤٢ ومجاز القرآن ١ / ٤٠١ وتفسير الطبري ١٥ / ١٤٨

(٣) ديوان الأعشى (طبع بيانة) ٣٤٤ وتفسير الطبري ١٥ / ١٤٨ ومجاز القرآن ١ / ٤٠١.

حسنت الجنة مرتفقا، فلذلك أنث الفعل، ومعنى "مرتفقا" أي مجلسا، وهو نصب على التمييز. ثم قال "واضرب لهم مثلا رجلين" أي اضرب رجلين لهم مثلا "جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل" أي جعلنا النخل مطيفا بهما يقال حفه القوم يريد إذا طافوا به "وجعلنا بينهما زراعا" اعلام بأن عمارتها كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلا عمارة. واعلمنا أنهما كاملتان في تأدية كل حملها من غلتها، فقال "كلتا الجنتين آتت اكلها" أي طعمها وما يؤكل منها "ولم تظلم منه شيئا" أي لم تنقص بل أخرجت ثمرها على الكمال والتمام، قال الشاعر:

يظلمني ما لي كذا ولوى يدي * لوى يده الله الذي هو غالبه (١)

أي ينقصني ما لي. وقال الحسن: معناه لم ينقص "وفجرنا خلالهما نهرا" أي شققنا نهرا بينهما، وفائدتهما أنهما يشربان من نهر واحد. "وكان له ثمر" وقرئ (ثمر) قال مجاهد هو ذهب، وفضة. وقال ابن عباس وقتادة: هو صنوف الأموال، يقال: ثمار وثمر مثل حمار وحمير، ويجوز أن يكون جمع ثمر، مثل خشب وخشب، وإنما قال "كلتا الجنتين آتت" على لفظ كلتا، لأنه بمنزلة (كل) في مخرج التوحيد. ولو قال آتتا، على الجنتين كان جائزا قال الشاعر في التوحيد:

وكلتاها قد خط لي في صحيفتي * فلا العيش اهواه ولا الموت أروح (٢)

ويجوز كلاهما في الحديث قال الشاعر:

كلا عقبه قد تشعث رأسها * من الضرب في جنبي ثقال مباشر

والألف واللام في كلتا ليست ألف التثنية، ولذلك يجوز أن تقول الاثنتان

(١) مر تخريجه في ٢ / ٥٠٨
(٢) البيت في مجمع البيان غير منسوب

قام، ويجوز ان يقال كل الجنة آتت. ولا يجوز كل المرأة قامت، لان بعض الامرأة ليس بامرأة وبعض الجنة جنة، فكأنه قال كل جنة من جملة ما آتت. وقوله " فقال لصاحبه وهو يحاوره " أي يقول أحد الرجلين لصاحبه يعني صاحبي الجنتين اللتين ضرب بهما المثل، يقول لصاحبه الآخر " وهو يحاوره " أي يراجعه الكلام " أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا " أي أجمع مالا وأعز عشيرة وأكثر أنصارا، وقد فسرناه فيما مضى وإنما قال " وفجرنا خلالهما نهرا " والنهر يتفجر من موضع واحد لان النهر يمتد حتى يصير التفجر كأنه فيه كله، فالتخفيف والتثقيل فيه جائزان ومنه " حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا " (١) يخفف ويثقل على ما مضى القول فيه. قوله تعالى:

(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٦) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٧) قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا (٣٨) آيتان في عدد إسماعيل وشامي وثلاثة في ما عداه لأنهم عدوا اية ولم يعدها إسماعيل ولا الشامي وثلاثة آيات في الكوفي والمدني الأول واثنان في المدني الأخير. قرأ أهل الحجاز وابن عامر " خيرا منهما " بزيادة ميم على التثنية.

(١) سورة ١٧ - الاسرى آية ٩٠

الباقون بلا ميم.

اخبر الله تعالى عن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، وهو صاحب الجنتين انه دخل جنته وهي البستان الذي يحنه الشجر ويحفه الزهر، " وهو ظالم لنفسه " أي باخس لها حقها بارتكاب القبيح والاخلال بالواجب اللذين يستحق بهما العقاب ويفوته بهما الثواب، فلما رأى هذا الجاهل ما راقه وشاهد ما أعجبه، وكبر في نفسه توهم أنه يدوم، وأن مثله لا يفنى، فقال " ما أظن أن تبید هذه أبدا " أي تهلك هذه الجنة أبدا " وما أظن الساعة قائمة " يعني يوم القيامة أي تقوم، كما يدعيه الموحدون. ثم قال " ولئن رددت إلى ربي " وجدت " خيرا منها " يعني من الجنة. ومن قرأ " منهما " أراد الجنتين " منقلبا " أي في المرجع إليه. وإنما قال هذا مع كفره بالله تعالى، لان المعنى ان رددت إلى ربي، كما يدعى من رجوعي، فلي خير من هذه، تحكما سولته له نفسه، لا مطمع فيه. وقال ابن زيد: شك، ثم قال على شكه في الرجوع إلى ربه ما أعطاني هذه الأولى عنده خير منها " فقال له صاحبه وهو يحاوره " أي يراجعه الكلام " أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا " ومعنى خلقتك من تراب أن أصلك من تراب إذ خلق أباك آدم (ع) من تراب، فهو من تراب ويصير إلى التراب، وقيل لما كانت النطفة يخلقها الله بمجرى العادة من الغذاء، والغذاء نبت من التراب، جاز أن يقال: خلقتك من تراب، لان أصله تراب كما قال من نطفة، وهو في هذه الحال خلق سوي حي، لكن لما كان أصله كذلك جاز أن يقال ذلك.

وفى الآية دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر، والوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان وتنقله من تراب إلى نطفة، ثم إلى علقة، ثم إلى صورة، ثم إلى طفولية، ثم إلى حال الرجولية، ما في ذلك من الاعتبار الذي هو دال على تدبير مدبر

مختار يصرف الأشياء من حال إلى حال، لأن ما يكون في الطبع يكون دفعة واحدة كالكتابة التي يوجد بها بالطبائع من لا يحسن الكتابة، فلما أنشأ الخلق حالا بعد حال دل على أنه عالم مختار.

و (المحاورة) مراجعة الكلام و (المنقلب) المعاد، و (التسوية) جعل الشيء على مقدار سواه، فقله " سواك رجلا " أي كملك رجلا. قوله تعالى:

(لكننا هو الله ربى ولا اشرك بربى أحدا (٣٩) ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٤٠) فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا (٤١) أو يصبح مأوها غورا فلن تستطيع له طلبا (٤٢)) أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع - في رواية المسيبي - وابن عامر، وأبو جعفر، ورويس، والبرجمي، والعبسي " لكننا هو الله ربى " باثبات الألف في الوصل، وهي قراءة ورش عن نافع. والباقون بغير الف في الوصل. ولم يختلفوا في الوقف أنه بألف. وقد جاء الاثبات في الوصل، قال الأعشى:

فكيف أنا وانتحالي القوافي * بعد المشيب كفى ذاك عارا (١)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٨٤ وطبع (بيانه) ٤١ والقرطبي ١٠ / ٤٠٥ وروايته (فما أنا أم ما انتحالي القوافي)

غير أن ذلك من ضرورة الشعر، ويجوز في " لكننا هو الله ربي " خمسة أوجه في العربية. أحدها - لكن هو الله - بالتشديد - من غير الف في الوصل والوقف. الثاني - بألف في الوصل والوقف.

الثالث - لكننا باظهار النونين وطرح الهمزة.

الرابع - لكن هو الله ربي بالتخفيف.

الخامس - لكن انا على الأصل. وقال الكسائي: العرب تقول: أن قائم بمعنى أنا قائم، فهذا نظير " لكن هو الله " ومن قرأ لكنا في الوصل احتمل أمرين: أحدهما - أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن، فيدغم النون من " لكن " - لسكونها - في النون من علامة الضمير، فيكون على هذا باثبات الألف وصلا ووقفا، لان أحدا لا يحذف الألف من (انا فعلنا).

وقوله " هو الله " فهو ضمير علامة الحديث والقصة. كقوله " فإذا هي شاخصة " (١) وقوله " قل هو الله أحد " والتقدير: الامر: الله أحد، لان هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبر وعاد على الضمير الذي دخلت عليه (لكن) على المعنى، ولو عاد على اللفظ لقال: لكننا هو الله ربنا. ودخلت (لكن) مخففة على الضمير، كما دخلت في قوله " انا معكم " (٢) والوجه الآخر - أن يكون ما حكاه سيويه أنه سمع من يقول أعطني بيضة فشدد وألحق الهاء بالتشديد الموقوف، والهاء مثل الألف في سبساء، والياء في (عيهل) واجري الهاء مجراهما في الاطلاق، كما كانت مثلهما في نحو قوله:

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٧

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٤

صفية قومي ولا تجزعي* وبكى النساء على حمزة (١) وهذا الذي حكاه سيبويه ليس في شعر، فكذلك الآية يكون الألف فيها كالهاء، ولا تكون الهاء للوقف لان هاء الوقف لا يبين بها المعرب، ولا ما ضارع المعرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من أثبت الألف في الوصل أو عليهما جميعا، ولو كانت فاصلة، لكان مثل " فأضلونا السبيلا " (٢) وفي (أنا) في الأصل ثلاث لغات أجودها (أنا قمت) كقوله " أنا ربكم الاعلى " بغير ألف في اللفظ، ويجوز (أنا قمت) باثبات الألف، وهو ضعيف جدا وحكوا أن قمت باسكان النون، وهو ضعيف أيضا وأما " لكننا هو الله ربي " باثبات الألف فهو الجيد، لان الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الألف عوضا عن الهمزة، وحكي أن أبيا قرأ " لكن انا هو الله " قال الزجاج وهو الجيد البالغ، وما قرأه القراء أيضا جيد. وقوله " قلت ما شاء الله " تحتمل (ما) أن تكون رفعا، وتقديره قلت الامر ما شاء الله، ويجوز أن تكون نصبا على معنى الشرط والجزاء. والجواب مضممر وتقديره أي شئ شاء الله كان، وتضممر الجواب، كما تضممر جواب (لو) في قوله " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " (٣) والمعنى كان هذا القرآن. ومعنى " لا قوة إلا بالله " لا يقدر أحد إلا بالله، لان الله هو الذي يفعل القدرة للفعل. وقوله " ان ترني انا أقل " منصوب بأنه مفعول ثان ل (ترني) و " أنا " تصلح لشيئين: أحدهما - أن تكون توكيدا للنون والياء. والثاني - أن تكون فصلا كما تقول: كنت أنت القائم يا هذا، ويجوز رفع (أقل) وبه قرأ عيسى بن عمر على

(١) البيت في مجمع البيان ٣ / ٤٧٠

(٢) وسورة ٣٣ - الأحزاب آية ٦٧

(٣) سورة ١٣ - الرعد - آية ٣٣

أن يكون (أنا) مبتدأ و (أقل) خبره. والجملة في موضع المفعول الثاني - ل (ترني) وقوله " غورا " قراه البرجمي بضم الغين - ههنا - وفي الملك، وإنما جاز ان يقع المصدر في موضع الصفة في ماء غور، للمبالغة، كما تقول في الحسن وجهه: نور ساطع، وقال الشاعر:

تظل جياذه نوحا عليه * مقلدة أعتتها صفونا (١)
حكى الله تعالى عن الذي قال لصاحبه " أكفرت بالذي خلقك من تراب " أنه قال " لكن هو الله ربي " ومعناه لكن أنا هو الله ربي إلا أنه حذف الهمزة، والقي حركتها على الساكن الذي قبلها، فالتقت النونان، وأدغمت إحداهما في الأخرى، كما قال الشاعر:

ويرمينني بالطرف أي أنت مذنّب * ويقلينني لكن إياك لا أقلى (٢)
أي لكن أنا. وقوله " ولا أشرك بربي أحدا " أي لا أشرك بعبادتي أحدا مع الله بل أوجهها إليه خالصة له وحده. وإنما استحال الشرك في العبادة، لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم التي لا تواز بها نعمة منعم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله. ثم قال له " ولولا إذ دخلت جنتك " والمعنى هلا حين دخلت جنتك " قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله " لاحد من الخلق " ان ترني أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتيني " بمعنى ان يعطيني خيرا من جنتك جنة في الدار الآخرة " وأن يرسل عليها " أي على جنتك حسبانا من السماء. قال ابن عباس، وقتادة: عذابا. وقيل نارا من السماء تحرقها. وقيل أصل الحسابان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد، وكان ذلك من رمي الأساورة. والحسابان المرامي الكثيرة مثل كثرة الحساب واحده حسبانة.

(١) قيل إن البيت لعمر بن كلثوم من معلقته وهو في أمالي السيد المرتضى

٢٠١، ١٠٥ / ١

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٤٠٥، ومجمع البيان ٣ / ٤٧٠

وقوله " فتصبح صعيدا زلقا " أي ترابا محترقا. والزلق الذي لانبات فيها.
وقال الزجاج: الصعيد الطريق الذي لانبات فيه أي ملساء ما أنبتت من شيء قد ذهب.
وقال الزجاج: المعنى ويرسل عليها عذاب حساب بما كسبت يداك، لان الحساب هو الحساب.

وقوله " أو يصبح مأوها غورا " أي ذاهبا في باطن غامض. والمعنى غائرا،
فوضع المصدر موضع الصفة ونصب على الحال ولذلك لا يثنى ولا يجمع.
وقوله " فلن تستطيع له طلبا " أي لا تقدر على طلب الماء إذا غار، والطلب
تقليب الامر لوجدان ما يهلك. قال الرماني هذا أصله، ثم قيل للمريد من غيره
فعلا: طالب لذلك الفعل بإرادته أو أمره والمفكر في المعنى (طالب) لادراك ما فيه
وكذلك السائل.

قوله تعالى:

(وأحيط بثمرة فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها
وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا (٤٣)
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا (٤٤)
هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا (٤٥) ثلاث
آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع وعاصم " الولاية " بفتح الواو " لله الحق "
بكسر القاف، وقرأ حمزة بكسرهما. وقرأ أبو عمرو: بفتح الواو، وضم القاف. وقرأ
الكسائي بكسر الواو وضم القاف. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " ولم يكن " بالياء

الباقون بالتاء.

من قرأ بالتاء فلتأنيث الفئة، والفئة الجماعة، وقد يسمى الرجل الواحد فئة، كما أن الطائفة تكون جماعة وواحدا. قال ابن عباس في قوله " وليشهد عذابهما طائفة " فالطائفة قد تكون الرجل الواحد.

ومن قرأ بالياء فلقوله " ينصرونه " ولان التأنيث غير حقيقي. واما (الولاية بفتح الواو، وكسرهما فلغتان مثل الوكالة والوكالة والدلالة والدلالة. وقال قوم: هما مصدران فالمكسور مصدر الوالي من الامارة والسلطان. والمفتوح مصدر الولي ضد العدو، تقول: هذا ولي بين الولاية.

واما قوله " الحق " فمن خفض قال الحق هو الله فخفضه نعتا لله، واحتج بقراءة ابن مسعود " هنالك الولاية لله وهو الحق " وفي قراءة أبي " هنالك الولاية الحق لله "

ومن رفع جعله نعتا للولاية، وأجاز الكوفيون والبصريون النصب بمعنى أحق ذلك حقا، والحق اليقين بعد الشك.

قوله " وأحيط بثمره " معناه هلك ثمرهم عن آخرها، ولم يسلم منها شيء كما يقال أحاط بهم العدو إذا هلكوا عن آخرهم والإحاطة إدارة الحائط على الشيء. ومنه قوله " ولا يحيطون بشيء من علمه " (١) أي لا يعلمون معلوماته، والحد محيط بجميع المحدود.

وقوله " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها " أي يتحسر على ما أنفق في عمارتها " وهي خاوية على عروشها " معناه حيطانها قائمة لا سقوف عليها، لأنها انهارت

(١) سورة ٢ - البقرة - آية ٢٥٦

فصارت في قرارها، وخوت فصارت خاوية من الأساس. ومثله قولهم وقعت: الدار على سقوفها أي أعلاها على أسفلها. وقيل خاوية على بيوتها، والعروش الأبنية أي قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها، لا خير فيها. وقيل العروش السقوف، فصارت الشيطان على السقوف.

وقوله "ويقول يا ليتني لم اشرك بربي أحدا" اخبار منه تعالى عما يقول صاحب الجنة الهالكة، وانه يندم على ما كان منه من الشرك بالله. ثم قال تعالى "ولم يكن له فئة" أي جماعة "ينصرونه من دون الله" قال العجاج: كما يجوز الفئة الكمي

وقوله تعالى "وما كان منتصرا" قال قتادة: معنا ما كان ممتنعا. وقيل معناه ما كان منتصرا بان يسترد بدل ما كان ذهب منه.

وقوله (هنالك الولاية لله الحق) اخبار منه تعالى ان في ذلك الموضع الولاية بالنصرة والاعزاز لله (عز وجل) لا يملكها أحد من العباد يعمل بالفساد فيها، كما قد مكن في الدنيا على طريق الاختيار، فيصح الجزاء في غيرها. وقوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) إنما قال هو خير ثوابا مع أنه لا يثيب أحد إلا الله لامرين:

أحدهما - انه على رد ادعاء الجهال انه قد يثيب غير الله، فتقديره لو كان غيره يثيب، لكان هو خير ثوابا.

والثاني انه خير جزاء على العمل. وعاقبة ما يدعو إليه خير من عاقبة ما لا يدعو إليه. والولاية بفتح الواو ضد العداوة، وبكسرهما الامارة والسلطان. وقرأ عاصم وحمزة "عقبا" بسكون القاف. الباقيون بضميتين وهما لغتان بمعنى العاقبة، وهو نصب على التمييز (وهنالك) إشارة إلى يوم القيامة. والمعنى ان يوم القيامة تتبين نصرة الله،

لأوليائه. و (عقبا أي عاقبة يقال عقبى الدار، وعقب الدار، وعاقبة الدار بمعنى واحد.
قوله تعالى:

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٦) المال والبنون زينة الحياة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٧))
آيتان بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يضرب المثل للدنيا تزهيذا فيها، وترغيبا في الآخرة بأن قال: إن مثلها كمثل ماء أنزله الله من السماء " فاختلط به نبات الأرض " أي نبت بذلك الماء المنزل من السماء نبات، فالتفت بعضه ببعض يرون حسنا وغضاضة. ثم عاد (هشيما) أي مكسورا مفتتا " تذروه الرياح " فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا بأهلها كانقلاب هذا النبات. ثم قال " وكان الله على كل شيء " اراده " مقتدرا " أي قادرا، لا يجوز عليه المنع منه. والتذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة على كل جهة، يقال: ذرته الريح تذروه ذروا، وذرته تذريه وأذرته اذراء قال الشاعر:

فقلت له صوب ولا تجهده * فيذكرك من أخرى القطاة فتزلق (١)

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ٤١٣ وهو في مجمع البيان ٣ / ٤٧٠

وأذريت الرجل عن الدابة إذا ألقيته عنها، والهشيم النبات اليابس المتفتت.
وقال الحسن: معنى " وكان الله على كل شيء مقتدرا " أي كان قادرا ان يكونه
قبل أن يكون، وقيل أن يكون. وهو اخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل، وهذا
المثل للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم، واستنكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين،
فأخبرهم الله أن ما كان من الدنيا لا يراد به الله، فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة
له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء، فإذا انقطع عنه عاد هشيمًا تذروه الرياح لا ينتفع به.
وقوله " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " اخبار منه تعالى أن كثرة الأموال
التي يتمولها الانسان ويملكها في الدنيا. والبنين الذين يرزقهم الله زينة الحياة الدنيا،
أي جمال الدنيا وفخرها " والباقيات الصالحات " يعني الطاعات لله تعالى، لأنه يبقى ثوابها
أبدا، فهي خير من نفع منقطع لا عاقبة له، والباقيات يفرح بها ويدوم خيرها،
وهي صالحات بدعاء الحكيم إليها وأمره بها. وقال ابن عباس " الباقيات الصالحات "
الطاعات

لله. وروي في أخبارنا أن من الباقيات الصالحات، والأمر الثابتات: القيام بالليل
لصلاة الليل. والأمل الرجاء، ومعنى " خير أملا " أن الرجاء للعمل الصالح والأمل
له خير من الأمل للعمل الطالح.
قوله تعالى:

(ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم
نغادر منهم أحدا (٤٨) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما
خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٩) ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال

هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (٥٠) ثلاث آيات
قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عامر " تسير " لتأنيث الجبال ورفع الجبال،
لأنه اسم ما لم يسم فاعله، ولأنه قال " وسيرت الجبال فكانت سرابا " (١)، ولأن
أبيا قرأ " ويوم سيرت الجبال، فإذا كان الماضي (سيرت) كان المضارع تسير. الباكون
" نسير " بالنون، اخبار من الله تعالى عن نفسه. ونصب الجبال وهو مفعول به
ل (نسير) وحجتهم قولهم " وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا " ونصب " ويوم نسير "
باضمار فعل، وتقديره واذكر يا محمد صلى الله عليه وآله يوم نسير الجبال. وقوله " وترى
الأرض
بارزة " أي ظاهرة فلا يتستر منها شيء، لان الجبال إذا سيرت عنها وصارت دكا
ملساء ظهرت وبرزت. وقيل " وترى الأرض بارزة " أي يبرز ما فيها من الكنوز
والأموات، فهو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله (ترمي الأرض بأفلاذ كبدها) وأجاز بعض
البصريين ان ينصب " ويوم " بقوله " والباقيات الصالحات خير ثوابا " في يوم تسير
الجبال ف " الباقيات الصالحات " قيل الطاعات. وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.
وروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال (القيام بالليل لصلاة الليل). وسمع بعضهم
عزى صديقا له، فقال: ابنك كان زينة الدنيا، ولو بقي كان سيدا مثلك، وإذا
استأثر الله به، فجعله من الباقيات الصالحات، والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا وخير أملا، فتسلى بذلك.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله اذكر يوم نسير الجبال، والتسيير تطويل السير

وقد يكون بمعنى ان يجعله يسير، وهذا هو معنى تسيير الجبال، وإنما يسيرها (الله تعالى، ويخبر به، لما في ذلك من الاعتبار في الدنيا. وقيل يسيرها) (١) بأن يجعلها هباء منبثا، ومعنى " وترى الأرض بارزة " أي لا شيء يسترها، يحشر الخلائق حتى يكونوا كلهم على صعيد واحد، ويرى بعضهم بعضا، وكل ذلك من هول يوم القيامة، أخبر الله به للاعتبار به والاستعداد بما يخلص من أهواله. وقوله " وحشرناهم " أي بعثناهم وأحييناهم بعد أن كانوا أمواتا " فلم يغادر منهم أحدا " أي لم نترك واحدا منهم لا نحشره. والمغادرة الترك، ومنه الغدر ترك والوفاء، ومنه الغدير لترك الماء فيه. وقيل: يغادر نخلف. وقيل: أغدرت وغادرت واحد.

وقوله " وعرضوا على ربك صفا " قيل معناه انهم يعرضون صفات بعد صف كالصفوف في الصلاة. وقيل المعنى انهم يعرضون على ربهم لا يخفى منهم أحد فكأنهم صف واحد. وقيل: انهم يعرضون، وهم صف، ويقال لهم " لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة " يعني جئتم إلى الموضع الذي لا يملك الامر فيه أحد إلا الله، كما خلقناكم أول مرة لا تملكون شيئا. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (يحشرون)

حفاة عراة عزلا) فقالت عائشة: أفما يحتشمون يومئذ، فقال النبي صلى الله عليه وآله (لكل امرء

منهم يومئذ شأن يغنيه) ويقال لهم أيضا " بل زعمتم " في دار الدنيا " أن لن نجعل لكم موعدا " يعني يوم القيامة، وانكم أنكرتم البعث والنشور. ثم قال الله تعالى " ووضع الكتاب " يعني الكتب التي فيها أعمالهم مثبتة " فترى المجرمين مشفقين مما فيه " أي يخافون من وقوع المكروه بهم والاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ألا يقع، وأصله الرقة، ومنه الشفق: الحمرة الرقيقة التي

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

تكون في السماء، وشفقة الانسان على ولده رفته عليه. وقوله " ويقولون " الواو
واو الحال وتقديره قائلين " يا ويلتنا " وهذه لفظة، من وقع في شدة دعا بها و " ما
لهذا الكتاب " اي شئ لهذا الكتاب " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة " أي لا يترك
صغيرة ولا كبيرة من المعاصي " إلا أحصاها " بالعدد وحواسها. و (لا يغادر)
في موضع نصب على الحال " ووجدوا ما عملوا حاضرا " اخبار منه تعالى أنهم
يجدون جزاء ما عملوا في ذلك الموضع، ولا يبخس الله أحدا حقه في ذلك اليوم
ولا ينقصه ثوابه الذي استحقه. وقيل معناه ووجدوا أعمالهم مثبتة كلها ويعاقب
كل واحد على قدر معصيته.
قوله تعالى:

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن
ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا (١٥) ما أشهدتهم خلق السماوات
والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا (٥٢)
ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٣) ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة وحده " ويوم نقول " بالنون، على أن الله تعالى هو المخبر عن
نفسه بذلك، لأنه قال قبل ذلك " وما كنت متخذ المضلين عضدا، ويوم نقول "
حملة على ما تقدم، والجمع والافراد بذلك المعنى. الباكون بالياء، بمعنى قل يا محمد

يوم يقول الله أين شركائي الذين زعمتم، ولو كان بالنون لكان الأشبه بما بعده أن يكون جمعا، فيقول شركاؤنا، فأما قوله "الذين زعمتم" فالراجع إلى الموصول محذوف، والمعنى الذين زعمتموهم إياهم أي زعمتموهم شركاء، فحذف الراجع من الصلة، ولا بد من تقديره كقوله "أهذا الذي بعث الله رسولا" (١) يقول الله تعالى لنبيه واذكر الوقت الذي قال الله فيه "للملائكة اسجدوا لآدم" وانهم "سجدوا إلا إبليس" وقد فسرناه فيما تقدم. (٢) وقيل: إنما كرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج إلى اتصاله به، فهو كالمعنى الذي يفيد أمرا في مواضع كثيرة، والاختبار عنه باختبار مختلفة، كقولهم برهان كذا كذا وبرهان كذا كذا، للمعنى الذي يحتاج إلى أحكامه في أمور كثيرة. وقوله "كان من الجن" قيل معناه صار من الجن المخالفين لأمر الله. وقال قوم: ذلك يدل على أنه لم يكن من الملائكة، لأن الجن جنس غير الملائكة، كما أن الانس غير جنس الملائكة والجن، ومن زعم أنه كان من الملائكة يقول: معنى كان من الجن يعنى من الذين يستترون عن الابصار (٣) لأنه مأخوذ من الجن وهو الستر، ومنه المجن لأنه يستر الانسان. وقال ابن عباس: نسب إلى الجنان التي كان فيها، كقولك كوفي وبصري، وقال قوم: بل كانت قبيلته التي كان فيها يقال لهم الجن، وهم سبط من الملائكة، فنسب إليهم. وقال ابن عباس: لو لم يكن إبليس في الملائكة ما أمر بالسجود. وقال وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى "كان من الجن"

(١) سورة ٢٥ - الفرقان - آية ٤١

(٢) سورة البقرة آية ٣٤ المجلد الأول صفحة ١٤٧ وقد مر أيضا في ٤ / ٣٨٣ في تفسير آية ١٠ من سورة الأعراف

(٣) في المخطوطة (الانسان) بدل (الابصار)

قال: كان إبليس من الملائكة فلما عصى لعن فصار شيطانا. ومن قال إن إبليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون عول على خبر غير معلوم. فأما الأكل والشرب ففي الملائكة ولو علم أنه مفقود، فانا لا نعلم أن إبليس كان يأكل ويشرب، فأما من قال إن الملائكة رسل الله، ولا يجوز عليهم أن يرتدوا. فلا نسلم لهم أن جميع الملائكة رسل الله، وكيف نسلم ذلك، وقد قال الله تعالى " الله يصطفى من الملائكة رسلا " (١) فأدخل (من) للتبويض، فدل على أن جميعهم لم يكونوا رسلا أنبياء، كما أنه تعالى قال " ومن الناس " (٢) فدل على أن جميع الناس لم يكونوا أنبياء. وقوله " ففسق عن أمر ربه " معناه خرج عن أمر ربه إلى معصيته بترك السجود لآدم. وأصل الفسق الخروج إلى حال تضر، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الفارة إذا خرجت من حجرها قال رؤبة: يهوين في نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا (٣) وقال أبو عبيدة: هذه التسمية لم أسمعها في شيء من أشعار الجاهلية، ولا أحاديثها، وإنما تكلمت بها العرب بعد نزول القرآن، قال المبرد: والامر على ما ذكر أبو عبيدة، وهي كلمة فصيحة على ألسنة العرب، وأؤكد الأمور ما جاء في القرآن. وقال قطرب: معنا " ففسق عن امر ربه " عن رده أمر ربه، كقولهم كسوته عن عرى وأطعمته عن جوع، ثم خاطب تعالى الخلق الذين أشركوا بالله غيره، فقال " أفتتخذونه يعنى إبليس وذريته أولياء " أي أنصارا توالونهم من دون الله " وهم "

(١) سورة ٢٢ - الحج - آية ٧٥

(٢) سورة ٢٢ - الحج - آية ٧٥

(٣) ملحق ديوانه ١٩٠ ومجاز القرآن ١ / ٤٠٦ وتفسير الطبري ٥١ / ١٥٨ والكشاف ٣ / ١١٠ واللسان والتاج (فسق) وغيرها.

يعني إبليس " وذريته عدو لكم " يريدون بكم الهلاك والدمار " بئس " البدل " للظالمين بدلا " ونصب (بدلا) على التمييز.

ثم قال " ما أشهدتهم خلق السماوات " وقيل معناه ما أشهدتهم ذلك مستعينا بهم، وقيل معناه ما أشهدت بعضهم خلق بعض. ووجه اتصال ذلك بما قبله اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة، لأنه بمنزلة ما قيل إنكم قد أقبلتم على اتباع إبليس وذريته حتى كأن عندهم ما تحتاجون إليه، فلو أشهدتهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، فلم يخف عليهم باطن الأمور وظاهرها لم تزيدوا على ما أنتم عليه في أمركم. ثم قال تعالى " وما كنت متخذ المضلين عضدا " يعني أعوانا، وهو قول قتادة وهو من اعتضد به إذا استعان به. وفي عضد خمس لغات، وهي عضد وعضد وعضد وعضد وعضد.

ثم أخبر تعالى عن حالهم يوم القيامة فقال واذكر يوم يقول الله تعالى للمشركون نادوا شركائي الذين زعمتم - على وجه التقريع والتوبيخ - واستغيثوا بهم، فدعواهم يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله، فلا يستجيبون لهم ثم قال تعالى " وجعلنا بينهم موبقا " قال ابن عباس أي مهلكا، وبه قال قتادة والضحاك وابن زيد، وهو من أوبقته ذنوبه أي أهلكته. وقال الحسن معنا " موبقا " أي عداوة، كأنه قال عداوة مهلكة. وقال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم. وحكى الكسائي وبق يبق وبوقا، فهو وابق إذا هلك، وحكى الزجاج: وبق الرجل يوبق وبقا. والوبق مصدر وبق.

قوله تعالى:

(ورأي المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها

مصرفاً (٥٤) ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل
وكان الانسان أكثر شئ جدلاً (٥٥) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ
جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم
العذاب قبلاً (٥٦) ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة " قبلاً " بضم القاف والباء. الباقون بكسر القاف وفتح الياء.
فمن قرأ بضم القاف والباء أراد جمع قبيل نحو قميص وقمص. وقال قوم: القبيلة بنو
أب. والقبيل يعبر بها عن الجماعة وإن اختلفت أنسابهم واحتجوا بقول النابغة:
جوانح قد أيقن ان قبيله * إذا ما التقى الجمعان أول غالب (١)
وجمع القبيلة قبائل. والقبائل أيضاً قبائل الرأس، وهي عروق مجرى الدمع
من الرأس، وسمي أيضاً شئونها، واحدها شأن. ومن قرأ بكسر القاف وفتح الباء
أراد مقابلة، أي معاينة. ويحتمل أيضاً الضم، ذلك، ذكره الفراء والزجاج، وهما لغتان.
أخبر الله تعالى عن المجرمين والعصاة أنهم إذا شاهدوا نار جهنم ورأوها
" فظنوا " أي علموا " أنهم مواقعوها " ولم يجدوا عن دخولها معدلاً ولا مصرفاً،
لأن معارفهم ضرورية، فالظن ههنا بمعنى العلم. وقد يكون الظن غير العلم، وهو
ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه.
والاجرام قطع العمل إلى الفساد. واصله القطع، يقال: هذا زمن الجرام أي زمن
الصرام يعني زمان قطع الثمرة عن النخل. والمواقعة ملابسة الشئ، بشدة، ومنه وقائع
الحروب وأوقع به ايقاعاً. وتوقعوا توقعاً. والتوقع الترقب لوقوع الشئ، والمصرف

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٠

المعدول. وهو موضع الذي يعدل إليه، صرفه عن كذا يصرف صرفاً. والموضع مصرف قال أبو كثير:

ازهير هل عن شية من مصرف * أم لا خلود لبازل متكلف (١)
وقوله " ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل " اخبار من الله تعالى انه نقل المعاني في الجهات المختلفة في هذا القرآن، فتصريف المثل فيه تنقيله في وجوه البيان على تمكين الافهام. والمعنى بينا للناس من كل مثل يحتاجون إليه. ثم اخبر تعالى عن حال الانسان فقال " وكان الانسان أكثر شيء جدلاً " أي خصومة. والجدل شدة القتال عن المذهب بطريق الحجاج. واصله الشدة، ومنه الأجل الصقر لشدة، وسير مجدول شديد القتال.

وقوله " وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين " معناه ما منعهم من الايمان بعد مجيئ الدلالة وان يستغفروا ربهم على سبق من معاصيهم إلا طلب ان يأتيهم سنة الأولين، من مجيئ العذاب من حيث لا يشعرون، أو مقابلة من حيث يرون. وإنما هم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرها، لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا أن تضرب، إلا انك لم تضرب، لان مشركي العرب طلبوا مثل ذلك، فقالوا " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم " (٢)

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٤ وتفسير الطبري ١٥ / ١٦٠ واللسان (صرف)

وشواهد الكشاف ١٩٢ ومجاز القرآن ١ / ٤٠٧

(٢) سورة ٨ الأنفال آية ٣٢

قوله تعالى:

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل
الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا
هزوا) (٥٧) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي
ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرأ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا (٥٨) وربك الغفور
ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد
لن يجدوا من دونه موئلا (٥٩) ثلاث آيات بلا خلاف
أخبر الله تعالى أنه لم يرسل رسله إلى الخلق، إلا مبشرين لهم بالجنة إذا
أطاعوا، ومخوفين لهم من النار إذا عصوا، فالبشارة الاخبار بما يظهر سروره في
بشرة الوجه يقال بشره تبشيرا وبشارة، وأبشره إشارا إذا استبشر بالامر.
ومنه البشر لظهور بشرته. ثم قال " ويجادل الذين كفروا بالباطل " أي يناظر الكفار
دفعاً عن مذاهبهم بالباطل. وذلك انهم ألزموه أن يأتيهم أو يريهم العذاب على ما توعدهم
ما هو لاحق بهم إن أقاموا على كفرهم. والباطل المعني الذي معتقده على خلاف ما هو
به، كالمعني في أنه ينبغي أن تكون آيات الأنبياء على ما تقتضي الأهواء، كالمعني في
أنه: يجب عبادة الأوثان على ما كان عليه الكبراء " ليدحضوا به الحق " والادحاض
الا ذهاب بالشئ إلى الهلاك، ودحض هو دحضا. ومكان دحض أي مزلق منزل،
لا يثبت فيه خف ولا حافر، ولا قدم، قال الشاعر:

وردت ونحن اليشكري حذاره * وحاد كما حاد البعير عن الدحض (١)
ثم اخبر تعالى عنهم أنهم " اتخذوا آيات الله " ودلالته وما خوفوا به من
معاصيه " هزوا " اي سخرية يسخرون منه. ثم قال تعالى " ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه " اي من أظلم لنفسه ممن نبه على أدلته وعرفه الرسل إياها " فاعرض عنها "
جانبا، ولم ينظر فيها " ونسي ما قدمت يداه " أي نسي ما فعله من المعاصي التي
يستحق بها العقاب. وقال البلخي: معناه تذكر واشتغل عنه استخفافا به، وقلة معرفة
بعاقبته، لا انه نسيه.

ثم قال تعالى " انا جعلنا على قلوبهم أكنة " وهي جمع كنان كراهية أن
يفقهوه، وقيل لئلا يفقهوه " وفي آذانهم وقرا " أي ثقلا. وقد بينا معنى ذلك
فيما مضى وجملته أنه على التشبيه في جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه كقوله " وإذا
تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا " (٢) والمعنى كأن
قلوبهم في أكنة عن أن تفقه. وفي آذانهم وقرا أن تسمع، وكأنه مستحيل أن
يجيبوا الداعي إلى الهدى. ويقوي ذلك قوله " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها " فدل انه كان يسمعها حتى صح إعراضه عنها. وقال البلخي: يجوز أن يكون
المراد انا إذا فعلنا ذلك ليفقهوا فلن يفقهوا، لأنه شبههم بذلك ويجوز أن يكون المراد
بذلك الحكاية عنهم انهم قالوا ذلك، كما حكى تعالى " وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا
إليه وفي آذاننا وقرا ومن بيننا وبينك حجاب " (٣) ثم قال إن كان الامر على ذلك
فلن يهتدوا إذا أبدا.

(١) تفسير الطبري ١٥ / ٦١

(٢) سورة ٣١ - لقمان آية ٧

(٣) سورة ٤١، حم السجدة فصلت آية ٥

وقوله " وإن تدعهم إلى الهدى " مع ما جعلنا فيهم " فلن يهتدوا إذا ابدا " ولا يرجعون إليها، بسوء اختيارهم، وسوء توفيقهم، من الله جزاء على معاصيهم، وذلك يختص بمن علم الله أنه لا يؤمن منهم، ويجوز أن يكون الجعل في الآية بمعنى الحكم والتسمية، ثم قال " وربك " يا محمد " الغفور ذو الرحمة " يعني الساتر على عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم " لو يؤاخذهم بما كسبوا " عاجلا " لعجل لهم العذاب " لكن لا يؤاخذهم، لأن لهم موعدا وعدهم الله ان يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة " لن يجدوا من دونه موئلا " اي ملجأ - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد - وقال مجاهد: يعني محرزا، وقال أبو عبيدة: يعني منجا ينجيهم، ويقال: لا وألت نفسه بمعنى لانجت قال الأعشى:

وقد اخالس رب البيت غفلته * وقد يحاذر مني ثم ما يئل (١)
وقال الآخر:

لاوألت نفسك خليتها * للعامرين ولم تكلم (٢)
أي لانجت نفسك:

قوله تعالى:
(وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا
(٦٠) وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو

(١) ديوانه ١٤٧ وتفسير الطبري ١٥ / ١٦٣ وتفسير القرطبي ١١ / ٨ ومجاز القرآن ١ / ٤٠٨

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٦٢ وتفسير القرطبي ١١ / ٨ ومجمع البيان ٣ / ٤٧٥

أمضى حقبا (٦١) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ
سبيله في البحر سربا (٦٢) ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ عاصم " لمهلكهم " بفتح الميم. واللام، في رواية أبي بكر عنه. وفي رواية
حفص - بفتح الميم وكسر اللام - الباقون بضم الميم وفتح اللام، من فتح الميم واللام
جعله مصدرا، لهلك يهلك مهلكا، مثل طلع مطلعاً، ومن كسر اللام جعله وقت هلاكهم
أو موضع هلاكهم مثل مغرب الشمس. وحكى سيويه عن العرب: أتت الناقة على
مضربها ومنتجها - بالكسر - أي وقت ضرابها ونتاجها. وإن في الف (لمضربا)
بفتح الراء أي ضربا جعلها مصدرا ومن ضم الميم وفتح اللام - وهو الاختيار - فلان
المصدر من (أفعل) والمكان يجرى على (مفعول) كقوله " أدخلني مدخل صدق " (١)
كذلك: أهلكه الله مهلكا. وكل فعل كان على (فعل يفعل) مثل ضرب يضرب
فالمصدر مضرب بالفتح، والزمان والمكان (مفعول) بكسر العين، وكل فعل كان
مضارعه (يفعل) بالفتح نحو يشرب ويذهب، فهو مفتوح أيضا نحو المشرب والمذهب.
وكل فعل كان على (فعل يفعل) بضم العين في المضارع نحو يدخل ويخرج، فالمصدر
والمكان منه بالفتح نحو المدخل والمخرج إلا ما شذ منه نحو المسجد، فإنه من سجد
يسجد، وربما جاء في (فعل يفعل) المصدر بالكسر كقوله " إلى الله مرجعكم " (٢)
أي رجوعكم، ونحو قوله " ويسئلونك عن المحيض " (٣) ونحو قوله " وجعلنا النهار
معاشا " (٤) فهذا مصدر وربما جاء على المعيش مثل المحيض كما قال الشاعر:

(١) وسورة ١٧ - الاسرى - آية ٨٠

(٢) سورة - ٥ - المائدة آية ٥١، ١٠٨

(٣) سورة ٢ - البقرة آية ٢٢٢

(٤) سورة ٧٨ (عم) - النبأ - آية ١١

إليك أشكوا شدة المعيش * ومر أيام نتفن ريشي
اخبر الله تعالى أن تلك القرى أهلكتهم يعني أهل القرية، ولذلك قال:
(هم): ولم يقل (ها) لان القرية هي المسكن مثل المدينة والبلدة. والبلدة لا تستحق
الهلاك، وإنما يستحق العذاب أهلها، ولذلك قال " لما ظلموا " يعني أهل القرية الذين
أهلكناهم. والاهلاك اذهاب الشئ بحيث لا يوجد، فيقل هؤلاء أهلكوا بالعذاب. والاهلاك
والاتلاف واحد، وقولهم الضائع هالك من ذلك لأنه بحيث لا يوجد. وقوله " وجعلنا
لمهلكهم " أي لوقت اهلاكهم - في من ضم الميم - أو لوقت هلاكهم - في من فتحها
- " موعدا "

أي ميقاتا وأجلا فلما بلغوه جاءهم العذاب. والموعد الوقت الذي وعدوا فيه بالاهلاك.
وقوله " وإذ قال موسى لفته " معناه واذكر إذ قال موسى لفته لما في قصته
من العبرة بأنه قصد السفر فوق الله (عز وجل) في رجوعه أكثر مما قصد له ممن أحب
موسى أن يتعلم منه ويستفيد من حكمته التي وهبها الله له. وقيل إن فتى موسى (ع)
كان يوشع بن نون. وقيل ابن يوشع، وسمي فتاه لملازمته إيلاه " لا أبرح " أي لا أزال
كما قال الشاعر:

وابراح ما أدام الله قومي * بحمد الله منتظما مجيدا (١)
أي لا أزال، ولا يجوز أن يكون بمعنى لا أزل، لان التقدير، لا أزال
أمشي حتى أبلغ. ومعنى (لا يزال يفعل كذا) أي هو دائم فيه. وقيل إنه كان
وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين.
وقوله " أو امضي حقبا " معناه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين إلى أن

(١) قائله خدش بن زهير: تفسير القرطبي ١١ / ٩ ومجمع البيان ٣ / ٤٧٩
واللسان (نطق).

امضي حقا. قال ابن عباس: والحقب الدهر. وقيل هو سنة بلغة قيس. وقيل سبعون سنة - ذكره مجاهد - وقال عبد الله بن عمر: هو ثمانون سنة. وقال قتادة: الحقب الزمان. وقال قتادة: مجمع البحرين: بحر فارس والروم. وقوله " فلما بلغا مجمع بينهما " يعني بين البحرين " نسيا حوتهما " وإنما نسيه يوشع بن نون وأضافه إليهما، كما يقال نسي القوم زادهم، وإنما نسيه بعضهم. وقيل نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشئ. وقوله " فاتخذ سبيله " يعني الحوت " في البحر سربا " قال ابن عباس وابن زيد ومجاهد: أحيا الله الحوت، فاتخذ طريقه في البحر مسلكا. وقيل إن الحوت كانت سمكة مملحة فطفرت من موضعها إلى البحر ذاهبة. وقال الفراء: كان مالحا، فلما حيي بالماء الذي أصابه من العين، وقع في البحر. ووجد مذهبه، فكان كالسرب. وروي عن أبي بن كعب أن مجمع بينهما أفريقية، وأراد الله أن يعلم موسى أنه وإن آتاه التوراة، فإنه قد أتى غيره من العلم ما ليس عنده، فوعده بقاء الخضر. وقوله " مجمع بينهما " يعني موسى وفتاه بلغا مجمع البحرين. وقال قتادة قيل لموسى آية لقياك إياه أن تنسى بعض متاعك، وكان موسى وفتاه تزودا حوتا مملوحا حتى إذا كانا حيث شاء الله، رد الله إلى الحوت روحه فسرب في البحر، فذلك قوله " فاتخذ سبيله في البحر سربا " أي مذهبا يقال سرب يسرب سربا إذا مضى لوجهه في سفر غير بعيد ولا شاق وهي السربة فإذا كانت شاقة، فهي (السبأ)ة بالهمزة. وروي أن الله تعالى بعث ماء من عين الجنة، فأصاب ذلك الماء تلك السمكة فحييت وطفرت إلى البحر، ومضت. وروي عن ابن عباس أنه قال: لما وفد موسى إلى طور سيناء، قال رب أي عبادك أعلم؟ قال الذي يبغي علم الناس إلى علمه، لعله يجد كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. قال رب من هو؟ قال الخضر تلقاه عند الصخرة التي

عندها العين التي تنبع من الجنة. وقال الحسن: كان موسى سأل ربه هل أحد أعلم مني من الآدميين فأوحى الله إليه: نعم عبدي الخضر (ع)، فقال موسى (ع): كيف لي بلقائه؟ فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في متاعه ويمضي على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس والروم، وهما المحيطان بهذا الخلق. وجعل العلم على لقائه أن يفقد حوته، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك فإنك تلقى الخضر عند ذلك.

وقال الحسن كان الحوت طريا. وقال ابن عباس: كان مملوحا. قال الحسن: فمضي على وجهه هو وفتاه حتى " بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا " يعني الحوت. ثم " قال لفتاه آتنا غداءنا " ففتش متاعه ففقد الحوت، قال " أرايت إذ أؤ؟؟ إلى الصخرة " وكانت الصخرة عند مجمع البحرين " فاني نسيت الحوت وما انسانية إلا الشيطان أن أذكره فاتخذ سبيله في البحر " يعني الحوت وانقطع الكلام. فقال موسى (ع) عند ذلك " عجا " كيف كان ذلك. وقال لفتاه " ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا " وقال الزجاج: يحتمل أن يكون ذلك من قول صاحبه فإنه أخبر بأن اتخذ الحوت طريقا في البحر كان عجبا. قوله تعالى:

(فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٣) قال أرايت إذ أؤينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا (٦٤) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٥)) ثلاث آيات

اخبر الله تعالى ان موسى وفتاه لما جاوزا أي خرجا من ذلك الموضع.
والمجاورة الخروج عن حد الشيء، يقال: تجاوز الله عن فلان أي تجاوز عن عقابه
بمعنى أزل الله العقاب عنه.

والفتى الرجل الشاب وجمعه فتية وفتيان مثل صبية وصبيان. وإنما أضيف إلى
موسى، لأنه كان يلزمه ليتعلم منه العلم وصحبه في سفره. وقيل إنه كان يخدمه، والعرب
تسمي الخادم للرجل فتى، وإن كان شيخا، والأمة فتاة وإن كانت عجوزا، ويسمى
التلميذ فتى، وإن كان شيخا، والفتى عند العرب السخي على الطعام وعلى المال
والشجاع. و (الغداء) طعام الغداة و (العشاء) طعام العشي. والتغدي أكل طعام
الغداة والتعشي أكل طعام العشي، و (النصب) التعب والوهن يكون عند
الكد، ومثله الوصب. فقال له فتاه في الجواب " أرأيت " الوقت الذي أوينا إلى
الصخرة " أي أقمنا عندها " فاني نسيت الحوت " ثم قال " وما انسانية " يعني الحوت
" إلا الشيطان اذكره " أي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت، فلذلك إضافة
إلى الشيطان، لما كان عند فعله. ومعنى " وما انسانية " أي الحوت، يعني نسيت
أن اذكر كيف اتخذ سبيله في البحر. وجاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل لأنه
كان معجزا. وضم الهاء من (انسانية) حفص عن عاصم، لان الأصل في حركة
الهاء الضم. ومن كسرهما فلان ما قبلها (ياء) فحركها بما هو من جنسها.
وقوله " واتخذ سبيله في البحر عجباً " يعني أن موسى (ع) لما رأى الحوت
قد حيي وهو يسلك الطريق إلى البحر، عجب منه ومن عظم شأنه، وهو قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وابن زيد.

وقوله " ذلك ما كنا نبغي " حكاية عما قال موسى عند ذلك من أن ذلك
الذي كنا نطلب من العلامة، يعني نسيانك الحوت، لأنه قيل له: صاحب الذي تطلبه

- وهو الخضر - حيث ينسى الحوت. ذكره مجاهد. فارتدا يقصان أي يتبعان آثارهما حتى

انتهيا إلى مدخل الحوت. ذكره ابن عباس. وقيل نسي ذكر الحوت لموسى (ع) فرجعا إلى الموضع الذي حييت فيه السمكة وهو الذي كان يطلب منه العلامة فيه. وقيل الصخرة موضع الوعد. قوله تعالى:

(فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٦٦) آية.

قوله " فوجدنا عبدا من عبادنا " أي صادفاه وأدركاه، وهو الوجود، ومنه وجدان الضالة أي مصادفتها وإدراكها. والعبد المملوك من الناس، فكل انسان عبد لله، لأنه مالك له، وقادر عليه وعلى أن يصرفه أتم التصريف، وهو يملك الانسان وما يملك وقوله " آتيناه رحمة من عندنا " أي أعطيناه رحمة أي نعمة من عندنا " وعلمناه من لدنا علما " والتعلم تعريض الحي لان يعلم، إما بخلق في قلبه، وإما بالبيان الذي يرد عليه كما أن من أرى الانسان شيئا فقد عرضه، لان يراه، إما بوضع الرؤية في بصره عند من قال الادراك معنى، أو بالكشف له عن المرئي. قوله تعالى:

(قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٧)

قال إنك لن تستطيع معي صبرا (٦٨) آيتان.

قال أبو علي يحتمل أن (رشدا) منصوبا على أنه مفعول له ويكون متعلقا

ب (اتبع) كأنه قال اتبعك للرشد، أو طلب الرشد على أن تعلمني، فيكون على هذا حالا من قوله (اتبعك) ويجوز أن يكون مفعولا به، وتقديره اتبعك على أن تعلمني رشدا مما علمته، ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد يتعدى بالتضعيف إلى مفعولين. والمعنى على أن تعلمني امرا ذا رشد أو علما ذا رشد.

" قال له " يعني لذلك العبد الذي علمه الله العلم " هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ". والاتباع والانقياد واحد، اتبعه في مسيره، واتبعه في مذهبه، واتبعه في أمره ونهيه، واتبعه فيما دعاه إليه، والرشد - بفتح الراء والشين - قراءة أبي عمرو. الباقون - بضم الراء وسكون الشين - إلا ابن عامر - في رواية ابن ذكوان - فإنه ضمهما، وهما لغتان، مثل أسد وأسد، ووثن ووثن. واختلفوا في الذي كان يتعلم موسى منه، هل كان نبيا؟ أم لا؟ فقال الجبائي: كان نبيا، لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي، ليتعلم منه العلم، لما في ذلك من الغضاضة على النبي. وقال ابن الاخشاد: ويجوز أن لا يكون نبيا على أن لا يكون فيه وضع من موسى. وقال قوم: كان ملكا. وقال الرمانى: لا يجوز أن يكون إلا نبيا، لان تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم منه. وقيل إنه سمي (خضرا) لأنه كان إذا صار في مكان لا نبات فيه اخضر ما حوله، وكان الله تعالى قد اطلعه من علم بواطن الأمور على ما لم يطلع عليه غيره.

فان قيل: كيف يجوز أن يكون نبي اعلم من نبي؟ في وقته.

قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها - انه يجوز أن يكون نبي اعلم من نبي في وقته عند من قال: ان الخضر كان نبيا.

والثاني - أن يكون موسى اعلم من الخضر بجميع ما يؤدي عن الله على عباده،

وفى كل ما هو حجة فيه، وإنما خص الخضر بعلم ما لا يتعلق بالأداء.
الثالث - إن موسى استعلم من جهة ذلك العلم فقط، وإن كان عنده علم ما سوى ذلك.

فقال الخضر لموسى (ع) " انك لن تستطيع معي صبرا " ومعناه يثقل عليك الصبر ولا يخف عليك، ولم يرد أنه لا يقدر عليه، لان موسى (ع) كان قادرا متصرفا، وإنما قال له ذلك لان موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها، والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطن الأمور، فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك، ولو أراد نفي الاستطاعة التي هي القدرة لما قال: " وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا " لأنه دل على أنه لهذا لا يصبر ولو كان على نفي القدرة، سواء علم أو لم يعلم لم يستطع.
قوله تعالى:

(و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٩) قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٧٠) قال فان اتبعني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧١) ثلاث آيات بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال الخضر لموسى (ع) حين قال " انك لمن تستطيع معي صبرا " اي كيف تصبر على ما لم تعلم من بواطن الأمور، ولا تخبرها، فقال له موسى (ع) عند ذلك " ستجدني " اي ستصادفني إن شاء الله صابرا، ولم يقل ذلك على وجه التكذيب، لكن لما اخبر به على ظاهر الحال فقيده بالمشيئة لله، لأنه جوز

أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه ليخرج بذلك من كونه كاذبا " ولا أعصي لك أمرا " اي لا أخالف أو امرك، ولا اتركها. فقال الخضر: " فان اتبعتني " واقتفيت أثري " فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا " معناه لا تسألني عن باطن امر حتى أكون انا المبتدئ لك بذلك.

والصبر تجرع مرارة تمنع النفس عما تنازع إليه. واصله حبس النفس عن امر من الأمور. و (الذكر) العلم، والذكر ادراك النفس للمعنى بحضوره كحضور نقيضه، ويمكن ان يجامعه علم يصحبه أو جهل أو شك. و " خبرا " نصب على المصدر. والتقدير لم تخبره خبرا. وقرأ نافع " تسألن " بتشديد النون. الباقيون بتخفيفها وإثبات الياء إلا ابن عامر، فإنه حذف الياء. قال أبو علي قول ابن كثير ومن اتبعه: انهم عدوا (تسأل) إلى المفعول الذي هو المتكلم مثل (لا تضربني) و (لا تظلمني) ونافع إنما فتح اللام، لأنه لما ألحق الفعل النون الثقيلة بنى الفعل معها على الفتح وحذف الياء، وكسرت النون ليدل على الياء المحذوفة. قوله تعالى:

(فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا (٧٢) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٣) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا (٧٤) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا (٧٥)) أربع آيات

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " ليغرق أهلها " بالياء، ورفع أهلها. الباكون بالتاء ونصب الأهل. فمن قرأ بالتاء ونصب الأهل، فلقوله " أخرجتها لتغرق " بذلك " أهلها " أي فعلت ذلك وغرضك إهلاك أهلها على وجه الإنكار. ومن قرأ بالياء أسند الغرق إلى الأهل، فكأنه قال: فعلت ذلك ليغرقوا هم. وقرأ أهل الكوفة وابن عامر " زكية " بلا الف. وقرأ الباكون زاكية بألف. وقرأ ابن عامر ونافع - في رواية الأصمعي عنه وأبو بكر عن عاصم - " نكرا " بضم النون والكاف. الباكون بتخفيف الكاف.

قال الكسائي (زاكية، وزكية) لغتان مثل قاسية وقسية. قال أبو عمرو: الزاكية التي لم تذنّب قط، والزكية التي إذا أذنبت تابت، و (النكر) بالثقل والتخفيف لغتان مثل الرعب والرعب.

أخبر الله تعالى عن موسى (ع) وصاحبه الذي تبعه ليتعلم منه أنهما ذهبا حتى إذا بلغا البحر، فركبا في السفينة فخرق صاحبه السفينة أي شق فيها شقا، لما أعلمه الله من المصلحة في ذلك، فقال له موسى منكر لذلك على ظاهر الحال: " أخرجتها لتغرق أهلها " أي غرضك بذلك أن تغرق أهلها الذين ركبوها. ويحتمل أن يكون قال ذلك مستفهما أي فعلت ذلك لتغرق أهلها أم لغير ذلك. والأول أقوى لقوله بعد ذلك " لقد جئت شيئا امرا " فالامر المنكر - في قول مجاهد وقتادة - وقال أبو عبيدة: داهية عظيمة وانشد:

لقد لقي القرآن منه نكرا * داهية دهياء إذا إمرا (١)

(١) تفسير القرطبي ١١ / ١٩ ومجاز القرآن ١ / ٤٠٩ وتفسير الطبري ١٥ / ١٦٩ واللسان والصاح والتاج (أمر) وشواهد الكشاف ٣٠.

ومن سكن (النكر) فعلى لغة من سكن (رسل). و (الامر) مأخوذ من الامر، لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح، ومنه رجل أمر إذا كان ضعيف الرأي، لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوي رأيه. ومنه أمر القوم إذا كثروا حتى احتاجوا إلى من يأمرهم وينهاهم، ومنه الامر من الأمور أي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه، ولهذا لم يكن كل شيء أمرا. فقال له الخضر " ألم أقل لك " فيما قبل " انك لن تستطيع معي صبرا " أي لا يخف عليك ما تشاهده من أفعالي ويثقل عليك، لأنك لا تعرف المصلحة فيه، ولم يرد بالاستطاعة المقدرة، لان موسى كان قادرا في حال ما خاطبه بذلك، ولم يكن عاجزا، وهذا كما يقول الواحد منا لغيره أنا لا أستطيع النظر إليك، وإنما يريد أنه يثقل علي، دون نفي القدرة في ذلك. فقال له موسى في الجواب عن ذلك " لا تؤاخذني بما نسيت " وروي أنه قال ذلك لما رأى الماء لا يدخل السفينة مع خرقها. فعلم أن ذلك لمصلحة يريدّها الله، فقال " لا تؤاخذني بما نسيت " وقيل في معنى نسيت ثلاثة أقوال:

أحدها - ما حكى عن أبي بن كعب، أنه قال: معناه بما غفلت من النسيان الذي هو ضد الذكر.

والثاني - ما روي عن ابن عباس أنه قال معناه: بما تركت من عهدك. الثالث - لا تؤاخذني بما كأني نسيت، ولم ينس في الحقيقة - في رواية أخرى - عن أبي بن كعب الأنصاري.

وقوله " ولا ترهقني من أمري عسرا " قيل معناه لا تغشني، من قولهم رهقه الفارس إذا غشيه وادركه، وغلّام مراهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ. والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه. وقيل معنى أرهقه الامر إذا ألحقه إياه.

ثم أخبر تعالى انهما مضيا " حتى إذا لقيا غلاما " أي رأيا غلاما " فقتله " قال له موسى " أقتلت نفسا زاكية " ومعناه طاهرة من الذنوب. ومن قرأ " زكية " فمعناه بريئة من الذنوب. وذلك انها كانت صغيرة لم تبلغ حد التكليف على ما روي في الاخبار. وقوله " بغير نفس " أي بغير قود، ثم قال له " لقد جئت شيئا نكرا " أي منكرا. وقيل معناه جئت بما ينبغي أن ينكر، وقال قتادة النكر أشد من الامر، وإنما قيل لما لا يجوز فعله منكرا، لأنه مما تنكر صحته العقول ولا تعرفه.
قوله تعالى:

(قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٦) قال
إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا (٧٧) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا
أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو
شئت لاتخذت عليه أجرا (٧٨) ثلاث آيات بلا خلاف.
معنى قوله " ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا " تحقيق ما قال له أولا
مع نهيه عن العود لمثل سؤاله، لأنه لا يجوز أن يكون توبيخا، لأنه جار مجرى الذم
في أنه لا يجوز على الأنبياء (ع) فقال له موسى في الجواب عن ذلك " ان سألتك "
أي ان استخبرتك عن شيء تعمله بعد هذا " فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا "
ومعناه إقرار من موسى بأن صاحبه قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده، فلا يلزمه ما
أنكره. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه تلا هذه الآية، فقال: (استحيى نبي الله

موسى). والعذر وجود ما يسقط اللوم من غير جهة التكفير بتوبة واجتناب كبير
لوقوع سهو لم يتعرض له.

وفي (لدى) خمس قراءات، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة
والكسائي بالثقل.

الثاني - بضم الدال وتخفيف النون قرأ به نافع.

الثالث - قرأ أبو بكر بضم اللام وسكون الدال واشمام من غير اشباع،

الرابع - قرأ الكسائي عن أبي بكر بضم اللام وسكون الدال.

الخامس - في رواية عن أبي بكر بفتح اللام وسكون الدال، وهذه كلها
لغات معروفة.

ثم أخبر الله تعالى عنهما أيضاً أنهما مضيا حتى "أتيا أهل قرية استطعما أهلها"
أي طلبا منهم ما يأكلانه فامتنعوا من تضييفهما "فوجدا فيها" يعني القرية "جدارا"
يريد أن ينقض. فأقامه "ومعناه وجدا حائطا قارب أن ينقض فشبهه بحال من يريد
أن يفعل في التبان، كما قال الشاعر:

يريد الرمح صدر أبي براء* ويرغب عن دماء بني عقيل (١)

ومثله تراني آثارهما، ودار فلان ينظر إلى دار فلان. وقال سعيد بن جبير:

معنى قوله "فأقامه" أنه رفع الجدار بيده فاستقام. والانقضاض السقوط بسرعة، يقال
انقضت الدار إذا سقطت وتهدمت قال ذو الرمة:

فانقض كالكوكب الدرّي منصلتا

فقال له موسى "لو شئت لاتخذت عليه أجرا" وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٧١ والقرطبي ١١ / ٢٦ ومجاز القرآن ١ / ٤١٠
والكشاف ١ / ٥٧٧ واللسان (رود) وغيرها وقد مر في ٦ / ١٢١ من هذا الكتاب

" لاتخذت " الباقون " لاتخذت " يقال: تخذ يتخذ بالتخفيف قال الشاعر:
وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها * نسيفا كافحوص القطاة المطرق (١)
المطرق التي تريد أن تبيض، وقد تعسر عليها، والافحوص والمفحص عش
الطائر، وابن كثير يظهر الذال، وأبو عمرو يدغم. والباقون على وزن (افتعلت)
مثل اتقى يتقي. وقد حكى تقي يتقي خفيفا، قال الشاعر:
جلاها الصيقلون فاخلصوها * خفافا كلها يتقى باثر
ومن ادغم فلقرب مخرجيهما ومن اظهر فلتغاير مخرجيهما وقال الفراء في
قوله " لو شئت " قال موسى لو شئت لم تقمه حتى يقرونا، فهو الاجر وأنشدوا في
" يريد أن ينقض " قول الشاعر:
إن دهرًا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان (٢)
أي كأنه يهم، وإنما هو سبب الاحسان المؤدي إليه وقال آخر:
يشكو إلى جملي طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى (٣)
والجمل لم يشك شيئا. وقال عنتره:
وشكا إلي بعبرة وتحتحم (٤)
وكل ذلك يراد به ما ظهر من الامارة الدالة على المعاني.
قوله تعالى:
(قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع

(١) مجاز القرآن ١ / ٤١١ وتفسير الطبري ١٥ / ١٧٢ والأصمعيات ٤٧
واللسان والتاج (فحص، طرق، نسف).
(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٧١ والقرطبي ١١ / ٢٦ ومجمع البيان ٣ / ٤٨٧
(٣) مر هذا البيت في ٦ / ١١٢ من هذا الكتاب
(٤) ديوانه ٣٠ من معلقته. وتفسير الطبري ١٥ / ١٧٢

عليه صبرا (٧٩) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (٨٠) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (٨١) فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما (٨٢) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا (٨٣) خمس آيات بلا خلاف

قرأ أهل المدينة وأبو عمرو " أن يبدلها " - بفتح الياء وتشديد الدال - هنا - وفي التحريم " أن يبدله " وفي نون " أن يبدلنا " بالتشديد فيهن. الباقيون بالتخفيف. فاما التي في سورة النور " وليبدلنهم " فخففها ابن كثير وأبو بكر ويعقوب. وشده الباقيون. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " رحما " بضم الحاء الباقيون باسكانها. وروى العباسي (ما لم تسطع) بتشديد الطاء. الباقيون بتخفيفها.

قال أبو علي (بدل، وأبدل) متقاربان مثل (نزل، وانزل) إلا أن (بدل) ينبغي أن يكون أرجح، لقوله تعالى " لا تبدل لكلمات الله " (١) ولم يجئ الابدال كما جاء التبديل، ولم يجئ الابدال في موضع من القرآن، وقد جاء " وإن

(١) سورة ١٠ - يونس - آية ٦٤

أردتم استبدال زوج مكان زوج " (١) فهذا قد يكون بمعنى الابدال كما أن قوله الشاعر:

فلم يستجبه عنك ذاك مجيب (٢)

بمعنى فلم يجبه. وقال قوم: أبدلت الشيء من الشيء إذا أزلت الأول

وجعلت الثاني مكانه. كقول أبي النجم:

عزل الأمير للأمير المبدل (٣)

وبدلت الشيء من الشيء إذا غيرت حاله وعينه. والأصل باق، كقولهم

بدلت قميصي جبة، واستدلوا بقوله " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " (٤) فالجلد

الثاني هو الأول، ولو كان غيره لم يجز عقابه. واما (رحم ورحم) فلغتان مثل العمر

والعمر، والرعب والرعب. وحكي لغة ثالثة - بفتح الراء واسكان الحاء - كما يقال:

أطال الله عمرك وعمرك. والمعنى وأقرب رحمة وعطفا، وقربى وقرابة قال الشاعر:

ولم تعوج رحم من تعوجا (٥)

وقال آخر:

يا منزل الرحم على إدريس (٦)

حكى الله تعالى عن صاحب موسى أنه قال له " هذا فراق بيني وبينك " ومعناه

هذا وقت فراق اتصال ما بيني وبينك، فكرر (بين) تأكيدا، كما يقال: أخزى الله

(١) سورة ٤ - النساء - آية ١٩

(٢) مر هذا البيت كاملا في ١ / ٣٦، ٨٦ و ٢ / ١٣١ و ٣ / ٨٨ و ٤ / ١٨٢ و ٥ / ١١٩ و ٦ / ٢٣٣

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١١٠

(٤) سورة ٤ - النساء - آية ٥٥

(٥) تفسير الطبري ١٦ / ٤

(٦) مجمع البيان ٣ / ٤٨٥ وبعده (ومنزّل اللعن على إبليس). وهو في القرطبي ١٨ / ٣٧ إديسا، إبليس)

الكاذب مني ومنك أي أخزى الله الكاذب منا. وقيل في " هذا " انها إشارة إلى أحد شيئين:

أحدهما - هذا الذي قلته فراق بيني وبينك.

والثاني - هذا الوقت فراق بيني وبينك. ثم قال له " سأنبئك " أي سأخبرك " بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " ولم يخف عليك رؤيته، ثم بين واحدا واحدا، فقال " اما " السبب في خربي " السفينة " انها " كانت لمساكين " أي للفقراء الذين لا شيء لهم يكفيهم، قد أسلمتهم قلة ذات أيديهم " يعملون في البحر " أي يعملون بها في البحر ويتعيشون بها " فأردت أن أعيها " والسبب في ذلك أنه " كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " فقل إن الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة، ولا يأخذها إذا كانت معيبة. وقد قرئ في الشواذ " يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا " روى ذلك عن أبي، وابن مسعود.

والوراء والخلف واحد، وهو نقيض جهة القدام على مقابلتها. وقال قتادة: وراءهم - ههنا - بمعنى أمامهم. ومنه قوله " من ورائهم جهنم " (١) و " من ورائهم برزخ " (٢) وذلك جائز على الاتساع، لأنها جهة مقابلة لجهة، فكأن كل واحد من الجهتين وراء الآخر قال ليبد:

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنو عليها الأصابع (٣) وقال آخر:

أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا (٤)
وقال الفراء: يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام، تقول: البرد والحر وراءنا

(١) سورة ٤٥ الجاثية آية ٩

(٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ١٠١ (٣) البيت في مجمع البيان ٣ / ٤٦٧

(٤) قائله سوار بن المضرب. تفسير

الطبري ١٦ / ٢ وتفسير القرطبي ١١ / ٣٥، وأكثر كتب النحو

ولا تقول: زيد وراءك. وقال الرماني وغيره: يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر. وقرأ ابن عباس " وكان أمامهم ملك " وقال الزجاج (وراءهم) خلفهم، لأنه كان رجوعهم عليه. ولم يعلموا به. ثم قال " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا " وقيل: إن قوله " فخشينا " من قول الخضر. وقيل: انه من قول الله تعالى، ومعناه علمنا. وقيل: معنى خشينا كرهنا، فبين أن الوجه في قتله ما لأبويه من المصلحة في ثبات الدين، لأنه لو بقي حيا لأرهقهما طغيانا وكفرا أي أوقعهما فيه، فيكون ذلك مفسدة، فأمر الله بقتله لذلك، كما لو أماته. وفي قراءة أبي " وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ". ثم قال " فأردنا أن يبدلهما " يعني أن يبدل الله لأبويه خيرا من هذا الغلام (زكاة) يعني صلاحا وطهارة (وأقرب رحما) أي أبر بوالديه من المقتول - في قول قتادة - يقال: رحمه رحمة ورحما. وقيل: الرحم والرحم القرابة قال الشاعر:

ولم يعوج رحم من تعوجا (١)
وقال آخر:

وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم (٢)
وقيل معناه وأقرب أن يرحما به. ثم أخبر الخضر عن الحال الجدار الذي اقامه وأعلم انه (كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما) فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: كانت صحف من علم. وقال الحسن: كان لوحا من ذهب مكتوب فيه الحكم. وقال قتادة وعكرمة: كان كنز مال. والكنز في اللغة هو

(١) تفسير الطبري ٦ / ٤
(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٣٧.

كل مال مذخور من ذهب وفضة وغير ذلك.
وقوله " وكان أبوهما صالحا " يعني أبا اليتيمين فأراد الله " أن يبلغا أشدهما "
يعنى كما لهما من الاحتلام وقوة العقل " ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك " أي نعمة
من ربك. ثم قال صاحب موسى: وما فعلت ذلك من قبل نفسي وأمرى بل
بأمر الله فعلت. ثم قال " ذلك " الذي قتلته لك " تأويل ما لم تسطع عليه صبرا "
وثقل عليك مشاهدته واستبشعته.

وفي الآية دلالة على وجوب اللطف، لان مفهومه أنه تدبير من الله في عباده لم
يكن يجوز خلافه، وقد عظم الله شأنه بما يفهم منه هذا المعنى.
وقال الجبائي: لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر، لان خضرا كان
من الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل بعد موسى. قال: ولا يجوز أيضا أن
يبقى الخضر إلى وقتنا هذا، كما يقوله من لا يدري، لأنه لا نبي بعد نبينا، ولأنه لو كان
لعرفه الناس، ولم يخف مكانه.

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأننا لا نعلم أولا أن خضرا كان نبيا، ولو
ثبت ذلك لم يمتنع أن يبقى إلى وقتنا هذا، لان تبقيته في مقدور الله تعالى، ولا يؤدي
إلى أنه نبي بعد نبينا، لان نبوته كانت ثابتة قبل نبينا. وشرعه - إن كان شرعا
خاصا - انه منسوخ بشرع نبينا. وإن كان يدعو إلى شرع موسى أو من تقدم من
الأنبياء، فان جميعه منسوخ بشرع نبينا صلى الله عليه وآله فلا يؤدي ذلك إلى ما قال.
وقوله:

لو كان باقيا لرؤي ولعرف غير صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف إلى
أحد، فهم وإن شاهدوه لا يعرفونه.

وفى الناس من قال: إن موسى الذي صحب الخضر ليس هو موسى بن عمران

وإنما هو بن ميثا، رجل من بني إسرائيل. والله أعلم بذلك.
وروي عن جعفر بن محمد (ع) في قوله تعالى " وكان تحته كنز لهما " قال:
سطران ونصف ولم يتم الثالث، وهي (عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن
بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح) وفي بعض الروايات زيادة
على ذلك (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وذكر أنهما حفظا، لصلاح
أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح. وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان
سياحا. واستشهد على أن الخشية بمعنى العلم بقوله تعالى " إلا أن يخافا الا يقيما حدود
الله " (١) وقوله " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا " (٢) أي علمت. واستشهد
على أنه بمعنى الكراهية بقول الشاعر:
يا فقعسي لم اكلته لمه * لو خافك الله عليه حرمة (٣)
قال قطرب يريد لو كره أن تأكله لحرمة عليك.
قوله تعالى:

(ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه
ذكرا (٨٤) إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا *
فاتبع سببا (٨٥) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في
عين حمئة ووجد عندها قوما (٨٦) قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٩

(٢) سورة ٤ النساء آية ١٢٤

(٣) مر هذا الرجز في ٢ / ٢٤٥ من هذا الكتاب.

وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٧) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٨) خمس آيات كوفي وحجازي وست بصري وشامي. عد إسماعيل والكوفيون والبصري والشامي " من كل شئ سببا آية وعد المدني الآخر والمكي والبصري والشامي عندها قوما " آية جعلوا (فاتبع سببا " بعض الآية الأولى ولم يعد أهل الكوفة " قوما " آخر آية بان جعلوا آخر الآية حسنا " .

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة " فأتبع " بقطع الهمزة، وفتحها، وتخفيف التاء وسكونها، فيهن الباقون " فاتبع " جعلوها ألف وصل وشددوا التاء، وفتحوها. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصا وأبو جعفر " حامية " بألف وتخفيف الهمزة. الباقون " حمئة " بلا الف، مهموز. قال أبو علي النحوي (تبع) فعل يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا نقلته بالهمزة يتعدى إلى مفعولين. قال الله تعالى " واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة " (١) وقال " واتبعوا في هذه الدنيا لعنة " (٢) لما نبي الفعل للمفعولين قام أحد المفعولين مقام الفاعل. واما (اتبعوا) فافتعلوا، فتعدى إلى مفعول واحد، كما تعدى افعلوا إليه، مثل شويته واشتويته، وحفرتة واحتفرتة. وقوله " فاتبعوهم مشرقين " (٣) تقديره فاتبعوهم جنودهم فحذف أحد المفعولين، كما حذف من قوله " لينذر بأسا شديدا من لدنه " (٤) ومن قوله

(١) سورة ٢٨ (القصص) آية ٤٢

(٢) سورة ١١ (هود) آية ٦٠

(٣) سورة ٢٦ (الشعراء) آية ٦١

(٤) سورة ٨ (الكهف) آية ٢

" لا يكادون يفقهون قولاً " (١) والمعنى لا يكادون يفقهون أحداً، ولينذر الناس بأساً شديداً، فمن قطع الهمزة فتقديره فاتبع أمره سبياً أو اتبع ما هو عليه سبياً (والسبب ههنا الطريق مثل السبيل. والسبب الحبل. والسبب القرابة). (٢) وقال أبو عبيدة " في عين (حمئة) بالألف ذات حمأة. وقال أبو علي من قرأ حمئة بغير الف فهي فعله. ومن قرأ (حاميه) (٣) فهي فاعلة من حميت فهي حامية، قال الحسن: يعني حارة. ويجوز فيمن قرأ (حامية) أن تكون فاعلة من الحمأة، فخفف الهمزة وقلبها ياء على قياس قول أبي الحسن. وإن خفف الهمزة على قول الخليل كانت بين بين. وقرأ ابن عباس " في عين حمئة " وقال هي ماء وطين. وتقول العرب: حمأت البئر إذا أخرجت منها الحمأة، واحمأتها إذا طرحت فيها الحمأة. وحمئت تحمأ ومعنى حمئة صار فيها الحمأه. فاما قولهم هذا حم لفلان، ففيه أربع لغات حمو وحمو وحماء وحم. وذكر اللحياني لغة خامسة وسادسة: الحمو مثل العفو، والحمأ مثل الخطأ. وكل قرابة من قبل الزوج، فهم الأحماء وكل قرابة من قبل النساء فهم الأختان والصهر يجمعهما، وأم الرجل ختنه وأبوه ختنه وأم الزوج حمأة وأبوها حمو. وقال أبو الأسود الدؤلي شاهد لأبي عمرو في عين حمئة: تجئ بملئها طورا وطورا * تجئ بحمأة وقليل ماء يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يسألونك يا محمد عن ذي القرنين واخباره وسيرته، وكان السائل عن ذلك قوماً من اليهود. وقيل كانوا قوماً من مشركي العرب، فقل لهم يا محمد، سأتلوا عليكم " يعني سأقرأ عليكم من خبره ذكراً.

(١) سورة ١٨ (الكهف) آية ٩٤

(٢) سورة ١٨ (الكهف) آية ٩٤

(٣) هذه الجملة التي بين القوسين كانت متأخرة في المطبوعة عن هذا الموضع أسطر

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

ثم قال تعالى مخبرا له " انا مكنا له في الأرض " أي بسطنا يده فيها وقويناه " وآتيناه من كل شئ سببا " ومعناه علما يتسبب به إلى ما يريد - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك وابن جريج - و " قيل آتيناه من كل شئ سببا " يعني ما يتوصل به إلى مراده. ويقال للطريق إلى الشئ سبب وللجبل سبب وللباب سبب " فاتبع سببا " أي سببا من الأسباب التي أوتي. ومن قرأ بقطع الهمزة أراد فلحق سببا، يقال ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي لحقته.

وقوله " فاتبع سببا " قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: معناه طرقا من المشرق والمغرب. وقيل معنى " وآتيناه من كل شئ سببا " ليستعين به على الملوك وفتح الفتوح، وقتل الأعداء في الحروب " فاتبع سببا " أي طريقا إلى ما أريد منه. وقيل سمي (ذي القرنين) لأنه كان في رأسه شبه القرنين. وقيل سمي بذلك لأنه ضرب على جابي رأسه. وقيل: لأنه كانت له ضفيرتان. وقيل لأنه بلغ قرني الشمس مطلعها ومغربها. وقيل: لأنه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب.

وقوله " حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة " أي في عين ماء ذات حمأة - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير - ومن قرأ " حامية " أراد حارة، في قول الحسن. وقرئ به في إحدى الروايتين عن ابن عباس كقول أبي الأسود الدؤلي.

تجئ بملئها طورا وطورا * تجئ بحمأة وقليل ماء
وقال أبو علي الجبائي، والبلخي: المعنى وجدها كأنها تغرب في عين حمئة، وإن كانت تغيب وراءها. قال البلخي لان الشمس أكبر من الأرض بكثير، وأنكر ذلك ابن الاخشاد. وقال: بل هي في الحقيقة تغيب في عين حمئة على ظاهر القرآن. وقوله " ووجدنا عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما ان تتخذ

فيهم حسنا " معناه إما أن تعذبهم بالقتل لإقامتهم على الشرك بالله " وإما ان تتخذ فيهم حسنا " بان تأسرهم فتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى، فقال ذو القرنين - لما خيرته الله في ذلك " اما من ظلم نفسه " بأن عصى الله وأشرك به " فسوف نعذبه " يعني بالقتل ويرد فيما بعد " إلى ربه فيعذبه، يوم القيامة " عذابا نكرا " أي عظيما منكرا تنكره النفس من جهة الطبع، وهو عذاب النار، وهو أشد من القتل في الدنيا. قوله تعالى:

(وَأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى * وسنقول له من أمرنا يسرا (٨٩) ثم أتبع سببا (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩١) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩٢)) خمس آيات في الكوفي والبصري وأربع في المدني عدا " ثم اتبع سببا " آية. قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر " فله جزاء الحسنى " بالنصب والتنوين. الباكون بالرفع، والإضافة. فمن أضاف احتمل أن يكون أراد فله جزاء الطاعة، وهي الحسنى. ويحتمل أن يكون أراد فله الجنة وأضافه إلى الحسنى وهي الجنة، كما قال " وانه لحق اليقين " (١) ومن نون أراد فله الحسنى أي الجنة، لان الحسنى هي الجنة لا محاله. ونصبه يحتمل أمرين: أحدهما - أن يكون نصبا على المصدر في موضع الحال أي فلهم الجنة يجزون

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥١

بها جزاء.

والثاني - قال قوم: هو نصب على التمييز وهو ضعيف، لان التمييز يقبح تقديمه كقولك تفقأ زيد شحما، وتصبب عرقا، وله دن خلا، ولا يجوز له دن، وأما عرقا فما أحد اجازته إلا المازني. وشاهد الإضافة قوله " لهم جزاء الضعف " (١) والحسنى ههنا الجزاء. لما حكى الله تعالى ما قال ذو القرنين إن من ظلم نعذبه، وإن له عند الله عذابا نكرا، أخبر ان من صدق بالله ووحده وعمل الصالحات التي أمر الله بها " فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا " اي قولاً جميلاً ثم قال " ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس " أي الموضع الذي تطلع منه مما ليس وراء أحد من الناس فوجد الشمس " تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا " اي انه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر، ولا بناء، لان أرضهم لم يكن بينى عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه والاسراب، وإذا غربت تصرفوا في أمورهم - في قول الحسن وقتادة وابن جريج - وقال قتادة هي الزنج. وقوله " كذلك " معناه كذلك هم. ثم قال " وقد أحطنا بما لديه خبرا " أي كذلك علمناهم وعلمناه. ويحتمل أن يكون المراد كذلك، اتبع سببا " إلى مطلع الشمس، كما اتبعه إلى مغربها. وقوله " ثم اتبع سببا " يعني طريقا ومسلكا لجهاد الكفار. وقال الحسن ان ذا القرنين كان نبيا ملك مشارق الأرض ومغاربها. وقال عبد الله بن عمر كان ذو القرنين والخضر نبين وكذلك لقمان كان نبيا. قوله تعالى: (ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما

(١) سورة ٣٤ (سبا) آية ٢٧

قوما لا يكادون يفقهون قولاً (٩٤) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً (٩٥) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً (٩٦)) أربع آيات.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص "السددين" - بالفتح - الباقون بالضم. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصم وحده "يفقهون" بضم الياء وكسر القاف. الباقون بفتح الياء والقاف. وقرأ عاصم وحده "يأجوج ومأجوج" بالهمز. الباقون بلا همز. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصم "خارجاً" بـ"ألف". الباقون "خرجاً" بغير الف.

أخبر الله تعالى عن حال ذي القرنين أنه اتبع طريقاً إلى جهاد الكفار إلى أن بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما، وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما - في قول ابن عباس وقتادة والضحاك. والسد وضع ما ينتفي به الخرق، يقال: سده يسده سداً فهو ساد، والشئ مسدود، وانسد انسداداً، ومنه سدد السهم، لأنه سد عليه طرق الاضطراب. ومنه السداد الصواب، والسد الحاجز بينك وبين الشئ. قال الكسائي: الضم والفتح في السد بمعنى واحد. وقال أبو عبيدة وعكرمة: (السد) - بالضم - من فعل الله، وبالفتح من فعل آدميين.

وقوله "وجد من دونهما" يعني دون السدين "قوما لا يكادون يفقهون قولاً" أي لا يفهمونه. ومن ضم الياء أراد لا يفهمون غيرهم، لاختلاف

لغتهم عن سائر اللغات، وإنما قال " لا يكادون " لأنهم فقهوا بعض الشيء عنهم، وإن كان بعد شدة، ولذلك حكى عنهم أنهم قالوا " إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض " والفقه فهم متضمن المعنى، والفهم للقول هو الذي يعلم به متضمن معناه يقال: فقه يفقه وفقه يفقه.

وقوله " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض " حكاية عما قال القوم الذين وجدهم ذو القرنين من دون السدين، فقالوا إن هؤلاء مفسدون في الأرض أي في تخريب الديار، وقطع الطرق، وغير ذلك. " فهل نجعل لك خراجا " فمن قرأ بالألف، فإنه أراد الغلة. ومن قرأ بلا ألف أراد الاجر " على أن تجعل بيننا وبينهم " يعني بيننا وبين يأجوج ومأجوج " سدا " قال لهم ذو القرنين " ما مكني فيه ربي خير " من الاجر الذي تعرضون علي " فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما " فالردم أشد الحجاب - في قول ابن عباس -، يقال: ردم فلان موضع كذا يردمه ردما، وردم ثوبه تردىما إذا أكثر الرقاع فيه، ومنه قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم (١)
أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع. وقيل الردم السد المتراكب وقرأ ابن كثير " مكني " بنونين. الباقيون بنون واحدة مشددة. من شدد أدغم كراهية المثليين. ومن لم يدغم قال: لأنها من كلمتين، لان النون الثانية للفاعل، والياء للمتكلم، وهو مفعول به.
وقوله " أعينوني بقوة " أي برجال بنون، و (الخرج) المصدر لما يخرج من

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٥ وهو مطلع معلقته، وتفسير الطبري ١٦ / ١٧
والقرطبي ١١ / ٥٩

المال، والخراج الاسم لما يخرج عن الأرض ونحوها. وترك الهمزة في (يأجوج وما جوج) هو الاختيار، لان الأسماء الأعجمية لا تهمز مثل (طالوت، وجالوت، وهاروت، وماروت). ومن همز قال: لأنه مأخوذ من أجج الثار ومن الملح الأجاج، فيكون (مفعولا) منه في قول من جعله عربيا، وترك صرفه للتعريف والتأنيث، لأنه اسم قبيلة ولو قال: لو كان عربيا لكان هذا اشتقاقه ولكنه أعجمي فلا يشتق لكان أصوب قال رؤبة:

لو أن يأجوج ومأجوج معا * وعاد عاد واستجاشوا تبعا (١)
فترك الصرف في الشعر، كما هو في التنزيل، وجمع يأجوج يآجيج، مثل يعقوب ويعاقب لذكر الحجل، وولد القبج السلك والأنثى سلكة ومن جعل (يأجوج ومأجوج) فاعولا جمعه يواجيج بالواو، مثل طاغوت وطواغيت. وهاروت وهواريت. واما مأجوج في قول من همز، ف (مفعول) من أج، كما أن يأجوج (يفعل) منه. فالكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق، ومن لم يهمز يأجوج، كان عنده (فاعول) من (يج) كما أن ماجوج (فاعول) من (مج) فالكلمتان على هذا من أصلين، وليسا في أصل واحد، كما كانا كذلك فيمن همزهما، وإن كانا من العجمي فهذه التقديرات لا تصح فيهما. وإنما مثل بها على وجه التقدير على ما مضى. وقال الجبائي والبخلي وغيرهما: إن يأجوج ومأجوج قبيلان من ولد آدم. وقال الجبائي: قيل: انهما من ولد يافث بن نوح، ومن نسلهم الأتراك. وقال سعيد ابن جبير: قوله "مفسدون في الأرض" معناه يأكلون الناس. وقال قوم: معناه انهم سيفسدون، ذهب إليه قتادة.

(١) ديوانه ٩٢ ومجاز القرآن ١ / ٤١٤ تفسير الطبري ١٦ / ١٢ والقرطبي ١١ / ٥٥ واللسان والتاج (أجج)

قوله تعالى:

(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال
انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٧) فما
اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٨) قال هذا رحمة من
ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٩) ثلاث
آيات بلا خلاف.

قرأ "الصدفين" - بضم الصاد والdal - ابن كثير، وأبو عمرو، وابن
عامر، الباقون - بفتح الصاد والdal - إلا أبا بكر عن عاصم، فإنه ضم الصاد وسكن
الdal. وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا "قال آتوني" قصرا. الباقون ممدودا. وقرأ حمزة
وحده "فما اسطاعوا" مشددة الطاء بالادغام، وهو ضعيف - عند جميع النحويين -
لان فيه جمعا بين ساكنين.

حكى الله تعالى عن ذي القرنين أنه قال للقوم الذين شكوا إليه فساد يأجوج
ومأجوج في الأرض وبذلوا له المال، فلم يقبله، وقال لهم أعينوني برجال وأعطوني
وجيئوا بزبر الحديد، لاعمل منه - في وجوه يأجوج ومأجوج - الردم.
والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفير ونحوهما، واصله الاجتماع، ومنه
(الزبور) وزبرت الكتاب إذا كتبت، لأنك جمعت حروفه. والحديد معروف حدده
تحديدا إذا أرهتفه، ومنه حد الشيء نهايته. وقال ابن عباس ومجاهد: زبر الحديد
قطع الحديد. وقال قتادة: فلق الحديد.

وقوله " حتى إذا ساوى بين الصدفين " تقديره انهم جاؤوا بزر الحديد وطرحوه حتى إذا ساوى بين الصدفين مما جعل بينهما أي وازى رؤسهما. والصدفان جبلان - في قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وإبراهيم - وقيل: هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه، وفيه ثلاث لغات - ضم الصاد والdal وفتحهما وتسكين الدال وضم الصاد - فال الراجز:

قد أخذت ما بين عرض الصدفين * ناحيتها وأعلي الركنين (١)

وقال أبو عبيدة: الصدفان جانباً الجبل. وقوله " قال انفخوا " يعني قال ذو القرنين انفخوا النار على الحديد، والزبر فنفخوا " حتى إذا جعله نارا " أي مائعا مثل النار، قال لهم " آتوني " أي اعطوني. وقرأ بقطع الهمزة ووصلها، فمن قطع، فعلى ما قلناه، ومن وصل خفض وقصر، وقيل معناه جيئوني " أفرغ عليه قطرا " نصب (قطرا) ب (أفرغ) ولو نصبه ب (آتوني) لقال أفرغه. والقطر النحاس في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة - وأراد بذلك أن يلزمه. وقال أبو عبيدة: القطر الحديد المذاب وانشد:

حساما كلون الملح صاف حديده * جازا من أقطار الحديد المنعت (٢)

وقال قوم: هو الرصاص النقر، واصله القطر، وكل ذلك إذا أذيب قطر كما يقطر الماء.

وقوله فما استطاعوا أن يظهروه أي لم يقدرُوا أن يعلوه " وما استطاعوا له نقبا " من أسفله - في قول قتادة.

وفي (استطاع) ثلاث لغات، استطاع يستطيع، واسطاع يستطيع، بحذف

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٨

(٢) مجاز القرآن ١ / ٤١٥ وتفسير الطبري ١٦ / ١٩

التاء، واستاع يستيع بحذف الطاء، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد. فأما اسطاع
يسطيع، فهي من أطاع يطيع، جعلوا السين عوضا من ذهاب حركة العين.
ثم " قال " ذو القرنين " هذا " الذي يسهل فعله من الردم بين الجبلين نعمة
" من ربي " عليكم " فإذا جاء وعد ربي " لاهلاكه عند اشراط الساعة " جعله دكاء "
أي مدكوكا مستويا بالأرض، من قولهم: ناقة دكاء، لا سنام لها، بل هي مستوية
السنام. ومن قرأ " دكا " منونا أراد دكه دكا، وهو مصدر. ومن قرأ بالمد أراد
جعل الجبل أرضا دكاء منبسطة وجمعها دكاءات. وقال ابن مسعود: في حديث
مرفوع إن ذلك يكون بعد قتل عيسى الدجال. وقيل إن هذا السد وراء بحر الروم
بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط. وقيل: إنه وراء در بند، وبحر خزران
من ناحية (أرمينية وآذربيجان) يمضي إليه. وقيل: ان مقدار ارتفاع السد مئتي
ذرع وإنه من حديد يشبه الصمت وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعا.
وقوله " وكان وعد ربي حقا " معناه ما وعد الله بأنه يفعله، لا بد من كونه،
فإنه حق لا يجوز ان يخلف وعده وروي ان رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال: اني رأيت سد يأجوج ومأجوج، فقال صلى الله عليه وآله فكيف رأيته قال رأيته كأنه
رداء محبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأيته.
قوله تعالى:

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا (١٠٠) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠١)
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون

سمعا (١٠٢) ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا عن حال تلك الأمم تركوا أي بقوا ولم يخترموا، بل أديموا على الصفات التي يبقون بها "يومئذ يموج" بضعهم "في بعض" فلو اقتطعوا عنها لكان قد أخذوا عن تلك الأحوال، وبعض الشيء ما قطع منه، يقال: بعضته أي فرقته بأن قطعت أبعاضا، والبعض جزء من كل، فإن شئت قلت البعض مقدار من الكل وإن شئت قلت: هو مقدار ينقص بأخذه من الجميع، و (الموج) اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض، والمعنى أنهم يموجون في بناء السد، ويخوضون فيه متعجبين من السد. ومعنى "يومئذ" يوم انقضاء السد، فكانت حال هؤلاء كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه. والترك في الحقيقة لا يجوز على الله إلا أنه يتوسع فيه فيعبر به عن الاختلال بالشيء بالترك.

وقوله "ونفخ في الصور" فالنفخ اخراج الريح من الجوف باعتماد، يقال نفخ ينفخ نفخا ومنه انتفخ إذا امتلأ ريحا ومنه النفخة التي ترتفع فوق الماء بالريح. والصور قال عبد الله بن عمر في حديث يرفعه: انه قرن ينفخ فيه، ومثله روي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري. وقيل إنه ينفخ فيه ثلاث نفحات: الأولى - نفخة الفزع التي يفزع من في السماوات والأرض. والثانية - نفخة الصعق. والثالثة - نفخة القيام لرب العالمين، وقال الحسن: الصور جمع صورة فيحيون بأن ينفخ في الصور الأرواح، وهو قول أبي عبيدة:

وقوله "فجمعناهم جمعا" يعني يوم القيامة يحشرهم الله أجمع "وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا" أي أبرزناها وأظهرناها حتى يروها فإذا استبانَتْ وظهرت

قل أعرضت، ومنه قول عمرو:
وأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسياف بأيدي مصلتنا (١)
وقوله "الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى" شبه الله أعين الكفار الذين
لم ينظروا في أدلة الله وتوحيده ولم يعرفوا الله، بأنها كانت في غطاء. ومعناه كأنها
في غطاء، "وكانوا لا يستطيعون سمعاً" معناه إنه كان يثقل عليهم الاستماع. وقال
البلخي: يجوز أن يكون المراد إنهم لا يسمعون، كما قال تعالى "هل يستطيع ربك
أن ينزل علينا مائدة" (٢) وإنما أراد بذلك هل يفعل أم لا؟ لأنهم كانوا مقرين بأن
الله قادر، لأنهم كانوا مقرين بعيسى (ع).
قوله تعالى:

(أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء
إننا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً (١٠٣) قل هل ننبئكم بالأخسرين
أعمالاً (١٠٤) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا (١٠٥) ثلاث آيات في الكوفي والبصري وشامي،
تمام الثانية قوله "اعمالاً" وآيتان في المدنيين.
قرأ الأعشى ويحيى بن يعمر إلا النقار "أفحسب" بتسكين السين وضم الباء،
وهي قراءة علي (ع) الباكون بكسر السين وفتح الباء.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله "أفحسب الذين كفروا" بتوحيد الله وجحدوا

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢٢

(٢) سورة هـ (المائدة) آية ١١٥

ربوبيته " أن يتخذوا عبادي من دونه أولياء " أي أنصارا يمنعونهم من عقابي لهم على كفرهم، وقد أعددت " جهنم للكافرين نزلا " أي مأوى ومنزلا - في قول الزجاج وغيره - وقال قوم: النزل الطعام جعل الله لهم طعاما والنزل الربع. ومن ضم الباء من " أحسب " معناه حسبهم على اتخاذهم عباد الله من دونه أولياء أن جعل لهم جهنم نزلا ومأوى. وقيل بل هم لهم أعداء يعني، الذين عبدوا المسيح والملائكة " ثم أمر نبيه (ع) أن يقول " لهم هل ننبئكم بالأخسرين " أي نخبركم بالأخسرين " أعمالا " وهم " الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا " وإن أفعالهم طاعة وقربة وقيل إنهم اليهود والنصارى، وقيل الرهبان منهم.

وروى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: هم أهل حروراء من الخوارج وسأله ابن الكوا عن ذلك، فقال (ع): أنت وأصحابك منهم وهم " الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا " أي جاز عنهم وهلك، وهم مع ذلك " يحسبون " أي يظنون أنهم يفعلون الأفعال الجميلة والحسبان هو الظن وهو ضد العلم.

وفي الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لأنهم لو عرفوا الله تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك، لان الضروريات لا يشك فيها.

وقوله " الأخسرين أعمالا " نصب على التمييز. ومن قرأ " أفحسب " بضم الباء. وسكون السين كما عنده " أن يتخذوا " في موضع رفع، ومن جعلها فعلا ماضيا جعل (أن) في موضع نصب بوقوع حسب عليه.

قوله تعالى:

(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم

فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا (١٠٦) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا (١٠٧) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (١٠٨) ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم بأنهم الذين جحدوا أدلة ربهم وأنكروا " لقاءه " أي لقاء ثوابه وعقابه في الآخرة من حيث أنكروا البعث والنشور بأنهم " قد حبطت أعمالهم " لأنهم أوقعوها على غير الوجه الذي أمرهم الله به " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " وصفهم الله بأنهم لا وزن لهم، كما يقال في التحقير للشئ: هذا لا شئ من حيث أنه لا يعتد به. ويقال للجاهل لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقلة تثبته فيما ينبغي أن يتثبت فيه. وقال قوم: معناه لا نقيم لهم وزنا لطاعتهم، لأنهم أحبطوها. وقال البلخي: معناه إن أعمالهم لا يستقيم وزنها لفسادها. ثم قال: وإنما كان " ذلك " كذلك، لأن جهنم " جزاؤهم بما كفروا " أي جحدوا الله واتخذوا آياته ورسله هزوا أي سخرية، يقال هزئ يهزء هزوا، فهو هازئ. ثم أخبر عن حال الذين صدقوا النبي وآمنوا بالله وعملوا الصالحات إن " لهم جنات الفردوس نزلا " أي مأوى. والفردوس البستان الذي يجمع الزهر والثمر وسائر ما يمتع ويلذ، وقال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: الفردوس البستان بالرومية. وقال قتادة: هو أطيب موضع في الجنة. وروي أنه أعلى الجنة وأحسنها في خبر مرفوع. وقال الزجاج: الفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان.

وقوله " نزلا " أي مأوى وقيل نزلا أي ذات نزول. وحكى الزجاج أن الفردوس الأودية التي تنبت ضروبا من النبت. والنزل - بضم النون والزاي - من النزول والنزل بفتحهما الربع. قوله تعالى:

(خالدين فيها لا ييغون عنها حولا (١٠٩) قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا (١١٠) قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١١) ثلاث آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " قبل أن ينفذ " بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالتاء، فالتأنيث الكلمات، ومن قرأ بالياء، فلان التأنيث ليس بحقيقي. وقد مضى نظائر ذلك.

اخبر الله تعالى عن أحوال المؤمنين الذين وصفهم بالأعمال الصالحة وأن لهم جنات الفردوس جزاء على أعمالهم بأنهم خالدون في تلك الجنات. ونصب " خالدين " على الحال.

وقوله " لا ييغون عنها حولا " أي لا يطلبون عنها التحول والانتقال إلى مكان غيرها. وقال مجاهد: الحول التحول أي لا ييغون متحولا. وقد يكون معناه التحول من حال إلى حال، ويقال حال عن مكانه حولا مثل صغر صغرا أو كبر كبرا. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لجميع المكلفين: قل لو كان ماء البحر مدادا في

الكثرة لكتابة كلمات الله لنفد ماء البحر ولم تنفذ كلمات الله بالحكم، والبحر مستقر الماء الكثير الواسع الذي لا يرى جانباه من وسطه وجمعه أبحر وبحار وبحور، والمداد هو الحائي شيئاً بعد شيء على اتصال. والمداد الذي يكتب به. والمدد المصدر. وهو مجيء شيء بعد شيء. وقال مجاهد: هو مداد العلم.

والكلمة الواحدة من الكلام، ولذلك يقال للقصيدة: كلمة، لأنها قطعة واحدة من الكلام، والصفة المفردة: كلمة. و (مددا) نصب على التمييز، وهذا مبالغة لوصف ما يقدر الله تعالى عليه من الكلام والحكم. ثم قال قل لهم "إنما أنا بشر مثلكم" لست بملك. أكل واشرب "يوحي إلي إنما الحكم إله واحد" أي يوحى إلي بأن معبودكم الذي يحق له العبادة واحد "فمن كان" منكم "يرجو لقاء ربه" لقاء ثوابه أو عقابه ويرجو معناه يأمل. وقيل معناه يخاف "فليعمل عملاً صالحاً" أي طاعة يتقرب بها إليه "ولا يشرك بعبادة" الله أحداً غيره: من ملك ولا بشر ولا حجر، ولا مدر ولا شجر، فتعالى الله عن ذلك علو كبيراً. وقال سعيد بن جبير معنى "لا يشرك بعبادة ربه أحداً" أي لا يراني بعبادة الله غيره. وقال الحسن: لا يعبد معه غيره. وقيل إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن. وقال ابن جريج قال حي بن اخطب: ترعم يا محمد إنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وتقول ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فكيف يجتمعان، فنزل قوله تعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي" ونزل "ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام..." (١) الآية.

(١) سورة ٣١ (لقمان) آية ٢٧

هي مكة في قول قتادة ومجاهد وهي ثمان وتسعون آية في المدني الأول والكوفي والبصري والشامي. وتسع وتسعون في المكي والمدني الأخير وفي عدد إسماعيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص * ذكر رحمت ربك عبده زكريا (١) إذ نادى
ربه نداء خفيا (٢)) ثلاث آيات في الكوفي خاصة عدوا " كهيعص "
آية. وآيتان في الباقي.

قرأ أبو عمرو " كهيعص " بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر إلا الداجوني
عن هشام وحمزة إلا العبسي وخلف في اختياره بفتح الهاء، وإمالة الياء. وقرأ
الكسائي ويحيى والعليمي والعبسي بإمالة الهاء والياء. الباقيون بفتحهما، وهم أهل الحجاز
والداجوني عن هشام وعاصم إلا يحيى والعليمي ويعقوب وأبو جعفر بقطع الحروف
على أصله ويظهر الدال من هجاء (صاد) عند ذلك. وكذلك أهل الحجاز وعاصم

ويعقوب. قال أبو علي إمالة هذه الحروف سائغة، لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء لهذه الأصوات. وقال سيبويه: قالوا (با، يا) لأنها أسماء ما يتهجأ به. فلما كانت أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء، ويدلك على أنها أسماء أنك إذا أخبرت عنها أعربت بها (وإن كنت لا تعربها أسماء قبل ذلك) (١) فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء كذلك هذه الحروف. وإذا كانت أسماء ساغت فيها الإمالة. فاما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز، وكلهم أخفى (نون، عين) إلا حفصاً عن عاصم فإنه بينها. وقال أبو عثمان بيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجري على الوقف عليها، والقطع لها مما بعدها، فحكمها البيان، وإن لا تخفى، فقول عاصم هو القياس فيها، وكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف، وعلى أنها منفصلة عما بعدها. وقال أبو الحسن تبين النون أجود في العربية، لان حروف العدد والهجاء منفصل بعضها عن بعض. وروي عن أبي عمرو واليزيدي - في رواية أبي عمرو - عنه كسر الهاء والياء. وقال قلت له لم كسرت الهاء؟ قال: لئلا تلتبس بهاء التنبيه، فقلت لم كسرت الياء قال: لئلا تلتبس ب (يا) التي للنداء إذا قلت: ها زيد ويا رجل. ومن أدغم الدال في الذل، فلقرب مخرجهما، ومن اظهر، فلأنهما ليسا من جنس واحد. وليس أختين.

وقرأ الحسن بضم الهاء، حكى سيبويه أن في العرب من يقول في الصلاة بما ينحو نحو الصلاة الضم، وحكى (هايا) باشمام الضم. قال الزجاج من حكى ضم الياء، فهو شاذ لأنه اجتمعت الرواة على أن الحسن ضم الهاء لا غير وقد بينا في أول سورة البقرة اختلاف العلماء في أوائل أمثال هذه السور وشرحنا أقوالهم، وبيننا أن أقوى ما قيل فيه أنها أسماء السور، وهو قول الحسن وجماعة، وقيل إن كل حرف منها حرف من اسم من

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

أسماء الله تعالى، فالكاف من كبير، والهاء من هاد، والعين من عالم، والصاد من صادق، والياء من حكيم. وروى ذلك عن علي (ع) وابن عباس وغيرهما. وروى عن علي (ع) انه دعا فقال اللهم سألتك يا كهيعص. وقوله "ذكر رحمة ربك عبده زكريا" رفع (ذكر) على أنه خبر للابتداء وتقديره هذا أو فيما يتلى عليكم "ذكر رحمة" أي نعمة ربك "عبده" منصوب ب (رحمة). وقال الفراء الذكر مرفوع ب (كهيعص) والمعنى ذكر ربك عبده برحمته، فهو تقديم وتأخير، ونصب "زكريا" لأنه بدل من (عبده). "إذ نادى ربه نداء خفيا" أي حين دعا ربه دعاء خفيا أي سرا غير جهر، لا يريد به رياء، ذكره ابن جريج. واصل النداء مقصور من ندى الصوت بندى الحلق قوله تعالى:

(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا (٣) وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٤) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا (٥) ثلاث آيات بلا خلاف. قرأ أبو عمرو والكسائي "يرثني" جزما على أنه جواب الامر. الباقر بالرفع على أنه صفة ل (وليا). فمن رفع قال "وليا" نكرة فجعل "يرثني" صلة له، كما تقول أعزني دابة اركبها، ولو كان الاسم معرفة، لكان الاختيار الجزم، كقوله "فذروها تأكل في أرض الله" (١) والنكرة كقوله "خذ من أموالهم صدقة

(١) سورة ٧ (الأعراف) آية ٧٢ وسورة ١ (هود) آية ٦٤

تطهرهم " (١) وقال مجاهد: من جزم جاز ان يقف على " وليا ". ومن رفع لم يجر لأنه صلة، ولان المفسرين قالوا: تقديره " هب لي " الذي " يرثني " أي وارثا فكل ذلك يقوي الرفع.

حكى الله تعالى ما نادى به زكريا ودعى ربه به، وهو أن قال " رب " أي يا رب وأصله ربي، وإنما حذف الياء تخفيفا وبقيت الكسرة تدل عليها " اني وهن العظم مني " أي ضعف، والوهن الضعف، وهو نقصان القوة، يقال وهن الرجل يهن وهنا إذا ضعف. ومنه قوله (لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون) (٢) وإنما أضاف الوهن إلى العظم، لان العظم مع صلابته إذا كبر ضعف، وتناقص، فكيف باللحم والعصب. وقيل شكى البطش وهو قلة العطس وهو لا يكون إلا بالعظم. وقوله (واشتعل الرأس شيبا) معناه انتشر الشيب في الرأس، كما ينتشر شعاع النار، وهو من أحسن الاستعارات. والاشتعال انتشار شعاع النار، والشيب مخالطة الشعر الأبيض للأسود في الرأس وغيره من البدن، وهو مثل الشائب الذي يخالط الشيء من غيره (ولم أكن بدعائك رب شقيا) تمام حكاية ما دعا به زكريا، وانه قال لم أكن يا رب بدعائي إياك شقيا أي كنت أدعوك وحدك واعترف بتوحيديك. وقيل معناه اني إذا دعوتك أجبتني، والدعاء طلب الفعل من المدعو، وفي مقابلته الإجابة، كما أن في مقابلة الامر الطاعة. ويحتمل نصب " شيبا " أمرين: أحدهما - أن يكون نصبا على المصدر كأنه قال شاب شيبا.

والثاني - التمييز كقولهم تصببت عرقا وامتألت ماء وقوله " واني خفت الموالي من وارئى " قال مجاهد وأبو صالح، والسدي: الموالي ههنا العصبية. وقيل خفت الموالي بني عمي على الدين، لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، وإنما قيل لبني العم

(١) سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٤

(٢) سورة ٣ (آل عمران) آية ١٣٩

موالي لأنهم الذين يلونه في النسب بعد الصلب. وقيل معنى الموالي الأولياء ان يرثوا علمي دون من كل من نسلي وأنشدوا في أن الموالي بنو العم قول الشاعر:
مهلا نبي عمنا مهلا موالينا* لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا (١)
والمولى المعتق، والمعتق، والمولى الناصر، والمولى الولي والمولى الأولى.
وروي عن عثمان أنه قرأ " واني خفت الموالي " بفتح الخاء وتشديد الفاء.
وقوله " وكانت امرأتي عاقرا " يعني لا تلد، ويقال للمرأة التي لا تلد: عاقر
والرجل الذي لا يولد له: عاقر قال الشاعر:
لبئس الفتى إن كنت اسود عاقرا* جباناً فما عذري لدى كل محضر (٢)
والعقر في البدن الجرح ومنه اخذ العاقر، لأنه نقص أصل الخلقة إما بالجراحة،
وإما بامتناع الولادة، ومنه العقار، لان فسادة نقص لأصل المال. وقوله " يرثني
ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " والميراث تركة الميت ما كان يملكه لمن
بعده من مستحقه بحكم الله فيه، يقال: ورث يرث يرثا وميراثا توارثوا توارثا
وورثه توريثا، وأورثه علما ومالا. و (الآل) خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم إليه.
وقد يرجع إليه أمرهم بالقرابة تارة وبالصحبة أخرى، وبالدين والموافقة، ومنه قيل
(آل النبي) صلى الله عليه وآله.
وقوله " يرثني ويرث من آل يعقوب " قال أبو صالح: معناه يرثني مالي، ويرث
من آل يعقوب النبوة. وقال الحسن يرثني العلم والنبوة، وقال مجاهد يرث علمه. وقال

(١) قد مر تخريجه انظر ٣ / ١٨٧ من هذا الكتاب. والبيت في تفسير الشوكاني ٣ / ٣١١

(٢) قائله عامر بن الطفيل ديوانه ٦٤ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣١١ والقرطبي

١١ / ٧٨ وتفسير الطبري ١٦ / ٣٢ وغيرها.

السدي: يرث نبوته ونبوة آل يعقوب، وكان آل يعقوب أحواله، وهو يعقوب ابن مأتان، وكان قيم الملك منهم، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى ابن عمران. قال مقاتل: يعقوب بن مأتان أخو عمران أبي مريم، وهما ابنا مأتان. وقوله " واجعله رب رضا " والجعل على أربعة أقسام:

أحدها - بمعنى الاحداث كقولهم جعل البناء أي أحدثه.
والثاني - احداث ما يتغير به كقولهم: جعل الطين خزفا أي احداث ما به يتغير
الثالث - ان يحدث فيه حكما كقولهم: جعل فلان فلانا فاسقا أي بما أحدث فيه من حكمه وتسميته.

الرابع - أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل كقولهم: جعله يقتل زيدا أي بما أمره به ودعاه إلى قتله.

ومعنى " واجعله رب رضا " أي اجعل ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك ممثلا لأمرك عاملا بطاعتك.

وفي الآية دلالة على أن الأنبياء يورثون المال بخلاف ما يقول من خالفنا انهم لا يورثون، لان زكريا صرح بدعائه وطلب من يرثه ويحجب نبي عمه وعصبته من الولد. وحقيقة الميراث انتقال ملك المورث إلى ورثته بعد موته بحكم الله. وحمل ذلك على العلم والنبوة على خلاف الظاهر، لان النبوة والعلم لا يورثان، لان النبوة تابعة للمصلحة لا مدخل للنسب فيها، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه، على أن زكريا إنما سأل وليا من ولده يحجب مواليه من نبي عمه وعصبته من الميراث وذلك لا يليق إلا بالمال، لان النبوة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال، على أن اشتراطه ان يجعله (رضيا) لا يليق بالنبوة، لان النبي لا يكون إلا رضا معصوما، فلا معنى لمسألته ذلك، وليس كذلك المال، لأنه يرثه الرضي وغير الرضي. واستدل المخالف بهذه

الآية على أن البنت لا تحوز المال دون بني العم والعصبة، لان زكريا طلب وليا يمنع مواليه، ولم يطلب ولية. وهذا ليس بشئ، لان زكريا إنما طلب وليا، لان من طباع البشر الرغبة في الذكور دون الإناث من الأولاد، فلذلك طلب الذكر، على أنه قيل إن لفظ الولي يقع على الذكر والأنثى، فلا نسلم أنه طلب الذكر بل يقتضي الظاهر أنه طلب ولدا سواء كان ذكرا أو أنثى.

والوراء الخلف والوراء القدام ممدود وكذلك الوراء ولد الولد ممدود. والورى مقصورا: داء في الجوف. والورى أيضا الخلق مقصور، وكلهم قرأ "ورائي" ممدودا ساكن الياء إلا ما رواه ابن مجاهد عن قنبل بفتح الياء مع المد، وروي عن شبل عن ابن كثير (ورأي) مقصورا مثل هداي بغير همز، وفتح الياء. قال أبو علي لا أعلم أحدا من أهل اللغة حكى القصر في هذه اللفظة، ولعلها لغة جاءت، وقد جاء في الشعر قصر الممدود، وقياسه رد الشئ إلى أصله، واللام في هذه الكلمة همزة، وليس من باب الورى. وقال أبو عبيدة وغيره "من ورائي" يعني من قدامي، ومثله "وكان وراءهم ملك" (١) أي بين أيديهم. وحكي عن الثوري وراء الرجل خلفه وقدامه. وقوله "ومن ورائه عذاب" (٢) أي قدامه. وقوله "واني خفت الموالي" فان الخوف لا يكون من الأعيان وإنما يكون من معان فيها، فقولهم خفت الله أي خفت عقابه، وخفت الموالي خفت تضييعهم مالي وانفاقه في معصية الله. قوله تعالى:

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من

(١) سورة ١٨ (الكهف) آية ٨٠

(٢) سورة ١٤ (إبراهيم) آية ١٧

قبل سميا (٦) قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا (٧) قال كذلك قال ربك هو علي هين
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٨) قال رب اجعل لي آية قال
آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (٩) أربع آيات
بلا خلاف.

قرأ حمزة " نبشرك " وفي آخرها (١) (لتبشر به) بالتخفيف فيهما الباقون
بالتثقيب. وقرأ حمزة والكسائي (عتيا، وصليا، وبكيا، وجثيا) بكسر أوائلهن
وافقهما حفص إلا في بكيا الباقون بضم أوائلهن. من كسر أوائل هذه الحروف
فلمجاورة الياء. والأصل الضم، لأنه جمع فاعل مثل جالس وجلوس، وكذلك صال
وصلي، والأصل صلوى ويكون على وزن فعول، فانقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في
الياء. والأصل في " عتيا " عتوا، لأنه من عتا يعتو " وبكيا " من بكى يبكي، كما قال
تعالى " وعتوا عتوا كبيرا " (٢) وإنما قيل " عتيا " ههنا بالياء، لأنه جمع عات،
وأصله عاتو فانقلبت الواو ياء، لانكسار ما قبلها فبنوا الجمع على الواحد في قلب
الواو (ياء) لان الجمع أثقل من الواحد. وقوله " وعتوا عتوا " مصدر، والمصدر يجري
مجرى الواحد حكما: وإن كان في اللفظ مشاركا للجمع، لأنك تقول: قعد يقعد
قعودا، وقوم قعود. وفي حرف أبي " وقد بلغت من الكبر عسيا " يقال للشيخ إذا
كبر عسى يعسو، وعتا يعتو إذا ييس.
وقرأ حمزة والكسائي " وقد خلقناك " على الجمع. الباقون - بالتاء - على التوحيد

(١) آخر هذه السورة آية ٩٨

(٢) سورة ٢٥ (الفرقان) آية ٢١

فمن قرأ بالنون فلقوله " وحنانا من لدنا " ومن قرأ بالتاء فلقوله " وهو علي هين " ولم يقل علينا، وهما سواء في المعنى.

هذا حكاية ما قال الله تعالى لذكري حين دعاه، فقال له " يا ذكري إنا نبشرك " والبشارة الاخبار بما بظاهر سروره في بشرة الوجه، يقال: بشره بشارة، وتبشيرا وأبشر بالامر ابشارا إذا استبشر به.

وقوله " بسلام اسمه يحيى " فالسلام اسم للذكر أول ما يلغ، وقيل: إنه منه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع. وقيل اما سمي يحيى، لان الله تعالى أحياه بالايمن - في قول قتادة - وقوله (لم نجعل له من قبل سميا) قال ابن عباس: معناه لم تلد مثله العواقر ولدا. وقال مجاهد: لم نجعل له من قبل مثلا. وقال ابن جريج وقاتدة

و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والسدي: معناه لم يسم أحدا باسمه. وقيل إنه لم يسم أحدا من الأنبياء باسمه قبله، فقال ذكري عند ذلك (انى يكون لي غلام) أي كيف يكون لي غلام (وامرأتي عاقر) لا يلد مثلها " وقد بلغت " أنا أيضا " من " السن

و " الكبر عتيا " فالعتي والعسي واحد، يقال عتا عتوا وعتيا، وعسى يعسو عسيا وعسوا فهو عات وعاس بمعنى واحد، والعاسي هو الذي غيره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف. وقال قتادة: كان له بضع وسبعون سنة، فقال الله تعالى له " كذلك "

هو ان الامر على ما أخبرتك " قال ربك هو علي هين " أي ليس يشق علي خلق الولد من بين شيخ وعاقر لأنني قادر على كل شئ وكيف يعسر علي ذلك " وقد خلقتك " يا ذكري " من قبل " ذلك " ولم تك شيئا " أي لم تكن موجودا ومن نفى أن يكون المعدوم

شيئا استدل بذلك، فقال لو كان المعدوم شيئا لما نفى أن يكون شيئا قبل ذلك وحمل قوله " إن زلزلة الساعة شئ عظيم " (١) على المجاز، والمعنى انها إذا وجدت كانت

(١) سورة ٢٢ (الحج) آية ١

شيئا عظيما، ومن قال: المعدوم شيء قال: أراد ولم يكن شيئا موجودا. ولم يكن قول زكريا " انى يكون لي ولد " على وجه الإنكار بل كان ذلك على وجه التعجب من عظم قدرة الله. وقيل: أنه قال ذلك مستخبرا، وتقديره ابتلك الحال أو بقلبه إلى حال الشباب، ذكره الحسن، فقال زكريا يا عند ذلك يا " رب اجعل لي آية " أي دلالة وعلامة استدلل بها على وقت كونه، فقال الله تعالى له " آيتك " أي علامتك على ذلك " ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا " فقال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام. وقال قتادة والسدي وابن زيد اعتقل لسانه من غير خرس. وفي زكريا ثلاث لغات (زكرياء) ممدود (وزكريا) مقصور و (زكري) مشدد. (وقرى بالمقصور والمدور دون اللغة الثالثة) (١) قوله تعالى:

(فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١٠) يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا (١١) وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا (١٢) وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا (١٣) وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (١٤) خمس آيات بلا خلاف. حكى الله تعالى ان زكريا " خرج على قومه من المحراب " وهو الموضع الذي يتوجه إليه للصلاة. وقال ابن زيد محرابه مصلاه. والأصل فيه مجلس الاشراف الذي

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

يحارب دونه ذبا عن أهله " فأوحى إليهم " قيل: معناه أشار الهيم وأوماً بيده يقال: أوحى يوحى إحياء ووحى يحي ويحا مثل أومى يومى ايماء، وومى يمي وميا. والايحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفى بسرعة من الامر. واصله السرعة من قولهم: الوحي الوحا أي الاسراع. وقيل: كتب لهم على الأرض، والوحي الكتابة.

وقوله " ان سبحوا بكرة وعشيا " أي أوحى إليهم بأن سبحوا، ومعناه صلوا بكرة وعشيا - في قول الحسن وقتادة - وقيل للصلاة تسبيح، لما فيها من الدعاء والتسبيح، ويقال: فرغت من سبحتي أي صلاتي.

وقوله " يا يحيى خذ الكتاب " يعني التوراة التي أنزلتها على موسى " بقوة " أي بجد " وآتيناه الحكم صبيا " معناه أعطيناه الفهم لكتاب الله حتى حصل له عظيم الفائدة. وروي عن معمر: أن الصبيان، قالوا ليحيى أذهب بنا نلعب، فقال ما للعب خلقت. فأنزل الله " وآتيناه الحكم صبيا ".

وقوله " وحنانا من لدنا " معناه وآتيناه رحمة من عندنا - في قول ابن عباس وقتادة والحسن - وقال الفراء: فعلنا ذلك رحمة لأبويه " وزكاة " أي وصلاحا. وقال الضحاك رحمة منا لا يملك إعطاءها أحد غيرنا. وقال مجاهد: معناه تعطفنا. وقال عكرمة: معناه محبة. واصل الحنان الرحمة، يقال: حنانك وحنانيك قال امرؤ القيس:

ويمنعها بنو شمعى بن جرم * معيزهم حنانك ذا الحنان (١)

وقال الآخر:

فقلت حنان ما أتى بك ههنا * أذو نسب أم أنت بالحي عارف (٢)

أي أمرنا حنان، وتحنن علينا تحننا أي تعطف قال الشاعر:

(١) ديوانه ٢١٦

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٨٧ والطبري ١٦ / ٣٢

تحسن علي هداك المليك * فان لكل مقام مقالا (١)
وحننت عليه أحن حنينا، وحنانا، وحتت على الرجل امرأته. وقال أبو عبيدة معمر
ابن المثنى أكثر ما يستعمل بلفظة التثنية، قال طرفة:
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٢)
وقوله " وزكاة " أي وعملا صالحا زكيا - في قول قتادة والضحاك وابن
جريح - وقال الحسن معناه: وزكاة لمن قبل عنه حتى يكونوا أزكيا. وقال الجبائي:
معناه آتيناہ تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليحرص على دعائهم إلى طاعة ربهم
" وزكاة " أي إنا زكيناہ بحسن الثناء عليه، كما يزكي الشهود الانسان (وكان تقيا)
أي يتقي معاصي الله وترك طاعته (وبرا بوالديه) أي كان بارا محسنا إلى والديه،
(ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) فاعيل بمعنى فاعل، ثم قال تعالى " وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) في يوم القيامة، ومعناه ان رحمة الله وسلامه
للذين هما تفضل من الله، هما على يحيى يوم ولد، وإن رحمة الله وسلامه للذين هما
حزاء
لا عماله الصالحة، هما عليه يوم يموت ويوم يبعث حيا، في الآخرة. قال قوم معناه: أمان
الله له وسلامه يوم ولد من عبث الشيطان له واغوائه إياه، ويوم يموت من عذاب القبر
وهول المطلع، ويوم يبعث حيا من عذاب النار وأهوال المحشر.
قوله تعالى:
(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا

(١) قائله الحطیئة تفسیر الشوکانی ٣ / ٣١١ وتفسیر الطبري ١٦ / ٣٨
والقرطبي ١١ / ٨٧
(٢) دیوانه (دار بیروت) ٦٦ وتفسیر الطبري ١٦ / ٣٨ والقرطبي ١١ / ٨٧.

شرقيا (١٥) فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (١٦) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا (١٧) قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا (١٨) قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا (١٩)) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش وقالون عنه (ليهب لك) بالياء (ربك غلاما) الباقون (لاهب) بالهمزة على الحكاية، وتقديره قال ربك لاهب لك. وقال الحسن: معناه لاهب لك بإذن الله (غلاما زكيا) أي صار بالبشارة كأنه وهب لها. وضعف أبو عبيدة قراءة أبي عمرو، لأنها خلاف المصحف. قال ابن خالويه: حجة أبي عمرو أن حروف المد واللين وذوات الهمز يحول بعضها إلى بعض، كما قرئ (ليلا) بالياء - والأصل الهمزة: (لئلا)

قال أبو علي النحوي: من قرأ - بالياء - يجوز أن يكون أراد الهمزة، وإنما قلبها ياء على مذهب أبي الحسن أو جعلها بين بين قول الخليل. وفي قراءة أبي وابن مسعود (ليهب) بالياء، وهو الأجود، ومعنى "زكيا" ناميا على الخير والبركة يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله "اذكر في الكتاب مريم" والذكر إدراك النفس

للمعنى بحضوره في القلب، والأذكار احضار النفس المعنى، وقد يكون الذكر قولاً يحضر المعنى للنفس، والمراد بالكتاب - ههنا - القرآن وإنما سمي كتابا، لأنه مما يكتب.

وقوله " إذ انتبذت من أهلها " فالانتبذ اتخذ الشيء بالقاء غيره عنه، والأصل الالتقاء من قولهم: نبذه وراء ظهره أي ألقاه، وفي هذا الطعام نبذ من شعير أي مقدار كف منه، والنبذ الطرح. وقال قتادة: معنى انتبذت انفردت. وقيل: معناه اتخذت مكانا تنفرد فيه بالعبادة. وقيل معناه تباعدت. وقوله " مكانا شرقيا " يعني الموضع الذي في جهة الشرق، قال جرير:

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرت لكم * عند الصفاة التي شرقي حورانا (١)
وقال السدي: معنى " فاتخذت من دونهم حجابا " أي حجابا من الجدران.
قال ابن عباس: إنما جعلت النصارى قبلتهم إلى المشرق، لأن مريم اتخذت من جهة المشرق موضع صلاتها. وقال ابن عباس: معنى " من دونهم حجابا " أي من الشمس جعله الله لها ساترا.

وقوله " فأرسلنا إليها روحنا " قال الحسن وقتادة والضحاك والسدي، وابن جريج، ووهب بن منية: يعني جبرائيل (ع) وسماه الله (روحا) لأنه روحاني لا يشبه شيئا من غير الروح. وخص بهذه الصفة تشريفا له. وقيل لأنه تحيا به الأرواح بما يؤديه إليهم من أمر الأديان والشرائع.
وقوله " فتمثل لها بشرا سويا " أي تمثل لها جبرائيل في صورة البشر " سويا " أي معتدلا، فلما رآته مريم، " قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " تخاف عقوبة الله.

فان قيل كيف تعوذت منه إن كان تقيا؟ والتقي لا يحتاج أن تتعوذ منه، وإنما يتعوذ من غير التقى!!
قيل المعنى في ذلك إن التقى للرحمن إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٩٣ وروايته (ذكرتكم) بدل (ذكرت لكم)

الله، ففي ذلك تخويف وترهيب، كما يقول القائل: إن كنت مؤمناً، فلا تظلمني، وتكون هي غير عالمة بأنه تقي أم لا، فلما سمع جبرائيل منها هذا القول، قال لها: "إنما أنا رسول ربك" أرسلني الله لأبشرك بأنه يهب "لك غلاماً" ذكراً "زكياً" طاهراً من الذنوب. وقيل: نامياً في أفعال الخير. فقالت مريم عند ذلك متعجبة من هذا القول: "أنى يكون لي غلام" أي كيف يكون ذلك "ولم يمسنني بشر" بالجماع على وجه الزوجية "ولم أك بغياً" أي لم أكن زانية - في قول السدى وغيره - و (البغي) التي تطلب الزنا، لأن معنى تبغيه تطلبه، و "لم أك" أصلها لم أكن لأنه من (كان، يكون) وإنما حذفت النون، لاستخفافها على ألسنتهم، ولكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الألف في (لم أبل) واصله (لم أبالي) لأنه من المبالاة وكقولهم: (لا أدر) وقولهم: (أيش) واصله أي شيء، ومثله: لا أب لشانئك واصله لا أبا لشانئك، ومثله كثير. قوله تعالى:

(قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً (٢٠) فحملته فانتبذت به مكانا قصياً (٢١) فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (٢٢) فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً (٣٣) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً (٢٤)) خمس آيات بلا خلاف. قرأ حمزة وحفص عن عاصم "نسيا" بفتح النون. الباقر بكسرهما، وهما

لغتان. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص " من تحتها " على أن (من) حرف جر. الباقون " من تحتها " يعني الذي تحتها قال أبو علي النحوي: ليس المراد بقوله " من تحتها " الجهة السفلى، وإنما المراد من دونها، بدلالة قوله " قد جعل ربك تحتك سرى " ولم يكن النهر محاذيا لهذه الجهة، وإنما المعنى جعل دونك. وقرأ " تساقط " - بالتاء وضمها، وكسر القاف مخففه السين - حفص عن عاصم. وقرأ حمزة " تساقط " بفتح التاء وتخفيف السين. الباقون، وهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم، بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف. وقرأ يعقوب والعليمي ونصير - بياء مفتوحة، وتشديد السين وفتح القاف - وكلهم جزم الطاء.

حكى الله تعالى ما قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة " قال كذلك " يعني الله تعالى قال ذلك " قال ربك هو علي هين " أي سهل متأت لا يشق علي ذلك " ولنجعله آية للناس " أي نجعل خلقه من غير ذكر آية باهرة، وعلامة ظاهرة للناس " ورحمة منا " أي ونجعله نعمة من عندنا " وكان أمرا مقضيا أي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمرا قضاه الله وقدره وحتم كونه أي هو المحكوم بأنه يكون، وما قضاه الله بأنه كائن، فلا بد من كونه.

وقوله (فحملته) يعني حملت عيسى في بطنها، والحمل رفع الشئ من كانه، وقد يكون رفع الانسان في مجلسه، فيخرج عن حد الحمل. ويقال له (حمل) بكسر الحاء لما يكون على الظهر، وبالفتح لما يكون في البطن (فانتبذت به مكانا قصيا) أي انفردت به مكانا بعيدا، ومعناه قاصيا، وهو خلاف الداني. قال الراجز: لتقعدن مقعد القصي* مني كذي القاذورة المقلي (١)

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٤٢

يقال قصا المكان يقصوه قصوا إذا تباعد، وأقصيت الشيء إذا أبعدته، وأخرته اقضاء. وقوله " فأجاءها المخاض " أي جاء بها المخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وأخرى بالألف. مثل ذهبت به وأذهبت به وآتيتك بعمرى وآتيتك عمرا. وخرجت به وأخرجته قال زهير:

وجار سار معتمدا إليكم * أجاءته المخافة والرجاء (١)
أي جاءت به. قال الكسائي تميم تقول: ما أجاءك إلى هذا وما أشاء بك إليه.
أي صيرك تشاء. ومن أمثالهم (شر أجاءك إلى مخة عرقوب) وتميم تقول: شر
أشأك إلى مخة عرقوب. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: معنى " فأجاءها "
ألجأها. وقال السدي: إنها قالت في حال الطلق " يا ليتني مت قبل هذا " استحياء
من الناس " وكنت نسيا منسيا " فالنسي الشيء المتروك حتى ينسى - بالفتح والكسر -
مثل الوتر والوتر. وقيل النسي - بالفتح - المصدر، يقال: نسيت الشيء نسيا ونسيانا
- وبالكسر - الاسم إذا كان لقي لا يؤبه به، وقيل النسي خرقة الحيض التي تلقيها
المرأة، قال الشاعر:

كأن لها في الأرض نسيا تقصه * إذا ما غدت وإن تكالمك تبلت (٢)
أي نسيا تركته، ومعنى (تبلت) أي تقطع كلامها رويدا رويدا
وتقف وتصدق.

وقوله " فنأداها من تحتها " قال ابن عباس والسدي والضحاك وقتادة: المنادي
كان جبرائيل (ع). وقال مجاهد والحسن وهب بن منية، وسعيد بن جبير وابن
زيد والجبائي: كان المنادي لها عيسى (ع).

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٣ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣١٧ والطبري ١٦ / ٤٢
والقرطبي ١١ / ٧٢ (٢) الطبري ١٦ / ٤٤ ومجمع البيان ٣ / ٥٠٩

وقوله " ألا تحزني " أي لا تغتني " قد جعل ربك تحتك سريا " قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: السري هو النهر الصغير. وقال قوم: هو النهر بالسرانية. وقال آخرون: هو بالنبطية. وقال إبراهيم والضحاك وقتادة: هو النهر الصغير بالعربية، مثل قول ابن عباس، وقال البراء بن عازب: هو الجدول وقال الحسن وابن زيد: السري عيسى (ع). وقيل للنهر (سري) لأنه يسري بجريانه كما قيل جدول لشدة جريه. قال لبيد: فتوسطا عرض السري فصدا * مسجورة متجاوز أقدامها (١) وقال آخر:

سلم ترى الدالي منه ازورا * إذا يعج في السري هرهرا (٢)
وقوله " وهزي إليك بجذع النخلة " معناه هزي النخلة إليك، ودخلت الباء تأكيدا، كما قال تعالى " تنبت بالدهن " (٣) قال الشاعر:
نضرب بالبيض ونرجوا بالفرج (٤)
أي نرجو الفرج، وقال آخر:
بواد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان (٥)
وفي رواية ينبت الشث حوله. وقوله (تساقط عليك) من شدد، أراد تتساقط فادغم أحد التاءين في السين، ومن خفف حذف أحد التاءين. ومن قرأ - بالياء -

-
- (١) تفسير الطبري ١٦ / ٤٧ والقرطبي ١١ / ٩٤
(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٩٤ وروايته (يعب) بدل (يعج)
(٣) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٠
(٤) قائله النابغة الجعدي تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ١٩٣
(٥) تفسير الطبري ١٦ / ٤٨

أسند الفعل إلى الجذع ومن قرأ - بالتاء - أسنده إلى النخلة. ومن قرأ تساقط أراد من المساقطة. وقرأ أبو حيويه (تسقط عليك). وروي عنه (يسقط) وهو شاذ والمعاني متقاربة. وقال أبو علي: من قرأ (تساقط) عدى (فاعل) كما عدى (يتفاعل) وهو مطاوع (فاعل) قال الشاعر:

تطالعنا خيالات لسلمي * كما يتطالع الدين الغريم (١)
وانشد أبو عبيدة:

تخطأت النبل أحشاءه * وآخر يومي فلم أعجل (٢)
قال في موضع (أخطأت) كقوله (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا) (٣)
ومعنى الآية يتوقع عليك رطباً جنياً. والجنى المجنى (فعل) بمنى (مفعول) وهو المأخوذ من الثمرة الطرية، اجتناه اجتنأ. إذا اقتطعه، قال ابن أخت جذيمة:
هذا جنائي وخياره فيه * إذ كل جان يده إلى فيه (٤)
وفي نصب (رطب) قولان:

أحدهما - قال المبرد: هو مفعول به، وتقديره هزي بجذع النخلة رطباً تساقط عليك.

وقال غيره: هو نصب على التمييز والعامل فيه تساقط.
وقال أبو علي: يجوز أن يكون نصبا على الحال، وتقديره تساقط عليك ثمر النخلة رطباً، فحذف المضاف الذي هو الثمرة، ونصب رطباً على الحال.
وقيل: لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء، فجعله الله تعالى آية، وإنما تمت الموت قبل تلك الحال التي قد علمت أنها من قضاء الله لكرهاتها أن يعصى الله بسببها

(١) البيت في مجمع البيان ٣ / ٥٠٧

(٢) مر تخريجه في ٦ / ٤٧٢ من هذا الكتاب

(٣) سورة النساء آية ٣

(٤) تفسير الطبري ١٦ / ٤٩

إذا كان الناس يتسرعون إلى القول فيها بما يسخط الله. وقال قوم: انها قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة. وقال قوم: المعنى في ذلك اني لو خيرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحمل والموت لاخترت الموت. واختلفوا في مدة حمل عيسى، فقال قوم: كان حمله ساعة ووضعت في الحال. وقال آخرون: حملت به ثمانية أشهر ولم يعش مولود لثمانية أشهر غيره (ع)، فكان ذلك آية له. وفي بعض الروايات أنه ولد لستة أشهر. وقوله " فأجاءها المخاض " يدل على طول مكث الحمل، فاما مقداره فلا دليل يقطع به. قوله تعالى:

(فكلي واشربي وقري عينا قوما ترين من البشر أحدا (٢٥) فقولني إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦) فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا (٢٧) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٢٩) قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠)) خمس آيات بلا خلاف. لما قال جبرائيل لمريم " هزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " قال لها بعد ذلك " فكلي " من ذلك الرطب " واشربي " من السري " وقري

عينا " ونصبه على التمييز كقوله " فان طبن لكم عن شيء منه نفسا " (١) وقيل في معنا " قري عينا " قولان: أحدهما - لتبرد عينك برد سرور بما ترى. الثاني - لتسكن سكون سرور برؤيتها ما تحب، يقال قررت به عينا أقر قرورا وهي لغة قريش. وأهل نجد يقولون: قررت به عينا - بفتح العين - أقر قرارا، كما يقولون قررت بالمكان - بالفتح.

وقوله (فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما) قال الجبائي: كان الله تعالى أمرها بأن تنذر الله تعالى الصمت، فإذا كلمها أحد تومي بأنها نذرت صوما صمتا، لأنه لا يجوز ان يأمرها بان تخبر بأنها نذرت ولم تنذر، لان ذلك كذب. وقال انس بن مالك وابن عباس والضحاك: تريد بالصوم الصمت. وقال قتادة: يعني صمتا عن الطعام والشراب والكلام أي إمساكا. وإنما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ ساحتها - في قول ابن مسعود وابن زيد ووهب ابن منية وقيل: من كان صام في ذلك الوقت لا يكلم الناس، فاذن لها في هذا المقدار من الكلام، في قول السدي.

فان قيل كيف تكون نذرت الصمت وألا تكلم أحدا مع قولها واخبارها عن نفسها بأنها نذرت وهل ذلك إلا تناقض؟

قيل من قال: انه أذن لها في هذا القدر فحسب، يقول: انها نذرت لا تلکم بما زاد عليه. ومن قال: انها نذرت نذرا عاما، قال: أومت بذلك ولم تتلفظ به. وقيل: أمرها الله أن تشير إليهم بهذا المعنى، وانها ولدته بناحية بيت المقدس، وفي موضع يعرف ب (بيت لحم).

(١) سورة ٤ النساء آية ٣.

ثم اخبر الله تعالى عن حال مريم أنها أتت بعيسى إلى قومها تحمله، فلما رأوها قالوا لها " لقد جئت شيئا فريا " أي عملا عجيبا قال الراجز:
قد أطعمتني دقلا حوليا * مسوسا مدودا حجرياً
قد كنت تفرين به الفريا (١)

قال قتادة ومجاهد والسدي: معنى الفري العظيم من الامر. وقيل الفري القبيح من الافتراء، فقال لها قومها " يا أخت هارون " وقيل في هارون الذي نسبت إليه بالاخوة أربعة أقوال:

فقال قتادة: وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: انه كان رجلا صالحا في بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح.
وقال السدي: نسبت إلى هارون أخي موسى (ع) لأنها كانت من ولده كما يقال يا أخا بني فلان.

وقال قوم: كان رجلا فاسقا معلنا بالفسق، فنسبت إليه.
وقال الضحاك: كان أخاها لأبيها وأمها، وكان بنو إسرائيل يسمون أولادهم بأسماء الأنبياء كثيرا. وقوله " ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " اي لم يكن أبواك إلا صالحين، ولم يكونا فاجرين، فكيف خالفتيهما " فأشارت إليه " اي أومأت عند ذلك مريم إلى عيسى (ع) أن كلموه، واستشهدوه على براءة ساحتني " فقالوا " في جوابها " كيف نكلم من كان في المهد صبيا " قال قوم: دخلت (كان) ههنا زائدة ونصب (صبياً) على الحال. وانشد أبو عبيدة في زيادة (كان):
إلى كناس كان مستعدة
وقال آخر:

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٥١ والقرطبي ١١ / ١٠٠

فكيف إذا رأيت ديار قومي * وجيران لنا كانوا كرام (١)
والمعنى وديار جيران كرام و (كانوا) فضلة، فلذلك لم تعمل. وقيل معنى
(كان) صار وانشد لزهير:

أجزت إليه حرة أرجية * وقد كان لون الليل مثل الارندج
اي قد صار. وقال المبرد: معنى (كان) حدث. وقال الزجاج: معناه على
الشرط، وتقديره من كان في المهد صبيا نكلمه على التقديم والتأخير. وقال
قتادة: المهد حجر أمه، واصله ما وطئ للصبي. وقيل: انهم غضبوا عند إشارتها إلى
ذلك وقالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، فلما تكلم عيسى، قالوا: إن هذا الامر
عظيم - ذكره السدي - فقال عيسى (ع) عند ذلك " اني عبد الله آتاني الكتاب "
قال عكرمة: معناه فيما مضى " وجعلني نبيا " لان الله أكمل عقله وأرسله إلى عباده
ولذلك كانت له تلك المعجزة - في قول الحسن وأبي علي الجبائي - وقال قوم:
معناه " اني عبد الله " سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا فيما بعد، وكان ذلك معجزة
لمريم على براءة ساحتها على قول من أجاز اظهار المعجزات على يد غير الأنبياء من
الصالحين. وقال ابن الاخشاذ: كان ذلك إنذارا لنبوته. وقال الجبائي معنى
" وجعلني نبيا " أي وجعلني رفيعا لان النبي هو الرفيع.
قوله تعالى:

(وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حياً) (٣١) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً (٣٢)

(١) قائله الفرزدق. ديوانه (دار بيروت) ٢ / ٢٩٠ وقد مر في ٣ / ١٥٥
من هذا الكتاب.

والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣) ذلك
عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله
أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن
فيكون (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي " آتاني، وأوصاني " بالإمالة. الباقر بالتفخيم، فمن أمال، فلان
هذه الألف تنقلب ياء في (أوصيت) فأمال لمكان الياء. ومن لم يمل، فلمكان الألف.
والإمالة في (آتاني) أحسن من الإمالة في (أوصاني) لان في (أوصاني) حرفا مستعليا
يمنع من الإمالة، ومع ذلك، فهو جائز كصفي وطغي. وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
" قول الحق " بالنصب على المصدر. الباقر بالرفع على أنه خبر الابتداء. وتقديره
ذلك الذي تلوناه من صفته " قول الحق " وقيل هو تابع ل (عيسى) كأنه قيل كلمة الحق
وروي عن عبد الله انه قرأ " قول الحاق " بمعنى قول الحق ومعناه يحق نحو العاب
والعيب والذام والذيم.

لما حكى الله تعالى عن عيسى أنه قال لقومه " اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا " أخبر أنه قال " وجعلني مباركا " قال مجاهد: معناه معلما للخير أينما كنت.
وقيل نفاعا، والبركة نماء الخير، والمبارك الذي ينمي الخير به. والتبرك طلب البركة
بالشئ وأصله التبرك من البرك وهو ثبوت الطير على الماء.
وقوله " وأوصاني بالصلاة والزكاة " معناه أمرني بهما. والوصية التقدم في
الامر الذي يكون بعدما وقت له، كتقدم الانسان في التدبير بعد خروجه، وكتقدمه
في أموره بعد موته. والصلاة في أصل اللغة: الدعاء، وفي الشرع عبارة عن هذه العبادة

التي فيها الركوع والسجود. وقيل عبارة عن عبادة افتتاحها التكبير وخاتمتها التسليم. وقيل في معنى الزكاة - ههنا - قولان: أحدهما - زكاة المال. والثاني - التطهير من الذنوب.

" ما دمت حيا " أي أوصاني بذلك مدة حياتي " وبرا بوالدتي " أي وأوصاني بأن أكون بارا بوالدتي أي محسنا إليها " ولم يجعلني جبارا " أي متجبرا، لم يحكم علي بالتجبر، والشقاء، ولم يسمني بذلك " والسلام علي " أي والرحمة من الله بالسلامة والنعمة بها علي " يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا ".

وقوله " ذلك عيسى ابن مريم قول الحق أي الذي تلوناه من صفة عيسى " قول الحق " أي كلمة الحق " الذي فيه يمترون " أي يشكون فيه " ما كان لله أن يتخذ من ولد " اخبار منه تعالى بأنه لم يكن الله أن يتخذ من ولد علي ما يقوله النصاري. ثم قال منزلها لنفسه عن ذلك " سبحانه إذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون " أي يفعله لا يشق عليه بمنزلة ما يقال كن فيكون، وقد بينا فيما مضى وحكينا ما قال بعضهم إن قول (كن) عند خلق ما يريد خلقه ليعلم الملائكة أنه لا يتعذر عليه شيء يريد فعله.

والسلام مصدر سلمت سلاما، ومعناه عموم العافية والسلامة. والسلام جمع سلامة. والسلام اسم من أسماء الله وسلام يتبدأ به في النكرة، لأنه يكثر استعماله، تقول: سلام عليكم

والسلام عليكم، وأسماء الأجناس يحسن الابتداء بها، لان فائدتها واحدة، ولما جرى ذكر (سلام) أعيد - ههنا - بالألف واللام ليرد على الأول. قوله تعالى:

وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦)

فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم (٣٧) أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين (٣٨) وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩) إنا نحن نرث الأرض ومن
عليها وإلينا يرجعون (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ويعقوب إلا روحاً " وأن الله " بفتح الهمزة
الباقون بكسرهما. من نصب الهمزة احتمل أربعة أوجه:
أحدها - إن المعنى وقضى الله " أن الله ربى وربكم " في قول أبى عمرو بن العلاء
والثاني - أنه معطوف على كلام عيسى، أي وأوصاني " أن الله ربى وربكم "
والثالث - قال الفراء: إنه معطوف على " ذلك عيسى بن مريم " وذلك
" أن الله ". ويكون موضعه الرفع بأنه خبر المبتدأ.
الرابع - ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه. والعامل فيه (فاعبدوه).
ومن كسر (إن) استأنف الكلام. ويقوي الكسر أنه روي أن أبياً قرأ
" ان الله " بلا واو ويجوز أن يكون عطفاً على قوله " قال إني عبد الله " وقوله " هذا
صراط مستقيم " معناه عبادتكم لله وحده لا شريك له هو الصراط المستقيم الذي
لا اعوجاج فيه.
وقوله " فاختلف الأحزاب من بينهم " فالاختلاف في المذهب هو ان يعتقد
كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون. والأحزاب جمع حزب. والحزب جمع
المنقطع في رأيه عن غيره، يقال تحزب القوم إذا صاروا حزاباً. وحزب عليهم

الأحزاب أي جمع. والمعنى في الآية اختلف الأحزاب من أهل الكتاب في عيسى (ع)، فقال قتادة ومجاهد قال قوم: هو الله وهم اليعقوبية. وقال آخرون: هو ابن الله وهم النسطورية. وقال قوم: هو ثالث ثلاثة وهم الإسرائيلية. وقال قوم: هو عبد الله وهم المسلمون.

ثم قال تعالى " فويل للذين كفروا " بآيات الله، وجحدوا وحدانيته من حضور يوم عظيم يعني يوم القيامة.

وقوله " اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا " معناه ما أسمعهم وأبصرهم على وجه التعجب، والمعنى انهم حلوا في ذلك محل من يتعجب منه، وفيه تهديد ووعد أن سيسمعون ما يصدع قلوبهم ويردون ما يهيلهم. وقال الحسن وقتادة: المعنى لان كانوا في الدنيا صما عميا عن الحق، فما أسمعهم به، وما أبصرهم به يوم القيامة " يوم يأتوننا " أي يوم يأتون المقام الذي لا يملك أحد فيه الأمر والنهي غير الله. ثم قال تعالى " لكن الظالمون " أنفسهم بارتكاب معاصيه وجحد آياته والكفر بأنبيائه " اليوم " يعني في دار الدنيا " في ضلال " عن الحق وعدول عنه " بعيد " من الصواب. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " وانذرهم " يا محمد أي خوفهم هول " يوم الحسرة " أي اليوم الذي يتحسر فيه الناس على ما فرطوا فيه من طاعة الله، وعلى ما ارتكبوا من معاصيه في الوقت الذي " قضى الامر " وحكم بين الخلائق بالعدل " وهم في غفلة " اليوم عما يفعل بهم من العقاب على معاصيهم، وهم لا يصدقون بما يقال لهم ويخبرون به. ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال " انا نحن نرث الأرض ومن عليها " أي يعود إلينا التصرف في الأرض وفيمن عليها من العقلاء، وغيرهم، لا يبقى لاحد ملك " والينا يرجعون " أي يردون يوم القيامة إلى الموضع الذي لا يملك الأمر والنهي غيرنا.

قوله تعالى:

(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١)
إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عليك
شيئا (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني
أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا) (٤٥) خمس آيات في الكوفي
والبصري، وست آيات في المدنيين عدوا " في الكتاب إبراهيم " آية.
أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يذكر إبراهيم في الكتاب الذي هو القرآن، وسماه
كتابا، لأنه مما يكتب. والمعنى أقصص عليهم أو أتل عليهم. وكذلك فيما بعد. ثم قال "
انه "

يعنى إبراهيم " كان صديقا نبيا " والصديق هو الكثير التصديق بالحق حتى صار علما
فيه. وكل نبي صديق لكثرة الحق الذي يصدق فيه مما هو علم فيه وامام يقتدى به، من
توحيد الله وعدله، حين " قال لأبيه يا أبت " والأصل يا أبتني، فحذف ياء الإضافة
وبقيت كسرة التاء تدل عليها. وقيل إن التاء دخلت للمبالغة في تحقيق الإضافة، كما
دخلت في (علامة، ونسابة) للمبالغة في الصفة. ومثله يا أمت. والوقف بالتاء لهذه
العلة. وأجاز الزجاج الوقف بالهاء. وقيل إن التاء عوض من ياء الإضافة.
وقوله " لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا " من أمور الدنيا

وإنما هو حجر منقور، أو صنم معمول " يا أبت إنني قد جاءني من العلم " بمعرفة الله وتوحيده ووجوب اخلاص العبادة له، وقبح الاشرار " ما لم يأتك فاتبعني " على ذلك واقتد بي " أهدك صراطا سويا " معتدلا غير جائر بك عن الحق إلى الضلال " يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا " اي عاصيا (فعليل) بمعنى فاعل.

" يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن " قال الفراء: أخاف بمعنى أعلم - ههنا - ومثله " فخشينا أن يرهقهما " (١) أي علمنا " أن يمسك " أي يلحقك عذاب من الله على إشراكك معه في العبادة غيره. ومتى فعلت ذلك كنت وليا للشيطان وناصرًا ومساعدًا، ونصب " فتكون " عطفا على (ان يمسك) وقيل: إن معناه أنه يلزمك ولاية الشيطان لعبادتك له ذما لك وتقريعا، إذا ظهر عقاب الله لك، وسخطه عليك. وقيل: فتكون موكولا إلى الشيطان، وهو لا يغني عنك شيئا. وقال قوم: هذه المخاطبة من إبراهيم كان لأبيه الذي هو والده. والذي يقوله أصحابنا انه كان جده لامه، لان آباء النبي صلى الله عليه وآله كلهم كانوا مسلمين إلى آدم، ولم يكن فيهم من يعبد غير الله تعالى، لقوله صلى الله عليه وآله (لم يزل الله ينقلني من أصلاب الطاهرين

إلى أرحام الطاهرات) والكافر لا يوصف بالطهارة، لقوله تعالى " إنما المشركون نجس " (٢) قالوا وأبوه الذي ولده كان اسمه تارخ. وهذا الخطاب منه كان لآزر قوله تعالى:

(قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٨١

(٢) سورة ٩ التوبة آية ٢٩

لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك سأستغفر لك
ربي إنه كان بي حفيا (٤٧) وأعتز لكم وما تدعون من دون الله
وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨) فلما اعتز لهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق
عليا (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى ما قال إبراهيم لأبيه، وتوبيخه له على عبادة الأصنام، وتقريره
إياه على ذلك، حكى في هذه الآيات ما أجاب به أبوه، فإنه قال له يا إبراهيم "أراغب
أنت عن آلهتي" ومعناه أزاهد في عبادة آلهتي، والرغبة اجتلاب الشيء لما فيه من
المنفعة. والرغبة فيه نقيض الرغبة عنه. والترغيب الدعاء إلى الرغبة في الشيء. ثم قال
له مهددا "لئن لم تنته" أي لم تمتنع من ذلك، يقال نهاه فانتهى. واصله النهاية،
فالنهي زجر عن الخروج عن النهاية المذكورة. والتناهي بلوغ نهاية الحد. وقوله
"لأرجمنك" قال الحسن: معناه لأرمينك بالحجارة حتى تباعد عني. وقال السدي
وابن جريج والضحاك: معناه لأرمينك بالذم والعيب. وقوله "واهجرني مليا" قيل في
معناه قولان:

قال الحسن ومجاهد "مليا" دهرا (قال الفراء: ويقال: كنت عنده ملوة وملوة وملوة
- بتثليث الميم - وملوة بالفتح وملوة بالضم أي) (١) دهرا ملاوة، وكله من طول المقام

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

وبه قال سعيد بن جبير والسدي، وهو بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه.
والثاني - قال ابن عباس وقتادة وعطية والضحاك: معنى " مليا " سويا سليما
من عقوبتي، وهو من قولهم: فلان ملي بهذا الامر إذا كان كامل الامر فيه
مضطلعا به، فقال له إبراهيم " سلام عليك " أي سلامة عليك، أي اكرام وبر بحق الأبوة
وشكر التربية. وقال ذلك على وضع التواضع له ولين الجانب لموضعه " سأستغفر لك
ربي " قال قوم: إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل، ولم يكن قد استقر بعد قبح
الاستغفار للمشركين. وقال قوم: معناه سأستغفر لك إذا تركت عبادة الأوثان
وأخلصت العبادة لله تعالى. ومعنى قوله " انه كان بي حفيا " إن الله كان عالما بي
لطيفا، والخفي اللطيف بعموم النعمة، يقال: تخفني فلان إذا أكرمني وألطفني، وحفي فلان
بفلان حفاوة إذا أبره وألطفه. والحفي أذى يلحق باطن القدم للطفه عن المشي بغير نعل
ثم قال " وأعتزلكم " أي أتنحى عنكم جانبا، واعتزل عبادة " ما تدعون من
دون الله. وادعوا ربي " وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا).
وقوله (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) قيل إنه اعتزلهم بأن خرج
إلى ناحية الشام (وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) أي لما اعتزلهم أنسنا
وحشته بأولاد كرام على الله رسل لله، وجعلناهم كلهم أنبياء معظمين (وهبنا لهم
من رحمتنا) أي من نعمتنا (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) قال ابن عباس والحسن:
معناه الثناء الجميل الحسن من جميع أهل الملل، لأن أهل الملل على اختلافهم يحسنون
الثناء عليهم، وتقول العرب: جاءني لسان من فلان تعني مدحه أو ذمه قال عامر
ابن الحارث:

اني اتتني لسان لا اسربها* من علو لا عجب منها ولا سخر

جاءت ترجمة قد كنت احذرها * لو كان ينفعني الاشفاق والحدّر (١)
وقيل: معناه انا جعلناهم رسل الله يصدقون عليه أعالي الصفات.
قوله تعالى:

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا (٥١) وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا (٥٢)
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا (٥٣) واذكر في الكتاب
إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر
أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (٥٥) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (مخلصا) - بفتح اللام - بمعنى أخلصه الله للنبوة.
الباقون - بالكسر - بمعنى أخلص هو العبادة لله.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله (واذكر) موسى (في الكتاب) الذي
هو القرآن. وسماه كتابا لما ذكرناه: أنه يكتب. وأخبر أن موسى كان مخلصا بطاعته
وجه الله تعالى دون رياء الناس، وأنه لم يشرك في عبادته سواه. ومن فتح اللام أراد
ان الله أخلصه لطاعته بمعنى أن لطف له ما اختار عنده اخلاص الطاعة. وأنه لم يشب
ذلك بمعصيته له، وأنه مع ذلك كان رسولا لله تعالى إلى خلقه، قد حمّله رسالة يؤديها
إليهم (وكان نبيا) وهو العلي برسالة الله إلى خلقه، وبما نصب له من المعجزة الدالة

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٦٢ وهو في مجمع البيان ٣ / ٥١٦

على تعظيمه وتبجيله، وعظم منزلته. وهو مأخوذ من النبأ، وهو الخبر بالامر العظيم. ثم اخبر الله تعالى انه ناداه (من جانب الطور الأيمن) فإنه قال له (اني انا الله رب العالمين) والطور جبل بالشام ناداه من ناحيته اليمنى، وهو يمين موسى (ع). وقوله (وقربناه نجيا) معناه قربناه من الموضع الذي شرفناه وعظمناه بالحصول فيه ليسمع كلامه تعالى. وقال ابن عباس ومجاهد قرب من أهل الحجب حتى سمع صريف القلم. وقيل معناه إن محله منا محل من قربه مولاه من مجلس كرامته. وقيل قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة. وقوله (نجيا) معناه انه اختصه بكلامه بحيث لم يسمع غيره، يقال: ناجاه ينجيه مناجاة إذا اختصه بالقاء كلامه إليه. واصل النجوة الارتفاع عن الهلكة، ومنه النجاة أيضا، والنجاء السرعة، لأنه ارتفاع في السير، ومنه المناجاة. وقال الحسن: لم يبلغ موسى (ع) من الكلام الذي ناجاه شيئا قط. ثم اخبر تعالى انه وهب له من رحمته ونعمته عليه أخاه هارون نبيا، شد أزره كما سأل. ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن أيضا (إسماعيل) ابن إبراهيم وأخبر (انه كان صادق الوعد) بمعنى إذا وعد بشئ وفى به، ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا) من قبل الله إلى خلقه (نبيا) معظما بالاعلام المعجزة. وأنه " كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة " قال الحسن: أراد بأهله أمته، والمفهوم من الأهل في الظاهر أقرب أقاربه. و " كان " مع هذه الأوصاف " عند ربه مرضيا " قد رضي اعماله لأنها كلها طاعات لم يكن فيها قبائح. وإنما أراد بذلك افعاله الواجبات والمندوبات دون المباحات، لان المباحات لا يرضاه الله ولا يسخطها. واصل (مرضيا) مرضو فقلبت الضمة كسرة والواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله تعالى:

(واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٥٦)
ورفعناه مكانا عليا (٥٧) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين
من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل
وممن هدينا واجتبيينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا
فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) (٦٠) خمس آيات.
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله " اذكر في الكتاب " الذي هو القرآن
" إدريس " وأخبر أنه كان كثير التصديق بالحق، وكان " نبيا " معظما مبجلا مؤيدا
بالمعجزات الباهرة. ثم أخبر تعالى أنه رفعه مكانا عليا. قال انس بن مالك: رفعه الله
إلى السماء الرابعة. وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وبه قال كعب ومجاهد: وأبو
سعيد

الخدري. وقال ابن عباس والضحاك: رفعه الله إلى السماء السادسة.
واصل الرفع جعل الشيء في جهة العلو، وهي نقيض السفلى، يقال: رفعه
يرفعه رفعا، فهو رافع وذاك مرفوع. والعلي العظيم العلو والعالي العظيم فيما يقدر به
على الأمور، فلذلك وصف تعالى بأنه علي. والفرق بين العلي والرفيع أن العلي قد
يكون بمعنى الاقتدار وعلو المكان. و (الرفيع) من رفع المكان لا غير. ولذلك

لا يوصف تعالى بأنه رفيع. وقوله " رفيع الدرجات " (١) إنما وصف الدرجات بأنها رفيعة. وإنما أخذ من علو معنى الصفة بالاقتدار، لأنها بمنزلة العالي المكان. ثم اخبر تعالى عن الأنبياء الذين تقدم وصفهم فقال " أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين " فان حملنا (من) على التبويض لم تدل على أن من عداهم لم ينعم عليهم، بل لا يمتنع أن يكون إنما أفردهم بأنه أنعم عليهم نعمة مخصوصة عظيمة رفيعة، وإن كان غيرهم أيضا قد أنعم عليهم بنعمة دونها. وإن حملنا (من) على أنها لتبيين الصفة لم يكن فيه شبهة، لان معنى الآية يكون أولئك الذين أنعم الله عليهم من جملة النبيين.

وقوله " من ذرية آدم " (لان الله تعالى بعث رسلا ليسوا من ذرية آدم بل هم من الملائكة كما قال " يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس " (٢) وقوله " وممن حملنا " في السفينة " مع نوح " أي أبوهم نوح وهو من ذرية آدم كما قال (٣) " ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل " يعنى يعقوب " وممن هدينا " هم إلى الطاعات فاهتدوا إليها واجتنبناهم أي اخترناهم واصطفيناهم " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن " أي أعلامه وأدلتها " خروا سجدا وبكيا " أي سجدوا له تعالى وبكوا، وبكى جمع بك ونصبهما على الحال، وتقديره: خروا ساجدين باكين. وبكى (فعل) ويجوز أن يكون جمع بك على

(فعل). ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى البكاء. قال الزجاج: لا يجوز نصب على المصدر، لأنه عطف على قوله " سجدا ". وإنما فرق ذكر نسبهم، وكلهم لآدم، لبيان مراتبهم في شرف النسب، فكان لإدريس شرف القرب من آدم، لأنه جد نوح. وكان إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح. وكان إسماعيل

(١) سورة ٤٠ المؤمن آية ١٥
(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥
(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم، لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم، وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل، لأن مريم من ذريته. وقيل إنما وصف الله هؤلاء الأنبياء ليقتد بهم ويتبع آثارهم في أعمال الخير ثم أخبر تعالى أنه خلف من بعد المذكورين خلف. والخلف - بفتح اللام - يستعمل في الصالحين، وبتسكين اللام في الطالح قال لييد: ذهب الذين يعاش في أكنافهم* وبقيت في خلف كجلد الأجر (١) وقال الفراء والزجاج: يستعمل كل واحد منهما في الآخر. وفي الآية دلالة على أن المراد بالخلف من لم يكن صالحاً، لأنه قال "أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات" وقال القرطبي: تركوها. وقال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز: أخروها عن مواقيتها. وهو الذي رواه أصحابنا. وقال قوم خلف - بفتح اللام - إذا خلف من كان من أهله - وبسكون اللام - إذا كان من غير أهله. ثم قال تعالى "فسوف يلقون غيا" والغى الشر والخيبة - في قول ابن عباس وابن زيد - قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس امره* ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً (٢)
أي من يخب. وقال عبد الله بن مسعود: الغي واد في جهنم. وقيل معناه يلقون مجازاة غيهم. ثم استثنى من جملتهم من يتوب فيما بعد ويرجع إلى الله ويؤمن به ويصدق أنبياءه، ويعمل الأعمال الصالحة من الواجبات والمندوبات، ويترك القبائح فان "أولئك يدخلون الجنة" من ضم الياء أراد أن الله يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها، فضم لقوله "ولا يظلمون" ليتطابق اللفظان. ومن فتح الياء أراد أنهم

(١) مر تخريجه ٥ / ٢٥ من هذا الكتاب

(٢) مر هذا البيت في ٢ / ٣١٢، ٤ / ٣٩١، ٥ / ٥٤٨ / ٦ / ٣٣٦

يدخلون بأمر الله. والمعنيان واحد. وقوله " ولا يظلمون شيئاً " معناه لا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفر عليهم على التمام والوفاء. قوله تعالى:

(جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً (٦١) لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً (٦٣) وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً (٦٤) رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

" جنات " في موضع نصب بدلا من قوله " الجنة " في قوله " يدخلون الجنة " وكان يجوز الرفع بتقدير هي جنات. والجنة البستان الذي يحنه الشجر، فإذا لم يكن في البستان شجر، ويكون من خضرة، فهو روضة، ولا يسمى جنة. وإنما قيل " جنات " على لفظ الجمع، لأن كان واحد من المؤمنين له جنة تجمعها الجنة العظمى. والعدن الإقامة يقال: عدن بالمكان يعدن عدنا إذا أقام به. والإقامة كون بالمكان على مرور الأزمان. والوعد الاخبار بما يتضمن فعل الخير، ونقيضه الوعيد، وهو الاخبار عن فعل الشر. وقد يقال: وعدته بالشر، ووعدته بالخير، وأوعدته بالشر. وأوعدته

لا يكون إلا في الشر، والمراد بالوعد - ههنا - الموعد. ومعنى مأتيا مفعولا. ويجوز في مثل

هذا (أتيا) و (مأتيا) لأن ما أتيته، فقد أتاك وما أتاك فقد أتيته، كما يقال أتيت على خمسين سنة وأتت علي خمسون سنة. وقيل معناه إنه كقولك أتيت خير فلان وأتاني خير فلان.

وقوله " بالغيب " معناه أن الجنة التي وعدهم بها ليست حاضرة عندهم بل هي غائبة. وقوله " لا يسمعون فيها لغوا " معناه لا يسمعون في تلك الجنة القول الذي لا معنى له يستفاد، وهو اللغو. وقد يكون اللغو الهذر من الكلام. واللغو، واللغا بمعنى واحد قال الشاعر:

عن اللغا ورث التكلم (١)

وقوله " إلا سلاما " يعني لكن سلاما وتحية من بعضهم لبعض، قال أبو عبيدة: تقديره لا يسمعون فيها لغوا إلا أنهم يسمعون سلاما. وقال الزجاج: المعنى لا يسمعون كلاما يؤثمهم إلا كلاما يسلمهم، فيكون استثناء منقطعا.

وقوله " ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " قيل معناه في مقدار اليوم من أيام الدنيا، فذكر (الغداة والعشي) ليدل على المقدار، لأنه ليس في الجنة ليل، ولا نهار، وقيل: إنما ذكر ذلك، لأن أسلم الا كلات اكلة الغداة والعشي، فهو أسلم من الاكل دائما أي وقت وجده، أو تكون اكلته واحدة.

وقوله " تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا " معناه إنما نملك تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا بترك المعاصي، وفعل الطاعات. وإنما قال " نورث " مع أنه

ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم، لأنه مشبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا، كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا.

(١) مر تخريجه في ٢ / ١٣٢، ١٦٤، ٢٣٠

وقيل: انه أورثهم من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.
وقوله " وما نتنزل إلا بأمر ربك " قيل في معناه أن النبي صلى الله عليه وآله استبطأ
جبرائيل (ع) فقال (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فاتاه بهذا الجواب
وحيا من الله بأننا لا نتنزل إلا بأمر الله، وهو قول ابن عباس والربيع وقتادة والضحاك
ومجاهد وإبراهيم.

وقوله " له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك " قال ابن عباس والربيع
وقتادة والضحاك وأبو العالية: له ما بين أيدينا: الدنيا، وما خلفنا: الآخرة، وما بين
ذلك: ما بين النفختين.

وقوله " وما كان ربك نسيا " أي ليس الله تعالى ممن ينسى ويخرج عن كونه
عالما، لأنه عالم لنفسه، وتقديره - ههنا - وما نسيتك وإن أخر الوحي عنك.
وقوله " رب السماوات والأرض " معناه إن الله تعالى هو المالك المتصرف في
السماوات والأرض، ليس لأحد منعه منه " وما بينهما " يعني وله ما بين
السماوات والأرض.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فاعبد " وحده لا شريك له " واصطبر لعبادته " أي اصبر
على تحمل مشقة عبادته، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله " هل تعلم له سميا " أي مثلا
وشبها. وهو

قول ابن عباس ومجاهد وابن جريج. وقيل المعنى انه لا يستحق أحد ان يسمى إلها
إلا هو. ومن أدغم اللام في التاء، فلان مخرج اللام قريب من مخرج التاء. وقال أبو
علي: ادغام اللام في الطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين جائز لقرب مخرج
بعضها من بعض.

قوله تعالى:

(ويقول الانسان إذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا
يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك
لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨)
ثم لننزعن من كل شیعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩)
ثم لنحن أعلم بالذین هم أولى بها صلیا) (٧٠) خمس آیات
بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم " أولا يذكر " خفيفا. الباقون بالتشديد. من شدد:
أراد أولا يتذكر، فادغم التاء في الذال لقرب مخرجيهما. ومن خفف، فلقوله " فمن
شاء ذكره " (١) والخفيفة دون ذلك في الكثرة في هذا المعنى. هذا حكاية من الله
تعالى عن قول من ينكر البعث والنشور من الكفار، وهم المعنيون بقوله " أولا يذكر
الانسان " بأنهم يقولون على وجه الإنكار والاستبعاد: أ إذا متنا يخرجنا الله احياء
ويعيدنا كما كنا؟! فقال الله تعالى منبها على دليل ذلك " أولا يذكر الانسان ".
من شدد أراد أولا يتفكر، ومن خفف أراد أولا يعلم " أنا خلقناه من قبل " هذا " ولم
يك شيئا " موجودا، فمن قدر على أن يخلق ويوجد ما ليس بشيء، فيجعله شيئا
موجودا، فهو على إعادته بعد عدمه إلى الحالة الأولى أقدر.
ثم اقسم تعالى فقال " فو ربك لنحشرنهم " أي لنبعثنهم من قبورهم مقرنين

(١) سورة ٧٤ المدثر آية ٥٥ وسورة ٨٠ عبس آية ١٢

بأوليائهم من الشياطين. ويحتمل (الشياطين) أن يكون نصبا من وجهين:
أحدهما - أن يكون مفعولا به بمعنى ونحشر الشياطين.

الثاني - أن يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين " ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا " جمع جائي وهو الذي برك على ركبتيه. وقوله " ثم لنزعن عن من كل شيعة أيهم
أشد على الرحمن عتيا " يعني تمردا أي نبداً بالأكبر جرماً فالأكبر، في قول أبي الأحوص
، ومجاهد. والشيعة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور، ومنه تشاييع القوم
إذا تعاونوا، ويقال للشجاع: شيع أي معان، وفي رفع (أيهم) ثلاثة أقوال:

أولها الحكاية على تقدير، فيقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا؟ فليخرج.
الثاني - انه مبني على الضم، ومعناه الذي هو أشد على الرحمن عتيا، إلا أنه مبني
لما حذف منه (هو)، واطرد الحذف به فصار كبعض الاسم. فالأول قول الخليل.
والثاني مذهب سيبويه.

والثالث - أن يكون (لنزعن) معلقة كتعليق علمت أيهم في الدار، وهو قول
يونس. وأجاز سيبويه النصب على أن يكون (أي) بمعنى الذي. وذكر انها قراءة
هارون الأعرج.

وقوله " ولم يك شيئا " أي لم يكن شيئا موجودا كائنا. ثم أخبر تعالى أنه اعلم
بالذين عملوا المعاصي وارتكبوا الكفر والكبائر، والذين هم أولى بالنار صلياً، لا يخفى
عليه خافية.

قوله تعالى:

(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى

عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين
خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم
أحسن أثاثا ورثيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا (٧٥) حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة
فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٦) خمس آيات.

قرأ نافع وابن عامر "وريا" بغير همز. الباقون بهمز، من همز فمعناه المنظر الحسن
(فعل) من الرؤية، ومن لم يهمز احتمال أن يكون خفف الهمزة كما قالوا في البريئة بريئة
ويحتمل أن يكون مأخوذا من الري، وهو امتلاء الشباب والنظارة، أي ترى الري في
وجوههم. وقرأ سعيد بن جبير "وريا" جعله من الري وقرأ بالزاي، ومعناه ما يتزيا به.
وقرأ ابن كثير "مقاما" - بضم الميم - الباقون بفتحها. فالمقام - بضم الميم -
مصدر الإقامة. وفتحها المكان، كقوله "مقام إبراهيم" (١) وقرأ يعقوب الحضرمي
وعاصم والجحدري وابن أبي ليلى وابن عباس "ثم ننجي" بفتح التاء بمعنى هناك
ننجي المتقين. والباقون (ثم) بضم التاء حرف عطف.
يقول الله تعالى للمكلفين انه ليس منكم أحد إلا وهو يرد جهنم، فان الكناية
في قوله "إلا واردها" راجعة إلى جهنم بلا خلاف، إلا قول مجاهد، فإنه قال: هي كناية
عن الحمى والأمراض. وروى في ذلك خبرا عن النبي صلى الله عليه وآله عن أبي هريرة.
وقال

قوم: هو كناية عن القيامة. وأقوى الأقوال الأول، لقوله تعالى "ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" يعني في جهنم.

(١) سورة آل عمران آية ٩٧

واختلفوا في كيفية ورودهم إليها، فقال قوم - وهو الصحيح - : إن ورودهم هو وصولهم إليها واشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأن الورد في اللغة هو الوصول إلى المكان. واصله ورود الماء، وهو خلاف الصدور عنه. ويقال: ورد الخبر بكذا، تشبيهاً بذلك. ويدل على أن الورد هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى " ولما ورد ماء مدين " وأراد وصل إليه. وقال زهير: فلما وردن الماء زرقا جمامه* وضعن عصي الحاضر المتخيم (١) وقال قتادة وعبد الله بن مسعود: ورودهم إليها، هو ممرهم عليها. وقال عكرمة يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين. وقال قوم شذاذ: ورودهم إليها: دخولهم فيها ولو تحلة القسم. روي ذلك عن ابن عباس وكان من دعائه: اللهم أزحني من النار سالما وادخلني الجنة غانما. وهذا الوجه بعيد، لأن الله قال " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " (٢) فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يكون بعيدا من النار، فيكف يكون مبعدا منها مع أنه يدخلها. وذلك متناقض، فإذا المعني بورودهم أشرافهم عليها، ووصولهم إليها. وقوله " كان على ربك حتما مقضيا " معناه إن ورودهم إلى جهنم على ما فسرناه حتم من الله وقضاء قضاه لا بد من كونه. والحتم القطع بالامر، وذلك حتم من الله قاطع. والحتم والجزم والقطع بالامر معناه واحد. والمقضي الذي قضى بأنه يكون. ثم قال تعالى " ثم نبخي الذين اتقوا " معاصي الله وفعلوا طاعاته من دخول النار " ونذر الظالمين " أي ندعهم فيها ونقرهم على حالهم " جثيا " باركين على ركبهم " في جهنم ". ثم قال " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات " أي إذا قرئت على المشركين

(١) هو زهير ابن أبي سلمى. ديوانه (دار بيروت): ٧٨

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ١٠١

أدلة الله الظاهرة وحججه الواضحة " قال الذين كفروا " بوحدانيته ووجدوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار عليهم " أي الفرقين خير مقاما " أي منزل إقامة في الجنة أو في النار " وأحسن نديا " أي مجلسا وقيل معناه أوسع مجلسا وأحسن نديا، فالندي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله، يقال: ندوت القوم اندوهم ندوا إذا جمعتهم في مجلس. وفلان في ندى قومه وناديهم بمعنى واحد واصله مجلس الندى وهو الكرم، وقال حاتم: ودعوت في أولى الندي ولم * ينظر إلي بأعين خزر (١) والمراد بالفريقين فريق المشركون وفريق المؤمنين، فيفتخرون على المؤمنين بكثرة نعمهم وحسن أحوالهم وحال مجلسهم، فقال الله تعالى " وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا " والإناث المتاع والرثي المنظر، وهو قول ابن عباس. وقال ابن الأحمر: واحد الأثاث أثاثه كحمام وحمامة. وقال الفراء: لا واحد له، ويجمع اثة وأث. ويجوز في " رثيا " ثلاثة أوجه في العربية: رثيا بالهمز قبل الياء، ورثيا بياء قبل الهمزة وهو على قولهم راعني علي وزن راعني، ورثيا بترك الهمزة - في قول الزجاج - ويجوز أن يكون من الزاي انشد لابن دريد: أهاجتك الضغائن يوم بانوا * بذى الزي الجميل من الأثاث (٢) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " يا محمد " من كان في الضلالة " عن الحق والعدول عن اتباعه " فليمدد له الرحمن مدا " أي يمددهم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، كما قال " ويمدهم في طغيانهم يعمهون " (٣) وإنما ذكر بلفظ الامر ليكون

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٧٧، واللسان (خزر)

(٢) القرطبي ١١ / ١٤٣ والشوكاني ٣ / ٣٣٦ وقد نسبوه إلى (محمد بن نمير الثقفي) وروايته (اشاقتك) ويمكن أن يكون هذا غير ذلك.

(٣) سورة ٢ البقرة آية ١٥

أكد كأنه ألزم نفسه إلزاما كما يقول القائل: أمر نفسي، ويقول من زارني فلا كرمه، فيكون الزم من قوله أكرمه. ويجوز أن يكون أراد " فليمدد له الرحمن مدا " في عذابهم في النار، كما قال " ونمد له من العذاب مدا " (١) وقوله " حتى إذا رأوا ما يوعدون " أي شاهدوا ما وعدهم الله به " إما العذاب " والعقوبة على المعاصي " وإما " القيامة والمجازاة لكل أحد على ما يستحقه " فسيعلمون " حينئذ ويتحققون " من هو شر مكانا وأضعف جندا " الكفار أم المؤمنين. وفي ذلك غاية التهديد في كونهم على ما هم عليه. وقيل العذاب - ههنا - المراد به ما وعد المؤمنون به من نصرهم على الكفار فيعذبونهم قتلا وأسرا، فسيعلمون بالنصر والقتل أنهم أضعف جندا من جند النبي والمسلمين، ويعلمون بمكانهم من جهنم ومكان المؤمنين من الجنة، من هو شر مكانا. قوله تعالى:

(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوبا مردا (٧٧) أفرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لأوتين مالا وولدا (٧٨) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن
عهدا (٧٩) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٨٠)
ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨١) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى انه " يزيد الذين اهتدوا " إلى طاعة الله واجتناب معاصيه

(١) سورة ١٩ مريم آية ٨٠.

" هدى " ووجه الزيادة لهم فيه ان يفعل بهم الألفاظ التي يستكثرون عندها الطاعات بما يبينه لهم من وجه الدلالات والأمور التي تدعوا إلى أفعال الخيرات. وقيل: زيادة الهدى هو بايمانهم بالناسخ والمنسوخ. وأخبر تعالى أن " الباقيات الصالحات " وهي فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المعاصي. وقيل: هو قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، وروي عن أبي عبد الله (ع) أن الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء في الأسحار. وسميت باقيات بمعنى أن منافعتها تبقى وتنفع أهلها في الدنيا والآخرة، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط. وقوله " خير عند ربك ثوابا " أي أكثر ثوابا من غيرها. وقيل معناه خير ثوابا من مقامات الكفار التي لها عندهم الافتخار. وقيل: خير من أعمال الكفار على تقدير: إن كان فيها خير. وقوله " وخير مردا " أي خير نعيما ترده الباقيات الصالحات على صاحبه، كأنه ذاهب عنه لفقده له، فترده عليه حتى يجده في نفسه. وقوله " أرأيت الذي كفر بآياتنا، وقال لأوتين مالا وولدا " قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي - في قول ابن عباس، وخباب ابن الأرت، ومجاهد - وقال الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة، فإنه قال - استهزاء - لأوتين مالا وولدا في الجنة، ذكره الكبي. وقيل أراد في الدنيا، يعني إن أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي " لأوتين مالا وولدا ".

وقرأ حمزة والكسائي " وولدا " بضم الواو. الباقيات بفتحها. وقيل في ذلك قولان:

أحدهما - انهما لغتان كالعدم والعدم، والحزن والحزن، قال الشاعر:

فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمارا (١)

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٨١ والقرطبي ١١ / ١٤٦، ١٥٥ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣٣٧

وقال الحارث بن حلزة:
ولقد رأيت معاشرًا * قد ثَمروا مالا وولدا (١)
وقال رؤبة:

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا (٢)
والثاني - إن (قيسا) تجعل (الولد) بالضم جمعا، وبالفتح واحدا، كقولهم: أسد
واسد، ووشن ووشن.

فقال الله تعالى " اطلع الغيب " أي اشرف على علم الغيب وعرفه حتى قال ما
قال؟! وهذه الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المكسورة فسقطت المكسورة مثل
" أصطفى البنات على البنين " (٣) وقوله " أم اتخذ عند الرحمن عهدا " قال قتادة:
معناه اتخذ عهدا للرحمن بعد صالح قدمه؟. وقال غيره: معناه " أم اتخذ عند الرحمن
عهدا " أي قولا قدمه إليه بما ذكره.

ثم قال تعالى " كلا " أي حقا وهو قسم " سنكتب ما يقول " أي نثبت له ليوافق
عليه يوم القيامة " ونمد له من العذاب مدا " أي نؤخر عنه عذابه، ولا نعاجله.
ويجوز أن يكون المراد إنا نطيل عذابه.

وقوله " ونرثه ما يقول " قال ابن عباس وقتادة وابن زيد: نرثه نحن المال
والولد بعد اهلا كنا إياه وإبطالنا ما ملكناه " ويأتينا فردا " أي يجيئنا يوم القيامة
فردا لا أحد معه، ولا شيء يصحبه.
قوله تعالى:

(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨٢) كلا

(١) نفس المصادر المتقدمة في الصفحة قبلها

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٨١

(٣) سورة ٣٧ (الصافات) آية ١٥٣

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٣) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٤) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٥) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٦) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ان نهيك " كلا سيكفرون " - بضم الكاف - بمعنى جميعا سيكفرون. الباقون بفتح الكاف.

اخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم ووصفهم بأنهم " اتخذوا من دون الله آلهة " عبدوها ووجهوا عبادتهم نحوها " ليكونوا لهم عزا " والاتخاذ اعداد الشيء ليأتيه في العاقبة، فهؤلاء اتخذوا الآلهة ليصيروا إلى العز فصاروا بذلك إلى الذل، فسخط الله عليهم وأذلهم. والعز الامتناع من الضيم عز يعز عزا، فهو عزيز أي منيع من أن ينال بسوء. فقال الله تعالى " كلا سيكفرون بعبادتهم " أي حقا ليس الامر على ما قالوه بل سيكفرون بعبادتهم. وقيل في معناه قولان: أحدهما - إن معناه سيجحدون أن يكونوا عبدوها، لما يرون من سوء عاقبتها. وهذا جواب من أجاز وقوع القبائح والكذب من أهل الآخرة. الثاني - سيكفروا ما اتخذوه آلهة بعبادة المشركين لها، كما قال الله تعالى " تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون " (١) أي بأمرنا وإرادتنا " ويكونون عليهم ضدا " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - قال مجاهد: يكونون عوناً في خصومتهم وتكذيبهم.

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٦٣

الثاني - قال قتادة يكونون قرناءهم في النار يلعنونهم ويتبرؤون منهم.
ثم قال تعالى لنبه صلى الله عليه وآله (ألم تر) يا محمد (أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين).

أي لما سلط الكفار الشياطين على نفوسهم وقبلوا منهم واتبعوهم خلى بينهم وبينهم حتى اغووهم، ولم نحل بينهم بالالقاء، ولا بالمنع، وعبر عن ذلك بالارسال على ضرب من المجاز. ومثله قوله (فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) (١) ويحتمل أن يكون أراد به يرسل الشياطين عليهم في النار بعد موتهم يعذبوهم ويلعنونهم، كما قال (فو ربك لنحشرنهم والشياطين) (٢) ويقال أرسلت الباز والكلب على الصيد إذا خلّيت بينه وبينه. وقوله "تؤزهم أزا" أي تزعجهم إزعاجا. والازعاج إلى الامر، أزه أزا وأزيزا إذا هزه بالازعاج إلى أمر من الأمور.

ثم قال تعالى "فلا تعجل" على هؤلاء الكفار "إنما نعد لهم عدا" الأيام والسنين. وقيل الأنفاس.

وقوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذكر يوم نحشر الذين اتقوا معاصي الله وفعلوا طاعاته إلى الرحمن وفدا أي ركبانا في قدومهم، ووجد لأنه مصدر وفد، ويجمع وفودا، تقول: وفدت أفد وفدا فأنا وافد. وقيل: انهم يؤتون بنوق لم ير مثلها، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يصيروا إلى أبواب الجنة - في قول ابن عباس - وقيل: معناه يحشرهم الله جماعة جماعة. قوله تعالى:

(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (٧٨) لا يملكون

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ٤٢

(٢) سورة ١٩ مريم آية ٦٨

الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٨) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٩) لقد جئتم شيئا إذا (٩٠) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩١) أن دعوا للرحمن ولدا (٩٢) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٣) سبع آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي ونافع (يكاد) بالياء. الباؤون بالتاء. وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وحفص (يتفطرن) بياء وتاء من: تفطر يتفطر تفطرا. الباؤون (ينفطرن) من انفطر كقوله (إذا السماء انفطرت). وتفطر مطاوع فطر. والتشديد يفيد التكثير اخبر الله تعالى أنه يسوق المجرمين إلى جهنم وردا يوم القيامة. والسوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقا، فهو سائق ومنه الساق، لاستمرار السير بها، ومنه السوق لأنه يساق به البيع والشراء شيئا بعد شيء. وقال الفراء: يسوقهم مشاة. وقال الأخفش: عطاشا. وقيل افرادا. ومعنى (وردا) أي عطاشا. كالإبل التي ترد عطاشا الماء، إلا أن هؤلاء يمنعون منه، لأنه لا يشرب من الحوض الا مؤمن. وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة.

وقوله (لا يملكون الشفاعة) أي لا يقدرُونَ عليها، والملك القدرة على ماله التصرف فيه أن يصرفه أتم التصريف في الحقيقة أو الحكم. وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي عملا صالحا - في قول ابن جريج - فموضع (من) نصب على أنه استثناء منقطع، لان المؤمن ليس من المجرمين. وقد قيل: انه نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المتقون الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن

عهدا. والعهد المراد به الايمان. والاقرار بوحدانيته وتصديق أنبيائه، فان الكفار لا يشفع لهم. وقال الزجاج (من) في موضع رفع بدلا من الواو والنون في قوله (لا يملكون الشفاعة). والمعنى لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو الايمان.

ثم اخبر تعالى عن الكفار بأنهم (قالوا اتخذ الرحمن ولدا) كما قال النصارى: إن المسيح ابن الله، واليهود قالت عزيز ابن الله. فقال الله لهم على وجه القسم (لقد جئتم بهذا القول (شيئا إذا) أي منكرا عظيما - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد، قال الراجز:

لقد لقي الاعداء مني نكرا * داهية دهياء إذا إمرا (١)
وقال الآخر:

في لهب منه وحبل إد (٢)

ثم قال تعالى تعظيما لهذا القول " تكاد السماوات " وقرئ بالتاء والياء. فمن قرأ بالتاء فلتأنيث السماوات ومن ذكر، فلان التأنيث غير حقيقي. وقال أبو الحسن: معنى تكاد السماوات تريد كقوله " كدنا ليوسف " أي أردنا، وانشد:
كادت وكدت وتلك خير إرادة * لو عاد من لهو الصبابة ما مضى (٣)
ومثله قوله تعالى (أكاد أخفيها) أي أريد ومعنى (تكاد) في الآية تقرب لان السماوات لا يجوز ان ينفطرن ولا يردن لذلك، ولكن هممن بذلك، وقربن منه اعظاما لقول المشركين. وقال قوم: معناه على وجه المثل، لان العرب تقول إذا أرادت امرا عظيما منكرا: كادت السماء تنشق والأرض تنخسف، وأن يقع السقف.

(١) مر تخريجه في ٧ / ٧٣ من هذا الكتاب

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٨٦

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ١٨٤ وهو في مجمع البيان ٣ / ٥٣٠

فلما افترؤا على الله الكذب، ضرب الله المثل لكذبهم بأهول الأشياء، وقريب من هذا قول الشاعر:

ألم تر صدعا في السماء مبينا * على ابن لبني الحارث بن هشام (١)
وقريب منه أيضا قول الشاعر:

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كان الأرض ليس بها هشام (٢)
وقال آخر:

بكا حارث الجولان من فقد ربه * وهوران منه خاشع متضائل (٣)
وقال آخر:

لما اتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجمال الخشع (٤)
وقال قوم: المعنى لو كان شئ يتفطر استعظاما لما يجري من الباطل لتفطرت
السموات والأرض استعظاما، واستنكارا لما يضيفونه إلى الله تعالى من اتخاذ الولد،
ومثله قوله " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " (٥) ومعنى يتفطرن يتشققن والانفطار
الانشقاق في قول ابن جريج، يقال: فطر ناب البعير إذا انشق، وقرئ ينفطرن
بمعنى يتشققن منه، يعني من قولهم اتخذ الرحمن ولدا، والمراد بذلك تعظيما واستنكارا
لهذا القول، وأنه لو كانت السماوات يتفطرن تعظيما لقول باطل لانشقت لهذا القول،
ولو كانت الجبال تخر لامر، لخرت لهذا القول. و (الهد) تهدم بشدة صوت.
وقوله " أن دعوا للرحمن ولدا " أي لان دعوا، أو من أن دعوا، أو المعنى
ان السماوات تكاد ينفطرن والجبال تنهد والأرض تنشق لدعواهم لله ولدا، أي

(١) مر هذا البيت في ٦ / ٣٠٧

(٢) مجمع البيان ٣ / ٥٣٠

(٣) مر تخريجه في ٦ / ٣٠٧

(٤) مر تخريجه في ١ / ٢٠٤، ٣١٢

(٥) سورة ١٣ الرعد آية ٣٣

لتسميتهم له ولدا، فهؤلاء سموا لله ولدا كما جعلوا المسيح ابن الله. والمشركون جعلوا الملائكة بنات الله. وقيل: معناه ان جعلوا للرحمن ولدا، لان الولد يستحيل عليه تعالى. ثم اخبر تعالى انه لا ينبغي له ان يتخذ ولدا، ولا يصلح له، كما يقال ابن احمر: في رأس حلقاء من عنقاء مشرفة* ما ينبغي دونها سهل ولا جبل (١) وقال الآخر في الدعاء بمعنى التسمية: ألا رب من تدعوا نصيحا وإن تغب* تجده بغيب غير منتصح الصدر (٢) وقال ابن احمر أيضا: هوى لها مشقضا حشرا فشبرقها* وكنت ادعوا قذاها الإثم الفرد (٣) قوله تعالى: (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (٩٤) لقد أحصيتهم وعدتهم عدا (٩٥) وكلهم آتية يوم القيمة فردا (٩٦) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٧) فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (٩٨) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) (٩٩) ست آيات بلا خلاف.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٥٦، ٨٧

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٨٧

(٣) تفسير الطبري ١٦ / ٨٧.

يقول الله تعالى ليس كل من في السماوات والأرض من العقلاء إلا وهو يأتي الرحمن عبدا مملوكا لا يمكنهم جحده، ولا الامتناع منه، لأنه يملك التصرف فيهم كيف شاء. ثم قال تعالى إنه " قد أحصاهم وعدهم عدا " أي علم تفاصيلهم وأعدادهم فكأنه عددهم، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم. ثم قال: وجميعهم يأتي الله يوم القيامة فردا مفردا، لا أحد معه ولا ناصر له ولا أعوان، لأن كل أحد مشغول بنفسه لا يهتمهم غيره. ثم قال تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات " أي آمنوا بالله ووجدانيته وصدقوا أنبياءه، وعملوا بالطاعات سيجعل الله لهم ودا أي سيجعل بعضهم يحب بعضا، وفي ذلك أعظم السرور وأتم النعمة، لأنها كمحبة الوالد لولده البار به. وقال ابن عباس ومجاهد: " سيجعل لهم الرحمن ودا " في الدنيا. وقال الربيع بن أنس إذا أحب الله عبدا طرح محبته في قلوب أهل السماء، وفي قلوب أهل الأرض. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " إنما يسرناه بلسانك " يعني القرآن " لتبشر به المتقين " لمعاصي الله

بالجنة " وتنذر به " أي تخوف به (قوما لدا) أي قوما ذوي جدل مخاصمين - في قول قتادة - وهو من اللدد، وهو شدة الخصومة، ومنه تعالى " وهو ألد الخصام " (١) أي أشد الخصام خصومة وهو جمع ألد. ك (أصم، وصم) قال الشاعر:
 إن تحت الأحجار حزما وعزما * وخصيما ألد ذا معلاق (٢)
 ثم أخبر الله تعالى فقال " وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد " أي هل تدرك أحدا منهم " أو تسمع لهم ركزا " قال ابن عباس وقتادة والضحاك: الركز الصوت. وقال ابن زيد: هو الحس، والمراد - ههنا - الصوت، ومنه الركاز، لأنه يحس به حال من تقدم بالكشف عنه، قال الشاعر:

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٠٤

(٢) قائله المهلهل. اللسان (علق) ورايته (وجودا) بدل (وعزما)

فتوجست ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها (١)
والمعنى: إنا قد أهلكنا أمما كثيرة أعظم منهم كثرة، وأكثر أموالا وأشد خصاما
فلم يغنهم ذلك لما أردنا اهلاكهم، فكيف ينفع هؤلاء ذلك، وهم أضعف منهم في جميع
الوجوه، وبين ان حكم هؤلاء حكم أولئك في أن لا يبقى لهم عين ولا اثر.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٨٩

(١٥٥)

٢٠ - سورة طه

وهي مكية في قول قتادة ومجاهد. وهي مائة وخمسة وثلاثون آية في الكوفي وأربع في المدنيين واثنان في البصري.

بسم الله الرحمن الرحيم

(طه) (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة

لمن يخشى (٣) تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى (٤)

الرحمن على العرش استوى (٥)

خمس آيات في الكوفي، لأنهم عدوا (طه) آية وأربع في الباقيين.

قرأ ابن عمرو (طه) بفتح الطاء وإمالة الهاء. وقرأ حمزة والكسائي وخلف

وأبو بكر إلا الأعشى والبرجمي بإمالتهم. الباقيون بفتحهما. وقرأ عيسى بن عمر ضد

قراءة أبي عمرو - بكسر الطاء وفتح الهاء - وقرأ الحسن باسكان الهاء، وفسره يا رجل.

وقرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف، ورواه الأصمعي عن نافع، وروي عن نافع بين

الكسر والفتح في الحرفين، وروي الفتح فيهما، وهو الأظهر.
فمن فخم فلأنها لغة النبي صلى الله عليه وآله وهي لغة أهل الحجاز، ومن أmaal، فهو حسن. قال أبو عمرو: أملت الهاء لثلاث تلبيس بهاء الكناية. وقد بينا في أول سورة البقرة معنى أوائل السور واختلاف الناس فيه، وأن أقوى ما قيل فيه: إنها أسماء للسور ومفتاح لها. وقال قوم: هو اختصار من كلام خص بعلمه النبي صلى الله عليه وآله. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد: معنى (طه) بالسريانية يا رجل. ومنهم من قال هو بالنبطية. وقال الحسن: هو جواب المشركين لما قالوا: انه شقي فقال الله تعالى يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وقيل: إن طه بمعنى يا رجل في لغة عك وانشد لمتمم بن نويرة:
هتفت بطه في القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا (١)
وقال آخر:
إن السفاهة طه من خلائكم * لا بارك الله في القوم الملائعين (٢)
ومن قرأ (طه) بتسكين الهاء تحتمل قراءته أمرين:
أحدهما - أن تكون الهاء بدلا من همزة طاء، كقولهم في أرقب هرقب، والآخر أن يكون على ترك الهمز (ط) يا رجل، وتدخل الهاء للوقف. والشقاء استمرار ما يشق على النفس، يقال: شقي يشقى شقا، وهو شقي ونقيض الشقاء السعادة. وقيل في قوله " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " قولان:
أحدهما - قال مجاهد وقتادة: إنه نزل بسبب ما كان يلقي من التعب والسهر في قيام الليل.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٠ والقرطبي ١١ / ١٦٥ والشوكاني ٣ / ٣٤٣

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٩٠ والقرطبي ١١ / ١٦٦ والكشاف ٣ / ٣٩

والثاني - قال الحسن: انه جواب للمشركين لما قالوا: انه شقي. وقوله "إلا تذكرة لمن يخشى" معناه لكن أنزلناه تذكرة أي ليتذكر به من يخشى الله ويخاف عقابه، يقال: ذكره تذكيرا وتذكرة، ومثله "وما لاحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى" (١) أي لكن ابتغاء وجه ربه، وما فعله إلا ابتغاء وجه ربه، ومثله قول القائل: ما جئت لأسوءك إلا إكراما لزيد، يريد ما جئت إلا إكراما لزيد، وكذلك المصادر التي تكون عللا لوقوع الشيء نحو جئتك ابتغاء الخير أي لا ابتغاء الخير. وقوله "تنزيلا ممن" معناه نزل تنزيلا. وقيل تقديره "إلا تذكرة... تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى" أي أبدعهن وأحدثهن و"العلی" جمع عليا، مثل ظلمة وظلم، وركبة وركب، ومثل الدنيا والدني. والقصوى والقصي.

وقوله "الرحمن" رفع بأنه خبر مبتدأ، لأنه لما قال "تنزيلا ممن خلق" بينه فكأنه قال: هو الرحمن، كقوله "بشر من ذلكم النار" (٢) وقال أبو عبيدة: تقديره "ما أنزلنا عليك القرآن... إلا تذكرة لمن يخشى" لا لتشقى. (ويحتمل أن يكون المراد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (٣) وما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

"الرحمن على العرش استوى" قيل في معناه قولان: أحدهما - انه استولى عليه، وقد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك.

الثاني - قال الحسن "استوى" لطفه وتديبه، وقد ذكرنا ذلك أيضا فيما مضى، وأوردنا شواهد في سورة البقرة (٤) فأما الاستواء بمعنى الجلوس على الشيء

(١) سورة ٩٢ الليل آية ١٩ - ٢٠

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٢

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٤) في تفسير آية ٢٩ من سورة البقرة، المجلد الأول صفحة ١٢٤

فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفة الأجسام، والأجسام كلها محدثة. ويقال: استوى فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه أي احتوى عليه. وقال الفراء: يقال: كان الامر في بني فلان ثم استوى في بني فلان أي قصد إليهم وينشد:
أقول وقد قطعن بنا شروري * ثواني واستوين من النجوع (١)
أي خرجن واقبلن
قوله تعالى:

(له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت
الثرى (٦) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (٧) الله
لا إله إلا هو له الأسماء الحسني (٨) وهل أتيتك حديث موسى (٩)
إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني آتيكم
منها بقبس أو أجد على النار هدى) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى إن " له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى "
المعنى انه مالك لجميع الأشياء واجتزى بذكر بعض الأشياء عن ذكر البعض لدلالته عليه،
كما قال

" الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " (٢) ولم يقل وعلى ظهورهم، لان
المفهوم انهم يذكرون الله على كل حال. ومثله قوله " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (٣)

(١) لم أجده في مظانه، وهذه رواية المخطوطة. أما المطبوعة فإنها أشارت
إلى خلاف في روايته كما يلي: (ظعن) بدل (قطعن) و (سرورا) بدل (شروري)
و (سوامد) بدل (ثواني) و (الضجوع) بدل (النجوع)
(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٩١
(٣) سورة ٩ التوبة آية ٦٣

لما كان رضا أحدهما رضا الآخر، ومثله قوله " والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " (١) ولم يقل ينفقونها لدلالته على ذلك و " الثرى " التراب الندي، فله تعالى " ما تحت الثرى " إلى حيث انتهى، لأنه مالكة وخالقه ومدبره، وكل شئ ملكه يصح، والله تعالى مالكة بمعنى أن له التصرف فيه كيف شاء. وقوله " وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى " معناه وإن تجهر بالقول لحاجتك لسمعه أي تجهر به، فإنه تعالى يعلم السر وأخفى من السر. ولم يقل وأخفى منه، لأنه دال عليه، كما يقول القائل: فلان كالفيل أو أعظم، وهذا كالحبة أو أصغر. والجهر رفع الصوت يقال: جهر يجهر جهرا، فهو جاهر والصوت مجهور، وضده الهمس. و (السر) ما حدث به الانسان غيره في خفية، وأخفى منه ما أضمره في نفسه ولم يحدث به غيره - هذا قول ابن عباس - وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير: السر ما أضمره العبد في نفسه. وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد. وقال قوم: معناه يعلم السر والخفي. وضعف هذا لأنه ترك الظاهر وعدول بلفظه (أفعل) إلى غير معناها من غير ضرورة، ولأن حمله على معنى أخفى أبلغ إذا كان بمعنى أخفى من السر، فلما قول الشاعر:

تمنى رجال ان أموات وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد (٢)
إنما حمل على أن المراد (بأوحد) أحد، لان الوحدة لا يقع فيها تعاضم،
فاخرجه الشاعر مخرج ما فيه تعاضم ورد المعنى إلى الواحد. ثم اخبر تعالى بأنه " الله "
الذي تحق له العبادة " لا إله " يحق له العبادة " إلا هو له الأسماء الحسنى " وإنما
ذكر الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن، لان الأسماء مؤنثة يقع عليها (هذه) كما

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥
(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٩٣.

يقع على الجماعة (هذه) كأنه اسم واحد للجميع قال الشاعر:
وسوف يعتبنيه إن ظفرت به * رب كريم وبيض ذات أطهار (١)
وفي التنزيل " حدائق ذات بهجة " (٣) " ومآرب أخرى " (٢) فقد جاز
صفة جمع المؤنث بصفة الواحد.
وقوله وهل " اتاك حديث موسى " خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وتسلية له مما ناله
من اذى قومه. والتثبيت له بالصبر على امر ربه، كما صبر اخوه موسى (ع) حتى
نال الفوز في الدنيا والآخرة.
وقوله " إذ رأى نارا " اي حديث موسى حين رأى نارا " فقال لأهله
امكثوا " اي البثوا مكانكم " إني آنست نارا " اي رأيت نارا. والایناس وجدان
الشئ الذي يؤنس به، لأنه من الانس ويقال: آنس البازي إذا رأى صيدا
قال العجاج:
آنس خربان فضاء فانكدر
وكان في شتاء، وقد امتنع عليه القدح وضل عن الطريق، فلذلك قال " أو
أجد على النار هدى " وقوله " لعلی آتیكم منها بقبس فالبس الشعلة، وهو نار في
طرف عود أو قصبة، يقول: القائل لصاحبه: اقبسني نارا فيعطيه إياها في طرف عود
أو قصبة أي لعلی آتیكم بنار تصطلون به أو أجد من يدلني على الطريق الذي أضللناه
أو ما استدلل به عليه ويقال اقبسته نارا إذا أعطيته قبسا منها، وقبسته للعلم، فرق بين
النوعين، والأصل واحد وكلاهما يستضاء به.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٣ ومجمع البيان ٤ / ٣

(٢) سورة النمل آية ٦٠

(٣) سورة طه آية ١٨

قوله تعالى:

(فلما أتاهما نودي يا موسى (١١) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى (١٢) وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى (١٣) إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني * وأقم الصلاة لذكري (١٤) إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) (١٥) خمس آيات.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو " اني أنا ربك " بفتح الهمزة والياء. الباقون بكسرها وسكون الياء إلا نافعا فإنه فتح الياء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وحمزة والكسائي " طوى " بضم الطاء مصروفا. وروى بكسر الطاء غير مصروف أبو زيد عن أبي عمرو. وقال: هي أرض. وقرأ " وانا اخترناك " بالتشديد بألف حمزة، وأصله واننا اخترناك والنون والألف نصب ب (إن) و (ان) مع ما بعدها في موضع نصب بتقدير، نودي " إنا اخترناك ". وقرأ الباقون " وأنا اخترتك " على التوحيد ف (أنا) رفع بأنه ابتداء و " اخترتك " خبره. وفي قراءة أبي " وإنني اخترتك " فهذه تقوي قراءة حمزة والكسائي.

من لم يصرف " طوى " يجوز أن يكون اعتقد انه معدول عن (طاو) وهو معرفة، ويجوز أن يكون نكرة، لأنه اسم البقعة. يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله إن موسى (ع) لما أتى النار التي آنسها نودي، فقبل

له يا موسى، والنداء الدعاء على طريقة يا فلان، وهو مد الصوت بنداء على هذه الطريقة

يقال: صوت نداء، وذلك أنه بندائه يمتد "إني أنا ربك" فيمن فتح الهمزة. فالمعنى نودي بأني أنا، ولما حذف الباء فتح. ومن كسرهما فعلى الاستئناف أو على تقدير قيل له إني أنا ربك الذي خلقتك ودبرك "فاخلع نعليك" وإنما علم موسى (ع) أن هذا النداء من قبل الله تعالى بمعجزة أظهرها الله، كما قال في موضع آخر "نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين" * وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب "حتى قيل له "يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين" (١) وقيل السبب الذي لأجله أمر بخلع النعلين فيه قولان:

أحدهما - ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس في قول علي (ع) والحسن وابن جريج.

وقال كعب وعكرمة: لأنها كانت من جلد حمار ميت. وحكى البلخي أنه امر بذلك على وجه الخضوع والتواضع، لان التحفي في مثل ذلك أعظم تواضعا وخضوعا. والخلع نزع الملبوس يقال: خلع ثوبه عن بدنه وخلع نعله عن رجله. وقد ينزع المسمار، فلا يكون خلعا، لأنه غير ملبوس ويقال: خلع عليه رداءه كأنه نزع عن نفسه وألبسه إياه. والوادي سفح الجبل. ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الامر. ووديته إذا أعطيته ديته، لأنها عطية عن الامر العظيم من القتل. والمقدس المبارك - في قول ابن عباس ومجاهد - وقيل هو المطهر، قال امرؤ القيس: كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٢) يريد بالمقدس: العابد من النصارى، كالقسيس ونحوه و (شبرق) أي شق.

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٣٠ - ٣١

(٢) شرح ديوانه: ١٢٠ وصدرة: فأدركته يأخذن بالساق والنسا

وقيل في معنى (طوى) قولان:
أحدهما - قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: هو اسم الوادي.
وقال الحسن: لأنه طوي بالبركة مرتين، فعلى هذا يكون مصدر طويته طوى،
وقال عدي بن زيد:

آعاذل ان اللوم في غير كنهه * علي طوى من غيك المتردد (١)
وقوله " وأنا اخترتك " اي اصطفتك " فاستمع لما يوحى " إليك من كلامي
واصغ إليه وثبت " إني انا الله لا إله إلا أنا " أي لا إله يستحق العبادة غيري
" فاعبدني " خالصا، ولا تشرك في عبادتي أحدا " وأقم الصلاة لذكري " أي
لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم - في قول الحسن ومجاهد - وقيل: معناه لان أذكرك
بالممدح والثناء. وقيل المعنى متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها أو فات وقتها،
فأقمها. وقرئ - بفتح الراء - قال أبو علي: يحتمل أن يكون قلب الكسرة فتحة مع
ياء الإضافة.

ثم اخبر الله تعالى بأن الساعة يعني القيامة " آتية " أي جائية " أكاد أخفيها "
معناه أكاد لا أظهرها لاحد - في قول ابن عباس والحسن وقتادة - أي لا أذكرها
بأنها آتية، كما قال تعالى " لا تأتیکم إلا بغتة " (٢) وقيل " أخفيها " بضم الألف
بمعنى أظهرها، وانشد بيتا لامرئ القيس بن عابس الكندي:
فان تدفنوا الداء لانخفه * وإن تبعثوا الحرب لا نقعد (٣)
فضم النون من نخفه - ذكره أبو عبيدة - قال أنشدني أبو الخطاب هكذا، وأنشده

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٦ ومجمع البيان ٤ / ٤

(٢) سورة ٧ الأعراف آية ١٨٦

(٣) شرح ديوان امرئ القيس: ٧٧ والطبري ١٦ / ١٠٠ والقرطبي ١١ / ١٨٢ والشوكاني ٣ / ٣٤٧ وغيرها

الفراء بفتح النون. وقال أبي بن كعب: المعنى "أكاد أخفيها" من نفسي. قال ابن الأنباري تأويله من نفسي "أكاد أخفيها" أي من قبلي، كما قال "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك" (١). وقوله "لتجزى كل نفس بما تسعى" أي تجازي كل نفس بحسب عملها، فمن عمل الطاعات أثيب عليها، ومن عمل المعاصي عوقب بحسبها قوله تعالى:

(فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١٦)
وما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يا موسى (١٩)
فألقها فإذا هي حية تسعى) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.
قوله "فلا يصدنك عنها" نهى متوجه إلى موسى من الله تعالى والمراد به جميع المكلفين، نهاهم الله أن يصدّهم عن ذكر الساعة، والمجازاة فيها من لا يصدق بها من الكفار. و (الصد) الصرف عن الخير يقال: صدّه عن الإيمان وصدّه عن الحق، ولا يقال: صدّه عن الشر، ولكن يقال: صرفه عن الشر، ومنعه منه.
وقوله "واتبع هواه" يعني من لا يؤمن بالقيامة و (الهوى) ميل النفس إلى الشيء بأريحية تلحق فيه. وهواء الجو ممدود، وهوى النفس مقصور.
وقوله "فتردى" معناه فتهلك، يقال: ردى يردى ردى، فهو ردى. إذا هلك، أي أن صدّدت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت، وتردى هلك بالسقوط.
وقوله "وما تلك بيمينك يا موسى" قال الفراء: (تلك) تجري مجرى (هذه) وهي بمعنى الذي و (يمينك) صلته وتقديره، وما الذي بيمينك يا موسى وأنشد:

(١) سورة ه المائدة آية ١١٩

عدس ما لعباد عليك امانة * أمنت وهذا تحمّلين طليق (١)
يعني الذي تحمّلين. وهو في صورة السؤال لموسى عما في يده اليمنى. والغرض
بذلك تنبيهه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها، والتأمل لها.
وقوله " قال هي عصاي " جواب من موسى ان الذي في يدي " عصاي اتوكؤ
عليها " في مشيبي " وأهش بها على غنمي " اي أخطب بها ورق الشجر اليابس لترعاه غنمي
يقال: هش يهش هشا: قال الراجز:
أهش بالعصا على أغنامي * من ناعم الأراك والبشام (٢)
(ولي فيها مآرب أخرى) اي حوائج آخر من قولهم: لا أرب لي في هذا أي
لا حاجة. وللعرب في واحدتها ثلاث لغات: مأربة بضم الراء وفتحها وكسرهما.
وقوله " قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى " حكاية ما امر الله
تعالى موسى بأن يلقي العصا من يده وأن موسى ألقاها، فلما ألقاها صارت في الحال
حية تسعى، خرق الله العادة فيها وجعلها معجزة ظاهرة باهرة.
قوله تعالى:
(قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١) واضمم
يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لنريك
من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب إلى فرعون إنه طغى (٢٤) قال رب
اشرح لي صدري (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٠٢ وأكثر كتب النحو يأتون به شاهدا على أن
(هذا) أسم موصول بمعنى الذي.
(٢) تفسير الشوكاني ٣ / ٣٤٩ والقرطبي ١١ / ١٨٧ والطبري ١٦ / ١٠٢

اخبر الله تعالى أن العصا حين صارت حية تسعى خاف موسى منها فقال الله له " خذها " يا موسى فانا " سنعيدها " إلى ما كانت أول شئ في يدك عصى. ومعنى " خذها " تناولها بيدك. و (الخوف) انزعاج النفس بتوقع الضرر، خافه خوفاً، فهو خائف وذاك مخوف. وضد الخوف الامن، ومثل الخوف الفرغ والذعر، والإعادة رد الشئ ثانية إلى ما كان عليه أول مرة. ومثل الإعادة التكرير والترديد. والمعنى سنعيدها خلقتها الأولى، وقد يقال: إلى سيرتها. والسيرة مرور الشئ في جهة، من سار يسير سيرة حسنة أو قبيحة. وكان مستمر على حال العصا فأعيدت إلى تلك الحال. ونظير السيرة الطريقة. وقيل المعنى سنعيدها إلى سيرتها، فانتصب باسقاط الخافض.

وقوله " واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء " قيل في معناه قولان: أحدهما - إلى جنبك، قال الراجز:

أصمه للصدر والجناح (١)

الثاني - إلى عضدك واصل الجنوح الميل، ومنه جناح الطائر، لأنه يميل به في طيرانه حيث شاء. والجنب فيه جنوح الأضلاع. واصل العضد من جهته تميل اليد حيث شاء صاحبها. وقال أبو عبيدة: الجناحان الناحيتان.

وقوله " تخرج بيضاء من غير سوء " اي من غير برص - في قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والضحاك - وقوله " آية أخرى " قيل في نصبها قولان: أحدهما - على الحال. والآخر على المفعولية، اي نعطيك آية أخرى، فحذف لدلالة الكلام عليه، فالآية الأولى قلب العصا حية والأخرى اليد البيضاء من غير سوء. وقيل إنه امره ان يدخل يده في فمها فيقبض عليها، فادخل يده في فمها

(١) تفسير القرطبي ١١ / ١٩١

فصارت يده بين الشعبتين اللتين كانتا في العصا، وصارت الحية في يده عصا كما كانت.

وقوله لنريك من آياتنا الكبرى) معناه قلب العصا حية لنريك من آياتنا وحججنا الكبرى منها، ولو قال الكبير على الجمع كان وصفا لجميع الآيات، وكان جائزا. ثم قال تعالى له (اذهب إلى فرعون) أي امض إليه وادعه إلى الله، وخوفه من عقابه، فإنه طغى، أي تجاوز قدره في عصيان الله، وتجاوز به قدر معاصي الناس، يقال: طغى يطغى طغيانا، فهو طاغ، ونظيره البغي على الناس، وهم الطغاة والبلغاة. فقال عند ذلك موسى يا (رب اشرح لي صدري) أي وسع صدري، ومنه شرح المعنى أي بسط القول فيه. قوله تعالى:

(ويسر لي أمري) (٢٦) واحلل عقدة من لساني (٢٧)
يفقهوا قولي (٢٨) واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هارون أخي) (٣٠)
خمس آيات.

وهذا أيضا اخبار عما سأل الله تعالى موسى، فإنه سأل ان ييسر له أمره، أي يسهله عليه ويرفع المشقة عنه ويضع المحنة، يقال: يسره تيسيرا، فهو ميسر ونقيضه التعسير، ومنه اليسر واليسير. والحل نفي العقد بالفرق، حله يحله حلا، فهو حال والشئ محلول. وضد الحل العقد، ونظيره الفصل والقطع. والعقدة جملة مجمعة يصعب حلها متفلكة، عقد يعقد عقدا وعقدة، فهو عاقد والشئ معقود،

ويقال: انه كان في لسان موسى (ع) رثة وهي التي لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة وغيرها. وقيل: إن سبب العقدة في لسانه أنه طرح جمرة في فيه لما أراد فرعون قتله، لأنه اخذ لحيته وهو طفل فتنفها، فقالت له آسية: لا تفعل، فإنه صبي لا يعقل، وعلامته انه اخذ جمرة من طست فجعلها في فيه. ذكره سعيد بن جبير ومجاهد والسدي.

وقوله " يفقهوا قلبي " أي يفقهوه إذا حللت العقدة من لساني أفصحت بما أريد. وسأله أيضا أن يجعل له وزيرا يؤزره على المضي إلى فرعون ويعاضده عليه. والوزير حامل الثقل عن الرئيس، مشتق من الوزر الذي هو الثقل، واشتقاقه أيضا من الوزر، وهو الذي يلجأ إليه من الجبال والمواضع المنيعة. وقوله " هارون أخي " قيل في نصب (هارون) وجهان: أحدهما - على أنه مفعول (اجعل) الأول و (وزيرا) المفعول الثاني على جهة الخبر.

والوجه الثاني - أن يكون بدلا من (وزيرا) وبيانا عنه. فقليل: ان الله حل أكثر ما كان بلسانه إلا بقية منه بدلالة قوله " ولا يكاد يبين " (١) في قول أبي علي. وقال الحسن: ان الله استجاب دعاءه، فحل العقدة من لسانه. وهو الصحيح، لقوله تعالى " قد أوتيت سؤالك يا موسى " ويكون قول فرعون " ولا يكاد يبين " (١) انه لا يأتي ببيان يفهم كذبا عليه ليغوي بذلك الناس ويصرف به وجوههم عنه. قوله تعالى:

(أشدد به أزمري (٣١) وأشركه في أمري (٣٢) كي

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٥٢

نسبحك كثيرا (٣٣) ونذكرك كثيرا (٣٤) إنك كنت بنا بصيرا (٣٥) قال قد أوتيت سؤالك يا موسى (٣٦) ست آيات. قرأ ابن عامر وحده " اشدد به أزري " بقطع الهمزة " وأشركه " بضم الألف. الباكون بوصل الهمزة الأولى، وفتح الثانية. فوجه قراءة ابن عامر: أنه جعله جزاء. الباكون جعلوه: دعاء. وضم الف (أشركه) في قراءة ابن عامر ضعيف، لأنه ليس إليه إشراكه في النبوة بل ذلك إلى الله تعالى. والوجه فتح الهمزة على الدعاء إلا أن يحمل على أنه أراد إشراكه في أمره في غير النبوة وذلك بعيد، لأنه جاء بعده ما يعلم به مراد موسى، لأنه قال " وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني " (١) فقال الله تعالى " سنشد عضدك بأخيك " (٢). قوله " اشدد به أزري " فالشد جمع يستمسك به المجموع يقال: شده يشده شدا، فهو شاد وذاك مشدود، ومثله الربط والعقد. والإزار الظهر يقال: آزرني فلان على أمري أي كان لي ظهرا، ومنه المئزر، لأنه يشد على الظهر، والإزار لأنه يشد على الظهر، والتأزير لأنه تقوية من جهة الظهر. ويجوز أن يكون إزر لغة في وزر، مثل أرخت وورخت، واكدت ووكدت. وقوله " وأشركه في أمري " فالإشراك الجمع بين الشيئين في معنى على أنه لهما، بجعل جاعل. وقد أشرك الله بين موسى وهارون

في النبوة. وقوى الله به أزره، كما دعاه. وقوله " كي نسبحك كثيرا " فالتسبيح التنزيه لله عما لا يجوز عليه من وصفه بما لا يليق به، فكل شيء عظم به الله بنفي ما لا يجوز عليه، فهو تسبيح، مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقوله " ونذكرك كثيرا " معناه

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٣٥ - ٣٦

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ٣٥ - ٣٦

نذكرك بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك، ومننت به علينا من تحميل رسالتك " انك كنت بما بصيرا " أي عالما بأحوالنا وأمورنا. فقال الله إجابة له " لقد أوتيت سؤالك يا موسى " أي أعطيت منك فيما سألته. والسؤال المني فيما يسأله الانسان، مشتق من السؤال. ويجوز بالهمز وترك الهمز. قوله تعالى:

(ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا * فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠) واصطنعتك لنفسى (٤١) اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى (٤٢) اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤) ثمان آيات بلا خلاف. إلا أن في تفصيلها خلافا لا نطول بذكره. لما أخبر الله تعالى موسى بأنه قد آتاه ما طلبه وأعطاه سؤاله، عدد ما تقدم

ذلك من نعمه عليه ومننه لديه. فقال " ولقد مننا عليك مرة أخرى " واليمن نعمة
يقطع صاحبها بها عن غيره باختصاصها به. يقال: من عليه يمن منا إذا أنعم عليه نعمة
يقطعه إياها. واصله القطع، ومنه قوله " لهم اجر غير ممنون " (١) اي غير مقطوع.
وحبل منين: أي منقطع. والمرة الكرة الواحدة من المر، وذلك أن نعمة الله (عز
وجل) عليه مستمرة، فذكره الإجابة مرة وقبلها مرة أخرى. وقوله (إذ أوحينا إلى
أملك ما يوحى) أي كانت هذه النعمة عليك حين أوحينا إلى أملك ما يوحى، قال
قوم: أراد انه ألهمها ذلك. وقال الجبائي: رأت في المنام أن أقذفه في التابوت، ثم
أقذفه في اليم، والقذف هو الطرح، واليم البحر قال الراجز:
كنازح اليم سقاه اليم (٢) وقيل: المراد به ههنا النيل. وقوله " فليلقه اليم بالساحل " جزاء
وخبر أخرج

مخرج الامر ومثله " اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم " والتقدير فاطر حيه في اليم فليلقه اليم
بالساحل. وقوله " يأخذه عدو لي وعدو له " يعني فرعون. وكان عدو الله بكفره
وحدايته وادعائه الربوبية، وكان عدو موسى، لتصوره أن ملكه ينقرض على يده.
وقوله " وألقيت عليك محبة مني " معناه إني جعلت من رآك أحبك حتى
أحبك فرعون، فسلمت من شره، واحبتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك.
وقوله " ولتصنع على عيني) قال قتادة: معناه لتغذى على محبتي وإرادتي،
وتقديره وأنا أراك، يجري امرك على ما أريد بك من الرفاهة في غذائك، كما يقول
القائل لغيره: أنت مني بمرءا ومستمتع أي انا مراعى لآحوالك. وقوله " إذ تمشي
أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله " قيل إن موسى امتنع أن يقبل ثدي مرضعة

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٨ وسورة ٨٤ الانشقاق آية ٢٥

وسورة ٩٥ التين آية ٦

(٢) مر تخريجه في ٤ / ٥٥٧ من هذا الكتاب

الا ثدي أمه لما دلتهم عليهم أخته، فلذلك قال (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن).

وقوله " وقتلت نفسا فنجيناك من الغم " وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أن قتله النفس كان خطأ. وقال جماعة من المعتزلة: انه كان صغيرة. وقال أصحابنا: انه كان ترك مندوب إليه، لان الله تعالى قد كان حكم بقتله لكن ندبه إلى تأخير قتله إلى مدة غير ذلك، وإنما نجاه من الفكر في قتله، كيف لم يؤخره إلى الوقت الذي ندبه إليه. وقال قوم: أراد نجيناك من القتل لأنهم طلبوه ليقتلوه بالقبطي.

وقوله (وفتناك فتونا) أي اختبرناك اختبارا. والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة، فكل هذا من أكبر نعمه. وقيل: الفتون وقوعه في محنة بعد محنة حتى خلصه الله منها: أولها - أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون بذبح فيها الأطفال، ثم القاؤه في اليم، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، فدرأ الله بذلك عنه قتل فرعون، ثم مجئ رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله. وذلك عن ابن عباس فالمعنى على هذا وخلصناك من المحن تخليصا. وقيل: معناه أخلصناك إخلاصا. ذكره مجاهد.

وقوله " فلبثت سنين في أهل مدين " يعني أقمت سنين عند شعيب، يعني أحوالا أجيرا له ترعى غنمه، فمنا عليك وجعلناك نبيا حتى " جئت على قدر " أي في الوقت الذي قدر لارسالك، قال الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قدرا * كما اتى ربه موسى على قدر (١)
وقال الجبائي معنى " وفتناك فتونا " أي شددنا عليك التعب في أمر المعاش

(١) مر تخريجه في ١ / ٣٠٧ من هذا الكتاب

حتى رعى لشعيب عشر سنين، ويؤكد قوله " فلبثت سنين في أهل مدين " وهي مدينة شعيب " ثم جئت على قدر يا موسى " وقوله " واصطنعتك " أي اصطفتك وأخلصتك بالألطف التي فعلتها بك، اخترت عندها الاخلاص لعبادتي. وقوله " لنفسي " أي لتنصرف على إرادتي ومحبتي يقال: اصطنعه يصطنعه اصطناعا، وهو (افتعال) من لصنع، والصنع اتخاذ الخير لصاحبه. ووجه قوله " لنفسي " يعني محبتي، لان المحبة لما كانت

أخص شيء بالنفس حنس أن يجعل ما اختص بها مختصا بالنفس على هذا الوجه. وقوله " اذهب أنت وأخوك بآياتي " أي بعلاماتي وحججي " ولا تنيا " أي لا تفترا، يقال: ونى في الامر يني ونيا إذا فتر فيه، فهو وان ومتوان. وقيل: معناه لا تضعفا قال العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر * له إلا له ما مضى وما غبر (١)
وقوله " في ذكرى. اذهبوا إلى فرعون انه طغي " أي عتا وخرج عن الحد في المعاصي " فقولوا له قولنا لعلنا ليتذكر أو يخشى " معناه ادعوا إلى الله وإلى الايمان به وبما جئتما به، على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه. فوقع التعبد لهما على هذا الوجه، لأنه أبلغ في دعائه إلى الحق، بالحرص الذي يكون من الراجي للامر. وقال السدي: معنى قوله " فقولوا له قولنا لينا " أي كنياه. وقيل: انه كانت كنية فرعون أبا الوليد. وقيل: أبا مرة. قيل: معناه وقراه وقارباه. وقوله " لعلنا ليتذكر " معناه ليتذكر " أو يخشى " معناه أو يخاف. والمعنى أنه يكون أحدهما إما التذكر أو الخشية. وقيل المعنى على رجائكما أو طمعكما، لأنهما لا يعلمان هل يتذكر أولا. و (لعل) للترجي إلا أنه يكون لترجي المخاطب تارة ولترجي المخاطب أخرى

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٤٤ من هذا الكتاب

قوله تعالى:

(قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٤٥)
قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (٤٦) فأتياه فقولا إنا رسول
ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من
ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) إنا قد أوحى إلينا أن
العذاب على من كذب وتولى (٤٨) قال فمن ربكما يا موسى (٤٩)
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠) ست
آيات بلا خلاف.

لما أمر الله موسى وهارون (ع) أن يمضيا إلى فرعون ويدعواه إلى الله " قالوا
إننا نخاف أن يفرط علينا " ومعناه ان يتقدم فينا بعذاب، ويعجل علينا، ومنه
الفراط المتقدم امام القوم إلى الماء، قال الشاعر:
قد فرط العجل علينا وعجل (١)

ومنه الافراط الاسراف، لأنه تقدم تين يدي الحق. والتفريط التقصير في
الامر، لأنه تأخير عما يجب فيه التقدم. فالأصل فيه التقدم " أو ان يطغى " أو يعتوا
علينا ويتجبر، فقال الله تعالى لهما " لا تخافا " ولا تخشيا " انني معكما " أي عالم
بأحوالكما، لا يخفى علي شيء من ذلك. وإني ناصر لكما، وحافظ لكما " اسمع " ما

(١) تفسير الشوكاني ٣ / ٣٥٥ والقرطبي ١١ / ١٩٨

يقول لكما " وارى " ما يفعل بكما. وقال ابن جريج " انني معكما اسمع " ما يحاوركما به " وأرى " ما تجيئان به. فالسامع هو المدرك للصوت. والرأي المدرك للمرئيات. ثم أمرهما بأن يأتياه، ويقولوا له " انا رسولا ربك " بعثنا الله إليك وإلى قومك لندعوكم إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، ويأمرك أن ترسل " معنا بني إسرائيل " اي تخليهم وتفرج عنهم، وتطلقهم من اعتقالك " ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك " اي بمعجزة ظاهرة، ودلالة واضحة من عند ربك " والسلام " يعني السلامة والرحمة " على من اتبع " طريق الحق و (الهدى)، و (على) بمعنى اللام وتقديره السلامة لمن اتبع. والمعنى ان من اتبع طريق الهدى سلم من عذاب الله. وقوله (انا قد أوحى اليها) معناه قولاً: (انا قد أوحى اليها ان العذاب على من كذب) بآيات الله وأعرض عن اتباعها. وفي الكلام محذوف، وتقديره فأتياه فقولوا له ذلك. قال " فمن ربكما يا موسى " وقيل: انه: قال فمن ربكما؟ على تغليب الخطاب، والمعنى فمن ربك وربك يا موسى، فقال موسى مجيباً له " ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " ومعناه أعطى كل شيء حي صورته التي قدر له ثم هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه، إلى غير ذلك من ضروب هدايته - في قول مجاهد - وقيل: معناه أعطى كل شيء مثل خلقه من زوجة، ثم هداه لمنكحه من غير أن رأى ذكرها أتى أنثى قبل ذلك. وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وغير ذلك من هدايته. وقرأ نصير عن الكسائي " خلقه " بفتح اللام والخاء، على أنه فعل ماض. الباقيون بسكونها على أنه مفعول به. والمعنى إنه خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع والتي هي أصلح الخلق له، ثم هداه لمعيشته ومنافعه لدينه ودنياه،

قوله تعالى:

(قال فما بال القرون الأولى (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢) الذي جعل لكم الأرض مهذا ووسلك لهم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٥٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة (مهذا) على التوحيد. الباقون "مهادا" على الجمع، وهو مثل فرش وفراش. ومن قرأ "مهدا" قال ليوافق رؤس الآي. والمعنى "لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض" مستقرا يمكنكم من التصرف عليها. وقال الزجاج: القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام أو عالم يقتدى به، وإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا.

حكى الله تعالى ما قال فرعون لموسى "ما بال القرون الأولى" وهي الأمم الماضية، وكان هذا السؤال منه معاية لموسى، فأجابه موسى بأن قال "علمها عند ربي" لأنه لا يخفى عليه شئ من المعلومات. وقوله "في كتاب" أي أثبت ذلك في الكتاب المحفوظ لتعرفه الملائكة. و (الأولى) تأنيث (الأول) وهو الكائن على صفة قبل غيره. فإذا لم يكن قبله شئ، فهو قبل كل شئ، وأراد ذاك على ما في معلوم الله من أمرها، وقيل إنه أراد من يؤدبهم ويحازيهم. وقيل: إن معنى "لا يضل ربي ولا ينسى" أي لا يذهب

عليه شيء، والعرب تقول الكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان: ضله، كقولهم: ضل منزله إذا أخطأه يضلّه بغير الف، فإذا ضل منه حيوان فيقولون: أضل - بألف بغيره أو ناقته أو شاته بالألف. والأصل في الأول ضل عنه. وقرأ الحسن " يضل " بضم الياء وكسر الضاد.

وقوله " الذي جعل لكم الأرض مهذا " موضع (الذي) رفع بدل عن قوله " ربي. ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهذا " أي جعله لكم مستقرا تستقرون عليه " وسلك لكم فيها سبلا " معناه انه جعل لكم في الأرض سبلا تسلكوا فيها في حوائجكم

من موضع إلى موضع، وانهج لكم الطرق " وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى " كل ذلك من صفات قوله " لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل " جميع ما ذكر صفاته. وقوله " كلوا وارعوا انعامكم " لفظه لفظ الامر والمراد الإباحة. وقوله (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) أي أن في جميع ما عددناه دلالات لأولي العقول، والنهي جمع نهية نحو كسية. وكسى، وهو شحم في جوف الضب، وإنما خص أولى النهى، لأنهم أهل الفكر والاعتبار وأهل التدبير والاتعاظ. وقيل لهم: أهل النهى، لأنهم ينهون النفوس عن القبائح وقيل لأنه ينتهى إلى رأيهم. وقوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) يعني من الأرض خلقناكم وفي الأرض نعيدكم إذا امتناكم (ومنها نخرجكم تارة أخرى) دفعة أخرى إذا حشرناكم. قوله تعالى:

(ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى (٥٦) قال
أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى (٥٧) فلنأتينك
بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت

مكانا سوى (٥٨) قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشركم الله
ضحى (٥٩) فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى (٦٠) خمس
آيات بلا خلاف.

قوله (ولقد أريناه آياتنا كلها) تقديره أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى
وأظهرناها عليه (كلها) لما يقتضيه حال موسى (ع) معه، ولم يرد جميع آيات الله
التي يقدر عليها، ولا كل آية خلقها الله، لأن المعلوم أنه لم يرد به جميعها. وقوله
(فكذب وأبى) معناه نسب الخبر الذي أتاه إلى الكذب (وأبى) امتنع مما دعي إليه
من توحيد الله وإخلاص عبادته والطاعة لما أمر به. وقال فرعون لموسى (أجئتنا
لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) والسحر حيلة يخفى سببها ويظن بها المعجزة،
ولذلك يكفر المصدق بالسحر، لأنه لا يمكنه العلم بصحة النبوة مع تصديقه بأن الساحر
يأتي بسحره بتغيير الثابت. ثم قال فرعون لموسى (فلنأتينك) يا موسى (بسحر) مثل
سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى) أي عدنا مكانا
نجتمع فيه ووقتا نأتي فيه (مكانا سوى) أي مكانا عدلا بيننا وبينك - في قول
قتادة والسدي - وقيل معناه مستويا يتبين الناس ما بيننا فيه - ذكره ابن زيد - وقيل:
معناه يستوي حالنا في الرضا به. وفيه إذا قصر لغتان - كسر السين، وضمها - وإذا
فتحت السين مددته نحو قوله (إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) (١) ومثله عدى
وعدى. وطوى وطوى، وثنى وثنى. وقال أبو عبيدة: (سوى) النصف والوسط
قال الشاعر:

وإن أبانا كان حل ببلدة * سوى بين قيس غيلان والفرز (٢)

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٦٤

(٢) تفسير الطبري ١١ / ١٩٨ والطبري ١٦ / ١١٩

قيس وفزر قبيلتان هنا. والفزر القطيع من الشاء. والقيس القردة. والقيس مصدر قاس خطاه قيسا إذا سوى بينها. ويقال جارية تميس ميسا وتقيس قيسا، فمعنى تميس تتبختر. وسأل رجل اعرابيا: ما اسمك قال محمد، قال: والكنية، قال: أبو قيس. قال قبحك الله أتجمع بين اسم النبي والقرد.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (سوى) بضم السين، الباقون بالكسر. فقال له موسى "موعدكم يوم الزينة" وهو يوم عيد كان لهم - في قول قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وابن إسحاق - وقال الفراء "يوم الزينة" يوم شرف كانوا يتزينون بها. وقوله "وأن يحشر الناس ضحى" يحتمل أن يكون في موضع رفع، وتقديره موعدكم حشر الناس. ويحتمل أن يكون في موضع جر وتقديره يوم يحشر الناس.

وقوله "فتولى فرعون" أي اعرض عن موسى على هذا الوعد "فجمع كيده" من السحر و"أتى" يوم الموعد. وقرأ هبيرة عن حفص عن عاصم "يوم" بفتح الميم على الظرف. الباقون بضمها على أنه خبر (موعدكم) فجعلوا الموعد هو اليوم بعينه. قوله تعالى:

(قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (٦١) فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى (٦٢) قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦٣) فأجمعوا كيدكم ثم أتوا صفوا وقد أفلح اليوم من استعلى (٦٤) قالوا

يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) ست آيات بلا خلاف.

قرأ " فيسحتكم " - بضم الياء وكسر الحاء - أهل الكوفة إلا أبا بكر. الباقر بفتح الياء والحاء. وهما لغتان. يقال: سحت وأسحت إذا استأصل. وقرأ أبو عمرو " إن هذين " بتشديد (إن) ونصب (هذين). وقرأ نافع وحزمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم - بتشديد (ان) والألف في (هذان). وقرأ ابن كثير (ان) مخففة (هذان) مشددة النون. وقرأ ابن عامر بتخفيف نون (إن) وتخفيف نون (هذان). وقرأ أبو عمرو وحده " فاجمعوا " بهمزة الوصل. الباقر بقطع الهمزة من أجمعت الامر إذا عزم عليه، قال الشاعر:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع* هل اغدون يوما وأمرى مجمع (١)
وقيل: إن جمعت وأجمعت لغتان في العزم على الامر يقال: جمعت الامر، وأجمعت عليه، بمعنى أزمعت عليه وفي الكلام حذف، لان تقديره انهم حضروا واجتمعوا يوم الزينة، فقال لهم حينئذ موسى يعني للسحرة الذين جاؤوا بسحرهم " لا تفتروا على الله " اي

لا تكذبوا عليه كذبا بتكذبي، وتقولوا إن ما جئت به السحر. والافتراء اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق وأصله القطع من فرآه يفريه فريا. وافتري افتراء، والافتراء والافتعال والاختلاق واحد وقوله " فيسحتكم بعذاب " قال قتادة وابن زيد والسدي معناه فيستأصلكم بعذاب. والسحت استقصاء الشعر في الحلق: سحته سحتا واسحته

(١) مر تخريجه في ٥ / ٤٦٨ من هذا الكتاب

اسحاتا لغتان، قال الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال إلا مسحتا أو مجلف (١)
وينشد (مسحت) بالرفع على معنى لم يدع أي لم يبق. ومن نصب قال
أو مجلف، كذلك روي مسحتا ومجلف. وسئل الفرزدق على ما رفعت إلا مسحتا
أو مجلف. فقال للسائل على ما يسؤك وينؤك. ويقال: سحت شعره إذا استقصى
حلقة. والمعنى إن العذاب إذا أتى من قبل الله أخذهم وأهلكهم عن آخرهم.
وقوله "وقد خاب من افتري" أي انقطع رجاء من افتري الكذب. والخيبة
الامتناع على الطالب ما أمل، والخيبة انقطاع الرجاء يقال: رجع بخيبة، وهو إذا
رجع بغير قضاء حاجته. وأشد ما يكون إذا أمل خيرا من جهة، فانقلب شرا منها.
وقوله "فتنازعوا أمرهم" معناه اختلفوا فيما بينهم. والتنازع محاولة كل واحد
من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه، تنازعا في الامر تنازعا، ونازعه منازعة.
وقوله "وأسروا النجوى" أي اخفوها فيما بينهم. قال قتادة: انهم قالوا:
إن كان هذا ساحرا فسنگلبه، وإن كان من السماء، فله أمره. وقال: وهب بن
منية: لما قال لها "ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من
افتري" قالوا "ما هذا بقول ساحر. وقيل: اسرارهم كان أنهم قالوا: ان غلبنا
موسى اتبعناه. وقيل أسروا النجوى دون موسى وهارون بقوله "إن هذين
لساحران...." الآية. وهو قول السدي. وقوله "ان هذان لساحران" قيل فيه أوجه:
أولها - إنه ضعف عمل (إن) لأنها تعمل وليست فعلا لشبهها بالفعل، وليست

(١) مر تخريجه في ٣ / ٥٢٣ وفي ديوان الفرزدق طبع (دار صادر،
دار بيروت) ٢ / ٢٦ (مجرف) بدل (مجلف) وهو خطأ

بأصل في العمل، كما انها لما خففت لم تعمل أصلا.
والثاني - " إن هذان " أشبه (الذين) في البناء، لان أصله الذي فزادوا
نونا للجمع، وتركوه على حالة واحدة في النصب والجر والرفع. فكذلك كان أصله
(هذا) فيه ألف مجهولة فزادوا نونا للتثنية وتركوها على حالة واحدة في
الأحوال الثلاثة.

والثالث - إن (ان) بمعنى (إنه) إلا انها حذفت الهاء.
والرابع - انه لما حذفت الألف من (هذا) صارت ألف التثنية عوضا
منها، فلم تزل على حالها. وهي لغة بني الحارث بن كعب، وختعم، وزبيد، وجماعة من
قبائل اليمن. وقال بعض بني الحارث بن كعب:
واطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما (١)
وقال آخر:
إن أباه وأبا أباه * قد بلغا في المجد غايتها (٢)
وقال آخر:

تزود منا بين أذناه ضربة * دعته إلى هابي التراب عقيم (٣)
الخامس - وقال المبرد وإسماعيل بن إسحاق القاضي: أحسن ما قيل في ذلك
ان (ان) تكون بمعنى نعم ويكون تقديره نعم هذان لساحران، فيكون ابتداء وخبرا
قال الشاعر:
ظل العواذل بالضحي * يلحينني والومهنه

-
- (١) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٥ وتفسير الطبري ١٦ / ١١٩
(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٧ والشوكاني ٣ / ٣٦١
(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٧ ومجمع البيان ٤ / ١٦

ويقلن شيب قد علاك * وقد كبرت فقلت انه (١)
ووجه قراءة حفص انه جعل (إن) بمعنى (ما) وتقديره: ما هذان ساحران.
وروي ان ابن مسعود قرأ (ان هذان ساحران) بغير لام. وقرأ أبي (إن هذان
إلا ساحران). ومن جعل (ان) بمعنى (نعم) جعل حجته في دخول اللام في الخبر
قول الشاعر:

خالي لانت ومن جرير خاله * ينل العلا وتكرم الأخوال (٢)
وقال آخر:

أم الحليس لعجوز شهرة * ترضى من اللحم بعظم الرقبة (٣)
هذه الآية حكاية عن قول فرعون أنه قال لهم " إن هذين " يعني موسى
وهارون " لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى "
قال مجاهد: معناه يذهبا بطريقة أولى العقل والاشراف والأنساب. وقال أبو صالح:
ويذهبا بسرارة الناس. وقال قتادة: ويذهبا ببني إسرائيل، وكانوا عددا يسيرا. وقال ابن
زيد: معناه ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة (وقيل: المعنى يذهبان بأهل
طريقتكم المثلى. والأمثل الأشبه بالحق الثابت، والصواب الظاهر. وهو الأولى به) (٤).
وقال لهم فرعون أيضا " فاجمعوا كيدكم " فمن قطع الهمزة أراد فاعزموا على
أمركم وكيدكم وسحركم. وقيل: جمع وأجمع لغتان في العزم على الشيء يقال: جمعت

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٨ ومجمع البيان ٤ / ١٥

(٢) تفسير الشوكاني ٣ / ٤٣٣ وتفسير القرطبي ١١ / ٢١٩

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٩

(٤) ما بين القوسين كان في المطبوعة متأخرا عن موضعه مع أخطاء كثيرة فيه.

الامر وأجمعت عليه.
" ثم ائتوا صفا " ومعناه مصطفىين. وقال الزجاج: هو كقولهم: أتيت الصف
أي الجماعة. ولم يجمع (صفا) لأنه مصدر. وقال قوم: إن هذا من قول فرعون
للسحرة. وقال آخرون: بل هو من قول بعض السحرة لبعض.
وقوله " وقد أفلح اليوم من استعلى " معناه قد فاز اليوم من علا على
صاحبه بالغلبة. و " قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من القى " حكاية
عما قالت السحرة لموسى فإنهم خيروه في الالتقاء بين أن يلقوا أولا ما معهم أو
يلقي موسى عصاه، ثم يلقون ما معهم، فقال لهم " بل ألقوا " أنتم ما معكم
" فإذا حبالهم وعصيتهم " أي ألقوا ما معهم، فإذا حبالهم وعصيتهم. وحبال جمع حبل،
وعصى جمع عصا، ويجمع الحبل حبالا والعصى أعصيا ويشنى عصوان. وإنما أمرهم
بالالتقاء، وهو كفر منهم، لأنه ليس بأمر، وإنما هو تهديد. ومعناه الخبر، بان
من كان إلقاءه منكم حجة عنده ابتداء بالالتقاء، ذكره الجبائي. وقال قوم: يجوز أن
يكون ذلك أمرا على الحقيقة أمرهم بالالتقاء على وجه الاعتبار، لاعلى وجه الكفر.
وقيل كان عدة السحرة سبعين ألفا - في قول القاسم بن أبي برة وقال ابن جريج:
كانوا تسعمائة.
وقوله " فإذا حبالهم وعصيتهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى " وإنما قال يخيّل،
لأنها لم تكن تسعى حقيقة، وإنما تحركت، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق،
فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود، فتحرّكت العصي والحبال، فظن موسى
أنها تسعى. وقوله " يخيّل إليه " قيل إلى فرعون. وقيل إلى موسى. وهو الأظهر.
لقوله " فأوجس في نفسه خيفة موسى " وإنما خاف دخول الشبهة على قومه. وقيل
خاف بطبع البشرية.

قوله تعالى:
(فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لا تخف
إنك أنت الأعلى (٦٨) وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما
صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦٩) فالقي
السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى (٧٠) اربع آيات.
قرأ ابن عامر " تلقف " بتشديد القاف ورفع التاء. وقرأ حفص عن عاصم
ساكنة الفاء مجزومة خفيفة القاف. الباكون مشددة القاف مجزومة الفاء. وقرأ حمزة
والكسائي " كيد سحر " على (فعل) الباكون " ساحر " على (فاعل) قال أبو علي: حجة
من قال (ساحر) أن الكيد للساحر، لا للسحر إلا أن يريد كيد ذي سحر،
فيكون المعنيان واحدا، ولا يمتنع أن يضاف الكيد إلى السحر مجازا. قوله " فأوجس في
نفسه خيفة موسى " قيل في وجه خيفته قولان:
أحدهما - قال الجبائي والبلخي خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهموا أنه
كان بمنزلة ما كان من أمر عصاه.
الثاني - انه خاف بطبع البشرية لما رأى من كثرة ما تخيل من الحيات العظام،
فقال الله تعالى له " لا تخف إنك أنت الأعلى " أي إنك أنت الغالب لهم والقاهر
لامرهم، ثم أمره تعالى فقال له " ألق ما في يمينك " يعني العصا " تلقف ما صنعوا "
أي تأخذها بفيها ابتلاعا و (ما) هاهنا بمعنى الذي، وتقديره تلقف الذي صنعوا
فيه، لان فعلهم لا يمكن ابتلاعه، لأنها اعراض. ويقال: لقف يلقف وتلقف يتلقف.
ومن قرأ (تلقف) مضمومة الفاء مشددة القاف، أراد تتلقف فاسقط أحد التائين، وكذلك

روى ابن فليح عن البرقي عن ابن كثير بتشديد التاء، لأنه أدغم إحداهما في الأخرى. ومن سكن الفاء جعلها جواب الامر. ومن رفع، فعلى تقدير، فهي تلقف. وقيل: إنها ابتلعت حمل ثلاث مئة بغير من الحبال والعصي. ثم اخذها موسى فرجعت إلى حالها عصا، كما كانت. ثم اخبر تعالى، بأن الذي صنعوه كيد سحر، أو كيد ساحر، على اختلاف القراءتين. وإنما رفع " كيد ساحر " لأنه خبر (ان). والمعنى إن الذي صنعوه كيد ساحر، ويجوز فيه النصب على أن تكون (ما) كافة لعمل (إن) كقولك إنما ضربت زيدا، ومثله " إنما تعبدون من دون الله أوثانا " (١) ثم اخبر تعالى أن الساحر لا يفلح أي لا يفوز بفلاح أي بنجاة " حيث أتى " أي حيث وجد. وقال بعضهم، لأنه يجب قتله على كل حال، فلما رأت السحرة ما فعله الله من قلب العصا ثعبانا وابطال سحرهم علموا انه من قبل الله، وانه ليس بسحر، فalcوا نفوسهم ساجدين لله، مقرين بنبوة موسى (ع) مصدقين له. و " قالوا آمنا " أي صدقنا " برب هارون وموسى " وقيل معناه صدقنا بالرب الذي يدعو إليه هارون وموسى، لأنه رب الخلائق أجمعين. قوله تعالى:

(قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض

(١) سورة ٢٩ العنكبوت آية ١٧

ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (٧٢) إنا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير
وأبقى (٧٣) إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى (٧٤) ومن يأتته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم
الدرجات العلى (٧٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحفص وورش " آمنتم " على لفظ الخبر. وقرأ أهل الكوفة
إلا حفصاً بهمزتين. الباكون بهمزة واحدة بعدها مدة. قال أبو علي: من قرأ على
الخبر، فوجهه أنه قرعهم على تقدمهم بين يديه، وعلى استدبارهم بما كان منهم من
الايمان بغير اذنه وأمره، والاستفهام يؤول إلى هذا المعنى. ووجه قراءة أبي عمرو
انه أتى بهمزة الاستفهام وهمزة الوصل، وقلب الثانية مدة، كراهية اجتماع الهمزتين.
وقد مضى شرح ذلك فيما مضى.

حكى الله تعالى ما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى وهارون " آمنتم له "
أي صدقتموه واتبعتموه " قبل ان آذن لكم " وقال في موضع آخر " آمنتم به " (١)
وقيل في الفرق بينهما " ان آمنتم له " يفيد الاتباع، وليس كذلك " آمنتم به " لأنه
قد يوقن بالخير من غير اتباع له فيما دعا إليه إلا أنه إذا قبل قول الداعي إلى أمر
أخذ به. ومن قرأ " آمنتم على الخبر " كأن فرعون أخبر بذلك. ومن قرأ على لفظ
الاستفهام كأنه استفهم عن ايمانهم على وجه التقرير لهم.
والفرق بين الاذن والامر، أن في الامر دلالة على إرادة الفعل المأمور به، وليس

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٢٢

في الاذن دلالة على إرادة المأذون فيه، كقوله " وإذا حللتهم فاصطادوا " (١) فهذا إذن. ثم قال فرعون " انه " يعني موسى " لكبيركم " اي رئيسكم ومتقدمكم " الذي علمكم السحر " ثم هددهم فقال " لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف " يعني قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو اليد اليسرى والرجل اليمنى. وقيل أول من فعل ذلك فرعون، وأول من صلب في جذوع النخل هو، و (في) بمعنى (على) قال الشاعر: وهم صلبوا العبد في جذع نخلة* فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (٢) وقوله " ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى " قال ابن إسحاق ومحمد بن كعب القرطبي معناه: أبقى عقابا ان عصي وثوبا ان أطيع، ورفع " أينا " لأنه وقع موقع الاستفهام، ولم يعمل فيه ما قبله من العلم. وقيل إنما نسبهم إلى اتباع رئيسهم في السحر ليصرف بذلك الناس عن اتباع موسى (ع) فأجابته السحرة فقالوا " لن نؤثرك " أي لا نختارك يا فرعون " على ما جاءنا من البيئات " يعني الأدلة الدالة على صدق موسى وصحة نبوته. وقوله " والذي فطرنا " يعني وعلى الذي خلقنا فيكون عطفنا على " ما جاءنا من البيئات " فيكون جرا، ويحتمل أن يكون جرا بأنه قسم. وقوله " فاقض ما أنت قاض " معناه فاصنع ما أنت صانع على تمام من قولهم: قضى فلان حاجتي إذا صنع ما أريد على اتمام، قال أبو ذؤيب: وعليهما مسرودتان قضاهما* داود أو صنع السوابغ تبع (٣) وقوله " إنما تقضي هذه الحياة الدنيا " يعني إنما تصنع بسلطانك وعذابك في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة. وقيل: معناه ان الذي يفنى وينقضي هذه الحياة

(١) سورة، ٥، المائدة آية ٣

(٢) تفسير الشوكاني ٣ / ٣٦٣ والقرطبي ١١ / ٢٢٤ والطبري ١٦ / ١٢٦

(٣) مر هذا البيت في ١ / ٤٢٩ و ٤ / ٨٨ و ١٦٥ و ٥ / ٣٩٨

الدنيا دون حياة الآخرة. وقوله " انا آمنا بربنا " اي صدقنا به، نطلب بذلك أن يغفر لنا خطايانا ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر. قال ابن زيد وابن عباس: إن فرعون رفع غلمانا إلى السحرة يعلمونهم السحر بالغرائب قالوا " والله خير " لنا منكم " وأبقى " لنا ثوبا من ثوابك. ثم حكى قول السحرة انهم قالوا " انه من يأت ربه مجرما " وقيل إنه خبر من الله تعالى بذلك دون الحكاية عن السحرة " فان له جهنم " جزاء على جرمه وعصيانه " لا يموت فيها " يعني جهنم " ولا يحيى " اي لا يموت فيها فيستريح من العذاب، ولا يحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال " ومن يأتته مؤمنا " أي مصدقا بتوحيده وصدق أنبيائه و " قد عمل " الطاعات التي أمره بها (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي العالية والعلی جمع عليا مثل ظلمة وظلم والكبرى والكبر. قوله تعالى:

(جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى (٧٦) ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى (٧٧) فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم (٧٨) وأضل فرعون قومه وما هدى (٧٩) يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم

المن والسلوى) (٨٠) خمس آيات.

قرأ حمزة وحده (لا تخف دركا) على النهي، أو على الجزاء لقوله " فاضرب لهم طريقا " الباكون " لا تخاف " بالرفع " ولا تخشى " بألف بلا خلاف على الاستئناف. ومثله قوله " يولوكم الادبار ثم لا ينصرون " (١). وقيل إنه يحتمل أن يكون " لا تخش " مجزوما، وزيد الألف ليوافق رؤس الآي كما، قال الشاعر:

ألم يأتيك والأبناء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد (٢)

ومن قرأ " لا تخاف " بالرفع، و " لا تخشى " مثله، فهو على الخبر. وقال أبو علي: هو في موضع نصب على الحال، وتقديره طريقا في البحر ييسا غير خائف دركا. وقرأ حمزة والكسائي " أنجيتكم، ووعدتكم " بالتاء فيهما بغير الف. الباكون بالألف والنون. وقرأ أبو عمرو وحده " ووعدناكم " بغير الف. الباكون " ووعدناكم " بألف. ولم يختلفوا في " نزلنا " انه بالنون. ومعنى التاء والنون قريب بعضه من بعض، لكن النون لعظم حال المتكلم.

لما اخبر الله تعالى ان لمن آمن بالله الدرجات العلى، قال ولهم " جنات عدن " اي بساتين إقامة " تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها " وقد فسرناه في غير موضع. ثم قال " وذلك " الذي وصفه " جزاء من تركى " فالتزكى طلب الزكا بإرادة الطاعة، والعمل بها. والزكا النماء في الخبر، ومنه الزكاة، لان الميل ينمو بها في العاجل والأجل، لما لصاحبها عليها من ثواب الله تعالى. وقيل: معنى " تركى " تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنيسها بالمعصية. والخلود المكث في الشئ إلى غير غاية.

(١) سورة ٣ آية آل عمران آية ١١١

(٢) مر هذا البيت ٦ / ١٩٠ وهو في تفسير القرطبي ١١ / ٢٢٤ وتفسير الشوكاني ٣ / ٤٣٣

ثم أخبر تعالى فقال (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) أي سربهم ليلا لان الاسراء السير بالليل (فاضرب لهم طريقا في البحر ييسا) والمعنى: اضرب بعصاك البحر تجعل طريقا، فكأنه قيل: اجعل طريقا بالضرب بالعصا، فعاده إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق، كضربه الدينار.

واليبس اليابس وجمعه ايباس، وجمع اليبس - بسكون الباء - ييوس. وقال أبو عبيدة: اليبس - بفتح الباء - المكان الجاف. وإذا كان اليبس في نبات الأرض فهو اليبس - بسكون الباء - قال علقمة بن عبده:

تخشخش أبدان الحديد عليهم* كما خشخش ييس الحصاد جنوب
وقوله (لا تخاف دركا ولا تخشى) معناه لا تخف أن يدركك فرعون، ولا تخش الغرق من البحر - في قول ابن عباس وقتادة - وقيل: معناه لا تخف لحوقا من عدوك، ولا تخش الغرق من البحر الذي انفرج عنك. والمعنيان متقاربان. وكان سبب ذلك أن أصحاب موسى قالوا له: هذا فرعون قد لحقنا، وهذا البحر قد غشنا يعنون اليم، فقال الله تعالى " لا تحف دركا ولا تخش ".

ثم أخبر تعالى فقال (فأتبعهم فرعون بجنوده) أي دخل خلف موسى وبني إسرائيل، وفي الكلام حذف لان تقديره: فدخل موسى وقومه البحر ثم أتبعهم فرعون بجنوده ومن اتبعهم. فمن قطع الهمزة جعل الباء زائدة. ومن وصلها أراد: تبعهم وسار في أثرهم، والباء للتعدي.

وقوله (فغشيه من اليم ما غشيه) يعني الذي غشيه. وقيل: معناه تعظيم للأمر لان (غشيه) قد دل على (ما غشيه) وإنما ذكره تعظيما. وقيل: ذكره تأكيدا. وقال قوم: معناه فغشيه الذي عرفتموه. كما قال أبو النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري (١)
وقال الزجاج: فغشيهم من اليم ما غرقهم. وقال الفراء: معناه " فغشيهم من اليم ما غشيهم " لأنه ليس الماء كله غشيهم، وإنما غشيهم بعضه. وقال قوم: معناه " فغشيم " يعني أصحاب فرعون " من اليم " ما غشي قوم موسى إلا أن الله غرق هؤلاء، ونجا أولئك. ويجوز أن يكون المراد: فغشيهم من قبل اليم الذي غشيهم من الموت والهلاك، فكأنه قال: الذي غشيهم من الموت والهلاك كان من قبل البحر إذ غشيهم، فيكون (غشيهم) الأول للبحر، و (غشيهم) الثاني للهلاك والموت. وقوله " وأضل فرعون قومه وما هدى " معناه أنه دعاهم إلى الضلال وأغواهم، فضلوا عنده، فنسب إليه الضلال. وقيل: إن معناه أستر بهم على الضلالة فلذلك قيل " وما هدى ". ثم عدد الله على بني إسرائيل نعمه، بأن قال " يا بني إسرائيل قد أنجيناكم " أي خلصناكم " من عدوكم " فرعون " وواعدناكم جانب الطور الأيمن " معناه إن الله واعدكم جانب الجبل الذي هو الطور، لتسمعوا كلام الله لموسى بحضرتكم هناك " ونزلنا عليكم المن والسلوى " يعني في زمان التيه أنزل عليهم المن، وهو الذي يقع على بعض الأشجار، والسلوى طائر أكبر من السمان. قوله تعالى: (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى (٨١) وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (٨٢) وما أعجلك عن

(١) آمالي السيد المرتضى ١ / ٣٥٠. وبعد: (لله دري ما يجن صدري)

قومك يا موسى (٨٣) قال هو أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى (٨٤) قال فانا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري (٨٥) خمس آيات.

قرأ الكسائي وحده " فيحل عليكم " بضم الحاء وكذلك " من يحلل " بضم اللام. الباقون - بكسر ها - ولم يختلفوا في الكسر من قوله " ان يحل عليكم غضب من ربكم " (١) يقال حل بالمكان يحل إذا نزل به، وحل يحل - بالكسر - بمعنى وجب. قوله " كلوا من طيبات ما رزقناكم " صورته صورة الامر والمراد به الإباحة، لان الله تعالى لا يريد المباحات من الأكل والشرب في دار التكليف. والطيبات معناه الحلال. وقيل معناه المستلذات.

وقوله " ولا تطغوا فيه " معناه لا تتعدوا فيه فتأكلوه على وجه حرمه الله عليكم، فتتعدون فيه بمعصية الله، ويمكن ترك الأكل على وجه حرمه الله إلى وجه أباحه الله على الوجه الذي أذن فيه، وعلى وجه الطاعة أيضا، للاستعانة به على غيره من طاعة الله.

وقوله " فيحل عليكم غضبي " معناه متى طغيتم فيه واكتموه على وجه الحرام، نزل عليكم غضبي، على قراءة من ضم الحاء، ومن كسره: معناه يجب عليكم غضبي الذي هو عقاب الله.

ثم اخبر تعالى أن من حل غضب الله عليه " فقد هوى " يعني هلك، لان من هوى من علو إلى سفل، فقد هلك. وقيل: هو بمعنى تردى وقيل: معناه هوى إلى النار.

(١) سورة ٢٠ طه آية ٨٦

ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه " غفار " أي ستار " لمن تاب من المعاصي " فاسقط عقابه وستر معاصيه إذا أضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحات " ثم اهتدى " قال قتادة: معناه ثم لزم الايمان إلى أن يموت، كأنه قال: ثم استمر على الاستقامة. وإنما قال ذلك، لئلا يتكل الانسان على أنه قد كان أخلص الطاعة. وفي تفسير أهل البيت (ع) ان معناه " ثم اهتدى " إلى ولاية أوليائه الذين أوجب الله طاعتهم والانقياد لامرهم. وقال ثابت البناني: ثم اهتدى إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ثم خاطب موسى (ع)، فقال " وما أعجلك عن قومك يا موسى " قال ابن إسحاق: كانت المواعدة أن يوافي هو وقومه، فسبق موسى إلى ميقات ربه، فقرره الله على ذلك لم فعله؟ وقال موسى في جوابه " هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى " فقال الله " فانا قد فتننا قومك من بعدك " أي عاملناهم معاملة المختبر بان شددنا عليهم في التعبد بأن ألزمناهم عند اخراج العجل أن يستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون إلها، ولا أن يحل الاله فيه، فحقيقة الفتنة تشديد العبادة. وقوله " وأضلهم السامري " معناه أنه دعاهم إلى عبادة العجل، فضلوا عند ذلك، فنسب الله الاضلال إليه لما ضلوا بدعائه. قوله تعالى:

(فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (٨٦) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أو زارا من زينة القوم

فقدفناها فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي (٨٨) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا (٨٩) ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري (٩٠) خمس آيات.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر " بملكنا " بكسر الميم - وقرأ نافع وعاصم - بفتح الميم - وقرأ حمزة والكسائي - بضم الميم - من ضم الميم فمعناه بسلطاننا

وقيل إن في ذلك ثلاث لغات: فتح الميم وضمها وكسرها. وقرأ أبو عمرو، وحمزة وأبو بكر " حملنا " - بفتح الحاء والميم - مخففاً. الباقون - بضم الحاء وكسر الميم - مشدداً.

أخبر الله تعالى أن موسى رجع من ميقات ربه " إلى قومه غضبان أسفا " والغضب ضد الرضا، وهو ما يدعو إلى فعل العقاب، والأسف أشد الغضب. وقال ابن عباس: معنى " أسفا " أي حزينا. وبه قال قتادة والسدي. والأسف أشد الغضب. وقال بعضهم: قد يكون بمعنى الغضب، ويكون بمعنى الحزن. قال الله تعالى " فلما أسفونا انتقمنا منهم " (١) أي أغضبونا، فقال موسى لقومه " يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا " لأن الله تعالى كان وعد موسى بالنجاة من عدوهم، ومجيئهم إلى جانب الطور الأيمن، ووعدته بأنه تعالى " غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٥٥

اهتدى " ثم قال " أفضال عليكم العهد " أي عهدي ولقائي فنسيتموه " أم أردتم أن يحل عليكم " أي يجب عليكم " غضب " أي عقاب " من ربكم فأخلفتم موعدى " أي ما وعدتموني من المقام على الطاعات. وقال الحسن: معنى " ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا " في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا. وقيل الذي وعدهم الله به التوراة، وفيها النور والهدى ليعملوا بما فيها، ويستحقوا عليه الثواب. وكانوا وعدوه أن يقيموا على أمرهم، فأخلفوا، وقالوا جوابا لموسى " ما أخلفنا موعدك بملكنا " أي قال المؤمنون: لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء. قال قتادة والسدي: معنى " بملكنا " بطاقتنا. وقال ابن زيد: معناه لم نملك أنفسنا للبلية التي وقعت بنا. فمن فتح الميم: أراد المصدر. ومن كسرهما أراد: ما يتملك. ومن ضم أراد: السلطان والقوة به.

وقوله " ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم " معناه إنا حملنا أثقالا من حلي آل فرعون، وذلك أن موسى أهرم أن يستعيروا من حليهم - في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد - وقيل: جعلت حلالا لهم. ومن قرأ بالتشديد أراد أن غيرنا حملنا ذلك بأن أمرنا بحمله.

وقوله " فقدفناها " أي طرحنا تلك الحلي، ومثل ذلك " ألقى السامري " ما كان معه من الحلي. وقيل " أوزارا " أي أثقالا من حلي آل فرعون، لما قذفهم البحر أخذوها منهم. ثم أخبر تعالى فقال: إن السامري أخرج لقوم موسى عجلا جسدا له خوار، فقيل إن ذلك العجل كان في صورة ثور صاغها من الحلي التي كانت معهم، ثم ألقى عليها من أثر جبرائيل شيئا، فأنقلب حيوانا يخور - ذكره الحسن وقتادة والسدي - و (الخور) الصوت الشديد كصوت البقرة. وقال مجاهد: كان خواره بالريح إذا دخلت في جوفه. وأجاز قوم الأول، وقالوا: إن ذلك معجزة تجوز

في زمن الأنبياء. وقول مجاهد أقوى، لان إظهار المعجزات لا يجوز على أيدي المبطلين، وإن كان في زمن الأنبياء. وقال الجبائي: إنما صورته على صورة العجل وجعل فيه خروقا إذا دخله الريح أو هم انه يخور. وقيل: انه خار دفعة واحدة " فقالوا هذا إلهكم وإله موسى " يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ان هذا العجل معبودكم ومعبود موسى، " فنسي " أي نسي موسى أنه إلهه، وهو قول السامري - في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن زيد والضحاك - وقال ابن عباس في رواية أخرى: معناه، فنسي السامري ما كان عليه من الايمان، لأنه نافق لما عبر البحر. ومعناه ترك ما كان عليه. وقال قوم: معناه " فنسي " موسى أنه أراد هذا العجل، فنسي وترك الطريق الذي يصل منه إليه، ويكون حكاية قول السامري. ثم قال تعالى تنبيهاً لهم على خطئهم " أفلا يرون " أي أفلا يعلمون أنه " لا يرجع إليهم قولا " أي لا يجيبهم إذا خاطبوه، ولا يقدر لهم على ضر ولا نفع. ثم اخبر ان هارون قال لهم قبل ذلك " يا قوم إنما فتنتم به " أي ابتليتكم واختبرتم به " وإن ربكم الرحمن " اي الذين يستحق العبادة عليكم هو الرحمن الذي أنعم عليكم بضروب النعم " فاتبعوني " فيما أقول لكم " وأطيعوا أمري " فيما آمركم به. قوله تعالى:

(قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى (٩١)
قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت
أمري (٩٣) قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت

أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي (٩٤) قال فما خطبك يا سامري (٩٥) خمس آيات.

قرأ " يا ابن أم " - بفتح الميم - ابن كثير وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص. الباقون - بكسر الميم - من فتح الميم جعل " ابن أم " اسما واحدا وبناهما على الفتح مثل (خمسة عشر) إلا أن (خمسة عشر) تضمن معنى الواو، وتقديره خمسة وعشرة، و " ابن أم " بمعنى اللام وتقديره: لامي، وكلاهما على تقدير الاتصال بالحرف على جهة الحذف، ويجوز " يا ابن أم " على الإضافة، ولم يجئ هذا البناء إلا في يا ابن أم، ويا عم، لأنه كثر حتى صار يقال للأجنبي، فلما عدل بمعناه عدل بلفظه، قال الشاعر:

رجال ونسوان يودون أنني * وإياك يا ابن عم ونفضح
ويحتمل أن يكون (أراد يا بن أمه) فرخم. ويحتمل أن يكون أراد (يا بن اما) (فخفف، ومن كسر أراد يا بن أمي (١) لان العرب تقول: يا ابن اما بمعنى يا ابن أمي ويا ربا بمعنى يا ربي. فمن كسر أراد: يا ابن أمي، فحذف الياء وأبقى الكسرة تدل عليها.

حكى الله تعالى ما أجاب به قوم موسى لهارون حين نهاهم عن عبادة العجل وأمرهم باتباعه، فإنهم " قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى " أي لن نزال لازمين لهذا العجل إلى أن يعود إلينا موسى، فننظر ما يقول قال الشاعر: فما برحت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع (٢)

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

(٢) مر تخريجه في ٦ / ١٨٢ وروايته هناك - (فتت) بدل (برحت)

والعكوف لزوم الشئ مع القصد إليه على مرور الوقت، ومنه الاعتكاف في المسجد. ثم اخبر تعالى أن موسى لما رجع إلى قومه، قال لهارون " يا هارون ما منعك ألا تتبعني " قال ابن عباس: معناه بمن أقام على إيمانه. وقال ابن جريج: معناه ألا تتبعني في شدة الزجر لهم عن الكفر. ومعنى (ألا تتبعني) ما منعك أن تتبعني و (لا) زائدة، كما " قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك " (١) وقد بينا القول في ذلك. وإنما جاز ذلك لأنه المفهوم أن المراد ما منعك بدعائه لك إلى أن لا تتبعني فدخلت (لا) لتنبئ عن هذا المعنى، وهو منع الداعي دون منع الحائل. وقوله " أف عصيت أمري " صورته صورة الاستفهام، والمراد به التقرير، لأن موسى كان يعلم أن هارون لا يعصيه في أمره، فقال له هارون في الجواب " لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي " حين اخذ موسى بلحيته ورأسه. وقيل في وجه ذلك قولان: أحدهما - ان عادة ذلك الوقت أن الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته، كما يقبض على يده في عادتنا، والعادات تختلف ولم يكن ذلك على وجه الاستخفاف. والثاني - انه أجراه مجرى نفسه إذا غضب، في القبض على لحيته، لأنه لم يكن يتهم عليه، كما لا يتهم على نفسه.

وقوله " إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل " معناه إني خفت أنني أن فعلت ذلك على وجه العنف والاكراه أن يتفرقوا وتختلف كلمتهم ويصيروا أحزابا، حزبا يلحقون بموسى وحزبا يقيمون مع السامري على اتباعه، وحزبا يقيمون على الشك في أمره. ثم لا يؤمن إذا تركتهم كذلك أن يصيروا بالخلاف إلى سفك الدماء، وشدة التصميم على أمر السامري، فاعتذر بما مثله يقبل، لأنه وجه

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١١.

من وجوه الرأي.
قوله " ولم ترقب قولِي " أي لم تحفظ قولِي - في قول ابن عباس - فعدل عن ذلك موسى إلى خطاب السامري، فقال له " ما خطبك يا سامري " أي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت؟! وأصل الخطب: الجليل من الامر، فكأنه قيل: ما هذا العظيم الذي دعاك إلى ما صنعت.
قوله تعالى:

(قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر
الرسول فنبدتها وكذلك سئلت لي نفسي (٩٦) قال فاذهب
فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه
وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه
في اليم نسفا (٩٧) إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل
شيء علما (٩٨) كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد
آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
القيامة وزرا (١٠٠) خمس آيات.
قرأ حمزة والكسائي " ما لم تبصروا " بالتاء. الباقون بالياء المعجمة من
أسفل. من قرأ بالتاء حملة على خطابه لجميعهم. ومن قرأ بالياء أراد: بصرت بما لم
يبصروا بنو إسرائيل. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " لن تخلفه " بكسر اللام.

الباقون بفتح اللام. والمعنى: لان الله يكافيك على ما فعلت يوم القيامة، لأنه بذلك وعد. يقال: أخلفت موعد فلان إذا لم تف بما وعدته. ومن قرأ - على ما لم يسم فاعله - جعل الخلف من غير المخاطب، والهاء كناية عن الموعد، وهو المفعول به، والفاعل لم يذكر.

حكى الله تعالى قول موسى للسامري وسؤاله إياه بقوله " ما خطبك يا سامري " وحكى ما أجاب به السامري، فإنه قال " بصرت بما لم يبصروا به " والمعنى رأيت ما لم يروه. فمن قرأ بالياء أراد ما لم يبصروا هؤلاء. ومن قرأ بالتاء حملة على الخطاب وبصرا لا يتعدى، وإن كانت الرؤية متعددة، لان ما كان على وزن (فعل) بضم العين لا يتعدى. غير أنه وإن كان غير متعد، فإنه يتعدى بحرف الجر، كما عدها - ههنا - بالباء. وقيل بصرت - ههنا - بمعنى علمت من البصيرة. يقال: بصر يبصر إذا علم. وابصر ابصارا إذا رأى.

وقوله " فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها " قرأ الحسن بالصاد غير المعجمة. والقراء على القراءة بالصاد المنقطعة، والفرق بينهما ان (القبضة) بالصاد بملئ الكف، وبالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع، وقيل: انه قبض قبضة من اثر جبرائيل (ع) " فنبذتها " في الحلي على ما أطمعني نفسي من انقلابه حيوانا. وقال ابن زيد: معنى " سولت لي نفسي " حدثتني. وقيل: معناه زينت لي نفسي.

فان قيل: لم جاز انقلابه حيوانا - مع أنه معجز - لغير نبي؟! قلنا: في ذلك خلاف، فمنهم من قال: انه كان معلوما معتادا في ذلك الوقت انه من قبض من اثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيوانا - ذكره أبو بكر ابن الاخشاذ - فعلى هذا لا يكون خرق عادة بدل بل كان معتادا. وقال الحسن: صار لحما ودما. وقال الجبائي: المعنى سولت له نفسه مالا حقيقة له وإنما خار بحيلة: جعلت

فيه خروق إذا دخلتها الريح سمع له خوار منه. فقال له موسى عند ذلك " فاذهب " يا سامري " فان لك في الحياة أن تقول لامساس " واختلفوا في معناه، فقال قوم: معناه تقول لا أمس ولا أمس، وكان موسى امر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبائعوه، فيما ذكر. وقال الجبائي: معناه انه لا مساس لاحد من الناس، لأنه جعل يهيم في البرية مع الوحش والسباع. وقوله " لامساس " بالكسر والفتح، فان كسرت فمثل لا رجال، وإذا فتحت الميم بنيت على الكسر مثل نزال، قال رؤية:

حتى تقول الأزد لا مساسا (١)

وقال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله * ألا لا يريد السامري مساسا (٢)
وكله بمعنى المماساة والمخالطة. ثم قال " وان لك موعدا لن تخلفه " من جهتنا فيمن قرأ بالفتح، ومن قرأ بالكسر معناه لا تخلفه أنت، وهما متقاربان، ويريد بالموعد البعث والنشور والجزاء، اما جنة واما ناراً. ثم قال " انظر إلى الهلك " يعني معبودك عند نفسك أبصره " الذي ظلت عليه عاكفا " قال ابن عباس: معناه أقمت عليه عاكفا، واصله ظللت، فحذف اللام المكسورة للتخفيف وكراهية التضعيف، وللعرب فيها مذهبان، فتح الظاء، وكسرهما، فمن فتح تركها على حالها، ومن كسر نقل حركة اللام إليها للاشعار بأصلها. ومثله مست ومست في مسست. وهمت وهمت، في هممت، وهل أحست في أحسست، قال الشاعر:

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢٤١ / والشوكاني ٣ / ٣٧١

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٤٠

خلا ان العتاق من المطايا * أحس به فهن إليه شوس (١)
وقوله " لنحرقنه " يعني بالنار يقال: انه حرقه ثم ذراه في البحر - في قول ابن عباس - يقال حرقته بتشديد الراء إذا حرقته بالنار وحرقته بتخفيف الراء بمعنى برده بالمبرد، وذلك لأنه يقطع به كما يقطع المحرق بالنار يقال حرقته وأحرقته حرقا، كما قال الشاعر:

بذي فرفير يوم بنو حبيب * بيوتهم علينا يحرقونا (٢)
وقال زهير:

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله (٣)
وقرأ أبو جعفر المدني " لنحرقنه " بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء بمعنى لنبردنه. وروي ذلك عن علي (ع)، ويقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه لتطير عنه قشوره. وقال سعيد بن جبير: كان السامري رجلا من أهل كرمان. وقال قوم: كان من بني إسرائيل، واليه تنسب (السامرة) من اليهود. وحكى قوم: ان قبيلته إلى اليوم يقولون في كلامهم: لا مساس. ثم اقبل على قومه فقال " إنما الهكم الله الذي لا إله إلا هو " اي ليس

لكم معبود الا الله الذي " وسع كل شئ علما " اي يعلم كل شئ، لا يخفى عليه شئ منها، وهي لفظة عجيبة في الفصاحة.

ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك " نقص عليك من أبناء " يعني اخبار " ما قد سبق " وتقدم " وقد آتيناك من لدنا ذكرا " اي أعطيناك من عندنا

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٣٧ والقرطبي ١١ / ٢٤٢

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٣٨

(٣) ديوان (دار بيروت) ٦٩ وهذا البيت برمته ساقط من المطبوعة

علما بأخبار الماضين. وقال الجبائي: أراد آتيناك من عدنا القرآن لأنه سماه ذكرا. ثم قال " من اعرض " عن التصديق بما أخبرناك به وعن توحيد الله، واخلاص عبادته " فإنه يحمل يوم القيامة وزرا " اي اثما، واصل الوزر الثقل، في قول مجاهد. قوله تعالى:

(خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا (١٠١) يوم
ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ رزقا (١٠٢) يتخافتون
بينهم إن لبثهم إلا عشرا (١٠٣) نحن أعلم بما يقولون إذ يقول
أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما (١٠٤) ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا (١٠٥) فيذرها قاعا صفصفا (١٠٦) لا ترى
فيها عوجا ولا أمثا (١٠٧) سبع آيات.

قرأ أبو عمرو وحده " يوم نفخ " بفتح النون مع قوله " ونحشر ". الباقيون
" ينفخ " بالياء على ما لم يسم فاعله. قوله " خالدين " نصب على الحال، والعامل
فيه (العذاب) الذي تقدم ذكره من الوزر، والمعنى في عذاب الاثم (وساء لهم
يوم القيامة حملا) نصب (حملا) على التمييز. وفاعل (ساء) مضمر، وتقديره:
ساء الحمل حملا، الا انه استغني بالمفسر عن اظهار المضمر، كقولهم بئس رجلا
صاحبك. وإنما اضمر، ثم فسر، لأنه أفخم وأهول، والمعنى وساء ذلك الحمل
الوزر لهم يوم القيامة حملا، فيما ينزل بهم.
وقوله (يوم ينفخ في الصور) فالنفخ اخراج الريح من الجوف بالدفع من

الفم، فهذا أصله، ثم قد يسمى احداث الريح من الزق أو البوق نفخا، لأنه كالنفخ المعروف. و (الصور) قيل في معناه قولان:

أحدهما - انه جمع صورة، كل حيوان تنفخ فيه الروح، فتجري في جسمه، ويقوم حيا بإذن الله.

والثاني - انه قرن ينفخ فيه النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم عند تلك النفخة تصويرا لتلك الحال في النفوس بما هو معلوم، مما عهدوه من بوق الرحيل وبوق النزول.

وقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قيل: معناه إنه ازرق عيونهم من شدة العطش. وقيل: معناه عميا، كما قال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا) (١) كأنها ترى زرقا وهي عمي. وقيل: المعني في (زرقا) تشويه الخلق: وجوههم سود وأعينهم زرق.

وقوله (يتخافتون بينهم) معناه يتشاورون بينهم - في قول ابن عباس - ومنه قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ومعناه لا تعلن صوتك بالقراءة في الصلاة كل الاعلان ولا تخفها كل لا خفاء (وابتغ بين ذلك سبيلا) (٢) وقوله (إن لبثتم إلا عشرا) يعني ما أقمتهم في قبوركم إلا عشرا. وإنما يقولون ذلك القول لأنهم لشدة ما يرونه من هول القيامة ينسون ما لبثوا في الدنيا، فيقولون هذا القول. وقيل: معناه وتأويله انه يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لما يرون من أحوالهم التي رجعت إليهم، كأنهم كانوا نياما، فانتبهوا. وقال الحسن: إن لبثتم إلا عشرا يقللون لبثهم في الدنيا لطول ما هم لاثون في النار. ثم قال تعالى (نحن اعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة) أي أصلحهم

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٩٧

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ١١٠

طريقة وأوفرهم عقلا. وقيل: أكثرهم سدادا، يعني عنه نفسه (إن لبثتم إلا يوما) قال أبو علي الجبائي: معناه (إن لبثتم إلا يوما) بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، وذلك أن الله يعذبهم ثم يعيدهم.

ثم قال لنبية محمد صلى الله عليه وآله (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قيل: انه يجعلها بمنزلة الرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتذريها كتذرية الطعام عن القشور والتراب. وقيل: ان الجبال تصير كالهباء (فيذرها قاعا صفصفا) قال ابن عباس: الصفصاف الموضع المستوي الذي لانبات فيه، وهو قول مجاهد وابن زيد. وقيل هو المكان المستوي كأنه على صف واحد في استوائه، والقاع قيل: هو الأرض الملساء. وقيل مستنقع الماء وجمعه اقوac قال الشاعر:

كان أيدهن بالقاع القرق * أيدي جوار يتعاطين الورق (١)

وقال الكلبي: الصفصاف ما لا تراب فيه. (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يعني واديا ولا رابية - في قول ابن عباس - وقيل (عوجا) معناه صدعا (ولا أمتا) يعني اكمة. وقيل: معنى (عوجا) ميلا و (أمتا) اثرا. وقال أبو عبيدة: (صفصفا) اي مستويا املسا. و (العوج) مصدر ما أعوج من المجاري، والمسائل والأودية والارتفاع يمينا وشمالا و " لا أمتا " اي لا ربا ولا وهاد، أي لا ارتفاع فيه ولا هبوط، يقال: مد حبله حتى ما ترك فيه امتا، وملا سقاها حتى ما ترك فيه أمتا أي انثناء، قال الشاعر:

ما في انحذاب سيره من أمت (٢)

(١) امالي الشريف المرتضى ١ / ٥٦١ واللسان (قرق)

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٤١ والشوكاني ٣ / ٣٧٢

قوله تعالى:

(يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا (١٠٨) يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا (١٠٩) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (١١٠) ثلاث آيات. يقول الله تعالى إن اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفا. ويذرها قاعا صنفصفا، حتى لا يبقى فيه عوج ولا أمّ، تتبع الخلائق يومئذ الداعي لهم إلى المحشر (لا عوج له) أي لا يميلون عنه، ولا يعدلون عن ندائه، ولا يعصونه كما يعصون في دار الدنيا (وخشعت الأصوات للرحمن) أي تخضع له بمعنى أنها تسكن، ولا ترتفع - في قول ابن عباس - والخشوع الخضوع قال الشاعر: لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع (١) وقوله تعالى " فلا تسمع إلا همسا " فالهمس صوت الاقدام - في قول ابن عباس وابن زيد - وقال مجاهد: الهمس إخفاء الكلام، قال الراجز في الهمس: وهن يمشين بنا هميسا (٢) يعني صوت أخفاف الإبل في سيرها. وقوله (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) أخبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعة أحد في

(١) قائله جرير ديوانه (دار بيروت) ٢٧٠ وقد مر في ١ / ٢٠٤، ٣١٢ من هذا الكتاب

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٤٩ والشوكاني ٣ / ٣٧٢ والطبري ١٦ / ١١٤.

غيره، إلا شفاعته من أذن الله له أن يشفع، ورضي قوله فيها: من الأنبياء والأولياء والصديقين والمؤمنين. ثم قال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما بين أيدي الخلائق من أمور القيامة وأحوالهم، ويعلم ما سبقهم فيما تقدمهم (ولا يحيطون) هم (به) بالله (علما). والمعنى انهم لا يعلمون كل ما هو تعالى عالم به لنفسه، فلا يعمله أحد علم إحاطة، وهو تعالى يعلم جميع ذلك، وجميع الأشياء علم إحاطة، بمعنى انه يعلمها على كل وجه يصح أن تعلم عليه مفصلا. وقال الجبائي: معناه ولا يحيطون بما خلفهم علما، ولا بما بين أيديهم. قوله تعالى:

(وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما (١١١) ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما (١١٢) وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا (١١٣) فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤) ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) (١١٥) خمس آيات.

قرأ ابن كثير وحده (فلا يخف ظلما) على النهي. الباكون على الخير. قال أبو علي النحوي: قوله (وهو مؤمن) جملة في موضع الحال والعامل فيها (يعمل) وذو الحال الذكر الذي في يعمل من (من)، وموضع الفاء، وما بعدها من قوله

(فلا يخاف) الجزم، لكونه في موضع جواب الشرط. والمبتدأ محذوف مراد بعد الفاء، وتقديره: فهو لا يخاف، والامر في ذلك حسن، لان تقديره من عمل صالحا فليأمن، ولا يخف. والمراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه. وقوله (وعنت الوجوه) أي خضعت وذلت خضوع الأسير في يد القاهر له، والعاني الأسير، ويقال: عنا وجهي لربه يعنو عنوا اي ذل وخضع ومنه: أخذت الشئ عنوة أي غلبة بذل المأخوذ منه، وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة، لأنه على طاعة الدليل للعزير قال الشاعر:

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة * ولم تلح نفس لم تلم في اخيئالها (١)
وقال آخر:

فما اخذوها عنوة عن مودة * ولكن بضرب المشرفي استقالها (٢)
و (عنت) ذلت - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. و (القيوم)
قيل في معناه قولان:

أحدهما - انه العالم فيما يستقيم به تدبير جميع الخلق، فعلى هذا لم يزل الله قيوما والثاني - انه القائم بتدبير الخلق، وهي مثل صفة حكيم على وجهين. وقال الجبائي: القيوم القائم بأنه دائم لا يبيد ولا يزول. وقال الحسن: هو القائم على كل نفس بما كست حتى يجزيها. ووجه (عنت الوجوه للحي القيوم) انها تدل عليه، لان الفعل منه تعالى يدل على أنه قادر وكونه قادرا يدل على أنه عالم. وقيل: معنى (وعنت الوجوه) هو وضع الجبهة والانف على الأرض في السجود - في قول طلق ابن حبيب

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٤٢

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٤٢ والقرطبي ١١ / ٢٤٩ واللسان (عنو)

وقوله (وقد خاب من حمل ظلما) أي خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرا ظلما مستحقا للعقاب. و (من) في قوله (من الصالحات) زائدة عند قوم والمراد من يعمل الصالحات. ويحتمل أن تكون للتبعيض، لأن جميع الصالحات لا يمكن أحد فعلها، فأخبر الله تعالى أن من يعمل الأعمال الصالحات، وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدق بأنبيائه (فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ظلما بالزيادة في سيئاته، ولا زيادة في عقابه الذي يستحقه على معاصيه (ولا هضما) أي ولا نقصانا من حسناته ولا من ثوابه - في قول ابن عباس والحسن وقتادة - وقيل (لا يخاف ظلما) بأن لا يجزى بعمله (ولا هضما) بالانتقاص من حقه - في قول ابن زيد. فمن قرأ " فلا يخاف " أراد الاخبار بذلك. ومن قرأ " فلا يخف " معناه معنى النهي للمؤمن الذي وصفه عن أن يخاف ظلما أو هضما. وأصل الهضم النقص، يقال: هضمني فلان حقي أي نقصني. وامرأة هضم الحشا أي ضامرة الكشحين بنقصانه عن حد غيره. ومنه هضمت المعدة الطعام أي نقصت مع تغييرها له. وقوله " وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا " أي كما أخبرناك باخبار القيامة أنزلنا عليك يا محمد القرآن " وصرفنا فيه من الوعيد " أي ذكرناه على وجوه مختلفة، وبيناه بألفاظ مختلفة، لكي يتقوا معاصيه ويحذروا عقابه " أو يحدث " القرآن " لهم ذكرا " ومعناه ذكرا يعتبرون به. وقيل " ذكرا " أي شرفا بايمانهم به. ثم قال تعالى " فتعالى الله الملك الحق " أي ذو الحق، ومعناه ارتفع - معنى صفته - فوق كل شيء سواه، لأنه أقدر من كل قادر، وأعلم من كل عالم سواه لأن كل قادر عالم سواه يحتاج إليه، وهو غني عنه. وقوله (ولا تجعل بالقرآن من قبل ان يقضى إليك وحيه " أي لا تسأل إنزاله قبل ان يأتيك وحيه. وقيل: معناه لا تلقه إلى الناس قبل ان يأتيك بيان

تأويله. وقيل: لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل من أدائه إليك.
وقوله " وقل رب زدني علما " اي استزد من الله علما إلى علمك. وقال
الحسن: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي عجل بقراءته مخافة نسيانه.
وقوله " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما " قال ابن عباس
ومجاهد: معناه عهد الله إليه، بأن امره به ووصاه به " فنسي " اي ترك. وقيل إنما
أخذ الانسان من أنه عهد إليه فنسي - في قول ابن عباس - وقوله " ولم نجد له
عزما " أي عقدا ثابتا. وقال قتادة: يعني صبورا. وقال عطية: أي لم تجد له حفظا.
والعزم الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل.
وقرأ يعقوب " من قبل ان نقضي " بالنون وكسر الضاد وفتح الياء بعدها
" وحيه " بنصب الياء. الباقيون " يقضي " بناه لما لم يسم فاعله ورفع الياء في
قوله " وحيه "،
قوله تعالى

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
أبى (١١٦) فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨)
وأنت لا تظمئ فيها ولا تضحى (١١٩) فوسوس إليه الشيطان قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) خمس آيات
قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم " وإنك لا تظمئ " بكسر الهمزة على الاستئناف

وقطعه عن الأول. الباكون بالنصب عطفًا على اسم (أن).
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله يا محمد واذكر حين قال الله تعالى " للملائكة اسجدوا

لآدم " أي أمرهم بالسجود له، وانهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس وقد بينا - فيما تقدم - أن أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، وإن كان السجود لله تعالى لا لآدم، لأن السجود عبادة، لا يجوز أن يفعل إلا لله، فأما المخلوقات فلا تستحق شيئًا من العبادة بحال، لأن العبادة تستحق بأصول النعم وبقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم.

وقال قوم: إن سجد الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى جهة الكعبة - وهو قول الجبائي - والصحيح الأول، لأن التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لا لآدم باسجد الملائكة له. ولو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلاً لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، ولما كان لقوله " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " (١) وجه. فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم - وإن أخطأ في الاحتجاج - علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، وإلا كان يقول الله لإبليس: إني ما فضلتك على من أمرته بالسجود لآدم وإنما السجود لي، وهو بمنزلة القبلة، فلا ينبغي أن تأنف من ذلك. وقد بينا أن الظاهر - في روايات أصحابنا - أن إبليس كان من جملة الملائكة وهو المشهور - في قول ابن عباس - وذكره البلخي - فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلًا. ومن قال: إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع، وإنما جاز ذلك، لأنه كان مأموراً أيضاً بالسجود له، فاستثنى على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلا الأمير، وكما قال عنتر

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١١

ابن دجاجة:

من كان أشرك في تفرق مالح * فلبونه جربت معا واغذت
الا كنا شرّة الذي ضيعتم * كالغصن في غلوائه المثبت
والمعنى لكن هذا كنا شرّة. وتقول: قام الاشراف للرئيس، إلا العامي
الذي لا يلتفت إليه. قال الرمانى: وإذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أمن من دونهم
داخل معهم، كما أنه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمر اقتضى أن الصغار القدر، قد
دخلوا معهم.

وقوله " أبى " معناه امتنع " فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك " حكاية
عما قال الله تعالى لآدم: إن إبليس عدوك وعدو زوجتك يريد إخراجكما من الجنة، ونسب
الإخراج إلى إبليس إذ كان بدعائه واغوائه.

وقوله " فتشقى " قيل: معناه تتعب بأن تأكل من كد يدك وما تكتسبه
لنفسك. وقيل: فتشقى على خطاب الواحد، والمعنى فتشقى أنت وزوجك، لان
أمرهما في السبب واحد، فاستوى حكمهما لاستوائهما في العلة. وقيل: خص بالشقاء
لان الرجل يكد على زوجته.

وقوله " إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى " يعني في الجنة ما دمت على طاعتك
لي والامثال لامري وانك " لا تعرى " فيها من الكسوة " وإنك لا تظمأ فيها " اي
لا تعطش فيها " ولا تضحى " أي لا يصيبك حر الشمس - وهو قول ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة - وقال عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخضر (١)
أي يخضر من البرد. وقيل: ليس في الجنة شمس إنما فيها نور وضياء. وإنما

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٢١ وروايته (يخضر) بدل (يخضر) ومعناها واحد

الشمس في سماء الدنيا خاصة. وضحي الرجل يضحى إذا برز للشمس. قال أبو علي: إنما لم يجز أن يقول انك لا تجوع وإنك لا تظمأ. بغير فصل كراهة اجتماع حرفين متقاربين في المعنى، فإذا فصل بينهما لم يكره ذلك، كما كرهوا: إن لزيدا قائم، ولم يكرهوا "إن في ذلك لآيات" مع الفصل. وقال الرماني إنما جاز أن تعمل (أن) في (أن) بفصل ولم يجز من غير فصل كراهية التعقيد بمداخلة المعاني المتقاربة، فاما المتباعدة فلا يقع بالاتصال فيها تعقيد، لأنها متباينة مع الاتصال لألفاظها، فلذلك جاز "إن لك أن لا تظمأ فيها" ولم يجز أن انك لا تظمأ، لأنه بغير فصل. ثم اخبر تعالى أن إبليس وسوس لادم، فقال له "هل أدلك على شجرة الخلد..." "أي على شجرة إن تناولت منها بقيت في الجنة مخلدا لا تخرج منها، وحصل لك ملك وسلطان لا يبلى على آلابد، ولا يهلك، وهي الشجرة التي نهاه الله تعالى عن تناولها. وقد قدمنا اختلاف المفسرين في ماهية تلك الشجرة فيما مضى فلا وجه لإعادته.

قوله تعالى:

(فأكلَا منها فبدت لهما سوءَاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي (١٢٢) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا

ونحشره يوم القيمة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) خمس آيات.

اخبر الله تعالى عن آدم وحواء أنهما أكلا من الشجرة التي نهى الله عن أكلها، وعندنا أن النهي كان على وجه التنزيه. والأولى أن يكون على وجه الندب دون نهى الحظر والتحريم، لان الحرام لا يكون إلا قبيحا، والأنبياء لا يجوز عليهم شئ من القبائح لا كبيرها ولا صغيرها. وقال الجبائي: لا تقع معاصي الأنبياء إلا سهوا، فأما مع العلم بأنها معاصي فلا تقع. وقال قوم آخرون: إنه وقع من آدم أكل الشجرة خطأ. لأنه كان نهى عن جنس الشجرة فظن أنه نهى عن شجرة بعينها، فأخطأ في ذلك. وهذا خطأ لأنه تنزيه له من وجه المعصية، ونسبة المعصية إليه من وجهين: أحدهما - أنه فعل القبيح. والثاني - أنه أخطأ في الاستدلال. وقال قوم: انها وقعت منه عمدا، وكانت صغيرة، وقعت محبطة وقد بينا أن ذلك لا يجوز عليهم (ع) عندنا بحال. وقال الرماني: لما حلف إبليس لهما لم يقبلأ منه، ولم يصدقاه، ولكن فعلا ذلك لغلبة شهوتهما، كما يقول الغاوي للانسان إزن بهذه المرأة فإنك ان أخذت لم تحد، فلا يصدقها، ويزني بها لشهوته. وقال الحسن: أكلت حواء أولا وأبت عليه ان يجامعها حتى يأكل منها، فأكل حينئذ.

وقوله " فبدت لهما سواتهما " أي ظهرت لهما عوراتهما، لان ما كان عليهما من اللباس نزع عنهما، ولم يكن ذلك على وجه العقوبة بل لتغيير المصلحة في نزعهما وإخراجهما من الجنة وإهباطهما الأرض وتكليفهما فيها. وإنما جمع سواتهما، وهو لاثنين، لان كل شيئين من شيئين، فهو من موضع التثنية جمع، لان الإضافة تثنية

مع أنه لا إخلال فيه لمناسبة الجمع للثنائية. وقال السدي: كان لباس سوآتهما الظفر. وقوله " طفقاً " يعني ظلاً، وجعلاً يفعلان.

وقوله " يخصفان عليهما من ورق الجنة " فالخصف خيط الشئ بقطعة من غيره، يقال: خصفه يخصفه خصفاً، فهو خاصف وخصاف. وقيل: انهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض ويخيطان بعضه إلى بعض ليسترا به سوآتهما. وقوله " وعصى آدم ربه فغوى " معناه خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه. والمعصية مخالفة الأمر سواء كان واجبا أو ندبا قال الشاعر:

أمرتك امرا جازما فعصيتني (١)

ويقال أيضاً: أشرت عليك بكذا، فعصيتني، ويقال غوى يغوي غواية وغيا إذا خاب، قال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (٢)
أي من يخب، وفي الكلام حذف، لأن تقديره ان آدم تاب إلى الله وندم على ما فعل، فاجتبه الله واصطفاه " وتاب عليه " أي قبل توبته. وهداه إلى معرفته وإلى الثواب الذي عرضه له.

وقوله " قال اهبطوا منها جميعا لبعض عدو " يعني آدم وحواء وإبليس وذريته. وقد بينا معنى الهبوط فيما تقدم (٣) واختلاف الناس فيه. والمعنى أنه أخرج هؤلاء من الجنة بأن أمرهم بالخروج منها على وجه تغيير المصلحة في أمره، ولا بليس على وجه العقوبة. وقد بينا فيما تقدم ان إخراج إبليس من الجنة، كان قبل ذلك حين أمره الله بالسجود لآدم فامتنع فلعنه وأخرجه، وإنما أغوى آدم من

(١) مر هذا البيت كاملاً في ٦ / ٣٥٥

(٢) مر هذا البيت في ٢ / ٣٠٢ و ٤ / ٣٩١ و ٥ / ٥٤٨ و ٦ / ٣٣٦

(٣) انظر ١ / ١٦٢ و ٤ / ٢٩٨

خارج الجنة، لأنه قيل: ان آدم كان يخرج إلى باب الجنة. وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك فيما مضى (١).

وقوله " فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى " معناه ان أتاكم هدى مني بأن أكلفكم، وانصب لكم الأدلة على ما أمركم به من معرفتي وتوحيدي والعمل بطاعتي، فمن اتبع أدلتي وعمل بما أمره به، فإنه " لا يضل " في الدنيا " ولا يشقى " في الآخرة. وقال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقوله " ومن اعرض عن ذكرى " (أي من لم ينظر في ذكرى الذي هو القرآن والأدلة المنصوبة على الحق وصدف عنها) (٢) " فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " فالضنك الضيق الصعب، منزل ضنك أي ضيق، وعيش ضنك، لا يشقى ولا يجمع ولا يؤنث، لان أصله المصدر. ثم وصف به، قال عنترة: إن يلحقوا أكرر وان يستلحموا * أشدد وان يلفوا بطنك أنزل وقال أيضا:

ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي إذا نزلوا بطنك المنزل (٣)
والضنك: الضيق، في قول مجاهد وقتادة: وقال الحسن وابن زيد: المعيشة الضنك هو الضريع، والزقوم في النار. وقيل: الضريع شوك من نار. وقال عكرمة والضحاك: هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي إلى النار. وقال ابن عباس: لأنه غير موقن بالخلف، فعيشه منغص. وقال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبو

(١) انظر ١ / ١٦٢ و ٤ / ٢٩٨

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٣) البيت الأول في ديوان (دار بيروت): ٥٧ والثاني في ٥٨

صالح، والسدي، ورواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عذاب القبر، ولقوله تعالى

" ولعذاب الآخرة أشد وأبقى " يقتضي انه عذاب القبر.

وقوله " ونحشره يوم القيامة أعمى " قيل معناه نحشره يوم القيامة أعمى البصر. وقيل أعمى الحجة. وقيل أعمى عن جهات الخير لا يهتدي إليها. والأول هو الظاهر إذا أطلق. فمن قال: أعمى البصر قال: معناه لا يبصر في حال ويبصر العذاب في حال. ومن قال: بالآخرة قال: هو أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها.

وقوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا " حكاية عما يقول الذي يحشره أعمى " لم حشرتني أعمى " ذاهب البصر " وقد كنت بصيرا " أبصر بها. وهذا يقوي أنه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة، لأن الكافر لم يكن بصيرا في الدنيا الاعلى وجه صحة الحاسة. وقيل معناه كنت بصيرا بحجتي عند نفسي.

قوله تعالى:

(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون

(٢٢٠)

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) خمس آيات.
قرأ الكسائي وأبو عمرو عن عاصم " ترضى " بضم التاء. الباقر بفتحها.
هذا جواب من الله تعالى لمن يقول " لم حشرتني أعمى، وقد كنت بصيرا "
فيقول الله له في جواب ذلك كما حشرتك أعمى مثل ذلك " أتتكم آياتنا " يعني أدلتنا
وحججنا " فنسيتها " أي تركتها ولم تعتبر بها، وفعلت معها ما يفعله الناسي الذي لم
يذكرها أصلا، ومثل ذلك اليوم تترك من ثواب الله ورحمته وتحرم من نعمه، وتصير
بمنزلة من قد ترك في المنسى بعذاب لا يفنى.
ثم قال ومثل ذلك " نجزي من أسرف " على نفسه بارتكاب المعاصي، وترك
الواجبات ولم يصدق بآيات ربه وحججه.
ثم قال " ولعذاب الآخرة " بالنار " أشد وأبقى " لأنه دائم، وعذاب القبر
وعذاب الدنيا يزول. وهذا يقوى قول من قال: إن قوله " معيشة ضنكا " أراد
به عذاب القبر. ولا يجوز أن يكون المراد بقوله " فنسيتها " النسيان الذي ينافي العلم
لان ذلك من فعل الله لا يعاقب العبد عليه، اللهم إلا أن يراد ان الوعيد على التعرض
لنسيان آيات الله. فأجري في الذكر على نسيان الآيات للتحذير من الوقوع فيه.
ثم قال تعالى " أولم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم "
قيل: ان قريشا كانت تتجر إلى الشام فتتمر بمساكن عاد وثمود، فتري آثار اهلاك
الله إياهم، فنبههم الله بذلك على معرفته وتوحيده. وفاعل " يهد " مضمر يفسره " كم
أهلكنا " والمعنى أو لم يهد لهم اهلكنا من قبلهم من القرون. ويجوز أن يكون
المضمر المصدر يفسره (كم أهلكنا) وموضع (كم) نصب ب (أهلكنا) في قول الفراء

والزجاج. وقال بعضهم: انه رفع ب (يهد) وهذا خطأ، لأنه خرج مخرج الاستفهام، كما يقول القائل: قد تبين لي أقام زيد أم عمرو؟. وقوله " ان في ذلك " يعني في اهلا كنا القرون الماضية " لآيات " وحججا لأولي العقول. والنهي العقول، على ما بيناه في غير موضع (١).

وقوله " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى " فيه تقديم وتأخير وتقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما ومعناه: لولا ما سبق من وعد الله بأن الساعة تقوم في وقت بعينه وان المكلف له اجل مقدر معين، لكان هلاكهم " لزاما " أي لازما ابدا. وقيل: معناه فيصلا يلزم كل انسان طائره، ان خيرا فخييرا وان شرا، فشرا، فالأول قول الزجاج، والثاني قول أبي عبيدة. وقال قوم: عذاب اللزام كان يوم بدر، قتل الله فيه الكفار، ولولا ما قدر الله من آجال الباقيين ووعدهم من عذاب الآخرة، لكان لازما لهم ابدا في سائر الأزمان. وقال قتادة: الأجل الأول يعني في قيام الساعة والثاني الذي كتبه الله للانسان انه يقيه إليه.

ثم قال لنبية محمد صلى الله عليه وآله " فاصبر على ما يقولون " من كفرهم بتوحيد الله وجحدهم لنبوتك وأذاهم إياك بكلام يسمعونك يثقل عليك " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس " يعني صلاة الفجر " وقبل غروبها " يعني صلاة العصر " ومن آناء الليل " يعني صلاة المغرب والعشاء " وأطراف النهار " صلاة الظهر - في قول قتادة - " وآناء الليل " ساعات الليل. واحدها إني، قال السعدي: حلو ومر كعصف القدح مرته * بكل إني حذاه الليل ينتعل (٢) وقيل في قوله " وأطراف النهار " لم جمع؟ ثلاثة أقوال:

(١) انظر ٧ / ١٧٩

(٢) انظر ٢ / ٥٦٤

أولها - انه أراد أطراف كل نهار، فالنهار في معنى الجمع.
الثاني - انه بمنزلة قوله " فقد صغت قلوبكما " (١)
الثالث - انه أراد طرف أول النصف الأول، وآخر النصف الأول، وأول
النصف الأخير، وآخر النصف الأخير، ولذلك جمع.
وقوله " لعلك ترضى " معناه افعل ما أمرتك به لكي ترضى بما يعطيك الله
من الثواب على ذلك. ومن ضم التاء أراد: لكي نفعل معك من الثواب ما ترضى
معه. وقيل: لكي ترضى بالشفاعة. والمعاني متقاربة، لأنه إذا أرضى الله النبي صلى الله عليه
وآله
فإنه يرضى.
قوله تعالى:

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر
أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك
والعاقبة للمتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم
تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من
قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون
من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥) خمس آيات.

(١) سورة ٦٦ التحريم آية ٤

قرأ " زهرة " - بفتح الهاء - يعقوب. وقرأ الباكون بسكونها، وهما لغتان.
وقرأ نافع وأبو جعفر - من طريق ابن العلاف - وأهل البصرة وحفص " أو لم تأتهم " بالتاء. الباكون بالياء. وقد مضى نظائره.
نهى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين عن أن يمدوا أعينهم،

وينظروا إلى ما متع الله الكفار به، من نعيم الدنيا ولذاتها، والامتناع الالذاذ بما يدرك، وذلك بما يرى من المناظر الحسنة ويسمع من الأصوات المطربة، ويشم من الروائح الطيبة، يقال: أمتعته إمتاعا، ومتعه تمتيعا، إلا أن في متعه تكثر الامتناع. وقوله " أزواجا منهم " معناه أشكالا منهم، من المزوجة بين الأشياء، وهي المشاكلة، وذلك أنهم اشكال في الذهاب عن الصواب
وقوله " زهرة الحياة الدنيا " (فالزهرة الأنوار التي تروق عند الرؤية، ومن ذلك قيل للكوكب يزهر، لنوره الذي يظهر. والمعاني الحسنة زهرة النفوس. وقوله " لنفتنهم فيه " معناه لنعاملهم معاملة المختبر، بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الأمور التي خلقناها لهم.
وقوله " ورزق ربك " يعني الذي وعدك به في الآخرة من الثواب " خير وأبقى " مما متعنا به هؤلاء في الدنيا.

وقبل إن هذه الآية نزلت على سبب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله استسلف من يهودي طعاما فأبى أن يسلفه إلا برهن، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله هذه

الآية تسلية له. وروى ذلك أبو رافع مولاة.

وقيل " زهرة الحياة الدنيا " زينة الحياة الدنيا - في قول قتادة - .
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " وأمر " يا محمد " أهلك بالصلاة " وقيل: المراد به أهل بيتك، وأهل دينك، فدخلوا كلهم في الجملة " واصطبر عليها " بالاستعانة بها على

الصبر عن محارم الله. ثم قال له " لا نسألك رزقا نحن نرزقك " الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله

والمراد به جميع الخلق، فان الله تعالى يرزق خلقه، ولا يسترزقهم، فيكون أبلغ في المنة " والعاقبة للتقوى " يعني العاقبة المحمودة لمن اتقى معاصي الله واجتنب محارمه. وفي الآية دلالة على وجوب اللطف، لما في ذلك من الحجة، لمن في المعلوم انه يصلح به، ولو لم يكن فيه حجة لجرى مجرى أن تقول: لولا فعلت بنا ما لا يحتاج إليه في الدين، ولا الدنيا، من جهة أنه لا حجة فيه، كما لا حجة في هذا. وقوله " ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله " اخبار منه تعالى أنه لو أهلكهم بعذاب أنزله عليهم جزاء على كفرهم " لقالوا " يوم القيامة " لولا أرسلت " اي هلا أرسلت " الينا رسولا " يدعونا إلى الله ويأمرنا بتوحيده (فتتبع) أدلتك و (آياتك من قبل ان نذل ونخزى) اي قبل أن نهون، يقال: خزي يخزي إذا هان وافتضح وقوله (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) حكاية عما قال الكفار للنبي صلى الله عليه وآله هلا يأتينا بآية من ربه يريدون الآية التي يقترحونها، لأنه اتى بالآيات. ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب إليه. ومن قرأ - بالياء - حكى بأنهم قالوا فيما بينهم هلا يأتينا بالمعجز. أو دلالة تدل على صدق قوله، فقال الله لهم (ألم تأتتهم بينة ما في الصحف الأولى) يعني ألسنا بينا ذلك في الكتب التي أنزلناها على موسى وعيسى، فلم لم يؤمنوا بها ويصدقوا بها؟ ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب إليه، فقال الله تعالى لنبيه (قل) لهم يا محمد (كل متربص) اي كل واحد منا ومنكم متربص، فنحن نتربص بكم وعد الله لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا ان نموت، فتستريحوا (فستعلمون) اي سوف تعلمون فيما بعد (من أصحاب الصراط السوي) يعني الصراط المستقيم و (من) الذي (اهتدي) إلى طريق الحق. (من) يحتمل أن تكون نصبا إن كانت بمعنى الذي وأن تكون رفعا على طريقة الاستفهام.

٢١ - سورة الأنبياء

هي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي مائة واثنى عشرة آية في الكوفي واحد عشر في البصري والمدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (٥) خمس آيات. قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر وخلفا " قال ربي " على وجه الخبر.. الباكون

(٢٢٧)

" قل ربي " على وجه الامر.
هذا اخبار من الله تعالى بأنه " اقترب للناس " يعني دنا وقت " حسابهم " ومعناه دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليحازى به وعليه. والحساب اخراج مقدار العدد بعقد يحصل. ويقال: هو إخراج الكمية من مبلغ العدة. وقيل إنه دنا لأنه بالإضافة إلى ما مضى يسير.

وقيل: نزلت الآية في أهل مكة استبطؤا عذاب الله تكذيبا بالوعيد، فقتلوا يوم بدر، والاقتراب قصر مدة الشئ بالإضافة إلى ما مضى من زمانه. وحقيقة القرب قلة ما بين الشيئين، يقال: قرب ما بينهما تقريبا إذا قلل ما بينهما من مدة أو مسافة أو أي فاصلة، والقرب قد يكون في الزمان، وفي المكان، وفي الحال. وقد قيل: كل آت قريب، فلذلك وصف الله تعالى القيامة بالاقتراب، لأنها جائية بلا خلاف.

وقوله " وهم في غفلة معرضون " فالغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضها اليقظة، ونقيض السهو الذكر، وهو حضور المعنى للنفس، والنسيان، هو غروب المعنى عن النفس بعد حضوره. وقوله " معرضون " يعني عن الفكر في ذلك، والعمل بموجبه. وقيل: هم في غفلة بالاشتغال بالدنيا، معرضون عن الآخرة. وقيل: هم في غفلة بالضلال، معرضون عن الهدى. وهو مثل ما قلناه.
وقوله " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث " معناه أي شئ من القرآن محدث بتنزيله سورة بعد سورة وآية بعد آية " إلا استمعوه وهم يلعبون " أي كل ما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل - في قول الحسن وقتادة - وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث، لأنه تعالى اخبر انه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم إلا استمعوه وهم لاعبون. والذكر: هو القرآن قال الله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر

وإننا له لحافظون " (١) وقال " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " (٢)
يعني القرآن، ويقويه في هذه الآية قوله " الا استمعوه " والاستماع لا يكون إلا
في الكلام، وقد وصفه بأنه محدث، فيجب القول بحدوثه
ويجوز في (محدث) الجر على أنه صفة. ويجوز الرفع والنصب فالنصب على الحال
والرفع على تقدير هو محدث. ولم يقرأ بهما، وقوله " لاهية قلوبهم " نصب (لاهية)
على الحال. وقال قتادة: معناه غافلة. وقال غيره: معناه طالبة للهو، هازلة. واللهو
الهزل الممتع. وقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فموضع (الذين ظلموا) من
الاعراب يحتمل أن يكون رفعا على البدل من الضمير في قوله " وأسروا " كما قال
تعالى " ثم عموا وصموا كثير منهم " (٣) ويجوز أن يكون رفعا على الاستئناف،
وتقديره وهم الذين ظلموا. ويحتمل وجها ثالثا - أن يكون خفضا بدلا من الناس.
والمعنى ان الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وجحدتهم أنبيائه، وأخفوا القول فيما بينهم.
وقالوا " هل هذا " يعنون رسول الله " إلا بشر مثلكم ". وقال قوم: معناه انهم
أظهروا هذا القول لان الفظة (أسروا مشتركة بين الاخفاء والاظهار، والأول أصح.
وقوله " أفتأتون السحر " معناه أفتقبلون السحر " وأنتم تبصرون " أي
وأنتم تعلمون انه سحر. وقيل: معناه أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعلمون الحق
وتنكرون ثبوته.
ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله فقال " قل " يا محمد " ربي " الذي خلقني واصطفاني
" يعلم القول في السماء والأرض " لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يعلمه جميعه " وهو
السميع العليم " أي هو من يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بجميع المعلومات

(١) سورة ١٥ / الحجر آية ٩

(٢) سورة ١٦ النحل آية ٤٤

(٣) سورة المائدة آية ٧٤

وقوله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه " فالمعني في (بل) الاضراب بها عما حكى انهم قالوه أولا، والاخبار عما قالوه ثانيا، لأنهم أولا قالوا: هذا الذي اتانا به من القرآن (أضغاث أحلام) اي تخاليط رؤيا، رآها في المنام - في قول قتادة - قال الشاعر:

كضغث حلم عزمته حالمة (١)

ثم قالوا: لا (بل افتراه) اي تخرصه وافتعله. ثم قالوا: (بل هو شاعر) وإنما قالوا: هو شاعر، قول متحير، قد بهره ما سمع، فمرة يقول ساحر، ومرة يقول شاعر. ولا يجزم على أمر واحد. قال المبرد: في (أسروا) اضمار هؤلاء الالهية قلوبهم، والذين ظلموا بدلا منه. وقال قوم: قدم علامة الجمع، لان الواو علامة الجمع، وليست بضمير، كقولهم: انطلقوا أخوتك، وانطلقا صاحبك، تشبيها بعلامة التأنيث، نحو: ذهبت جاريتك، وهذا يجوز، لكن لا يختار في القرآن مثله. قوله تعالى:

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦)
وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩) لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢٧٠

أفلا تعقلون) (١٠) خمس آيات.

قرأ عاصم " نوحى " بالنون. الباقون - بالياء - على ما لم يسم فاعله. من
قرأ بالنون أراد الاخبار من الله تعالى عن نفسه، بدلالة قوله " وما أرسلنا " لان
النون والألف اسم الله.

لما حكى الله تعالى ما قال الكفار في القرآن، الذي أنزله الله على نبيه
محمد صلى الله عليه وآله من أنهم قالوا تارة: هو أضغاث أحلام، يريدون أقاويله، وتارة
قالوا:

بل اختلقه وافتعله. وتارة قالوا: هو شاعر، لتحيرهم في امره. ثم قالوا (فليأتنا
بآية) غير هذا على ما يقترحونها (كما أرسل) الأنبياء (الأولون) بمثلها، فقال
الله تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها فهم يؤمنون) اي انا أظهرنا الآيات
التي اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا عندها، فأهلكناهم، فهؤلاء أيضا لا يؤمنون
لو أنزلنا ما أرادوه. وأراد الله بهذا الاحتجاج عليهم ان يبين ان سبب مجئ الآيات
ليس لأنه سبب يؤدي إلى ايمان هؤلاء، وإنما مجيئها لما فيها من اللطف والمصلحة، بدلالة
انها لو كانت سببا لايمان هؤلاء لكانت سببا لايمان أولئك، فلما بطل أن تكون سببا
لايمان أولئك، بطل أن تكون سببا لايمان هؤلاء على هذا الوجه. وقيل: ان
معناه إنا لما أظهرنا الآيات التي اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا أهلكناهم،
فلو أظهرنا على هؤلاء مثلها لم يؤمنوا وكانت تقتضي المصلحة ان نهلكهم. ومثله قوله
(وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة) (١)
وقال الفراء: المعنى ما آمنت قبلهم أمة جاءتهم آية، فكيف يؤمن هؤلاء!.
ثم اخبر تعالى انه لم يرسل قبل نبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى الأمم الماضية (إلا رجالا

(١) سورة ١٧ الاسراء آية ٥٩

يوحى إليهم) ووجه الاحتجاج بذلك انه لو كان يجب أن يكون الرسول إلى هؤلاء الناس من غير البشر، كما طلبوه، لوجب أن يكون الرسول إلى من تقدمهم من غير البشر، فلما صح إرسال رجال إلى من تقدم، صح إلى من تأخر. وقال الحسن: ما أرسل الله امرأة، ولا رسولا من الجن، ولا من أهل البادية. ووجه اللطف في إرسال البشر ان الشكل إلى شكله آنس. وعنه افهم ومن الانفة منه ابعد، لأنه يجري مجرى النفس، والانسان لا يأنف من نفسه.

ثم قال هلم " فاسألوا أهل الذكر " عن صحة ما أخبرتكم به من أنه لم يرسل إلى من تقدم إلا الرجال من البشر.

وفي الآية دلالة على بطلان قول ابن حائط: من أن الله تعالى بعث إلى البهائم والحيوانات كلها رسلا.

واختلفوا في المعني بأهل الذكر، فروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: (نحن أهل الذكر) ويشهد لذلك أن الله تعالى سمى نبيه ذكرا بقوله " ذكرا رسولا " (١) وقال الحسن: وقتادة: هم أهل التوراة والإنجيل. وقال ابن زيد: أراد أهل القرآن، لان الله تعالى سمى القرآن ذكرا في قوله " انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٢) وقال قوم: معناه واسألوا أهل العلم باخبار من مضى من الأمم هل كانت رسل الله رجالا من البشر أم لا؟.

وقيل في وجه الامر بسؤال الكفار عن ذلك قولان: أحدهما - انه يقع العلم الضروري بخبرهم إذا كانوا متواترين، وأخبروا عن مشاهدة، هذا قول الجبائي.

والثاني - ان الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها إذا

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ١٠ - ١١

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٩

كانوا بشروط المتواترين وإن لم يوجب خبرهم العلم الضروري.
وقال البلخي: المعنى انك لو سألتهم عن ذلك لأخبروك أنا لم نرسل قبلك
إلا رجالا. وقال قوم: أراد من آمن منهم. ولم يرد الامر بسؤال غير المؤمن.
ثم اخبر تعالى انه لم يبعث رسولا ممن أرسله إلا وكان مثل سائر البشر
يأكل الطعام، وانه لم يجعلهم مثل الملائكة لا يأكلون الطعام، وأنهم مع ذلك لم يكونوا
خالدين مؤبدين، بل كان يصيبهم الموت والفناء كسائر الخلق. وإنما وحد " جسدا "
لأنه مصدر يقع على القليل والكثير، كما لو قال: وما جعلناهم خلقا.
ثم قال تعالى " ثم صدقناهم الوعد " يعني الأنبياء الماضين ما وعدناهم به من
النصر والنجاة، والظهور على الاعداء، وما وعدناهم به من الثواب، فأنجيناهم من
أعدائهم، ومعهم من نشاء من عبادنا، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم، بتكذيبهم
للأنبياء. وقال قتادة: المسرفون هم المشركون. والمسرف الخارج عن الحق إلى
ما تباعد عنه. يقال: اسراف إسرافا إذا جاوز حد الحق وتباعد عنه.
ثم اقسم تعالى بقوله " لقد أنزلنا إليكم "، لأن هذه اللام يتلقى بها القسم،
بأننا أنزلنا عليكم " كتابا " يعني القرآن (فيه ذكركم) قال الحسن: معناه فيه
ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. وقيل: فيه شرعكم إن تمسكتم به، وعملتكم بما فيه.
وقيل: ذكر، لما فيه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال (أفلا تعقلون) يعني أفلا
تتدبرون، فتعلموا أن الامر على ما قلناه.
قوله تعالى:
(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشانا بعدها قوما

آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢)
لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم
تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك
دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) خمس آيات.
يقول الله تعالى مخبرا انه قصم قرى كثيرة، ويريد أهلها. وقوله " كانت
ظالمة " لما أضاف الهلاك إلى القرية أضاف الظلم إليها. والتقدير قصمنا أهل قرية كانوا
ظالمين لنفوسهم، بمعاصي الله، وارتكاب ما حرمه. و (كم) للكثرة وهي ضد (رب)
لان (رب) للتقليل. و (كم) في موضع نصب ب (قصمنا). والقصم كسر الصلب
قهرا، قصمه يقصمه قصما، فهو قاصم الجبابة، وانقصم انقصاما مثل
انقصف انقصافا.

وقوله " وأنشأنا بعدها قوما آخرين " يعني أو جدنا بعد هلاك أولئك قوما
آخرين. والانشاء إيجاد الشيء من غير سبب يولده، يقال أنشأه إنشاء والانشاء الأولى
الدنيا، والانشاء الثانية الآخرة. ومثل الانشاء الاختراع والابتداع - هذا في اللغة -
فأما في عرف المتكلمين، فالاختراع هو ابتداع الفعل في غير محل القدرة عليه.
وقوله " فلما أحسوا بأسنا " معناه لما أدركوا بحواسهم عذابنا، والاحساس
الادراك بحاسة من الحواس الخمس: السمع، والبصر، والانف، والفم، والبشرة.
يقال: أحسه إحساسا وأحس به. وقال قوم: أراد عذاب الدنيا. وقال آخرون:
أراد عذاب الآخرة.
وقوله " إذا هم منها يركضون " فالركض العدو بشدة الوطئ، ركض فرسه

إذا حثه على المر السريع، فمعنى " يركضون " يهربون من العذاب سراعاً، كالمنهزم من عدو. فيقول الله تعالى لهم " لا تركضوا " أي لا تهربوا من الهلاك " وارجعوا إلى ما أترفتم فيه " أي ارجعوا إلى ما كنتم تنعمون فيه، توبينخا لهم وتقريعا على ما فرط منهم. ومعنى " ما أترفتم فيه " نعمتم، فالمترف المنعم والتترف التنعم، وهي طلب النعمة. " ومساكنكم لعلكم تسألون " أي ارجعوا إلى مساكنكم لكي تفيقوا بالمسألة - في قول مجاهد - وقال قتادة: إنما هو توبيخ لهم في الحقيقة. والمعنى تسألون من أنبيائكم؟ على طريق الهزء بهم، فقالوا عند ذلك معترفين على نفوسهم بالخطأ " يا ويلنا إنا كنا ظالمين " لنفوسنا بترك معرفة الله وتصديق أنبيائه، وركوب معاصيه. والويل الوقوع في الهلكة. ونصب على معنى ألزمتنا ويلنا. ثم أخبر الله تعالى عنهم بأن ما حكاه عنهم من الويل " دعواهم " ونداؤهم أبداً " حتى جعلناهم حصيدا خامدين " بالعذاب - في قول الحسن - وقال مجاهد: يعني بالسيف، وهو قتل (بخت نصر) لهم. والحصيد قتل الاستئصال، كما يحصد الزرع بالمنجل، والخمود كخمود النار إذا طفيت. قوله تعالى:

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لالعيبين (١٦)
لو أرادنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧)
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل

والنهار ولا يفترون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.
بقول الله تعالى مخبرا على وجه التمدح: إنا " ما خلقنا السماوات والأرض
وما بينهما " أي ما أنشأناها " لاعبين " ونصبه على الحال. واللعب الفعل الذي يدعو
الله الجهل بما فيه من النقص، لان العلم يدعو إلى أمر، والجهل يدعو إلى خلافه.
والعلم يدعو إلى الاحسان. والجهل يدعو إلى الإساءة لتعجيل الانتفاع. واللعب يستحيل
في صفة القديم تعالى، لأنه عالم لنفسه. بجميع المعلومات غني عن جميع الأشياء، ولا
يمنتع وصفه بالقدرة عليه كما نقول في سائر القبائح، وإن كان المعلوم أنه لا يفعله،
لما قدمناه.

ثم قال تعالى " لو أردنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا " قال الحسن
ومجاهد: الله المرأة. وقال قتادة: الله المرأة بلغة أهل اليمين - وهو من اللهو
المعروف، لأنه يطلب بها صرف الهم. وهذا إنكار لقولهم: الملائكة بنات الله،
والمسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك، وروي عن الحسن البصري أيضا أنه قال:
اللهو الولد.

ووجه اتصال الآية بما قبلها أن هؤلاء الذين وصفوهم أنهم بنات الله، وأبناء
الله هم عبيد الله، على أتم وجه العبودية، وذلك يحيل معنى الولادة لأنها
لا تكون إلا مع المجانسة. ومعنى " لو أردنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا. الانكار
على من أضاف ذلك إلى الله، ومحتاجته بأنه لو كان جائزا في صفته لم يتخذ به حيث يظهر
لكم أو لغيركم من العباد، لما في ذلك من خلاف صفة الحكيم الذي يقدر أن يستر
النقص، فيظهره. وإنما استحال اللهو على الله تعالى، لأنه غني بنفسه عن كل شيء
سواه، يستحيل عليه المرح. واللاهي المارح والملتذ بالمناظر الحسنة والأصوات المؤنقة.

وقوله " إن كنا فاعلين " قيل في معنى (ان) قولان:
أحدهما - انها بمعنى (ما) التي للنفي، والمعنى لم نكن فاعلين.
والآخر - انها بمعنى التي للشرط، والمعنى إن كنا نفعل ذلك، فعلناه من
لدنا، على ما أردناه إلا انا لا نفعل ذلك.
وقوله " من لدنا " قيل: معناه مما في السماء من الملائكة. وقال الزجاج:
معناه مما خلقه. ثم قال تعالى " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه " معناه إنا نلقي
الحق على الباطل فيهلكه، والمراد به إن حجج الله تعالى الدالة على الحق تبطل شبهات
الباطل. ويقال: دمع الرجل إذا شج شجة تبلغ أم الدماغ، فلا يحيا صاحبها بعدها.
وقوله " فإذا هو زاهق " أي هالك مضمحل، وهو قول قتادة. يقال: زهق
زهوقا إذا هلك. ثم قال لهم، يعني الكفار " ولكم الويل مما تصفون " يعنى الوقوع
في العقاب، جزاء على ما تصفون الله به من اتخاذ الأولاد.
ثم اخبر الله تعالى بأن " له من في السماوات والأرض ومن عنده " يعني
الملائكة أي يملكهم بالتصرف فيهم (لا يستكبرون) هؤلاء عن عبادة الله (ولا
يستحسرون) قال قتادة: معناه لا يعيون. وقال ابن زيد: لا يملون، من قولهم:
بغير حسير إذا أعيأ ونام. ومنه قول علقمة بن عبدة:
بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب (١)
وقيل: معناه يسهل عليهم التسييح، كسهولة فتح الطرف والنفس - في قول كعب -
والاستحسار الانقطاع من الأعياد مأخوذ من قولهم حسر عن ذراعه إذا كشف عنه.
ثم وصف تعالى الذين ذكرهم بأنهم (يسبحون الليل والنهار) أي
ينزهونه عما أضافه هؤلاء الكفار إليه من اتخاذ الصاحبة والولد، وغير ذلك من

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٩

القبائح (لا يفترون) أي يملونه فيتركونه بل هم دائمون عليه.
قوله تعالى:

(أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢)
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل
هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم
لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من
رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥) خمس آيات
يقول الله تعالى إن هؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله شركاء عبدوهم وجعلوها
آلهة " هم ينشرون " أي هم يحبون؟؟؟ تقرعنا لهم وتعنيفا لهم على خطئهم - في قول
مجاهد - يقال: أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا وهو النشر بعد الطي،
لأن المحيا كأنه كان مطويا بالقبض عن الإدراك، فأنشر بالحياة. والمعنى في ذلك
أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدر على الأحياء الذي من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعمة
التي يستحق بها العبادة فيكف يستحقون بها العبادة؟! وحكى الزجاج: انه قرئ - بفتح
الشين - والمعنى هل اتخذوا آلهة لا يموتون أبدا، وييقون أحياء أبدا؟! أي
لا يكون ذلك.

ثم قال تعالى " لو كان فيهما آلهة " يعني في السماء والأرض آلهة أي من
يحق له العبادة " غير الله لفسدتا " لأنه لو صح إلهان أو آلهة لصح بينهما التمانع

فكان يؤدي ذلك إلى أن أحدهما إذا أراد فعلا، وأراد الآخر ضده، إما ان يقع مرادهما فيؤدي إلى اجتماع الضدين أولا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين، أو يقع مراد أحدهما، فيؤدي إلى نقض كون الآخر قادرا. وكل ذلك فاسد، فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا. وهذا مشروح في كتب الأصول.

ثم نزه تعالى نفسه عن أن يكون معه إله يحق له العبادة، بأن قال " فسيحان الله رب العرش عما يصفون " وإنما أضافه إلى العرش، لأنه أعظم المخلوقات. ومن قدر على أعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه.

ثم قال تعالى " لا يسأل عما يفعل " لأنه لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، ولا يقال للحكيم لو فعلت الصواب " وهم يسألون " لأنه يجوز عليهم الخطأ.

ثم قال " أم اتخذوا من دونه آلهة " معنى (أم) بل. ثم قال: قل لهم يا محمد " هاتوا برهانكم " على ذلك وحججكم على صحة ما فعلتموه. فالبرهان هو الدليل المؤدي إلى العلم، لأنهم لا يقدرّون على ذلك ابدا.

وفي ذلك دلالة على فساد التقليد، لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم قال الرماني (إلا) في قوله " إلا الله " صفة، وليست باستثناء، لأنك لا تقول لو كان معناه إلا زيد لهلكننا، على الاستثناء. لأن ذلك محال، من حيث إنك لم تذكر ما تستثني منه كما لم تذكره في قولك كان معنا إلا زيد، فهلكننا قال الشاعر:

وكل أخ مفارقة أخوه * لعمر أبيك إلا الفرقدان (١)

أراد وكل أخ يفارقة أخوه غير الفرقدين. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وقل لهم: " هذا ذكر من معي " بما يلزمهم من الحلال والحرام والخطأ والصواب، (وذكر من قبلي) من الأمم، ممن نجا بالايمان أو هلك بالشرك - في قول قتادة - وقيل:

معناه ذكر من معي بالحق في اخلاص الإلهية والتوحيد في القرآن، وعلى هذا (ذكر من قبلي) في التوراة والإنجيل.

ثم اخبر ان (أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يعرفونه، فهم يعرضون عنه إلى الباطل. ثم قال لنبيه (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) اي رسولا، و (من) زائدة (الا نوحى إليه) نحن، فيمن قرأ بالنون. ومن قرأ - بالياء - معناه الا يوحى الله إليه، بأنه لا معبود على الحقيقة سواه (فاعبدون) اي وجهوا العبادة إليه دون غيره.

قوله تعالى:

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦)
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨)
ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين (٢٩) أو لم ير الذين كفروا أن السماوات
والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي
أفلا يؤمنون) (٣٠) خمس آيات.

حكى الله تعالى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أنهم " قالوا اتخذ الرحمن ولدا " أي تبنا الملائكة بناتا، فنزه الله تعالى نفسه عن ذلك بأن قال " سبحانه بل عباد مكرمون " أي هؤلاء الذين جعلوهم أولاد الله هم عبيد لله مكرمون لديه، و (عباد)

(٢٤٠)

رفع بأنه خبر ابتداء وتقديره هم عباد، ولا يجوز عليه تعالى التبني، لان التبني إقامة المتخذ لولد غيره مقام ولده لو كان له، فإذا استحال أن يكون له تعالى ولد على الحقيقة استحال أن يقوم ولد غيره مقام ولده، ولذلك لا يجوز أن يشبه بخلقه على وجه المجاز، لما لم يكن مشبها به على الحقيقة.

والفرق بين الخلّة والنبوة أن الخلّة الاخلاص المودة بما يوجب الاخلاص والاختصاص بتخلل الاسرار، فلما جاز أن يطلع الله إبراهيم على أسرار لا يطلع عليها غيره تشريفا له اتخذه خليلا على هذا الوجه، والنبوة ولادة ابن أو إقامة مقام ابن لو كان للمتخذ له. وهذا المعنى لا يجوز عليه تعالى كما يستحيل أن يتخذ إليها تعالى الله عن ذلك.

ثم وصف تعالى الملائكة بأنهم " لا يسبقونه بالقول " ومعناه لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به، طاعة لربهم، وناهيك بهذا إجلالا لهم وتعظيما لشأنهم " وهم بأمره يعملون " أي لا يعملون القبائح وإنما يعملون الطاعات التي أمرهم بها. وقوله " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " قال ابن عباس: معناه يعلم ما قدموا وما آخروا من أعمالهم. وقال الكلبي " ما بين أيديهم " يعني القيامة وأحوالها " وما خلفهم " من أمر الدنيا " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " قال أهل الوعيد: معناه لا يشفع هؤلاء الملائكة إلا لمن ارتضى الله جميع عمله. قالوا: وذلك يدل على أن أهل الكبائر لا يشفع فيهم، لان أعمالهم ليست رضا لله. وقال مجاهد: معناه لا لمن رضي عنه.

وهذا الذي ذكره ليس في الظاهر، بل لا يمتنع أن يكون المراد لا يشفعون إلا

لمن رضي الله ان يشفع فيه، كما قال تعالى " من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه " (١) والمراد أنهم لا يشفعون الا من بعد اذن الله لهم، فيمن يشفعون فيه، ولو سلمنا أن المراد الا لمن رضي عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضي ايمانه، وكثيرا من طاعاته. فمن أين أنه أراد: الا لمن رضي جميع اعماله؟! ومعنى - رضا الله - عن العبد إرادته لفعله الذي عرض به للثواب.

وقوله " وهم من خشيته مشفقون " يخافون من عقاب الله من مواجهة المعاصي. ثم هدد الملائكة بقوله " ومن يقل منهم اني إله " تحق لي العبادة من دون الله " فذلك نجزيه جهنم " معناه إن ادعى منهم مدع ذلك فانا نجزيه بعذاب جهنم، كما نجزي الظالمين بها. وقال ابن جريج، وقتادة: عنى بالآية إبليس، لأنه الذي ادعى الإلهية من الملائكة دون غيره، وذلك يدل على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات، كما يقول الجاهل. وقوله " كذلك نجزي الظالمين " معناه مثل ما جازينا هؤلاء نجزي الظالمين أنفسهم بفعل المعاصي.

ثم قال " أو لم ير الذين كفروا " أي أو لم يعلموا " ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما " وقيل في معناه أقوال:

قال الحسن وقتادة " كانتا رتقا " أي ملتصقتين ففصل الله بينهما بهذا الهواء. وقيل " كانتا رتقا " السماء لا تمطروا الأرض لا تنبت، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، ذكره ابن زيد وعكرمة. وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع).

وقيل معناه: كانتا منسدتين لا فرج فيهما فصدعهما عما يخرج منهما. وإنما قال: السماوات، والمطر والغيث ينزل من سماء الدنيا، لان كل قطعة منها سماء، كما يقال:

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٦٥

ثوب أخلاق، وقميص اسمال. وقيل الرثق الظلمة ففتقهما بالضياء. وإنما قال "كانتا" والسماوات جمع، لأنهما صنفان، كما قال الأسود بن يعفر النهشلي: إن المنية والحتوف كلاهما * يوقي المحارم يرقبان سوادي (١) لأنه على النوعين، وقال القطامي:

ألم يحزنك أن جبال قيس * وتغلب قد تباينت انقطاعا (٢)
فثنى الجمع لما قسمه صنفين لقيس وصنف لتغلب، و (الرثق) السد رثق فلا الفتق رثقا إذا سده، ومنه الرتقاء: المرأة التي فرجها ملتحم. ووحيد لأنه مصدر وصف به.

وقوله "وجعلنا من الماء كل شيء حي" والمعنى إن كل شيء صار حيا، فهو مجعول من الماء. ويدخل فيه الشجر والنبات على التبع. وقال بعضهم: أراد بالماء النطف التي خلق الله منها الحيوان. والأول أصح.

وقوله "أفلا يؤمنون" معناه أفلا يصدقون بما أخبرتهم. وقيل: معناه أفلا يصدقون بما يشاهدونه، من أفعال الله الدالة على أنه المستحق للعبادة لا غير والمختص بها، وانه لا يجوز عليه اتخاذ الصاحبة والولد. وقرأ ابن كثير وحده "ألم ير الذين كفروا" بغير واو. الباقون "أو لم" بالواو. والألف التي قبل الواو، الف توبيخ وتقرير. قوله تعالى:

(وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (٣١) وجعلنا السماء سقفا محفوظا

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٤

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٤

وهم عن آياتها معرضون (٣٢) وهو الذي خلق الليل والنار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٣٣) وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون (٣٤) كل نفس
ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا
ترجعون (٣٥) خمس آيات.

قال المبرد: معنى " أن تميد " أي منع الأرض " أن تميد " أي لهذا خلقت
الجبال. ومثله قوله " أن تضل إحداهما " (١) والمعنى عدة أن تضل أحدهما، كقول
القائل: أعددت الخشبة أن يميل الحائل فأدعمه. وهو لم يعدها ليميل الحائط،
وإنما جعلها عدة، لأن يميل، فيدعم بها.

يقول الله تعالى انا " جعلنا في الأرض رواسي " وهي الجبال، واحدها راسية
يقال: رست ترسو رسوا إذا ثبتت بثقلها، وهي راسية. كما ترسو السفينة إذا وقفت
متمكنة في وقوفها " أن تميد بكم " معناه ألا تعيد بكم، كما قال " يبين الله لكم أن
تضلوا " (٢) والمعنى ألا تضلوا. وقال الزجاج: معناه كراهة أن تميد بكم. والميد
الاضطراب، بالذهاب في الجهات، يقال: ماد يמיד ميذا، فهو مائد. وقيل: إن
الأرض كانت تميد وترجف، رجوف السفينة بالوطئ، فثقلها الله تعالى بالجبال
الرواسي - لتمنع من رجوفها. والوجه في تثقيل الله تعالى الأرض بالرواسي مع
قدرته على امساك الأرض أن تميد، ما فيه من المصلحة والاعتبار، وكان ابن الاخشاذ

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٢

(٢) سورة ٤ النساء آية ١٧٥

يقول: لو لم يثقل الله الأرض بالرواسي لأمكن العباد أن يحركوها بما معهم من القدر، فجعلت على صفة ما لا يمكنهم تحريكها. وقال قتادة: تميد بهم معناه تمور، ولا تستقر بهم.

وقوله " وجعلنا فيها فجاجا " يعني في الأرض طرقا، والفج الطريق الواسع بين الجبلين.

وقوله " لعلكم تهتدون " أي لكي تهتدوا فيه إلى حوائجكم ومواطنكم، وبلوغ أغراضكم. ويحتمل أن يكون المراد لتهتدوا، فتستدلوا بذلك على توحيد الله وحكمته.

وقال ابن زيد: معناه ليظهر شكركم، فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون.

وقوله " وجعلنا السماء سقفا محفوظا " وإنما ذكرها، لأنه أراد السقف، ولو

أنث كان جائزا. وقيل: حفظها الله من أن تسقط على الأرض. وقيل: حفظها

من أن يطمع أحد أن يتعرض لها بنقض، ومن أن يلحقها ما يلحق غيرها من الهدم

أو الشعث، على طول الدهر. وقيل: هي محفوظة من الشياطين بالشهب التي

يرجمون بها.

وقوله " وهم عن آياتها معرضون " أي هم عن الاستدلال بحججها وأدلتها،

على توحيد الله معرضون.

ثم قال تعالى مخبرا، بأنه " هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر "

وأخبر أن جميع ذلك " في فلك يسبحون " فالفلك هو المجرى الذي تجري فيه الشمس

والقمر، بدورانها عليه - في قول الضحاك - وقال قوم: هو برج مكفوف تجريان

فيه. وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيفة فلك المغزل. والفلك في اللغة كل شئ

دائر، وجمعه أفلاك قال الراجز:

باتت تناصي الفلك الدوارا * حتى الصباح تعمل الاقتارا (١)
ومعنى " يسبحون " يجرون - في قول ابن جريج - وقال ابن عباس
" يسبحون " بالخير والشر، والشدة والرخاء. وإنما قال " يسبحون " على فعل
ما يعقل، لأنه أضاف إليها الفعل الذي يقع من العقلاء، كما قال " والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين " (٢) وقال " ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون "، (٣) وقال
الناطقة الجعدي:

تمزرتها والديك يدعو صباحه * إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا (٤)
وقوله " كل في فلك يسبحون " أراد الشمس والقمر والنجوم، لان قوله
" الليل " دل على النجوم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله و " ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " أي البقاء دائما في
الدنيا " أفإن مت فهم الخالدون " اي لم يجعل لهم الخلود، حتى لو مت أنت لبقوا
أولئك مخلدين، بل ما أولئك مخلدين. ثم أكد ذلك، وبين بأن قال " كل نفس
ذائقة الموت " والمعنى لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت، وتخرج عن
كونها حية. وإنما قال (ذائقة) لان العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالذوق
كما قال " ذق انك أنت العزيز الكريم " (٥). وقال الفراء: إذا كان اسم الفاعل
لما مضى جازت الإضافة، وإذا كان للمستقبل، فالاختيار التنوين، ونصب ما بعده.
ثم قال تعالى " ونبلوكم " اي نختبركم معاشر العقلاء بالشر والخير، يعني
بالمرض والصحة. والرخص والغلاء، وغير ذلك من أنواع الخير والشر " فتنة "

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٦

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٤

(٣) سورة ٢١ الأنبياء آية ٦٥

(٤) هو في مجمع البيان ٤ / ٤٦

(٥) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٩

أي اختبارا مني لكم، وتكليفًا لكم. ثم قال " والينا ترجعون " يوم القيامة، فيجازي كل انسان على قدر عمله. ودخلت الفاء في قوله " أفإن " وهي جزاء، وفي جوابه، لان الجزاء متصل بكلام قبله. ودخلت في (فهم) لأنه جواب الجزاء، ولو لم يكن في (فهم) الفاء، كان جائزا على وجهين: أحدهما - أن تكون مرادة، وقد حذفت. والآخرى - أن تكون قد قدمت على الجزاء، وتقديره (أفهم الخالدون) إن مت.

قوله تعالى:

(وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكركم آلهم بذكر الرحمن هم كفرون (٣٦) خلق الانسان من عجل سأريك آياتي فلا تستعجلون (٣٧) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨) لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون (٤٠) خمس آيات.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله إنه " إذا رآك الذين كفروا " ووجدوا وحدانية الله، ولم يقرؤا بنبوتك " إن يتخذونك " اي ليس يتخذونك " إلا هزوا " يعني سخرية، جهلا منهم وسخفا وفي ذلك تسلية لكل محق يلحقه أذى

من جاهل مبطل. والهزؤ إظهار خلاف الابطان، لايهام، النقص عن فهم القصد.
يقال: هزئ منه يهزؤ هزؤا، فهو هازئ، ومثله السخرية " أهذا الذي يذكر
آلهتكم " حكاية، أي يقولون ذلك، ومعناه إنهم يعيبون من جحد إلهية من لا نعمة
له، وهم يجحدون إلهية من كل نعمة، فهي منه، وهذا نهاية الجهل. والمعنى أهذا
الذي يعيب آلهتكم، تقول العرب، فلان يذكر فلانا أي يعيبه، قال عنتره:
لا تذكرني مهري وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الاجراب (١)
وقوله " وهم بذكر الرحمن " معناه وهم بذكر توحيد الرحمن " هم كافرون ".
وقوله " خلق الانسان من عجل " قال قتادة: معناه خلق الانسان عجولا. والمراد
به جنس الانسان. وقال السدي: المعني به آدم (ع). وقال مجاهد: خلق الانسان
على تعجيل، قبل غروب الشمس يوم الجمعة. وقال أبو عبيدة: معناه خلقت العجلة
من الانسان، على القلب. وهو ضعيف، لأنه لاوجه لحمله على القلب. وقال قوم:
معناه على حب العجلة، لأنه لم يخلقه من نطفة ومن علقه بل خلقه دفعة واحدة.
والذي قاله قتادة، أقوى الوجوه. وقيل خلق الانسان من عجل مبالغة، كأنه قيل
هو عجلة، كما يقال: إنما هو إقبال وادبار. وقال المبرد: خلق على صفة من شأنه ان
يعجل في الأمور. وقال الحسن: معناه خلق الانسان من ضعف، وهو النطفة. وقال
قوم: العجل هو الطين الذي خلق آدم منه، قال الشاعر:
والنبع ينبت بين الصخر ضاحيه * والنخل ينبت بين الماء والعجل (٢)
يعني الطين. والاستعجال طلب الشئ قبل وقته الذي حقه أن يكون فيه
دون غيره. والعجول الكثير الطلب للشئ قبل وقته. والعجلة تقديم الشئ قبل

(١) ديوانه: ٣٣

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٨٩ والشوكاني ٣ / ٣٩٤
وروايته: (والنبع في الصخرة الصماء منبتة.....

وقته، وهو مذموم. والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته، وهو محمود.
وقوله " سأوريكم آياتي فلا تستعجلون " أي سأظهر بيناتي وعلاماتي، فلا
تطلبوه قبل وقته. ثم أخبر تعالى عن الكفار أنهم " يقولون متى هذا الوعد "
يريدون ما توعد الله به من الجزاء والعقاب على المعاصي بالنيران وأنواع العذاب " إن
كنتم صادقين " يعني يقولون " إن كنتم صادقين " ومحقين فيما تقولون متى يكون
ما وعدتموه، فقال الله تعالى " لو يعلم الذين كفروا " الوقت الذي " لا يكفون فيه "
أي لا يمنعون فيه " عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم " يعني إن النار تحيط بهم
من جميع وجوههم " ولا هم ينصرون " أي لا يدفع عنهم العذاب بوجه من الوجوه.
وجواب (لو) محذوف، وتقديره: لعلموا صدق ما وعدوا به من الساعة.
ثم قال " بل تأتيهم " يعني الساعة، والقيامة " بغتة " أي فجأة " فنبهتهم " أي تحيرهم
والمبهوتين المتحير " فلا يستطيعون ردها " ومعناه: لا يقدرّون على دفعها " ولا هم ينظرون "

أي لا يؤخرون إلى وقت آخر. وقال البلخي: ويجوز أن تكون العجلة من فعل الله
وهو ما طبع الله على الخلق من طلب سرعة الأشياء. وهو كما خلقهم يشتهون أشياء
ويميلون إليها، ويحسن أمرهم بالتأني عنها، والتوقف عند ذلك، فلاجل ذلك قال
" فلا تستعجلون " كما حسن نهيهم عن ارتكاب الزنا الذي تدعوهم إليه الشهوة.
قوله تعالى:

(ولقد استهزئ برسل من قبلك فحلل بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزؤن (٤١) قل من يكلؤكم بالليل والنهار

من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون (٤٤) قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون (٤٥) خمس آيات.

قرأ ابن عامر " ولا تسمع " بالتاء وضمها وكسر الميم " الصم " بالنصب. الباقون - بالياء - مفتوحة، وبفتح الميم، وضم " الصم ". فوجه قراءة ابن عامر، أنه وجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله فكأنه قال " ولا تسمع " أنت يا محمد " الصم " كما قال " وما أنت بمسمع من في القبور " (١) لان الله تعالى، لما خاطبهم، فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه، صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل.

ووجه قراءة الباقيين أنهم جعلوا الفعل لهم، ويقويه قوله (إذا ما ينذرون) قال أبو علي: ولو كان على قراءة ابن عامر، لقال: إذا ينذرون. و (الصم) وزنه (فعل) جمع أصم. وأصله (أصمم) فادغموا الميم في الميم وتصغير (أصم) (أصيمم). و (الصمم) ثقل في الأرض، فإذا كان لا يسمع شيئاً قيل أصلج. وقال ابن زيد: (أصم) أصلج بالجيم. والوقر المثلث في الاذن.

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ٢٢

لما قال الله تعالى لنبيه محمد: إن الكفار إذا ما رأوك اتخذوك هزوا وسخرية علم أن ذلك يغمه فسلاه عن ذلك بأن أقسم بأن الكفار فيما سلف استهزؤا بالرسول الذين بعث الله فيهم. وسخروا منه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أي حل بهم عقوبة ما كانوا يسخرون منهم، وحقا معناه حل، حاق يحق حيقا. ومنه قوله " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " (١) أي يحل وبال القبيح بأهله الذين يفعلونه، فكان كما أرادوه بالداعي لهم إلى الله بهم. والفرق بين الهزاء والسخرية، أن في السخرية معنى الذلة، لان التسخير التذليل والهزاء يقتضي طلب صغر القدر مما يظهر في القول. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بأن يقول لهؤلاء الكفار " من يكلؤكم بالليل والنهار " أي من يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه. وقيل: من عوارض الآفات، يقال: كلاه يكلؤه، فهو كالي قال ابن هرمة: إن سليمي والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها (٢) ومعنى (يكلؤكم... من الرحمن) أي من يحفظكم من أن يحل بكم عذابه وقوله (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) معناه كأنه قال: ما يلتفتون إلى شئ من الحجج والمواعظ، بل هم عن ذكر ربهم معرضون. وقيل: من يحفظكم مما يريد الله إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة. ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أي من عذابنا وعقوباتنا. ثم أخبر أنهم (لا يستطيعون نصر أنفسهم). وقيل: ان المعنى إن آلهتهم لا يقدر على نصر أنفسهم، فكيف يقدر على نصر غيرهم؟! وقيل إن الكفار (لا يستطيعون نصر

(١) سورة ٣٥ فاطر ٤٣

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٩١ والطبري ١٧ / ٢٠ والشوكاني ٣ / ٣٩٥

أنفسهم) وهو الأشبه اي لا يقدرّون على دفع ما ينزل بهم عن نفوسهم " ولا هم منا
يصحبون " معناه لا يصحبهم صاحب يمنهم منا. وقيل ولا هم منا يصحبون بأن يجيرهم
مجير علينا. وقال ابن عباس: معناه ولا الكفار منا يجارون، كما يقولون: ان لك من فلان
صاحباً، أي من يجيرك ويمنعك. وقال قتادة: معناه (ولا هم منا يصحبون) بخير
ثم قال تعالى (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) فلم نعالجهم بالعقوبة حتى طالت
أعمارهم. ثم قال موبخاً لهم (أفلا يرون) أي ألا يعلمون (انا نأتي الأرض ننقصها
من أطرافها) قيل: بخرابها. وقيل: بموت أهلها. وقيل: بموت العلماء.
وقوله (افهم الغالبون) قال قتادة: افهم الغالبون رسول الله مع ما يشاهدونه
من نصر الله له في مقام بعد مقام، توبيخاً لهم، فكأنه قال: ما حملهم على الاعراض
الا الاغترار بطول الامهال حيث لم يعاجلوا بالعقوبة.
ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله (قل) لهم (إنما أنذركم بالوحي) أي أعلمكم
وأخوفكم بما أوحى الله إلي. ثم شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا،
فقال (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) أي يخوفون، من حيث لم ينتفعوا
بدعاء من دعاهم، ولم يلتفتوا إليه، فسماهم صما مجازاً وتوسعا.
قوله تعالى:

(ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا
كنا ظالمين (٤٦) ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا
تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى
بنا حاسبين (٤٧) ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا

للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون (٤٩) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (٥٠)
خمس آيات.

قرأ أهل المدينة (مثقال حبة) برفع اللام - ههنا - وفي القمر.
الباقون بنصبها.

من رفع اللام جعل (كان) تامة بمعنى حدث، كما قال (الا أن تكون
تجارة) (١) ولا خبر لها. ومن نصبه جعل في (كان) ضميرا ونصب (مثقال) بأنه خبر
(كان) وتقديره فلا تظلم نفس شيئا وإن كان الشيء (مثقال حبة من خردل)
وإنما قال (بها) بلفظ التأنيث والمثقال مذكر، لأن مثقال الحبة وزنها، ومثله
قراءة الحسن (تلتقطه بعض السيارة) (٢) لأن بعض السيارة سيارة. وروي أن
مجاهد قرأ (آتيناً) ممدودا بمعنى جازينا بها.

أخبر الله تعالى أنه لو مس هؤلاء الكفار (نفحة من عذاب الله) ومعناه
لو لحقهم وأصابهم دفعة يسيرة، فالنفحة الدفعة اليسيرة، يقال: نفح ينفح نفحا،
فهو نافح، لأيقنوا بالهلاك، ولقالوا (يا ويلنا) أي الهلاك علينا (انا كنا
ظالمين) لنفوسنا بارتكاب المعاصي اعترافا منهم بذلك. ومعنى (يا ويلنا) يا بلاءنا
الذي نزل بنا. وإنما يقال استغاثه مما يكون منه، كما يستغيث الإنسان بنداء من
يرفع به.

ثم قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال قتادة: معناه نضع

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٢

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ١٠

العدل في المجازاة بالحق لكل أحد على قدر استحقاقه، فلا يبخس المصاب بعض ما يستحقه، ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه. وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، يذهب إلى أنه علامة جعلها للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق. وقال قوم: ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الاعمال. وقال بعضهم: يكون في إحدى الكفتين نور، وفي الأخرى ظلمة، فأيهما رجح، علم به مقدار ما يستحقه، وتكون المعرفة في ذلك ما فيه من اللطف والمصلحة في دار الدنيا. وقوله " ليوم القيامة " معناه لأهل يوم القيامة. وقيل في يوم القيامة. وقوله " وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها " معناه أنه لا يضيع لديه قليل الاعمال والمجازاة عليه، طاعة كانت أو معصية " وكفى بنا حاسبين " أي وكفى المطيع أو العاصي بمجازاة الله وحسبه ذلك. وفي ذلك غاية التهديد، لأنه إذا كان الذي يتولى الحساب لا يخفى عليه قليل ولا كثير، كان أعظم. والباء في قوله " كفى بنا " زائدة. و " حاسبين " يحتمل أن يكون نصبا على الحال أو المصدر - في قول الزجاج.

ثم أخبر الله تعالى فقال: " ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان " قال مجاهد وقتادة: هو التوراة التي تفرق بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: هو البرهان الذي فرق بين حقه وباطل فرعون، كما قال تعالى " وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان " (١). وقوله " وضياء " أي وآتيناه ضياء يعني أدلة يهتدون بها. كما يهتدون بالضياء. وآتيناه " ذكرا للمتقين " أي مذكرا لهم، يذكرون الله به. ومن جعل الضياء والذكر حالا للفرقان قال: دخلته واو العطف، لاختلاف الأحوال، كقولك جاءني زيد الجواد والحليم والعالم. وأضافه إلى المتقين، لأنهم المتنفعون به دون غيرهم.

ثم وصف المتقين بأن قال " الذين يخشون " عذاب الله فيجتنبون معاصيه في

(١) سورة ٨ الأنفال آية ٤١

حال السر والغيب. وقال الجبائي: معناه يؤمنون بالغيب الذي أخبرهم به، وهم من مجازاة يوم القيامة " مشفقون " أي خائفون.
ثم أخبر عن القرآن، فقال " وهذا ذكر مبارك " يعني القرآن " أنزلناه " عليك يا محمد. وخاطب الكفار فقال " أفأنتم له منكرون " أي تجحدونه، على وجه التوبيخ لهم، والتقدير، وفي ذلك دلالة على حدوثه، لأن ما يوصف بالانزال وبأنه مبارك يتنزل به، لا يكون قديما، لأن ذلك من صفات المحدثات.
قوله تعالى:

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (٥١)
إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون (٥٢)
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين (٥٣) قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم
في ضلال مبين (٥٤) قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين (٥٥)
خمس آيات.

لما أخبر الله تعالى أنه أتى موسى وهارون الفرقان، والضياء، والذكر.
وبين أن القرآن ذكر مبارك أنزله على محمد صلى الله عليه وآله، أخبر أنه أتى إبراهيم أيضا قبل

ذلك (رشده) يعني آتينا من الحجج والبيانات ما يوصله إلى رشده، من معرفة الله وتوحيده. والرشد هو الحق الذي يؤدي إلى نفع يدعو إليه. ونقيضه الغي، رشد يرشد رشدا ورشدا، فهو رشيد. وفي نقيضه: غوى يغوى غيا، فهو غاو. وقال قتادة ومجاهد: معنى (آتينا رشده) هديناه صغيرا. وقال قوم: معنى (رشده)

النبوة. وقوله (من قبل) يعني من قبل موسى وهارون. وقوله (وكننا به عالمين) أي كنا عالمين بأنه موضع لايتاء الرشد، كما قال تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) (١) وقيل: كنا نعلم أنه يصلح للنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون). (إذ) في موضع نصب، والعامل فيه (آتيناه رashedه... إذ قال) أي في ذلك الوقت، وفيه إخبار عما أنكر إبراهيم على قومه وأبيه حين رأيهم يعبدون الأصنام والأوثان، فإنه قال لهم: أي شيء هذه الأصنام؟! يعني الصور التي صرتم لازمين لها بالعبادة، والعاكف اللزوم لامر من الأمور: عكف عليه عكوفاً، فهو عاكف. وقيل في معنى (لها عاكفون) لأجلها. قال مجاهد (هذه التماثيل) الأصنام. ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا "وجدنا آباءنا لها" لهذه الأصنام "عابدين" فأحالوا على مجرد التقليد. فقال لهم إبراهيم "لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين" فذمهم على تقليد الآباء، ونسب الجميع إلى الضلالة والعدول عن الحق. فقالوا له عند ذلك "أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين" ومعناه أجاد أنت فيما تقول محق عند نفسك أم أنت لاعب مازح؟ وذلك أنهم كانوا يستبعدون إنكار عبادتها عليهم.

قوله تعالى: (قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) (٥٦) وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون (٥٨) قالوا من فعل بآلهتنا إنه لمن الظالمين (٥٩)

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) (٦٠) خمس آيات.
قرأ الكسائي " جذاذا " بكسر الجيم. الباقون بضمها. فمن ضم الجيم أراد
جعلهم قطعاً، وهو (فعال) على وزن الرفات والفتات والرقاق، وجذذته أجذه جذاً
أي قطعته. وقال ابن عباس: الجذاذ الحطام. ومن كسر الجيم فإنه أراد جمع جذيد
(فعيل) بمعنى مجذوذ. ومثله كريم وكرام، وخفيف وخفاف، وبالضم مصدر لا يثنى
ولا يجع. قال جرير:

آل المهلب جذ الله دابرهـم * أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف (١)
حكى الله تعالى ما رد به إبراهيم على كفار قومه حين قالوا له " أجنثنا بالحق
أم أنت من اللاعبين " فإنه قال لهم " بل ربكم السماوات والأرض الذي " خلقكم
ودبركم والذي خلق السماوات والأرض و " فطرهن " معناه ابتدأهن والفطر شق
الشيء من امر ظهر منه يقال: فطره يفطره فطرا وانفطر انفطارا، ومنه تفطر الشجر
بالورق، فكأن السماء تشق عن شيء فظهرت بخلقها. ثم قال إبراهيم " وأنا على ذلكم من
الشاهدين " يعني أنا على ما قلت لكم: من أنه تعالى خالقكم وخالق السماوات شاهد
بالحق

لأنه دال، والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة، فإبراهيم (ع) شاهد بالحق دال عليه
بما يرجع إلى ثقة المشاهدة. ثم أقسم إبراهيم فقال " وتالله لأكيذن أصنامكم "
وذلك قسم، والتاء في القسم لا تدخل إلا في اسم الله تعالى، لأنها بدل من الواو
والواو بدل من الباء، فهي بدل من بدل، فلذلك اختصت باسم الله. وقال قتادة:
معناه لأكيذن أصنامكم في سر من قومه. والكيد ضر الشيء بتدبير عليه، يقال:

(١) ديوانه (دار بيروت) ٣٠٨.

كاده يكيده كيدا فهو كائد.

وقوله " بعد أن تولوا مدبرين " يقال: انه انتظرهم حتى خرجوا إلى عيد لهم فحينئذ كسر أصنامهم. ثم أخبر تعالى انه " جعلهم جذاذا " أي قطعاً " إلا كبيراً لهم " تركه على حاله. ويجوز أن يكون كبيرهم في الخلقة. ويجوز أن يكون أكبرهم عندهم في التعظيم " لعلهم إليه يرجعون " أي لكي يرجعوا إليه فينتبهوا على ما يلزمهم فيه من جهل من اتخذوه إلهاً، إذا وجدوه على تلك الصفة. وكان ذلك كيدا لهم. وفي الكلام حذف، لان تقديره إن قومه رجعوا من عيدهم، فوجدوا أصنامهم مكسرة " قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الضالين " ف (من) بمعنى الذي، وتقديرها الذي فعل هذا بمعبودنا، فإنه ظلم نفسه.

وقوله " قالوا سمعنا فنى يذكرهم يقال له إبراهيم " قيل تخلف بعضهم فسمع إبراهيم يذكرها بالعيب، فذكر ذلك، ورفع (إبراهيم) بتقدير، يقال له هذا إبراهيم، أو ينادى يا إبراهيم، ذكره الزجاج. قوله تعالى:

(قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون (٦١)
قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم (٦٢) قال بل فعله
كبيرهم هذا فسئلواهم إن كانوا ينطقون (٦٣) فرجعوا إلى أنفسهم
فقالوا إنكم الظالمون (٦٤) ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون (٦٥) خمس آيات.

لما قال بعضهم انه سمع إبراهيم يعيب آلهتهم وحكاه لقومه قالوا: جيئوا " به على أعين الناس لعلهم يشهدون " وقيل في معناه قولان: أحدهما - قال الحسن وقتادة والسدي: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، فقالوا جيئوا به بحيث يراه الناس، ويكون بمرء منهم " لعلهم يشهدون " بما قاله إني أكيد أصنامهم شهادة تكون حجة عليه.

الثاني - قال ابن إسحاق " لعلهم يشهدون " عقابه. وقيل " لعلهم يشهدون " حجته وما يقال له من الجواب، فلما جاؤوا به قالوا له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) مقررين له على ذلك، فأجابهم إبراهيم بأن قال (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) وإنما جاز أن يقول (بل فعله كبيرهم هذا) وما فعل شيئاً لأحد أمرين:

أحدهما - انه قيده بقوله (إن كان ينطقون) فقد فعله كبيرهم. وقوله (فاسألوهم) اعتراض بين الكلامين، كما يقول القائل: عليه الدارهم فاسأله إن أقر.

والثاني - انه خرج الخبر وليس بخبر، وإنما هو إلزام دل على تلك الحال، كأنه قال بل ما تنكرون فعله كبيرهم هذا. فالإلزام تارة يأتي بلفظ السؤال وتارة بلفظ الامر، كقوله (فأتوا بسورة مثله) وتارة بلفظ الخبر. والمعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا وقد قرئ في الشواذ (فعله كبيرهم) - بتشديد اللام - بمعنى فعل كبيرهم، فعلى هذا لا يكون خبراً، فلا يلزم أن يكون كذباً، والكذب قبيح لكونه كذباً، فلا يحسن على وجه، سواء كان فيه نفع أو دفع ضرر، وعلى كل حال، فلا يجوز على الأنبياء القبائح، ولا يجوز أيضاً عليهم التعمية في الاخبار، ولا التقية

في اخبارهم، لأنه يؤدي إلى التشكيك في اخبارهم، فلا يجوز ذلك عليهم على وجهه. فأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله بأن قال (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلها

في الله) فإنه خبر لا أصل له، ولو حسن الكذب على وجهه، كما يتوهم بعض الجهال، لجاز من القديم تعالى ذلك. وزعموا أن الثلاث كذبات هي قوله " فعله كبيرهم هذا " وما كان فعله. وقوله " اني سقيم " (١) ولم يكن كذلك. وقوله في سارة لما أراد الجبار أخذها: إنها أختي، وكانت زوجته. حتى قال بعضهم: كان الله أذن له في ذلك. وهذا باطل، لأنه لو أذن الله له فيه، لكان الكذب حسنا. وقد بينا أنه قبيح على كل حال. وقيل: معنى قوله " اني سقيم " اي سأسقم، لأنه لما نظر إلى بعض الكواكب علم أنه وقت نوبة حمى كانت تجيئه، فقال: إني سقيم. وقيل معناه: اني سقيم، اي غما بضلالكم. وقيل: معناه سقيم عندكم، فيما أدعوكم إليه من الدين. وقيل: ان من كانت عاقبته الموت جاز ان يقال فيه سقيم، مثل المريض المشفي على الموت. وأما قوله في سارة إنها أختي فإنه أراد في الدين. وأما قول يوسف لاخته " انكم لسارقون " (٢) فقد قال قوم: هو من قول مؤذن يوسف على ظنه فيما يقتضيه الحال من الظن الذي يعمل عليه. وقيل معناه: (إنكم لسارقون) يوسف (ع) وقوله تعالى (فرجعوا إلى أنفسهم) اي عادوا إلى نفوسهم يعني بعضهم إلى بعض وقال بعضهم لبعض: (انكم أنتم الظالمون) في سؤاله، لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم إلى كسرهما.

وقوله (ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فالنكس هو جعل الشيء أسفله أعلاه، ومنه النكس في العلة إذا رجع إلى أول حاله. والمعنى أدركتهم حيرة سوء، فنكسوا لأجلها رؤسهم. ثم أقروا بما هو حجة عليهم، فقالوا لإبراهيم

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٨٩

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٧٠

(لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم، فكان ذلك دلالة على خطئهم، لكنهم أصروا على العناد. قوله تعالى:

(قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم (٩٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٦٧) قالوا حر قوة وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين (٦٨) قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأхسرين (٧٠) خمس آيات.

يقول الله تعالى لما قال كفار قوم إبراهيم (ع) (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فقال لهم إبراهيم منبها لهم على خطئهم وضلالهم (أفتعبدون من دون الله أي توجهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئا ولا تدفع عنكم ضرا، لأنها لو قدرت على نفعكم وضركم. لدفعت عن نفسها، حتى لم تكسر، ولأجابت حين سئلت (من دون الله) الذي يقدر على ضركم ونفعكم من ثوابكم وعقابكم، وإنه يفعل معكم ما لا يقدر عليه سواه. وليس كل من قدر على الضر والنفع يستحق العبادة، وإنما يستحقها من قدر على أصول النعم التي هي خلق الحياة، والشهوة، والقدرة، وكمال العقل، ويقدر على الثواب والعقاب أو لمنافع تقع على وجه لا يقدر على ايقاعها على ذلك الوجه سواه. قال الرماني: لأنه تعالى لو فعل حركة فيها لطف في إيمان زيد كزلزلة الأرض في بعض الأحوال. ثم إن عندها إيمانا يتخلص به من

العقاب. ويستحق الثواب الذي ضمنه بالايمان، لا يستحق - بفعل الحركة على هذا الوجه - العبادة.

ثم قال مهجنا لأفعالهم مستقذرا لها (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) فمعنى (أف) الضجر بما كان من الامر وهي كلمة، مبنية، لأنها وضعت وضع الصوت الخارج عن دلالة الإشارة والإفادة، فصارت كدلالة الحرف، لأنه يفهم المعنى بالحال المقارنة لها، وبنيت على الحركة لالتقاء الساكنين إذ لا أصل لها في التمكن مستعمل، فتستحق به البناء على الحركة. وكسرت على أصل الحركة لالتقاء الساكنين. وقال الزجاج: معنى (أف لكم) نتنا لأفعالكم، ويجوز - ضم الفاء - للاتباع لضممة الهمزة ويجوز - الفتح - لثقل التضعيف. ويجوز التنوين - على التنكير.

وقوله " أفلا تعقلون " معناه أفلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة، ولا تقدر على الضر والنفع، فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض " حرقوه " يعني بالنار " وانصروا آلهتكم " أي عظموها وادفعوا عنها وعن عبادتها " إن كنتم فاعلين " معناه إن كنتم ناصريها، ولم تريد واترك عبادتها. والتحريق هو التقطيع بالنار، يقال: حرقه تحريقا وأحرقه إحراقا، وثوب حرق أي متقطع كالتقطع بالنار. واحترق الشيء احترقا، وتحرق على الامر تحرقا. وقال ابن عمر: الذي أشار بتحريق إبراهيم رجل من أكراد فارس. وفي الكلام حذف لان تقديره أوثقوا إبراهيم وطرحوه في النار، فقال الله تعالى عند ذلك للنار " كوني بردا وسلاما على إبراهيم " وقيل في وجه كون النار بردا وسلاما قولان: أحدهما - انه تعالى أحدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التي فيها،

فلم تؤذه.

والثاني - انه تعالى حال بينها وبين جسمه، فلم تصل إليه، ولو لم يقل سلاماً لأهلكه بردها، ولم يكن هناك أمر على الحقيقة. والمعنى أنه فعل ذلك، كما قال " كونوا قردة خاسئين " (١) أي صيرهم كذلك من غير أن أمرهم بذلك. وقال قتادة: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه. وقال قوم: ان إبراهيم لما أوثقوه ليلقوه في النار قال (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين. لك الحمد ولك الملك لا شريك لك). ثم اخبر تعالى ان الكفار أرادوا بإبراهيم كيذا وبلاء، فجعلهم الله " الأخسرين " يعني بتأييد إبراهيم وتوفيقه، ومنع النار من إحراقه حتى خسروا وتبين كفرهم وضلالهم. قوله تعالى:

(ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٧١)
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين (٧٢)
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين (٧٣) ولوطا آتيناه حكما
وعِلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا
قوم سوء فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)
خمس آيات.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦٥

يقول الله تعالى إنا نجينا إبراهيم ولوطا من الكفار الذين كانوا يخافوهم، وحملناهما " إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " قال قتادة: نجيا من أرض كوثا ريا إلى الشام. وقال أبو العالية: ليس ماء عذب الا من الصخرة التي في بيت المقدس. وقال ابن عباس: نجاهما إلى مكة، كما قال " ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك " (١) وقيل: إلى أرض بيت المقدس. وقال الزجاج: من العراق إلى أرض الشام. وقال الجبائي: أراد أرض الشام. وإنما قال للعالمين " لما فيها من كثرة الأشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. وإنما جعلها مباركة، لان أكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة. وقيل: لما فيها من كثرة الأشجار والثمار، والنجاة هو الدفع عن الهلاك، فدفع الله إبراهيم ولوطا عن الهلكة إلى الأرض المباركة. والبركة ثبوت الخير النامي ونقيضها الشؤم وهو إمحاق الخير وذهابه. وقيل في هذه الآية دلالة على نجاة محمد صلى الله عليه وآله كما نجا إبراهيم من عبدة

الأصنام، إلى الأرض التي اختارها له. ثم قال " ووهبنا له " يعني إبراهيم اي أعطيناه اجتلابا لمحبهته، فالله تعالى يحب أنبياءه ويحبونه، ويحب إن يزدادوا في محبته بما يهب لهم من نعمه " إسحاق ويعقوب " اي أعطيناه إسحاق ومعه يعقوب " نافلة " اي زيادة على ما دعا الله إليه. وقوله " نافلة " اي فضلا - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد - لأنه كان سأل الله ان يرزقه ولدا من سارة، فوهب له إسحاق، وزاده يعقوب ولد ولده. وقيل جميعا نافلة، لأنهما عطية زائدة على ما تقدم من النعمة - في قول مجاهد وعطاء - والنفل النفع الذي يوجب الحمد به لأنه مما زاد على حد الواجب، ومنه صلاة النافلة اي فضلا على الفرائض. وقيل: نافلة اي غنيمة قال الشاعر:

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٩٦

لله نافلة الأعز الأفضل
وقوله (و كلا جعلنا صالحين) يحتمل أمرين:
أحدهما - انه جعلهم بالتسمية على وجه المدح بالصلاح أي سميناهم صالحين.
والثاني - انا فعلنا بهم من اللطف الذي صلحوا به. ثم وصفهم بأن قال
(وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أفعالهم (يهدون) الخلق إلى طريق الحق (بأمرنا
وأوحينا إليهم فعل الخيرات) أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات " واقام الصلاة "
أي وبأن يقيموا الصلاة بحدودها وإنما قال " واقام الصلاة " بلا (هاء) لان الإضافة
عوض الهاء " وإيتاء الزكاة " أي بأن يؤتوا الزكاة، التي فرضها الله عليهم.
ثم اخبر: أنهم كانوا عابدين لله وحده لا شريك له، لا يشركون بعبادته سواه.
وقوله " ولوطا آتيناه حكما وعلما " نصب (لوطا) ب (آتيناه) وتقديره: وآتيناه
لوطا آتيناه، كقوله " والقمر قدرناه منازل " (١). ويجوز أن يكون نصبا بتقدير
اذكر " لوطا " إذ " آتيناه حكما " أي أعطيناه الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه
حاكما، وعلمناه ما يحتاج إلى العلم به.
وقوله " ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث " يعني انهم كانوا يأتون
الذكران، في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم، وهي قرية (سدوم) على ما روي.
ثم اخبر " انهم كانوا قوم سوء فاسقين " أي خارجين عن طاعة الله إلى
معاصيه. ثم عاد إلى ذكر لوط فقال " وأدخلناه في رحمتنا " أي نعمتنا " انه من
الصالحين " الذين أصلحوا أفعالهم. فعملوا بما هو حسن منها، دون ما هو قبيح.

(١) سورة ٣٦ يس آية ٣٩.

قوله تعالى:

(ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله
من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا
بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧) وداود
وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩)
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم
شاكرون) (٨٠) خمس آيات.

قرأ " لنحصنكم " بالنون أبو بكر عن عاصم. وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم بالتاء. الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء، فلان الدروع مؤنثة، فأسند الفعل
إليها. ومن قرأ بالياء أضافه إلى (لبوس)، وهو مذكر ويجوز أن يكون اسند
الفعل إلى الله. ويجوز أن يضيفه إلى التعليم - ذكره أبو علي - ومن قرأ بالنون اسند
الفعل إلى الله ليطابق قوله " وعلمناه ".

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد " نوحا " حين " نادى من
قبل " إبراهيم. والنداء الدعاء على طريقة (يا فلان) فأما على طريقة (افعل)
و (لا تفعل) فلا يسمى نداء، وإن كان دعاء. والمعنى إذ دعا ربه، فقال: رب، أي

يا رب نجني وأهلي من الكرب العظيم فقال الله تعالى " فاستجبنا له " اي أجبناه إلى ما التمسه " فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ". والكرب الغم الذي يحمى به القلب، ويحتمل أن يكون غمه كان لقومه. ويجوز أن يكون من العذاب الذي نزل بهم.

وقوله " ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا " اي منعناه منهم ان يصلوا إليه بسوء. ومعنى نصرته عليه أعنته على غلبه. ثم اخبر تعالى " انهم كانوا قوم سوء " فأغرقهم الله أجمعين بالطوفان.

ثم قال واذكر يا محمد " داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ " في الوقت الذي " نفشت فيه غنم القوم " والنفش لا يكون الا ليلا على ما قاله شريح. وقال الزهري: الهمل والنشر بالنهار، والنفش بالليل، والحرث الذي حكا فيه: قال قتادة: هو زرع وقعت فيه الغنم ليلا، فأكلته. وقيل: كرم قد نبتت عناقيده - في قول ابن مسعود - وشريح. وقيل: ان داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم. فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله. قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد إلى صاحبه - ذكره ابن مسعود - وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع). وقال أبو علي الجبائي: أوحى الله إلى سليمان مما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل. ولم يكن ذلك عن اجتهاد، لان الاجتهاد لا يجوز ان يحكم به الأنبياء. وهذا هو الصحيح عندنا. وقال ابن الاخشاذ، والبلخي والرماني: يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد، لان رأي النبي أفضل من رأي غيره، فكيف يجوز التعبد بالتزام حكم غيره من طريق الاجتهاد، ويمتنع من حكمه من هذا الوجه. والدليل على صحة الأول ان الأنبياء (ع) يوحى إليهم، ولهم طريق إلى العلم بالحكم، فكيف

يجوز أن يعملوا بالظن؟! والأمة لا طريق لها إلى العلم بالأحكام فجاز أن يكلفوا ما طريقه الظن؟! على أن عندنا لا يجوز في الأمة أيضا العمل على الاجتهاد. وقد بينا ذلك في غير موضع. ومن قال: انهما اجتهدا، قال أخطأ داود وأصاب سليمان. وذكروا في قوله " إذ يحكمان " ثلاثة أوجه:

أحدها - إذ شرعا في الحكم فيه من غير قطع به في ابتداء الشرع.

وثانيها - أن يكون حكمه حكما معلقا بشرط لم يفعله بعد.

وثالثها - أن يكون معناه طلبا بحكم في الحرث، ولم يبتدأ به بعد. ويقوي ما قلناه قوله تعالى " ففهمناها سليمان " يعني علمنا الحكومة في ذلك سليمان. وقيل: ان الله تعالى " فهم سليمان " قيمة ما أفسدت الغنم.

ثم أخبر تعالى بأنه أتى كلا حكما وعلماء، فدل على أن ما حكم به داود كان بوحى الله، وتعليمه. وقيل: معنى قوله " ففهمناها سليمان " أي فتحنا له طريق الحكومة، لما اجتهد في طلب الحق فيها، من غير عيب على داود فيما كان منه في ذلك، لأنه اجتهد، فحكم بما أدى اجتهاده إليه.

وقوله " وسخرنا مع داود الجبال " معناه سير الله تعالى الجبال مع داود حيث سار، فعبر عن ذلك بالتسبيح، لما فيها من الآية العظيمة التي تدعو له بتعظيم الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، ولا يجوز وصفه به. وكذلك سخر له الطير، وعبر عن ذلك التسخير بأنه تسبيح من الطير، لدلالته على أن من سخرها قادر لا يجوز عليه العجز، كما يجوز على العباد.

وقوله " وكنا فاعلين " أي وكنا قادرين على ما نريده. وقال الجبائي: أكمل الله تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به وينهاها عنه، وما يتوعدا به متى خالفت.

وقوله " وكنا لحكمهم شاهدين " إنما جمعه في موضع التثنية، لان داود وسليمان كان معهما المحكوم عليه، ومن حكم له. فلا يمكن الاستدلال به على أن أقل الجمع اثنان.

ومن قال: إنه كناية عن الاثنين، قال: هو يجري مجرى قوله " فإن كان له أخوة " (١) في موضع فإن كان له أخوان. وهذا ليس بشيء، لان ذلك علمناه بدليل الاجماع، ولذلك خالف فيه ابن عباس، فلم يحجب ما قل عن الثلاثة. وقوله " وعلمناه " يعني داود " صنعة لبوس لكم " اي علمناه كيف يصنع الدرع. وقيل: ان اللبوس - عند العرب - هو السلاح كله، درعا كان، أو جوشنا، أو سيفاً، أو رمحاً، قال الهذلي.

ومعي لبوس للبنين كأنه * روق بجبهة ذي نعا ج مجفل (٢) يصف رمحاً. وقال قتادة، والمفسرون: المراد به في الآية الدروع. والاحصان الاحراز، والبأس شدة القتال. وقوله " فهل أنتم شاكرون " تقرير للخلق على شكره تعالى على نعمه التي أنعم بها عليهم بأشياء مختلفة. قوله تعالى:

(ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين (٨١) ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين (٨٢) وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم

(١) سورة ٤ النساء آية ١٠
(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٣٢٠ والطبري ١٧ / ٣٧

رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤) وإسماعيل وإدريس
وذا الكفل كل من الصابرين (٨٥) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى وسخرنا " لسليمان الريح عاصفة " من رفع (الريح) وهو عبد
الرحمن الأعرج: أضاف الريح إلى سليمان إضافة الملك، كأنه قال له الريح.
و " عاصفة " نصب على الحال في القراءتين، والريح هو الجو، يشتد تارة ويضعف
أخرى. وحد الرماني الريح بأن قال: هو جسم منتشر لطيف، يمتنع بلطفه من القبض عليه
ويظهر للحس بحركته. وقولهم: سكنت الريح مثل قولهم: هبت الريح، وإلا فإنها لا تكون
ريحا إلا بالحركة. ويقولون: أسرع فلان في الحاجة كالريح، وراح فلان إلى منزله.
و (العصف) شدة حركة الريح، وعصفت تعصف عصفاً وعصفاً، وعصف عصفاً
وعصوفاً إذا اشتد، والعصف التبن، لان الريح تعصفه بتطيرها. وقيل: عصف
الريح شدة هبوبها. وذكر ان الريح كانت تجري لسليمان إلى حيث شاء، فذلك هو
التسخير " تجري بأمره " يعني بأمر سليمان " إلى الأرض التي باركنا فيها " يعني
الشام، لأنها كانت مأواه، فأى مكان شاء مضى إليه، وعاد إليها بالعشي.
وقوله " وكنا بكل شئ عالمين " معناه علمنا معه على ما يعلمه من صحة التدبير،
فان ما أعطيناه من التسخير يدعوه إلى الخضوع له. ويدعو طالب الحق إلى الاستبصار
في ذلك، فكان لطفاً يجب فعله.
وقوله " ومن الشياطين من يغوصون له " أي وسخرنا لسليمان قوماً من
الشياطين يغوصون له في البحر " ويعملون عملاً دون ذلك " قال الزجاج: معناه
سوى ذلك " وكنا لهم حافظين " أي يحفظهم الله من الفساد لما عملوه. وقيل:
كان حفظهم لئلا يهربوا من العمل. وقال الجبائي: كشف الله تعالى أجسام الجن حتى

تهيأ لهم تلك الأعمال، معجزة لسليمان (ع) قال: انهم كانوا يبنون له البنيان، والغوص في البحار، وإخراج ما فيه من اللؤلؤ وغيره، وذلك لا يتأتى مع رقة أجسامهم. قال: وسخر له الطير بأن قوى أفهامها، حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف والترغيب.

ثم قال واذكر يا محمد "أيوب إذ نادى ربه "أي حين دعاه، فقال يا رب "أني مسني الضر" أي نالني الضر يعني ما كان ناله من المرض والضعف. قال الجبائي: كان به السلعة "وأنت ارحم الراحمين" فارحمني. وقيل إنما فعل ذلك بأيوب، ليبلغ بصبره على ذلك المنزلة الجليلة التي أعدها الله - عز وجل - له ولكل مؤمن فيما يلحقه من مصيبة أسوة بأيوب، قال الجبائي: لم يكن ما نزل به من المرض فعلا للشيطان، لأنه لا يقدر على ذلك، وإنما آذاه بالوسوسة وما جرى مجراها. قال الحسن: وكان الله تعالى أعطاه ما لا وولدا، فهلك ما له ومات ولده، فصبر، فأثنى الله عليه. ثم قال تعالى "فاستجبنا له" يعني أجبنا دعاءه ونداءه "فكشفنا ما به من ضر" أي أزلنا عنه ذلك المرض "وآتينا أهله ومثلهم معهم" قيل: رد الله إليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم - في قول ابن مسعود وابن عباس - وقال الحسن وقتادة: إن الله أحيا له أهله بأعيانهم وزاده إليهم مثلهم. وقال عكرمة ومجاهد - في رواية - أنه خبر فاختار إحياء أهله في الآخرة، ومثلهم في الدنيا، فأوتي على ما اختار. وقال ابن عباس: أبد له الله تعالى بكل شيء ذهب له ضعفين "رحمة من عندنا" أي نعمة منا عليه "وذكرى للعابدين" أي عظة يتذكر به العابدون لله تعالى مخلصين.

وقوله "وإسماعيل وإدريس وذا الكفل" أي اذكر هؤلاء الذين عددتهم لك من الأنبياء، وما أنعمت عليهم من فنون النعمة. ثم أخبر أنهم كانوا كلهم

" من الصابرين " يصبرون على بلاء الله، والعمل بطاعته. دون معاصيه.
واختلفوا في ذي الكفل، فقال أبو موسى الأشعري، وقتادة، ومجاهد: كان
رجلا صالحا، كفل لنبي بصوم النهار، وقيام الليل، وألا يغضب، ويقضي بالحق،
فوفى لله بذلك، فأثنى الله عليه. وقال قوم: كان نبيا، كفل بأمر وفي به. وقال
الحسن: هو نبي اسمه ذو الكفل. وقال الجبائي: هو نبي، ومعنى وصفه بالكفل أنه
ذو الضعف أي ضعف ثواب غيره، ممن في زمانه لشرف عمله.
قوله تعالى: (وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين (٨٦) وذا
النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧)
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨)
وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩)
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين) (٩٠) خمس آيات.
قرأ يعقوب " فظن أن لن يقدر عليه " بالياء مضمومة. وفتح الدال.
الباقون بالنون، وكسر الدال، والمعنيان متقاربان.

(٢٧٢)

يقول الله تعالى إنا أدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء " في رحمتنا " أي في نعمتنا، ومعنى (أدخلناهم في رحمتنا) غمرناهم بالرحمة. ولو قال رحمتناهم لما أفاد الاغمار، بل أفاد انه فعل بهم الرحمة، التي هي النعمة. وقوله (انهم من الصالحين) معناه إنما أدخلناهم في رحمتنا، لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم، وفعلوا الطاعات، وتجنبوا المعاصي. و (صالح) صفة مدح في الشرع.

ثم قال لنبية محمد صلى الله عليه وآله واذكر (ذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) والنون الحوت، وصاحبها يونس بن متى، غضب على قومه - في قول ابن عباس والضحاك - فذهب مغاضبا لهم، فظن أن الله لا يضيق عليه، لأنه كان ندبه إلى الصبر عليهم والمقام فيهم من قوله " ومن قدر عليه رزقه " (١) أي ضيق، وقوله " الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (٢) أي يضيق، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك، وأكثر المفسرين. وقال الزجاج والفراء: معناه " ظن أن لن نقدر عليه " ما قدرناه. وقال الجبائي: ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر حتى قذف فيه، وابتلعه السمكة. ومن قال: ان يونس (ع) ظن أن الله لا يقدر عليه من القدرة، فقد كفر. وقيل إنما عوتب على ذلك، لأنه خرج مغاضبا لهم قبل أن يؤذن له، فقال قوم: كانت خطيئة، من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك. وقد قلنا: انه كان مندوبا إلى المقام فلم يكن ذلك محظورا، وإنما كان ترك الأولى. فأما ما روي عن الشعبي وسعيد بن جبير من أنه خرج مغاضبا لربه فلا يجوز ذلك على نبي من الأنبياء، وكذلك لا يجوز أن يغضب لم عفى الله عنهم إذ آمنوا، لان هذا اعتراض

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ٧

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٢٨.

على الله بما لا يجوز في حكمته.

وقوله " فنأدى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " فالظلمات قيل: إنها ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، على ما قاله ابن عباس وقتادة. وقيل: حوت في بطن حوت، في قول سالم بن أبي حفصة. وقيل: أن أكثر دعائه كان في جوف الليل في الظلمات. والأول أظهر في أقوال المفسرين. وقال الجبائي: الغضب عداوة لمن غضب عليه، وبقاؤه في بطن الحوت حيا معجز له. ولم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة، لأن العقوبة عداوة للمعاقب، لكن كان ذلك على وجه التأديب، والتأديب يجوز على المكلف وغير المكلف، كتأديب الصبي وغيره. وقال قوم: معنى قوله " فظن أن لن نقدر " الاستفهام، وتقديره أظن. وهذا ضعيف، لأنهم لا يحذفون حرف الاستفهام إلا وفي الكلام عوض عنه من (أم) أو غيرها.

وقوله " إني كنت من الظالمين " أي كنت من الباطسين نفسي ثوابها، لو أقمت، لأنه كان مندوبا إليه، ومن قال يجوز الصغائر على الأنبياء، قال: كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه. فأما الظلم الذي هو كبيرة، فلا يجوزها عليهم إلا الحشوية الجهال، الذين لا يعرفون مقادير الأنبياء، الذين وصفهم الله بأنه اصطفاهم واختارهم. ثم أخبر تعالى أنه استجاب دعاءه ونجاه من الغم الذي كان فيه. ووعد مثل ذلك أن ينجي المؤمنين.

وقد قرأ أبو بكر عن عاصم " نجي المؤمنين " بنون واحدة مشددة الجيم. الباقيون بنونين. وهي في المصحف بنون واحدة حذف الثانية كراهة الجمع بين المثليين في الخط،

ولأن النون الثانية تخفى مع الجيم، ومع حروف الفم، ولا تظهر، ولذلك ظن قوم أنها أدغمت في الجيم، فقرأوها مدغما، وليس بمدغم. ولا وجه لقراءة عاصم هذه

ولا لقول أبي عبيدة حاكيا عن أبي عمرو: ان النون مدغمة، لأنها لا تدغم في الجيم.
وقال الزجاج: هذا لحن، ولا وجه لمن تأوله: نجى النجا المؤمنين، كما لا يجوز ضرب
زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا. وقال الفراء: هو لحن. وقال قوم - محتجين لأبي
بكر - انه أراد فعلا ماضيا، على ما لم يسم فاعله، فأسكن الياء، كما قرأ الحسن
" وذروا ما بقي من الربا " (١) أقام المصدر مقام المفعول الذي لا يذكر فاعله،
فكذلك نجى النجا المؤمنين، واحتجوا بأن أبا جعفر قرأ " لنجزي قوما " (٢) في
الجاثية على تقدير لنجزي الجراء قوما قال الشاعر.
ولو ولدت فقيرة جر و كلب * لسب بذلك الجر والكلابا (٣)
ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله واذكر " زكريا إذ نادى ربه " أي دعاه، فقال
يا " رب لا تذرني فردا " أي وحيدا، بل ارزقني ولدا. ثم قال " وأنت خير
الوارثين " ومعناه أنت خير من يرث العباد من الأهل والولد، فقال الله تعالى إنا
استجبنا دعاءه " وهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه " قال قتادة: إنها كانت عقيما
فجعلها الله ولودا. وقيل: كانت سيئة الخلق، فزرقتها الله حسن الخلق. ثم اخبر
" انهم كانوا يسارعون في الخيرات " أي يبادرون في فعل الطاعات " ويدعون " الله
" رغبة " في ثوابه " ورهبة " من عقابه " وكانوا " لله " خاشعين " متواضعين.
وقال الجبائي: إجابة الدعاء لا تكون إلا ثوبا. وقال ابن الاخشاذ: يجوز أن تكون
استصلاحا لا ثوبا، ولذلك لا يمتنع أن يجيب الله دعاء الكافر والفاسق. فأما قولهم:
فلان مجاب الدعوة، فلا يجوز اطلاقه على الكفار والفساق، لان فيه تعظيما
وأن له منزلة جليلة عند الله. والامر بخلاف ذلك.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٨

(٢) سورة ٤٥ الجاثية آية ١٣

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٣٣٥

قوله تعالى:

(والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين (٩١) إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاعبدون (٩٢) وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون (٩٣)
فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له
كاتبون (٩٤) وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون (٩٥)
خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا عن عاصم " وحرم " بكسر الحاء بلا الف. الباقون
بفتح الحاء. وإثبات الألف، وهما بمعنى واحد.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله واذكر أيضا " التي أحصنت فرجها " يعني مريم
بنت عمران. والاحصان إحراز الشيء من الفساد، فمريم أحصنت فرجها بمنعه من
الفساد فأثنى الله عليها، ورزقها ولدا عظيم الشأن، لا كالأولاد المخلوقين من
النطفة. وجعله نبيا. وقوله " فنفخنا فيها من روحنا " معناه أجرينا فيها روح
المسيح، كما يجري الهواء بالنفخ، وأضاف الروح إلى نفسه، على وجه الملك تشريفا
له في الاختصاص بالذكر. وقيل: إن الله تعالى أمر جبرائيل بنفخ الروح في فرجها،
وخلق المسيح في رحمها. وقوله " وجعلناها وابنها آية للعالمين " معناه إنا جعلنا مريم
وابنها عيسى آية للعالمين. وإنما قال " آية " ولم يثن، لأنه في موضع دلالة لهما، فلا
يحتاج أن يثنى. والآية فيهما أنها جاءت به من غير فحل، فتكلم في المهد بما يوجب

براءة ساحتها من العيب، وفي ذلك دليل واضح على سعة مقدوراته تعالى، وأنه يتصرف كيف شاء.

وقوله " وإن هذه أمتكم أمة واحدة " قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه دينكم دين واحد. واصل الأمة الجماعة التي على مقصد واحد، فجعلت الشريعة أمة، لاجتماعهم بها على مقصد واحد. وقيل: معناه جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله. ونصب " أمة " على الحال، ويسميه الكوفيون قطعاً. ثم قال " وأنا ربكم " الذي خلقكم " فاعبدوني " ولا تشركوا بي أحداً.

وقوله " وتقطعوا أمرهم بينهم " معناه اختلفوا في الدين بما لا يسوغ، ولا يجوز - في قول ابن زيد - ثم قال مهددا لهم " كل الينا راجعون " أي إلى حكمنا، في الوقت الذي لا يقدر على الحكم فيه سوانا، كما يقال: رجع أمرهم إلى القاضي أي إلى حكمه.

وقوله " فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن " قيل: الصالحات - ههنا - صلة الرحم، ومعونة الضعيف، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، والكف عن الظلم، ونحو ذلك من أعمال الخير، وإنما شرط الايمان، لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله. وقوله " فلا كفران لسعيه " معناه لا جحود لاحسانه في عمله، وهو مصدر كفر كفرا وكفرانا، قال الشاعر:

من الناس ناس لا تنام حدودهم* وخدي ولا كفران لله نائم (١)
وقوله " وإنا له كاتبون " أي ملائكتنا يثبتون ذلك ويكتبونه، فلا يضيع له لديه شيء.

وقوله " وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون " قيل: (لا) صلة،

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٦١

والمعنى: حرام رجوعهم. وقيل " انهم لا يرجعون " أي حال قبول التوبة. وقال قوم: حرام على قرية أهلكتها، لأنهم لا يرجعون. وقال الزجاج: المعنى وحرام على قرية أهلكتها أن نتقبل منهم عملاً لأنهم لا يرجعون، أي لا يتوبون أبداً. وحرم وحرام لغتان مثل حل وحلال. وقيل: في معنى " وحرام على قرية " معناه واجب عليهم ألا يرجعون إلى تلك القرية أبداً. وقال الجبائي: معناه وحرام على قرية أهلكتها عقوبة لهم ان يرجعوا إلى دار الدنيا.

قوله تعالى:

(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (٩٦) واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين (٩٧) إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون (٩٩) لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) (١٠٠)

خمس آيات.

قرأ ابن عامر " فتحت " مشددة، على الكثير. الباقي بالتخفيف.

يقول الله تعالى: إنه حرام على أهل قرية أهلكتها رجوعهم، " حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج " أي ينفرج السدان (يأجوج ومأجوج) ويظهروا، والتقدير فتحت

جهة يأجوج ومأجوج، والفتح انفراج الشيء عن غيره.
وقوله " وهم من كل حذب ينسلون " قال مجاهد: ان قوله " وهم " كناية عن
الناس، يحشرون إلى أرض الموقف يوم القيامة. وقال عبد الله بن مسعود: هو كناية
عن يأجوج ومأجوج. ويأجوج ومأجوج إسمان أعجميان، وهما قبيلان. ولو كانا
عربيين لكانا من أجد النار، أو الماء الأجاج. وقال قتادة: الحذب الاكم. وقيل:
هو الارتفاع من الأرض بين الانخفاض، ومعناها واحد. والحذبة خروج الظهر،
يقال: رجل أحذب إذا احدودب كبرا. وقوله " ينسلون " فالنسل الخروج
عن الشيء الملابس، يقال: نسل ينسل وينسل نسولا، قال امرؤ القيس:
وان كنت قد ساءتلك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل (١)
ونسل ريش الطائر إذا سقط. وقيل: النسل الخروج باسراع مثل نسلان
الذئب، قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى قاريا * برد الليل عليه فنسل (٢)
وقوله تعالى " واقترب الوعد الحق " قال قوم: الواو مقحمة والتقدير اقترب
الوعد الحق، يعني القيامة. وقال آخرون: ليست مقحمة، بل الجواب محذوف، وهو
الأجود، والتقدير على قول الأولين " حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من
كل حذب ينسلون... اقترب الوعد الحق " ذكره الفراء قال: وهو مثل قوله " وتله
للجبين وناديناه " (٣) وكقوله (حتى إذا جاؤها وفتحت) (٤) والمعنى فتحت. وعلى
قول البصريين الواو مرادة والتقدير حتى إذا فتحت، واقترب الوعد الحق، قالوا
يا ويلنا قد كنا في غفلة. وقيل: خروج يأجوج ومأجوج من اشرط الساعة.

(١) شرح ديوانه ١٤٧

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٦٦

(٣) سورة ٣٧ الصافات آية ١٠٣

(٤) سورة ٣٩ الزمر آية ٧٣

وقوله (فإذا هي شاخصة) قيل إن الضمير في قوله (فإذا هي) عائد إلى معلوم ينبه عليه ابصار الذين كفروا، كما قال الشاعر:
 لعمر أبيها لا تقول ظعيتي* إلا فرعني مالك ابن أبي كعب (١)
 فكنى في أبيها ثم بين ذكرها. وقال قوم: إضمار العماد على شروط التفسير
 كقوله تعالى (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٢)
 وقوله (يا ويلنا) أي يقول الكفار الذين شخصت أبصارهم: الويل لنا
 إنا قد كنا في غفلة من هذا اليوم، وهذا المقام، بل كنا ظالمين لنفوسنا بارتكاب
 معاصي الله، فيقول الله تعالى لهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
 أنتم لها واردون) والمعنى انكم أيها الكافرون والذي عبدتموه من الأصنام والأوثان
 حصب جهنم. وقال ابن عباس: وقودها. وقال مجاهد: حطبها. وقيل: انهم
 يرمون فيها، كما يرمى بالحصباء - في قول مجاهد، وقال: إنما يحصب بهم أي
 يرمى بهم.

وقرأ (على) (ع)، وعائشة (حطب). وقرأ الحسن (حضب) بالضاد.
 ومعناه ما تهيج به النار وتذكي به. والحضب الحية.
 وقوله (أنتم لها واردون) خطاب لجميع الكفار انهم يردون جهنم ويدخلونها
 لا محالة، فالورود قد يكون الدخول، كقولهم وردت الدار، أي دخلتها، ويكون
 بالاشراف، كقوله (ولما ورد ماء مدين) (٣) ومعناه أشرف عليه. والمراد في
 الآية الدخول، لأن الكفار يدخلون النار لا محالة.
 ثم قال تعالى: لو كان هذه الأصنام والأوثان آلهة لم يردوا جهنم. ويحتمل:

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٦٦ والقرطبي ١١ / ٣٤٢

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٤٦

(٣) سورة ٢٨ القصص آية ٢٢

أن يكون أراد ما وردت الأصنام جهنم، لأنه كان يكون عبادتهم واقعة موقعها،
ولكانوا يقدرّون على الدفاع عنهم والنصرة لهم.
ثم أخبر تعالى أن كل في جهنم خالدون، مؤبدون فيها. وأن لهم في جهنم
زفيرا، وهو شدة التنفس. وقيل: هو الشهيق لهول ما يرد عليهم من النار (وهم
فيها) يعني في جهنم (لا يسمعون) قال الجبائي: لا يسمعون ما ينتفعون به، وإن
سمعوا ما يسؤهم. وقال ابن مسعود: يجعلون في توايت من نار، فلا يسمعون
شيئا. وقال قوم: المراد بقوله (وما يعبدون من دون الله) الشياطين الذين دعواهم
إلى عبادة غير الله، فأطاعوهم، فكأنهم عبدوهم، كما قال (يا أبت لا تعبد الشيطان) (١)
أي لا تطعه.
قوله تعالى:

(إن الذين سبقوا لهم منا الحسني أولئك عنها مبعدون) (١٠١)
لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتته أنفسهم خالدون (١٠٢)
لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون (١٠٣) يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب
كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (١٠٤)
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي

(١) سورة ١٩ مريم آية ٤٤.

الصالحون) (١٠٥) خمس آيات.
قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (للكتب) على الجمع. الباكون (للكتاب) على التوحيد. وقرأ حمزة وحده (الزبور) بضم الزاي. من ضم الزاي أراد الجمع. ومن فتحها أراد الواحد. يقال: زبرت الكتاب أزبره زبرا إذا كتبت.
لما أخبر الله تعالى: أن الكفار حصب جهنم وأنهم واردون النار، ودخلون فيها مؤبدين، أخبر (أن الذين سبقت لهم منا الحسنى) يعني الوعد بالجنة. وقيل: الحسنى الطاعة لله تعالى يجازون عليها في الآخرة بما وعدهم الله به. وأخبر تعالى أن من هذه صفته مبتعد عن النار ناء عنها، ويكونون بحيث (لا يسمعون حسيها) يعني صوتها، الذي يحس، وإنهم في ما تشتهيه أنفسهم من الثواب والنعيم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يقال: اشتهى شهوة وتشهى تشهيا، ونقيض الشهوة تكره النفس، فالغذاء يشتهى والدواء يتكره. وقيل: الحسنى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين. وقال ابن زيد: الحسنى السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهلها، كأنه يذهب إلى أن معنى الكلمة أنه: سيسعد أو أنه سيشقى. وقال الحسن ومجاهد: الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى، وعزير، والملائكة الذين عبدوا من دون الله، وهم كارهون، استثناهم من جملة من أخبر أنهم مع الكفار في جهنم. وقوله " لا يحزنهم الفزع الأكبر " معناه لا يغم الذين سبقت لهم من الله الحسنى الفزع الأكبر. ومن ضم الياء أراد لا يفزعهم الفزع الأكبر. قال ابن جبير، وابن جريج: هو عذاب النار، على أهلها. وقال ابن عباس: هي النفخة الأخيرة. وقال الحسن: هو حين يؤمر بالعبد إلى النار " وتلقاهم الملائكة " قيل تتلقاهم الملائكة بالتهنئة ويقولون لهم " هذا يومكم الذي كنتم توعدون " به أي تخوفون بما فيه من

العقاب، وترغبون فيما فيه من الثواب.
وقوله " يوم نطوي السماء " يحتمل نصب (يوم) وجهين:
أحدهما - أن يكون بدلا من (توعدون) لان تقديره توعدونه.
الثاني - انه نعدكم يوم نطوي السماء. وقوله " كطي السجل للكتاب " فالسجل
الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، فشبه الله تعالى طي السماء يوم القيامة بطي
الكتاب - في قول ابن عباس ومجاهد - وقال ابن عمر، والسدي: السجل ملك يكتب
اعمال العباد. وقال ابن عباس - في رواية أخرى - السجل كاتب كان لرسول
الله صلى الله عليه وآله والتقدير كطي الكتاب السجل، واللام مؤكدة. ويحتمل أن يكون
المعنى كطي السجل، وقد تم الكلام. ثم قال للكتب أي لما كتبناه وعلمناه، فعلنا
ذلك، كما قال " ولولا كلمة سبقت " (١) وقوله " كما بدأنا أول خلق نعيده " المعنى
نعيد الخلق كما بدأناه. قال ابن عباس: معناه انه يهلك كل شيء، كما كان أول
مرة. ثم قال: إن الذي ذكرناه وعيد منا لازم نفعله لا محالة.
ثم قال تعالى " ولقد كتبنا في الزبور " قيل الزبور كتب الأنبياء " من بعد
الذكر " من بعد كتبه في أم الكتاب - في قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد.
وقيل: الزبور، زبور داود، من بعد الذكر في توراة موسى - في قول الشعبي - وقال
قوم " من بعد الذكر " معناه قبل الذكر الذي هو القرآن، حكاه ابن خالويه.
وقوله " ان الأرض يرثها عبادي الصالحون " قال ابن عباس وسعيد بن جبير
وابن زيد: يعني أرض الجنة يرثها الصالحون من عباد الله، كما قال " وأورثنا الأرض

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٩، وسورة ١١ هود آية ١١١، وسورة ٢٠ طه آية
١٢٩، وسورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٤٥، وسورة ٢٤ الشورى آية ١٤

نتبوا من الجنة حيث نشاء " (١) وقيل: هي الأرض في الدنيا تصير للمؤمنين في أمة محمد صلى الله عليه وآله من بعد اجلاء الكفار عنها - في رواية أخرى - عن ابن عباس.

وقيل: يعني أرض الشام، يرثها الصالحون من بني إسرائيل ذكره الكبي. وعن أبي جعفر (ع) إن ذلك وعد للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض. قوله تعالى:

(إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) قل إنما يوحى إلي أنما ألهمك إله واحد فهل أنتم مسلمون (١٠٨) فان تولوا فقل أذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون (١٠٩) إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون (١١٠) وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين (١١١) قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) (١١٢) سبع آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى " إن في هذا " المعنى الذي أخبرتكم به، مما توعدنا به الكفار، من النار والخلود فيها، وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها " لبلاغا " وقيل: " ان في هذا " يعني القرآن " لبلاغا " أي لما يبلغ إلى البغية من أخذ به، وعمل عليه. والبلوغ الوصول. والبلاغ سبب الوصول إلى الحق، ففي البرهان بلاغ، والقرآن

(١) سورة ٣٩ الزخرف آية ٧٤

دليل وبرهان. وقيل: معناه إنه يبلغ رضوان الله ومحبته وجزيل ثوابه " لقوم عابدين " لله مخلصين له.

ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله (وما أرسلناك) يا محمد (إلا رحمة للعالمين) أي نعمة عليهم، ولأن ترحمهم.

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة في أنه: ليس لله على الكافرين نعمة. لأنه تعالى بين أن إرسال الله رسوله نعمة على العالمين. وعلى كل من أرسل إليهم. ووجه النعمة على الكافر أنه عرضه للإيمان ولطف له في ترك معاصيه. وقيل: هي نعمة على الكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم قبلهم من الخسف والقذف - في قول ابن عباس - ثم قال له صلى الله عليه وآله قل لهم (إنما يوحى إلي أنما إليهم) إله واحد فهل أنتم

مسلمون) أي مسلمون لهذا الوحي الذي أوحى إلي، من إخلاص الإلهية والعبادة لله تعالى. ثم قال (فإن تولوا) يعني إن اعرضوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من إخلاص التوحيد، فقل لهم (آذنتكم على سواء) أي أعلمتكم على سواء في الإيذان تتساوون في العلم به لم اظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره، وهو دليل على بطلان قول أصحاب الرموز، وأن للقرآن بواطن خص بالعلم بها أقوام. وقيل على سواء (في العلم) أي صرت مثلكم، ومثله قوله " فانبذ إليهم على سواء) (١) أي ليستوي علمك وعلمهم. وقيل معناه: لتستووا في الإيمان به.

وقوله (وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) معناه لست اعلم أن ما وعدكم الله به من العقاب أقرب مجيئه أم بعيد. وقوله (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) أي لست أدري لعل التأخير شدة في عبادتكم يظهر بها ما هو كالسر فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل. واصل الفتنة التخليص

(١) سورة الأنفال آية ٥٩. وما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

بالشدة، كتخليص الذهب بشدة النار من كل شائب من غيره. وقيل (فتنة لكم) اي اختبار لكم (ومتاع إلى حين) أي تتمتعون إلى الوقت الذي قدره الله لاهلاككم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (قل) يا محمد (رب احكم بالحق) إنما أمره أن يدعو بما يعلم أنه لا بد أن يفعله تعبداً، لأنه إذا دعا بهذا ظهرت رغبته في الحق الذي دعا به. وقال قتادة: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا شهد قتالا قال (رب احكم بالحق) بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع. وقرأ حفص وحده (قال رب احكم) على الخبر. الباقر على الامر، وضم الباء أبو جعفر اتباعاً لضم الكاف. الباقر بكسرهما على أصل حركة التقاء الساكنين.

وقوله (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي على ما تذكرون، مما ينافي التوحيد. وحكي عن الضحاك انه قرأ (قال ربي احكم) باثبات الياء، وهو خلاف ما في المصاحف، ويكون على هذا (ربي) مبتدأ و (احكم) خبره، كقوله (الله أحسن الخالقين) (١). وقرأ ابن ذكران عن ابن عامر (عما يصفون) بالياء يعني على ما يكذب هؤلاء الكفار من انكار البعث. الباقر بالتاء على الخطأ لهم بذلك.

(١) سورة ١٣ المؤمنين آية ١٤

٢٢ - سورة الحج

قال قتادة هي مدينة إلا أربع آيات فإنها مكيات من قوله " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " إلى قوله (عذاب مقيم) وقال مجاهد وعياش بن أبي ربيعة: هي مدينة كلها. وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي وست في المدني وخمس في المكي.

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١)
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤) أربع آيات بلا خلاف.

(٢٨٧)

قرا أهل الكوفة إلا عاصما " سكرى " بلا الف بسكون الكاف في الموضعين.
الباقون " سكارى " .

هذا خطاب من الله تعالى لجميع المكلفين من البشر يأمرهم بأن يتقوا معاصي الله
لأنه يستحق بفعل المعاصي والاخلال بالواجبات العقوبات يوم القيامة.
ثم اخبر " ان زلزلة الساعة " يعني القيامة " شئ عظيم " والزلزلة شدة الحركة
على حالة هائلة، ومنه زلزلة الأرض لما يلحق من الهول، وكان أصله زلت قدمه
إذا زالت عن الجهة بسرعة. ثم ضوعف فقليل: زلزل الله اقدامهم، كما قيل: دكة
ودكدكة، والزلزلة والزلزال - بكسر الزاي - مصدر. والزلزال - بالفتح - الاسم
قال الشاعر

يعرف الجاهل المضلل ان الدهر * فيه النكراء والزلزال (١)
وقال علقمة والشعبي: الزلزلة من اشراط القيامة. وروى الحسن في حديث
رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله انها يوم القيامة. والعظيم المختص بمقدار يقصر عنه
غيره،

وضده الحقيق. والكبير نقيض الصغير.

وفي الآية على أن المعدوم يسمى شيئا، لان الله تعالى سمي الزلزلة يوم
القيامة شيئا، وهي معدومة اليوم.

وقوله " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت " قال الفراء والكوفيون:
يجوز ان يقال: مرضع بلا هاء، لان ذلك لا يكون في الرجال، فهو مثل حائض
وطامث. وقال الزجاج وغيره من البصريين: إذا أجرته على الفعل قلت أرضعت
فهي مرضعة، فإذا قالوا مرضع، فالمعنى انها ذات رضاع. وقيل في قولهم: حائض
وطامت معناه انها ذات حيض وطمث. وقال قوم: إذا قلت: مرضعة، فإنه يراد

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٨٠

بها أم الصبي الموضع. وإذا أسقطت الهاء، فإنه يراد بها المرأة التي معها صبي مرضعة لغيرها.

والمعنى ان الزلزلة هي شئ عظيم، في يوم ترون فيها الزلزلة، على وجه " تذهل كل مرضعة " اي يشغلها عن ولدها اشتغالها بنفسها، وما يلحقها من الخوف. وقال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل لغير تمام. والذهول الذهاب عن الشئ دهشا وحيرة، تقول: ذهلت عنه ذهولا، وذهلت - بالكسر - أيضا، وهو قليل، والذهل السلو، قال الشاعر:

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل (١)

وهذا تهويل ليوم القيامة، وتعظيم لما يكون فيه من الشدة على وجه لو كان هناك مرضعة لشغلت عن الذي ترضعه، ولو كان هناك حامل لا سقطت من هول ذلك اليوم، وإن لم يكن هناك حامل ولا مرضعة.

وقوله (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) معناه تراهم سكارى من الفزع، وما هم بسكارى من شرب الخمر. وإنما جاز " وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى "، لأنها رواية تخيل. وقيل: معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم، فيضطربون كاضطراب السكران من الشراب. وقرأ أبو هريرة (وترى الناس) بضم التاء، والناس منصوب على أنه مفعول ثان. وتقديره وترى أن الناس. وتكون " سكارى " نصبا على الحال. ومن قرأ " سكرى " جعله مثل جرحى وقتلى. وقيل: هما جمعان كسكران وسكرانة، قال أبو زيد: يقولون: مريض ومرضى، ومرضى. فمن قرأ " سكرى " فلان السكر كالمرض والهلاك، فقالوا:

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٨٠.

(سكرى) مثل هلكى ومثل عكلى. ومن قرأ " سكارى " فلانه روي أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ كذلك. ثم علل تعالى ذلك، فقال ليس هم بسكارى " ولكن عذاب الله شديد " فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم من الاضطراب. ثم اخبر تعالى ان " من الناس من يجادل " أي يخاصم " في الله " فيما يدعوههم إليه من توحيد الله ونفي الشرك عنه " بغير علم " منه بل للجهل المحض " ويتبع " في ذلك " كل شيطان مرید " يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال. وذلك يدل على أن المجادل في نصره الباطل مذموم، وأن من جادل بعلم ووضع الحجة موضعها بخلافه. و (المريد) المتجرد للفساد. وقيل أصله الملاسة، فكأنه متملس من الخير، ومنه صخرة مرداء أي ملساء، ومنه الأمرد. والمريد الداهية المنكرة. ويقال: تمرد فلان. والممرد من البناء المتطاوّل المتجاوز. وقوله " كتب عليه انه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير " يقول الله تعالى انه كتب في اللوح المحفوظ ان من تولى الشيطان واتبعه وأطاعه فيما يدعوه إليه، فإنه يضله. وقال الزجاج: معناه كتب عليه أنه من تولاه يضله، فعطف (أن) الثانية على الأولى تأكيداً، فلذلك نصبت (أن) الثانية. والأكثر في التأكيد أن لا يكون معه حرف عطف غير أنه جائز: كما يجوز: زيد - فإنهم - في الدار. وقال قوم: نصبت (أن) الثانية، لان المعنى فلانه يضله عن طريق الحق " ويهديه إلى عذاب السعير " أي عذاب النار الذي يستعر ويلتهب. والهاء في " كتب عليه " راجعة إلى الشيطان، وتقديره كتب على الشيطان أنه من تولى الشيطان واتبعه، فان الشيطان يضله، فالهاء في يضله عائدة إلى (من) في قوله " من تولاه ".

قوله تعالى:

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر " وربأت " . الباقون (ربت).

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من البشر. فقال لهم " ان كنتم في ريب من البعث " والنشور. والريب أقبح الشك " فانا خلقناكم من تراب " قال الحسن: المعنى خلقنا آدم من تراب الذي هو أصلكم وأنتم نسله. وقال قوم: أراد به جميع الخلق، لأنه إذا أراد خلقهم من نطفة، والنطفة يجعلها الله من الغذاء، والغذاء ينبت من التراب والماء، فكان أصلهم كلهم التراب، ثم أحالهم بالتدريج: إلى النطفة، ثم أحال النطفة علقه، وهي القطعة من الدم جامدة. ثم أحال العلقة مضغة، وهي شبه قطعة من اللحم مضوغة. والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم. وقوله " مخلقة وغير مخلقة " قال قتادة: تامة الخلق، وغير تامة. وقيل: مصورة وغير مصورة. وهي السقط - في قول مجاهد -.

وقوله " لنبين لكم " معناه لندلكم على مقدورنا، بتصريفه في ضروب الخلق
وقوله " ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى " مستأنف، فلذلك رفع.
وقال مجاهد: معناه نقره إلى وقت تمامه.
وقوله " ثم نخرجكم طفلا يعني نخرجكم " من بطون أمهاتكم، وأنتم أطفال.
والطفل الصغير من الناس، ونصب طفلا على المصدر، وهو في موضع جمع. وقيل:
هو نصب على التمييز، وهو جائز، وتقديره نخرجكم أطفالا، وقيل الطفل إلى قبل
مقاربة البلوغ.
وقوله " ثم لتبلغوا أشدكم " يعني وقت كمال عقولكم وتمام خلقكم. وقيل:
وقت الاحتلام والبلوغ، وهو جمع (شد). والأشد في غير هذا الموضع قد بينا
اختلاف المفسرين فيه (١). وقوله " ومنكم من يتوفى " يعني قبل بلوغ الأشد.
وقيل: قبل أن يبلغ أرذل العمر " ومنكم من يرد إلى أرذل العمر " وقيل معناه
أهونه وأخسه عند أهله. وقيل: أحقره. وقيل هي حال الخرف. وإنما قيل: أرذل
العمر، لأن الانسان لا يرجو بعده صحة وقوة، وإنما يترقب الموت والفناء، بخلاف
حال الطفولية، والضعف الذي يرجو معها الكمال والتمام والقوة، فلذلك كان
أرذل العمر.
وقوله " لكيلا يعلم من بعد علم شيئا " معناه إنا رددناه إلى أرذل العمر
لكي لا يعلم، لأنه يزول عقله من بعد أن كان عاقلا عالما بكثرة من الأشياء، ينسا
جميع ذلك.
وقوله " وترى الأرض هامدة " أي دارسة دائرة يابسة، يقال: همد يهمد
همودا إذا درستته ودثرتة. قال الأعشى:

(١) انظر ٤ / ٣٤٣ و ٦ / ١١٧، ٤٧٦

قالت فتيلة ما لجسمك شاحبا * وأرى ثيابك باليات همدا (١)
وقوله تعالى " فإذا أنزلنا عليها الماء " يعني الغيث والمطر " اهتزت وربت "
فالاهتزاز شدة الحركة في الجهات. والربو الزيارة فيها اي تزيد بما يخرج منها من
النبات، وتهتز بما يذهب في الجهات " وأنبت " يعني الأرض " من كل زوج
بهيج " فالبهيج الحسن الصورة، الذي يمتع في الرؤية. وقال الزجاج: (ربت)
و (ربأت) لغتان. وقال الفراء: ان ذهب أبو جعفر في قراءته (ربأت) إلى أنه
من الربئة التي تحريبن الناس، فهو مذهب. وإلا فهو غلط، ويغلط العرب كقولهم:
حلات السويق، ولبأت بالحج، ورثأت الميت. وقد قرأ الحسن البصري في يونس
" ولا أدركم به " وهو مما يرخص في القراءة.
قوله تعالى:

(ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على
كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا
خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت
يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى ان الذي ذكرناه إنما دللنا به لتعلم ان " الله هو الحق " وانه

(١) ديوانه ٥٤ وروايته (سائيا) بدل (شاحبا)

الواحد الذي لا يستحق العبادة سواه، ومن اعتقده كذلك، فمعتقده على ما هو به، وهو محق، والحق هو ما كان معتقده على ما أعتقده " وانه يحيي الموتى " لان من قدر على انشاء الخلق ابتداء ونقله من حال إلى حال على ما وصف، فإنه يقدر على إعادته حيا بعد كونه ميتا، ويعلم أيضا انه قادر على كل ما يصح أن يكون مقدورا له، واصل الوصف بالحق من قولهم: حقه يحقه حقا، وهو نقيض الباطل. والفرق بين الحق والعدل أن العدل جعل الشيء على قدر ما تدعوا إليه الحكمة، والحق في الأصل جعل الشيء لما هو له في ما تدعو إليه الحكمة غير أنه نقل إلى معنى مستحق لصفات التعظيم، فالله تعالى لم يزل حقا أي انه لم يزل مستحقا لمعنى صفة التعظيم بأنه الاله الواحد الذي هو على كل شيء قدير.

ثم اخبر تعالى ان في جملة الناس من يخاصم " ويجادل في الله " وصفاته " بغير علم " بل للجهل المحض " ولا هدى " أي ولا حجة " ولا كتاب منير " أي ولا حجة كتاب ظاهر، وهذا يدل أيضا على أن الجدل بالعلم صواب، وبغير العلم خطأ، لان الجدل بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق، وبغير العلم يدعو إلى الاعتقاد بالباطل، ولذلك قال تعالى " وجادلهم بالتي هي أحسن " (١) " وقوله " ثاني عطفه " نصب على الحال يعني الذي يجادل بغير علم يثني عطفه. قال مجاهد وقتادة: يلوي عنقه كبيرا. وقيل إنها: نزلت في النضر بن الحارث ابن كلدة - ذكره ابن عباس -.

وقوله " ليضل عن سبيل الله " من فتح الياء معناه يفعل هذا ليضل عن طريق الحق المؤدي إلى توحيد الله. ومن ضم الياء أراد انه يفعل ذلك ليضل غيره. ثم اخبر تعالى ان من هذه صفته " له في الدنيا خزي " وأنه يذيقه " عذاب

(١) سورة ١٦ النحل آية ١٢٥

الحريق " يوم القيامة أي العذاب الذي يحرق بالنار. ثم قال " ذلك بما قدمت يداك " أي يقول الله تعالى عند نزول العذاب به (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد " ومعناه إن ما يفعل بالظالم نفسه من عذاب الحريق جزاء على ما كسبت يده، فذكر اليدين مبالغة في إضافة الجرم إليه، وهذا يدل على أن ذكر اليدين قد يكون لتحقيق الإضافة. وقوله " وإن الله " أي ولأن الله " ليس بظلام للعبيد " وإنما ذكره بلفظ المبالغة، وإن كان لا يفعل القليل من الظلم لأميرين: أحدهما - أنه خرج مخرج الجواب للمجبرة، وردا عليهم، لأنهم ينسبون كل ظلم في العالم إليه تعالى، فبين أنه لو كان، كما قالوا لكان ظلاما وليس بظالم. والثاني - أنه لو فعل أقل قليل الظلم لكان عظيما منه، لأنه يفعله من غير حاجة إليه، فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعله لجاحته إليه. قوله تعالى:

(ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤) من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر

هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات
وأن الله يهدي من يريد (١٦) ست آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر وأبو عمرو، ورويس، وورش " ثم ليقطع " ثم " ليقضوا " (١)
- بسكون اللام - فيهما، ووافقهم قبل في " ثم ليقضوا ". الباقون بسكون اللام.
معنى قوله " ومن الناس من يعبد الله على حرف " أي في الناس من يوجه
عبادته إلى الله على ضعف في العبادة، كضعف القيام على حرف جرف، وذلك من
اضطرابه في استيفاء النظر المؤدي إلى المعرفة. فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها،
ولا يعمل في حلها. والحرف والطرف والجانب نظائر. والحرف منتهى الجسم، ومنه
الانحراف الانعдал إلى الجانب. وقلم محرف قد عدل بقطعه عن الاستواء إلى
جانب، وتحريف القول هو العدول به عن جهة الاستواء، فالحرف معتدل إلى الجانب
عن الوسط. وقال مجاهد: معنى على حرف شك. وقال الحسن: يعبد الله على
حرف يعني المنافق يعبد بلسانه دون قلبه. وقيل على حرف الطريقة لا يدخل فيها
على تمكين.

وقوله " فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجه " قال
ابن عباس: كان بعضهم إذا قدم المدينة فان صح جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا
وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت
امرأته جارية، وتأخرت عنه الصدقة، قال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا
شرا. وكل ذلك من عدم البصيرة. وقيل: انها نزلت في بني أسد كانوا نزلوا
حول المدينة. و (الفتنة) - ههنا - معناه المحنة بضيق المعيشة، وتعذر المراد من

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٢٩

أمور الدنيا.

ثم اخبر الله تعالى أن من هذه صفته على خسران ظاهر، لأنه يخسر الجنة، وتحصل له النار. ثم اخبر عن ذكره انه " يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه " يعني الأصنام والأوثان، لأنها جماد لا تضر ولا تنفع، فإنه يعبدها دون الله. ثم قال تعالى " ذلك هو الضلال البعيد " يعني عبادة مالا يضر ولا ينفع من العدول عن الصواب، والانحراف عن الطريقة المستقيمة إلى البعيد عن الاستقامة. و " ذلك " في موضع نصب ب (يدعو) ومعناه (الذي) كأنه قال: الذي هو الضلال البعيد يدعوه. وقوله " يدعو لمن " مستأنف على ما ذكره الزجاج. وقوله " يدعو لمن ضره أقرب من نفعه " يعني يدعوا هذه الأصنام التي ضررها أقرب من نفعها، لان الضرر بعبادتها عذاب النار، والنفع ليس فيها. وإنما جاز دخول اللام في " لمن ضره " لان (يدعو) معلقة، وإنما هي تكرير للأولى، كأنه قال: يدعو - للتأكيد - للذي ضره أقرب من نفعه يدعو. ثم حذفت (يدعو) الأخيرة اجتزاء بالأولى. ولا يجوز قياسا على ذلك ضربت لزيد، ولو قلت بدلا من ذلك يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم حذفت الخبر جاز. والعرب تقول عندي لما غيره هو خير منه، كأنه قال للذي غيره خير منه عندي، ثم حذف الخبر من الثاني، والابتداء من الأول، كأنه قال عندي شئ غيره خير منه وعلى هذا يقال: أعطيك لما غيره خير منه، على حذف الخبر. وقيل: في خبر (لمن ضرره) أنه (لبئس المولى). وقيل: يدعو بمعنى يقول. والخبر محذوف. وتقديره يقول لمن ضره أقرب من نفعه: هو آلهة، قال عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها * أشطان بئر في لبان الأدهم (١)
اي يقولون يا عنتر، وقيل تقدر اللام التأخر، وإن كانت متقدمة. والمعنى
يدعو من لضره أقرب من نفعه.

وقوله " لبئس المولى ولبئس العشير " فالمولى هو الولي، وهو الناصر الذي يولي غيره
نصرته إلا أنها نصرة سوء، والعشير الصاحب المعاشر أي المخالط - في قول ابن زيد -
وقال الحسن: المولى - ههنا - الولي. وقيل: ابن العم اي بئس القوم لبني عمهم بما
يدعونهم

إليه من الضلال. وقيل: اللام لام اليمين، والتقدير يدعو وعزتي لمن ضره أقرب
من نفعه.

ثم اخبر تعالى انه " يدخل الذين آمنوا " بالله وأقروا بوحدانيته وصدقوا
رسله " وعملوا " الاعمال " الصالحات " التي أمرهم بها " جنات " أي بساتين " تجري
من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد " من ذلك لا اعتراض عليه في ذلك.
ثم قال " من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب
إلى السماء ثم ليقطع فلينظرها يذهبن كيده ما يغيظ " فالهاء في قوله " ينصره
الله " قال ابن عباس وقتادة: عائدة إلى النبي صلى الله عليه وآله، والمعنى من كان يظن أن
الله لا ينصر نبيه ولا يعينه على عدوه، ويظهر دينه فليمت غيظا. والنصرة المعونة
- في قول قتادة - وقال مجاهد والضحاك: أن الكناية عائدة إلى (من) والمعنى إن
من ظن أن لا ينصره الله. وقال ابن عباس: النصر - ههنا - الرزق. والمعنى من
ظن أن الله تعالى لا يرزقه، والعرب تقول: من ينصرني نصره الله أي من
يعطيني أعطاه الله. وقال الفقيسي:

(١) ديوانه (دار بيروت) ٢٩ من معلقته

وإنك لا تعط امرءاً فوق حظه * ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره (١)
اي معطيه وجايده، ويقال نصر الله أرض فلان أي جاد عليها بالمطر وقوله
" فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع " قيل في معنى (المساء) قولان:
أحدهما - قال ابن عباس: أراد سقف البيت. والسبب الحبل. وقال ابن
زيد: إلى السماء سماء الدنيا والسبب المراد به الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله " ثم
ليقطع "
الوحي عن النبي صلى الله عليه وآله والمعنى من ظن أنه لا يرزقه الله على وجه السخط لما
اعطى

" فليمدد " بحبل إلى سماء بيته واضعاً له في حلقة، على طريق كيد نفسه ليذهب
غيظه به. وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل. والمعنى مثله مثل من فعل بنفسه هذا،
فما كان إلا زائداً في بلائه وقيل: هذا مثل رجل وعدته وعداء، ووكدت على
نفسك الوعد، وهو يراجعك. لا يثق بقولك له، فتقول له: فاهب فاختنق، يعني اجهد
جهدك فلا ينفعك، وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين نفروا من اتباع النبي صلى الله
عليه وآله

خيفة من المشركين يخشون أن لا يتم له أمره.
وقرأ ابن مسعود " يدعو من ضره أقرب من نفعه " بلا لام. الباكون
بإثبات اللام، ووجهه أن (من) كلمة لا يبين فيها الأعراب فاستجازوا الاعتراض
باللام دون الاسم الذي يبين فيه الأعراب، ولذلك قالت العرب: عندي لما غيره
خير منه. وقد يجوز أن يكون (يدعو) الثانية من صلة الضلال البعيد، ويضمّر في
يدعو الهاء ثم يستأنف الكلام باللام. ولو قرئ بكسر اللام كان قويا. قال الفراء:
كأن يكون المعنى يدعو إلى ما ضره أقرب من نفعه، كما قال تعالى " الحمد لله الذي
هدانا لهذا " (٢) أي إلى هذه إلا أنه لم يقرأ به أحد.

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٢ والطبري ١٧ / ٨٧

(٢) سورة ٧ الأعراف آية ٤٢

وقوله " وكذلك أنزلناه " اي مثل ما ذكرنا من الأدلة الواضحة أنزلناه
" آيات " واضحات، لان " الله يهدي من يريد " منه فعل الطاعات ويدله عليها.
قوله تعالى:

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيمة إن
الله على كل شئ شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في
السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان
خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من
نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩) يصهر به ما في بطونهم
والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا
منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) (٢٢) ست آيات.
اقسم الله تعالى لان (إن) يتلقى بها القسم، فاسم تعالى " إن الذين آمنوا "
بالله وصدقوا بوحدانيته وصدقوا أنبياءه " والذين هادوا " يعني اليهود " والصابئين
والنصارى والمجوس والذين أشركوا " مع الله غيره " إن الله يفصل بينهم يوم القيامة "

(٣٠٠)

فخبر " ان الذين آمنوا " قوله " إن الله يفصل " فدخل (إن) على الخبر تأكيدا، كما يقول القائل: إن زيدا إن الخبر عنده لكثير، وقال جرير: إن الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم (١) وقال الفراء لا يجوز أن تقول: إن زيدا انه صائم لاتفاق الاسمين. قال الزجاج: يجوز ذلك، وهو جيد بالغ. ومعنى قوله " يفصل بينهم " يعني إن الله يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح وبييض وجه المحق، ويسود وجه المبطل. والفصل هو التمييز بين الحق والباطل. وإظهار أحدهما من الآخر.

وقوله " إن الله على كل شئ شهيد " أي عالم بما من شأنه أن يشاهد، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون، لأنه علام الغيوب. ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين فقال " ألم تر " ومعناه ألم تعلم " أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض " من العقلاء. ويسجد له " الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب " فسجود الجماد هو ما فيه من ذلة الخضوع التي تدعو العارفين إلى السجود، سجود العبادة لله المالك للأمور، وسجود العقلاء هو الخضوع له تعالى والعبادة له. وقوله " من في السماوات ومن في الأرض " وإن كان ظاهره العموم، فالمراد به الخصوص إذا حملنا السجود على العبادة والخضوع، لأننا علمنا أن كثيرا من الخلق كافرون بالله تعالى. فلذلك قال (وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) ارتفع (كثير) بفعل مقدر، كأنه قال (وكثير) أبي السجود، ف (حق عليه العذاب) دل عليه، لأنهم يستحقون العقاب بجحدهم وحدانية الله، وإشراكهم معه غيره. وقيل: سجود كل شئ - سوى

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٣١ وروايته: (يكفي الخليفة)

المؤمنين - سجود ظله حين تطلع الشمس وحين تغيب - في قول مجاهد - كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس في دورها عليه سجودا.
وقوله (وكثير حق عليه العذاب) يعني لابائه السجود. وقيل: بل هو يسجد بما يقتضيه عقله من الخضوع، وإن كفر بغير ذلك من الأمور، وأنشدنا في السجود بمعنى الخضوع قول الشاعر:
بجمع تضل البلق في حجراته * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر (١)
وقوله (ومن يهن الله فما له من مكرم) معناه من يهنه الله بالشقوة بادخاله جهنم (فما له من مكرم) بالسعادة بادخاله الجنة، لأنه الذي يملك العقوبة والمثوبة (ان الله يفعل ما يشاء) يعني يكرم من يشاء، ويهين من يشاء إذا استحق ذلك.
وقوله (هذان خصمان) يعني الفريقين من المؤمنين والكفار يوم بدر، وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن أبي ربيعة، وعلي بن أبي طالب (ع) قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة - في قول أبي ذر - وقال ابن عباس: هم أهل الكتاب، وأهل القرآن. وقال الحسن ومجاهد وعطاء: هم المؤمنون والكافرون "اختصموا في ربهم" لان المؤمنين قالوا بتوحيد الله وأنه لا يستحق العبادة سواه. والكفار أشركوا معه غيره، وإنما جمع قوله "اختصموا" لأنه أراد ما يختصون فيه أو أراد بالخصمين القبيلتين وخصومهم. ثم قال تعالى "فالذين كفروا" بالله ووجدوا وحدانيته "قطعت لهم ثياب من نار" ومعناه إن النار تحيط بهم كإحاطة الثياب التي يلبسونها. و "يصب من فوق رؤسهم الحميم" روي في خبر مرفوع: انه يصب على رؤسهم الحميم، فينفذ إلى أجوافهم فيسلب ما فيها. والحميم الماء المغلي. وقيل: ثياب نحاس من نار تقطع لهم، وهي أشد ما يكون حمى. وقوله "يصهر به

(١) انظر ١ / ٣١١ تعليقة ٥

ما في بطونهم والجلود " فالصهر الإذابة. والمعنى يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم وتساقط من حره الجلود. تقول: صهرت الآلية بالنار إذا أذبتها، أصهرها صهرا قال الشاعر:

تروي لقي ألقى في صفصف * تصهره الشمس فما ينصهر (١)
يعني ولدها، وتروي معناه أن تحمل له الماء في حوصلتها، فتصير له رواية كالبعير الذي يحمل عليه الماء، يقال: رويت للقوم إذا حملت لهم الماء. واللقى كل شئ ملقى من حيوان أو غيره، وقال الآخر:

شك السفافيد الشواء المصطهر

وقوله تعالى " ولهم مقامع من حديد " فالمقامع جمع مقمعة، وهي مدقة الرأس ومثله المنقفة، قمعه قمعا إذا ردعه عن الامر. فالزبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤسهم إذا أرادوا الخروج من النار من الغم الذي يلحقهم، والعذاب الذي ينالهم ردوا بتلك المقاطع فيها وأعيدوا إلى حالتهم التي كانوا فيها من العقاب. وقيل: يرفعهم زفيرها حتى إذا كادوا أن يخرجوا منها ضربوا بالمقامع، حتى يهروا فيها. وقيل: لهم ذوقوا عذاب الحريق، فالذوق طلب ادراك الطعم، فهو أشد لاحساسه عند تفقده وطلب ادراك طعمه. فأهل النار يجدون ألمها وجدان الطالب لا دراك الشئ، والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك. وقيل: هو بمعنى محرق كألیم بمعنى مؤلم، فهؤلاء أحد الخصمين، والآخرون هم المؤمنون الذين وصفهم في الآية بعدها.

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٧ والطبري ١٧ / ٩٢ وللسان (صهر) نسبه لابن أحمر

قوله تعالى:

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤) إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) (٢٥) ثلاث آيات قرأ نافع وأبو بكر " ولؤلؤا " بالنصب. الباقر بالجور. لما حكى الله تعالى أمر الخصمين اللذين يختصمان، من الكفار، والمؤمنين. ثم بين ما للكفار من عذاب النار، وإصهار ما في بطونهم، والمقامع من الحديد، وغير ذلك، بين ما للمؤمنين، وهم الفريق الآخر في هذه الآية، فقال: " إن الله يدخل الذين آمنوا " بالله وأقروا بوحدانيته، وصدقوا رسله " وعلموا " الأعمال " الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها " أي يلبسون الحلبي " من أساور من ذهب " والأساور جمع أسوار، وفيه ثلاث لغات أسوار - بالألف - وسوار وسورا. فمن جعله أسوار، جمعه على أساور. ومن جعله سورا، وسورا، جمعه أسورة. وفي قراءة عبد الله " أساوير " واحدها إسوار أيضا، وسوار وأساور، مثل كراع وأكارع، وجمع الأسورة سورا " ولؤلؤا " فمن جره عطفه على " من ذهب " وتقديره: يحلون أساور من ذهب ولؤلؤ، ومن نصبه عطفه على الموضع، لان (من) وما بعدها

في موضع نصب، فعطف " ولؤلؤا " على الموضع، وتقديره: ويحلون لؤلؤا. وقد روي عن عاصم همز الأولى وتليين الثانية. وروي ضده، وهو تليين الأولى وهمز الثانية. الباقيون يهملونهم. وكل ذلك جائز في العربية. واللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار. ويجوز أن يكون اللؤلؤ مرصعا في الذهب، فلذلك قال: يحلون لؤلؤا وقوى القراءة بالنصب أنه في المصاحف مكتوبا بالألف، قال أبو عمرو: كتب كذلك، كما كتبوا كفروا بالألف.

ثم أخبر أن لباسهم في الجنة حرير، فحرم الله على الرجال لبس الحرير في الدنيا وشوقهم إليه في الآخرة. ثم قال " وهدوا " يعني أهل الجنة إلى الصواب من القول. قال الجبائي: هدوا إلى البشارات من عند الله بالنعيم الدائم. وقيل: معناه إلى القرآن. وقيل: إلى الإيمان. وقال الكلبي إلى قول لا إله إلا الله. وقال قوم: هو القول الذي لا فحش فيه، ولا صخب " وهدوا إلى صراط الحميد " قيل: إلى الإسلام وقيل: إلى الجنة. فالحميد هو الله المستحق الحمد. وقيل: المستحمد إلى عباده بنعمه - في قول الحسن - أي الطالب منهم أن يحمده. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال

ما أحد أحب إليه الحمد من الله - عز وجل - .

ثم قال تعالى (إن الذين كفروا) بوحدانيته واختصاصه بالعبادة. (ويصدون) أي ويمنعون غيرهم (عن) اتباع (سبيل الله) بالقهر والاغواء (والمسجد الحرام) أي ويمنعونهم عن المسجد الحرام أن يجيئوا إليه حجاجا وعمارا (الذي) جعله الله تعالى (للناس) كافة قبلة لصلاتهم ومنسكا لحجهم، والمراد بالمسجد الحرام المسجد بقبة. وقيل الحرام كله " سواء العاكف فيه والباد " قال ابن عباس وقتادة: العاكف المقيم فيه، والباد الطارئ. ونصب (سواء) حفص عن

عاصم على أنه مفعول ثان من قوله (جعلناه للناس سواء) أي مساويا، كما قال (انا جعلناه قرآنا عربيا). (١) ويرتفع (العاكف) في هذه القراءة بفعله أي يستوي العاكف والبادي. ومن رفع (سواء) جعله ابتداء وخبرا، كما تقول: مررت برجل سواء عنده الخير والشر، وتقديره العاكف والبادي سواء فيه بالنزول فيه. وقال مجاهد: معناه إنهم سواء في حرمة وحق الله عليهما فيه. واستدل بذلك قوم على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة، وقال غيرهم: هذا ليس بصحيح، لان المراد به سواء العاكف فيه والباد، في ما يلزمه من فرائض الله تعالى فيه، فليس لهم أن يمنعوه من الدور، والمنازل، فهي لملاكها. وهو قول الحسن. وإنما عطف بالمستقبل على الماضي من قوله (كفروا، ويصدون) لان المعنى ومن شأنهم الصد، ونظيره (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) (٢) ويجوز في (سواء) الرفع والنصب والجر، فالنصب على أن يكون المفعول الثاني ل (جعلناه) على ما بيناه، والرفع على تقدير: هم سواء فيه. والجر على البدل من قوله (للناس سواء).

وقوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) معناه من أرادته فيه بالحاد كما قال الشاعر: أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلي بكل سبيل (٣)

ذكره الزجاج. والباء في قوله (بالحاد) مؤكدة. والباء في قوله (بظلم) للتعدية، ومثله قول الشاعر:

بواد يمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان (٤)

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٣٠

(٣) مر هذا البيت في ٣ / ١٧٤ و ٤ / ١٨٤

(٤) تفسير القرطبي ١٢ / ٣٦ والطبري ١٧ / ٩٤ واللسان (شث)

وروايته (فرعه) بدل (صدره)

والمعنى ينبت المرخ. ومثله قوله (تنبت بالدهن) (١).
 أي تنبت الدهن. وقال الأعشى:
 ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * نيل المراحل والصريح الأجردا (٢)
 وقال امرؤ القيس:
 ألا هل أتاها والحوادث جملة * بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا (٣)
 وقال الآخر:
 فلما جزت بالشرب هزلها العصا * شحيح له عند الازاء نهيم (٤)
 وقال الآخر:
 ألم يأتيك والأبناء تنمى * بما لاقت لبون بني زياد (٥)
 ويجوز أن يكون المعنى، ومن يرد فيه منعا (بالحاد) أي يميل بظلم، فتكون
 حينئذ معدية للإرادة، وذلك أنه يمكن أن يريد منعا لا بالحاد، كما يمكن أن يميل
 لا بظلم، وكما يمكن أن يمر لا بشئ. وقال ابن عباس: المعنى فيه من يرد استحلال
 ما حرم الله. و (الاحاد) هو الميل عن الحق.
 وقوله " نذقه من عذاب اليم " يعني مؤلم. وحكى الفراء: انه قرئ " ومن
 يرد " بفتح الياء - من الورود، ومعناه من ورده ظلما على غير ما أمر الله به، إلا أنه
 شاذ. وقال مجاهد: معناه من ظلم فيه وعمل شينا واشرك بالله غيره. وقال ابن

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٠

(٢) ديوانه ٥٧ وروايته:

ضمنت لنا اعجاز هن قدورنا * وضروعهن لنا الصريح الأجردا

(٣) شرح ديوانه (للسندوبي) ٨٦

(٤) تفسير الطبري ١٧ / ٩٥

(٥) مر تخريجه في ٦ / ١٩٠

مسعود: من استحل ما حرمه الله. وقال ابن عباس: هو استحلال الحرم متعمدا.
وقال حسان بن ثابت: هو احتكار الطعام بمكة.
وقيل نزلت في أبي سفيان وأصحابه، حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن
عمرة الحديبية.
قوله تعالى:

(وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في
الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج
عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات
على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس
الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ولطوفوا بالبيت
العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه
وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من
الأوثان واجتنبوا قول الزور) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد " إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت "
ومعناه جعلنا له علامة يرجع إليها. وقال قوم: معنى بوأنا وطأنا له. وقال السدي: كانت
العلامة ريحا هبت، فكشف حول البيت، يقال لها الحجوج. وقال قوم: كانت:

سحابة تطوقت حيال الكعبة، فبنى على ظلها. واصل بوأنا من قوله " باؤا بغضب من الله " أي رجعوا بغضب منه. ومنه قول الحارث بن عباد (بؤ بشسع كليب) أي ارجع، قال الشاعر:

فان تكن القتلى بواء فإنكم * فتى ما قتلتم آل عوف ابن عامر (١)
اي قد رجع بعضها ببعض في تكافئ. وتقول: بوأته منزلاً أي جعلت له منزلاً يرجع إليه، والمكان والموضع والمستقر نظائر. والبيت مكان مهياً بالبناء للبيتوتة، فهذا أصله. وجعل البيت الحرام على هذه الصورة. وقوله " ألا تشرك بي شيئاً " معناه وأمرناه ألا تشرك بي شيئاً في العبادة (وطهر بيتي) قال قتادة: يعني من عبادة الأوثان. وقيل: من الأدناس. وقيل من الدماء، والفرث، والأقذار التي كانت ترمى حول البيت، ويلطخون به البيت إذا ذبحوا. وقوله (للطائفين) يعني حول البيت (والقائمين والركع السجود) يعني طهر حول البيت للذين يقومون هناك للصلاة والركوع والسجود. وقال عطاء: والقائمين في الصلاة. وإذا قال: طاف، فهو من الطائفين، وإذا قعد، فهو من العكف، وإذا صلى، فهو من الركع السجود. وفي الآية دلالة على جواز الصلاة في الكعبة. وقوله (وأذن في الناس بالحج) قال الحسن: والجبائي: هو أمر للنبي صلى الله عليه وآله أن يؤذن للناس بالحج ويأمرهم به، وأنه فعل ذلك في حجة الوداع. وقال ابن عباس: ان إبراهيم قام في المقام، فنادى (يا أيها الناس إن الله قد دعاكم إلى الحج) فأجابوا (بلبيك اللهم لبيك). وقوله (يأتوك رجالاً) أي مشاة على أرجلهم، فرجال جمع رجال مثل

صاحب وصحاب، وقائم وقيام (وعلى كل ضامر) أي على كل جمل ضامر، وهو المهزول، أضمره السير (من كل فج عميق) أي طريق بعيد، قال الراجز:
يقطعن بعد النازح العميق

وإنما قال (يأتين) لأنه في معنى الجمع. وقيل: لان المعنى وعلى كل ناقة ضامر. وقوله (ليشهدوا منافع لهم) قيل الأجر والثواب في الآخرة، والتجارة في الدنيا. وقال أبو جعفر (ع): المغفرة. وقوله (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) قال الحسن وقتادة: الأيام المعلومات عشر من ذي الحجة، والأيام المعدودات أيام التشريق. وقال أبو جعفر (ع) الأيام المعلومات أيام التشريق، والمعدودات العشر، لان الذكر الذي هو التكبير في أيام التشريق. وإنما قيل لهذه الأيام: معدودات، لقلتها. وقيل لتلك: معلومات، للحرص على علمها بحسابها، من أجل وقت الحج في آخرها.

وقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني مما يذبح من الهدي. وقال ابن عمر: الأيام المعلومات أيام التشريق، لان الذبح فيها الذي قال الله تعالى (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام). وقوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) قال مجاهد وعطاء: أمرنا بأن نأكل من الهدي. وليس بواجب. وهو الصحيح، غير أنه مندوب إليه. والبائس الذي به ضر الجوع، والفقير الذي لا شيء له، يقال: بؤس فهو بائس إذا صار ذا بؤس، وهو الشدة. أمر الله تعالى أن يعطى هؤلاء من الهدي. وقوله "ثم ليقضوا تفثهم" فالنفث مناسك الحج، من الوقوف، والطواف، والسعي، ورمي الجمار، والحلق بعد الاحرام من الميقات. وقال ابن عباس وابن

عمر: التفث جمع المناسك. وقيل التفث قشف (١) الاحرام، وقضاؤه بحلق الرأس، والاعتسال، ونحوه. قال الأزهرى: لا يعرف التفث في لغة العرب إلا من قول ابن عباس.

وقوله " وليوفوا نذورهم " أي يوفوا بما نذروا، من نحر البدن - في قول ابن عباس - وقال مجاهد: كل ما نذر في الحج. وقرأ أبو بكر عن عاصم " وليوفوا " مشددة الفاء، ذهب إلى أنه التكبير. وقوله " وليطوفوا بالبيت العتيق " أمر من الله تعالى بالطواف بالبيت. قال ابن زيد: سمي البيت عتيقا، لأنه أعتق من أن تملكه الجبابرة عن آدم. وقيل: لأنه أول بيت بني. كقوله تعالى " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا " (٢) ثم حدده إبراهيم (ع). وقيل: لأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان، فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت، روي عن أبي جعفر (ع). والطواف المأمور به من الله في هذه الآية، قال قوم: هو طواف الإفاضة بعد التعريف إما يوم النحر، وإما بعده، وهو طواف الزيارة، وهو ركن بلا خلاف. وروى أصحابنا ان المراد - ههنا - طواف النساء الذي يستباح به وطؤ النساء، وهو زيادة على طواف الزيارة.

وقوله " ذلك ومن يعظم حرمات الله " بأن يترك ما حرمه الله. وقوله " وأحل لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم " يعني إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله: من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على نصب. وقيل: وأحل لكم الانعام، من الإبل، والبقر، والغنم، في حال إحرامكم " إلا ما يتلى عليكم " من الصيد، فإنه يحرم على المحرم. وقوله " فاجتنبوا الرجس من الأوثان " معنى (من) لتبيين الصفة، والتقدير

(١) وفي المخطوطة فشق

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٩٦

فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وروى أصحابنا أن المراد به اللعب بالشطرنج، والنرد، وسائر أنواع القمار " واجتنبوا قول الزور " يعني الكذب. وروى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية بغير حق. قوله تعالى:

(حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفون) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.

قوله " حنفاء " نصب على الحال من الضمير في قوله " واجتنبوا قول الزور " ومعنى " حنفاء " مستقيمي الطريقة، على أمر الله. وأصل الحنف الاستقامة. وقيل للمائل القدم: أحنف تفاؤلا بالاستقامة. وقيل: أصله الميل. والحنيف المائل إلى العمل بما أمر الله، والأول أقوى، لأنه أشرف في معنى الصفة. وقوله " غير مشركين به " أي غير مشركين بعبادة الله غيره. والاشراك تضييع حق عبادة الله بعبادة غيره.

أو ما يعظم عظم عبادة غيره، وكل مشرك كافر، وكل كافر مشرك. ثم قال تعالى "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء" أي من أشرك بعبادة الله غير الله، كان بمنزلة من وقع من السماء، "فتخطفه الطير" أي تتناوله بسرعة وتستلبه. والاختطاف والاستلاب واحد. يقال: خطفه يخطفه خطفاً، وتخطفه تخطفاً إذا أخذه من كل جهة بسرعة. وقرا ابن عامر "فتخطفه" بتشديد الطاء، بمعنى فتختطفه، فنقل فتحة الطاء إلى الخاء، وأدغم التاء في الطاء. الباقيون بالتخفيف، وهو الأقوى لقوله "الا من خطف الخطفة" (١).

وقوله (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) والسحيق البعيد. والمعنى أن من أشرك بالله غيره كان هالكا بمنزلة من زل من السماء، واستلبه الطير ورمى به الريح في مكان بعيد، فإنه لا يكون إلا هالكا. وقيل: شبه المشرك بحال الهاوي في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا يوم القيامة. وقيل: شبه أعمال الكفار أنها تذهب فلا يقدر على شيء منها - في قول الحسن - وقوله "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" قال سيبويه: تقديره ذلك الأمر من يعظم، فالشعائر علامات مناسك الحج كلها، منها رمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك - في قول ابن زيد - وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمها استسمانها واستحسانها. والشعيرة العلامة التي تشعر بها، لما جعلت له، وأشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدي. وقوله "فإنها من تقوى القلوب" فالكناية في قوله "فإنها" تعود إلى التعظيم. ويجوز أن تعود إلى الخصلة من التعظيم. وقيل: شعائر الله دين الله. وقوله "فإنها من تقوى القلوب" معناه إن تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أي من خشيتها.

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٠.

ثم قال " لكم فيها منافع إلى أجل مسمى " قال ابن عباس، ومجاهد: ذلك ما لم يسم هديا أو بدنا. وقال عطاء: ما لم يقلد، وقيل: منافعها ركوب ظهرها وشرب ألبانها إذا احتاج إليها. وهو المروي عن أبي جعفر صلى الله عليه وآله. وقوله " إلى أجل مسمى " قال عطاء بن أبي رباح: إلى أن تنحر. وقيل: المنافع التجارة. وقيل: الاجر، وقيل: جميع ذلك. وهو أعم فائدة.

وقوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) معناه إن محل الهدى والبدن إلى الكعبة. وعند أصحابنا: إن كان الهدى في الحج، فمحلّه منى، وإن كان في العمرة المفردة، فمحلّه مكة قبالة الكعبة بالخرورة. وقيل: الحرم كله محل لها، والظاهر يقتضي أن المحل البيت العتيق، وهو الكعبة. وقال قوم " إلى أجل مسمى " يعني يوم القيامة.

ثم اخبر تعالى انه جعل لكل أمة من الأمم السالفة منسكا. وقرأ حمزة والكسائي " منسكا " بكسر العين. الباقون بالفتح، وهما لغتان، وهو المكان للعبادة المألوفة الذي يقصده الناس. وقال الحسن: المنسك المنهاج وهو الشريعة جعل الله لكل أمة من الأمم السالفة منسكا أي شريعة. كقوله " لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه " (١) وقال مجاهد " منسكا " يعني عبادة في الذبح، والنسكة الذبيحة. يقال: نسكت الشاة أي ذبحتها فكأنه المذبح، وهو الموضع الذي يذبح فيه. وقال محمد بن أبي موسى: محل المناسك الطواف بالبيت.

وقوله " ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " أي جعلنا ذلك للأمم وتعبدناهم به " ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " يعني من الإبل والبقر والغنم إذا أرادوا تذكيته. وفي ذلك دلالة على وجوب التسمية عند الذبيحة.

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٦٧

ثم اخبر تعالى فقال " فإلهكم إله واحد " أي معبودكم الذي ينبغي أن توجهوا العبادة إليه واحد لا شريك له " فله اسلموا " أي استسلموا " وبشر المخبتين " قال قتادة: يعني المتواضعين. وقال مجاهد: يعني المطمئنين إلى ذكر ربهم. واشتقاق المخبت من الخبت، وهو المكان المظلم. وقيل: المنخفض، ومعناها واحد، ثم وصف تعالى المخبتين، فقال " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " والمعنى إذا ذكر ثواب الله، على طاعاته، وعقابه على معاصيه، خافوا عقابه وخشوا من ترك طاعاته " والصابرين على ما أصابهم " يعني يصبرون على ما يتليهم الله، من بلائه في دار الدنيا من أنواع المصائب والأمراض والأوجاع " والمقيمي الصلاة " يعني الذين يقيمون الصلاة، فيؤدونها بحقوقها، ويدومون عليها. " ومما رزقناهم ينفقون " أي مما ملكهم الله وجعل لهم التصرف فيه ينفقون في مرضاته. وفي ذلك دلالة على أن الحرام ليس برزق الله. لأن الله مدح من ينفق في سبيل الله مما رزقه، والحرام ممنوع من التصرف فيه، والانفاق منه فكيف يكون رزقا. قوله تعالى:

(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير
فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها
وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر

المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل
خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على
نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن
يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب " لن تنال الله لحومها ولكن تناله " بالتاء فيهما. الباقر بالياء
فيهما. وقد مضى ذكر نظائره. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي " أذن " بفتح الألف
" يقاتلون " بكسر التاء. وقرأ نافع وحفص " أذن " بضم الألف " يقاتلون "
بفتح التاء. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم " أذن " بضم الألف " يقاتلون "
بكسر التاء. وقرأ ابن عامر " أذن " بفتح الألف " يقاتلون " بفتح التاء. وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو " إن الله يدفع، ولولا دفع الله " بغير ألف في الموضعين
الباقر " يدافع "، " ولولا دفاع الله " بآثبات الألف في الموضعين. وقرأ أهل
الكوفة وابن كثير وأبو جعفر " لهدمت " بتخفيف الدال. الباقر بتشديدها، وهما
لغتان. والتشديد للتكثير.

قال الحسن: هدمها تعطيلها، فإذا هدمت مواضع الصلاة فكأنهم هدموا
الصلاة. وقيل: إن الصلوات بيوت النصارى، يسمونها صلوتا، وقال أبو العالية

الصلوات بيوت الصابئين وانشد:
 اتق الله والصلوات فدعها * إن في الصوم والصلوات فسادا (١)
 يريد بيت النصارى ومعنى الصوم - في البيت - ذرق النعام.
 و " ودفع الله، ودفاع الله " (لغتان والأغلب أن يكون (فعال) بين اثنين.
 وقد يكون للواحد مثل عافاه الله وطارقت النعل) (٢) وقال ابن عمر: دفاع الله،
 ويدافع: لحن. ومن فتح الألف في (اذن) وكسر التاء في (يقاتلون) فالمعنى
 أذن الله للذين يقاتلون أن يقاتلوا من ظلمهم، وكذلك المعنى في قراءة الباقيين.
 ومعنى (بأنهم ظلموا) أي من أجل أنهم ظلموا.
 يقول الله تعالى (والبدن جعلناها) فنصب البدن بفعل مضمر يدل عليه
 (جعلناها) ومثله " والقمر قدرناه " (٣) فيمن نصب القمر والبدن جمع بدنة، وهي
 الإبل المبدنة بالسمن. قال الزجاج: يقولون: بدنت الناقة إذا سمنتها. ويقال لها بدنة
 من هذه الجهة. وقيل: أصل البدن الضخم، وكل ضخم بدن. وبدن بدنا إذا
 ضخم، وبدن تبدينا، فهو بدن، ثقل لحمه للاسترخاء كما يثقل الضخم. والبدنة
 الناقة، وتجمع على بدن وبدن. وتقع على الواحد والجمع قال الراجز:
 على حين تملك الأمور * صوم شهور وجبت نذورا
 وحلق رأسي وافيا مغضورا * وبدنا مدرعا موفورا (٤)
 قال عطاء: البدن البقرة والبعير. وقيل: البدنة إذا نحرت علقت يد واحدة،
 فكانت على ثلاث، وكذلك تنحر، وعند أصحابنا تشد يداها إلى إبطيها، وتطلق
 رجلاها. والبقر تشديد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها، والغنم تشد يداها ورجل واحدة

(١) لم أجد في مظانه
 (٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
 (٣) سورة ٣٦ يس آية ٢٩
 (٤) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٧

وتطلق الرجل الأخرى.
وقوله " جعلناها لكم من شعائر الله " معناه جعلناها لكم فيها عبادة لله بما في سوقها إلى البيت وتقليدها بما ينبئ أنها هدي. ثم نحرها للاكل واطعام القانع والمعتز.
وقيل " من شعائر الله " معناه من معالم الله " لكم فيها خير " أي منافع في دينكم ودنياكم، مثل ما فسرناه.
وقوله " فاذكروا اسم الله عليها صواف " أمر من الله أن يذكر اسم الله عليها إذا أقيمت للنحر، صافة. وصواف جمع صافة، وهي المستمرة في وقوفها على منهاج واحد، فالصف استمرار جسم يلي جسما على منهاج واحد. والتسمية إنما تجب عند نحرها دون حال قيامها.
وقوله " فإذا وجبت جنوبها " معناه وقعت لنحرها، والوجوب الوقوع، ومنه يقال: وجبت الشمس إذا وقعت في المغيب للغروب، ووجب الحائط إذا وقع، ووجب القلب إذا وقع فيه ما يضطرب به. ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فعله.
ووجب المطالبة إذا وقع ما يدعوا إلى قبولها. ووجب البيع إذا وقع. وقال أوس ابن حجر:
ألم تكسف الشمس والبدر * والكواكب للجبل الواجب (١)
أي الواقع، وقرئ " صواف " على ثلاثة أوجه: صواف بمعنى مصطفة، وعليه القراء " وصوافي " بمعنى خالصة لله. وهي قراءة الحسن. " صوافن " بمعنى معلقة في قيامها، بأزمته وهي قراءة ابن مسعود، وهو مشتق من صفن الحصان إذا ثنى إحدى يديه حتى قام على ثلاث، ومنه قوله " والصفانات الجياد " (٢)

(١) ديوانه (دار بيروت): ١٠ وتفسير القرطبي ١٢ / ٦٢

(٢) سورة ٣٨ ص آية ٣٠

قال الشاعر:

الف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا (١)
والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاث، ويثني سنبك الرابعة.
وقوله " فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر " فقال قوم: الاكل والاطعام
واجبان. وقال آخرون: الاكل مندوب والاطعام واجب. وقال قوم: لو اكل جميعه
جاز، وعندنا يطعم ثلثه، ويعطى ثلثه القانع والمعتر. ويهدي الثلث الباقي. والقانع
الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم.
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المعتر الذي يسأل، والقانع الذي لا يسأل، وقال
الحسن وسعيد بن جبير: القانع الذي يسأل قال الشماخ:
لمال المرئ يصلحه فيغني * مفاقرة أعف من الفروع (٢)
أي من السؤال. وقال الحسن: المعتر يتعرض، ولا يسأل. وقال مجاهد:
القانع جارك الغني، والمعتر الذي يعتريك من الناس. ويقال قنع الرجل إلى فلان
قنوعا إذا سأل قال لبيد:
وأعطاني المولى على حين فقره * إذا قال الصبر حلتي وقنوعي (٣)
وقنعت بكسر النون اقنع قناعة وقناعا إذا اكتفيت.
وقوله " كذلك سخرناها لكم " أي مثل ذلك ذللنا هذه الانعام لكم تصرفوها
على حسب اختياركم، بخلاف السباع الممتنعة بفضل قوتها، لكي تشكروه على نعمه

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٦٢

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٩٠ واللسان (فقر) وتفسير القرطبي ١٢ / ٦٤

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٠ وروايته (اصبر) بدل (الصبر) وشرح

ديوانه (طبع الكويت: ٧١) روايته (إذا أبصر خلتي وخشوعي)

التي أنعم بها عليكم ء
ثم قال تعالى " لن ينال الله لحومها... " والمعنى لن يتقبل الله اللحوم، ولا
الدماء، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها، بأن يوجب في مقابلتها الثواب. وقيل:
لن يبلغ رضا الله لحومها، ولا دماؤها، ولكن ينالها التقوى منكم.
ثم قال " كذلك سخرها لكم " يعني الانعام " لتكبروا الله على ما هداكم "
أي لتعظموه ثم تشكروه على هدايته إياكم إلى معرفته وطريق ثوابه. وقيل: معناه
لتسموا الله تعالى على الذبابة. وقيل: لتكبروا الله في حال الاحلال بما يليق به في
حال الاحرام.

ثم قال تعالى " وبشر المحسنين " يا محمد، الذين يفعلون الأفعال الحسنة
وينعمون على غيرهم.

ثم قال " إن الله يدافع عن الذين آمنوا " أي نصرهم ويدفع عنهم عدوهم،
تارة بالقهر، وأخرى بالحجة " إن الله لا يحب كل خوان كفور " إخبار منه تعالى
أنه لا يحب الخوان، وهو الذي يظهر النصيحة، ويضمّر الغش للنفاق، أو لاقتطاع
المال. وقيل: إن من ذكر اسم غير الله على الذبيحة، فهو الخوان، والكفور هو
الجحود لنعم الله وغمط أياديته.

ثم أخبر أنه " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا " قيل: إن هذه الآية نزلت
في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قووا، أمره الله بالجهاد،
وبين أنه أذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم. ومعنى " بأنهم ظلموا " أي
من أجل أنهم ظلموا.
ثم أخبر أنه " على نصرهم لقدير " ومعناه انه سينصرهم. قال الجبائي: لا
فائدة له الا هذا المعنى.

وهذه الآية أول آية نزلت في الامر بالقتال.
ثم بين حالهم فقال " الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق " بل ظلما محضا
" الا أن يقولوا ربنا الله " والمعنى الا أن يقولوا الحق، فكأنه قال الذين أخرجوا
بغير حق، الا الحق الذي هو قولهم ربنا الله. وقال سيبويه (إلا) بمعنى (لكن)
وتقديره لكنهم يقولون: ربنا الله، فهو استثناء منقطع، وهو كقولك ما غضبت
علي إلا أنني منصف، وما تبغض فلانا إلا أنه يقول الحق، أي جعلت ذلك ذنبه.
وقال الفراء: تقديره إلا بأن يقولوا، فتكون (أن) في موضع الجر.
ثم قال " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع " في أيام شريعة
موسى " وبيع " في أيام شريعة عيسى " ومساجد " في أيام شريعة محمد صلى الله عليه
 وآله

- في قول الزجاج - وقال مجاهد: صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وهو قول قتادة.
وعن مجاهد أيضا ان البيع كنائس اليهود. وقال الضحاك: الصلوات كنائس اليهود
يسمونها صلوتا. وقيل مواضع صلوات المسلمين مما في منازلهم. وقيل: الصلوات أراد
والظاهر أنه أراد نفس الصلاة لا يقر بها سكران. وقيل تقديره: وتركت صلوات
- ذكره الأخفش - وقوله " يذكر فيها اسم الله كثيرا " يعني في المساجد والمواضع
التي ذكرها.

ثم قال " ولينصرن الله من ينصره " أي من نصر أولياء الله، ودفع عنهم
فان الله ينصره، ويدفع عنه. ويجوز أن يكون المراد: من ينصر دين الله ويذب عنه
فان الله ينصره " إن الله لقوي عزيز " أي قادر قاهر، لا ينال أحد منه مالا يريده،

(١) سورة ٤ النساء آية ٤٢.

ولا يتعذر عليه من يريد ضره. وقال الحسن: إن الله يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين. وقرأ عاصم الجحدري " وصلوت " بالتاء - في رواية هارون - وقال غيره: صلوت بالتاء والصاد واللام مضمومتان، وقال: هي مسجدة للنصارى. وقرأ الضحاك (صلوت) بثلاث نقط، وقال: هي مسجدة اليهود. وهذه شواذ لا يقرأ بها، ولا يعرف لها في اللغة أصل. قوله تعالى:

(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) خمس آيات في الكوفي والمدنيين. وفي الباقي أربع آيات. قرأ أبو عمرو وحده " أهلكتها " بالتاء. لقوله في الآية التي فيما بعد (فأمليت) الباقون (أهلكناها) بالنون.

يقول الله تعالى (الذين ان مكناهم في الأرض) ف (الذين) صفه من تقدم ذكره من المهاجرين في سبيل الله، وموضعه النصب، وتقديره (لينصرن الله من ينصره... الذين ان مكناهم) ومعناه أعطيناهم كل ما لا يصح الفعل إلا معه، لان

التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل، فإن كان هذا الفعل لا يصح إلا بآلة، فالتمكين باعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة، وكذلك إن كان لا يصح الفعل إلا بعلم، ونصب دلالة، وصحة سلامة، ولطف وغير ذلك، فاعطاء جميع ذلك واجب. وإن كان الفعل يكفي - في صحة وجوده - مجرد القدرة، فخلق القدرة هو التمكين. ثم وصفهم فقال: هؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، (إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة) يعني أدوها بحقوقها، وقيل: معناه داموا عليها (وآتوا الزكاة) أي وأعطوا ما افترض الله عليهم في أموالهم من الزكوات وغيرها (وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر). وفي ذلك دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، لأن ما رغب الله فيه، فقد اراده، وكل ما أراده من العبد، فهو واجب إلا أن يقوم دليل على ذلك أنه نفل، لأن الاحتياط يقتضي ذلك. و (المعروف) هو الحق، وسمي معروفاً لأنه تعرف صحته. وسمي المنكر منكراً، لأنه لا يمكن معرفة صحته. وقوله " ولله عاقبة الأمور " معناه تصير جميع الاملاك لله تعالى، لبطلان كل ملك سوي ملكه. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله مسلياً له عن تكذيب قومه له وقلة قبولهم منه: " وان "

يكذبوك " يا محمد في ما تدعيه من النبوة " فقد كذبت قبلهم قوم نوح " نوحاً، وكذبت قوم " عاد " هوداً وقوم " ثمود " صالحاً " وقوم إبراهيم " إبراهيم " وقوم لوط " لوطاً " وأصحاب مدين " شعيباً " وكذب " أصحاب موسى " موسى " وإنما قال " وكذب موسى " ولم يقل وقوم موسى، لأن قومه بني إسرائيل، وكانوا آمنوا به وإنما كذبه قوم فرعون " فأملت للكافرين " أي أخرت عقابهم وحملت عنهم " ثم أخذتهم " فاستأصلتهم بأنواع الهلاك " فيكيف كان نكير " أي عذابي لهم، وإنما اقتصر على ذكر أقوام بعض الأنبياء، ولم يسم أنبياءهم، للدلالة الكلام عليه. ثم قال تعالى " وكأين من قرية " معناه وكم من أهل قرية " أهلكتناها " لما

استحقوا الاهلاك في حال كونها " ظالمة " لنفسها " فهي خاوية على عروشها " أي
أهلكناها في حال كونها ظالمة لنفسها حتى تهدمت الحيطان على السقوف. وقال الضحاك
على عروشها سقوفها.

وقوله " وبئر معطلة وقصر مشيد " معناه وكم من بئر معطلة أي لا أهل لها
والتعطيل ابطال العمل بالشئ ولذلك قيل للدهرى: معطل، لأنه، أبطل العمل
بالعلم على مقتضى الحكمة. ويقال: خوت الدار خواء، ممدود وهي خاوية، وخوى
جوف الانسان من الطعام خوى، مقصور، وهو خاو. وقيل في خفض " وبئر
معطلة وقصر مشيد " قولان:

أحدهما - بالعطف على قرية، فيكون المعنى إهلاكها كالحقيرة.
والثاني - بالعطف على العروش، فيكون المعنى ان بها البئر المعطلة والقصر
المشيد. ومعنى وقصر مشيد أي مجصص، والشيد الجص - في قول عكرمة ومجاهد -
وقال قتادة: معناه رفيع، وهو المرفوع بالشيد. وقال عدي بن زيد:
شاده مرمرًا وجلله كأسًا * فللطير في ذراه وكور (١)
وقال امرؤ القيس:
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا أجما إلا مشيدا بجندل (٢)
وقال آخر:
كحبة الماء بين الطين والشيد (٣)

(١) شرح ديوان امرئ القيس (اخبار المراقبة) ٣٦٠ وتفسير القرطبي
١٢ / ٧٤ والطبري ١٧ / ١١٦ واللسان (شيد)
(٢) شرح ديوانه: ١٥٧ وروايته (أطما) بدل (أجما)
(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١١٦ والقرطبي ١٢ / ٧٤ وتماهه:
لا تحسبين وان كنت امرءا غمرا * كحبة الماء بين الطين والشيد

ويقال شدته أشيده إذا زينته. وقال الكلبي قصر مشيد: معناه حصين.
وقيل: ان البئر والقصر معروفان باليمين. وفي تفسير أهل البيت إن معنى " وبئر
معطلة " أي ولكم من عالم لا يرجع إليه، ولا ينتفع بعلمه، ولا يلتفت إليه. ومعنى الآية:
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بكفرهم وأبادهم بمعصيتهم،
ليروا من تلك الآثار بيوتا خاوية، قد سقطت على عروشها، وبئر الشرب قد باد
أهلها وعطل رساؤها وغار معينها وقصرا مشيدا مزينا بالجص، قد خلا من
السكن، وتداعي بالخراب، فيتعظوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله، وبأسه الذي
نزل بهم.
قوله تعالى:

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من
قرية أُمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨) قل
يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي " مما يعدون " بالياء، على الخبر عن

الكفار. الباقون بالتاء، على الخطاب.

لما اخبر الله تعالى عن اهلاك الأمم الماضية جزاء على كفرهم ومعاصيهم، نبه الذين يرتابون بذلك. فقال " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به، وسمعوا صحة ما ذكرناه عنم أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين. وفيها دلالة على أن العقل هو العلم، لان معنى (يعقلون بها) يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة. وفيها دلالة على أن القلب محل العقل والعلوم، لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق، فلولا أن التبيين يصح أن يحصل فيها * لما وصفها بأنها تعمى، كما لا يصح أن يصف اليد والرجل بذلك. والهاء في (انها لا تعمى) هاء عماد، وهو الاضمار على شروط التفسير، وإنما جاز أن يقول: ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، للتأكيد لئلا يتوهم بالذهاب إلى غير معنى القلب، لأنه قد يذهب إلى أن فيه اشتراكا كقلب النخلة، فإذا قيل هكذا كان أنفى للبس بتجويز الاشتراك واما قوله (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) (١) فلان القول قد يكون بغير الفم. والمعنى في الآية ان الابصار وإن كانت عمياء، فلا تكون في الحقيقة كذلك، إذا كان عارفا بالحق. وإنما يكون العمى عمى القلب الذي يجحد معه معرفة الله ووحدانيته.

ثم قال (ويستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) أن ينزل عليهم، ويستبطنونه، وان الله لا يخلف ما يوعد به (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة: يوم من أيام الآخرة، يكون كألف سنة من أيام الدنيا. وقال ابن زيد، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: انه أراد يوما من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. والمعنى (وان يوما عند ربك) من أيام العذاب، في

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٦٧

الثقل والاستطالة (كألف سنة مما تعدون) في الدنيا، فكيف يستعجلونك بالعذاب لولا جهلهم، وهو كقولهم: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار. قال الشاعر:

يطول اليوم لا ألقاك فيه * ويوم نلتقي فيه قصير (١)
وأنشد أبو زيد:

تطاولن أيام معن بنا * فيوم كشهرين إذ يستهل (٢)
وقال جرير:

ويوم كأبهام الحبارى لهوته (٣)

وقيل " وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون " في طول الامهال للعباد لصالح من يصلح منهم، أو من نسلهم، فكأنه ألف سنة لطوال الأناة. وقيل (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) في مقدار العذاب في ذلك اليوم، أي انه لشدته وعظمه كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة. وكذلك نعيم الجنة، لأنه يكون في مقدار يوم السرور والنعيم مثل ما يكون في الف سنة من أيام الدنيا لو بقي ينعم ويلتذ فيها.

ثم قال تعالى (وكم من قرية أُمليت لها) فالاملاء والاملال والتأخير نظائر (وهي ظالمة) أي مستحقة لتعجيل العقاب، لكن اخذتها وأهلكتها والي المصير،

(١) هذا البيت ساقط من المطبوعة.

(٢) هو في مجمع البيان ٩٠ / ٤

(٣) وفي المخطوطة (ويوم كأبهام الحبارى لطوله) ولم أجده في ديوان

جرير وإنما يوجد ابيات تشبه هذا وهي:

ويوم كأبهام القطاء مزين * إلى صاه غالب لي باطله

لهوت بجني عليه سموطه * وإنس محاليه وإنس شمائله

لكل أحد، بأن يزول ملك كل مالك ملك شيئا في دار الدنيا.
ثم قال لنبيه (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أي مخوف من
معاصي الله بعقابه، مبين لكم ما يجب عليكم فعله، وما يجب عليكم تجنبه (فالذين
آمنوا) أي صدقوا بالله وأقروا برسله (لهم مغفرة) من الله تعالى لمعاصيهم ولهم
(رزق كريم) أي مع اكرامهم بالثواب الذي لا يقاربه تعظيم وتبجيل.
قوله تعالى:

(والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب
الجحيم (٥١) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم
يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من
ربك فيؤمنوا به فتحت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى
صراط مستقيم (٥٤) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى
تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) (٥٥) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (معجزين) بالتشديد، بمعنى مثبطين ومبطلين، وهو قول مجاهد. الباكون (معاجزين) بالألف. قال قتادة: معناه مشاقين معاندين. يقول الله تعالى ان (الذين سعوا في آيات الله معجزين) ومعناه إن الذين يعجزون المؤمنين في قبول هذه الآيات اي يعجزونهم عن اقامتها بجحدهم تدبير الله (عز وجل) لها. ويحتمل أن يكون معناه يعجزونهم عن تصحيحها. والسعي الاسراع في المشي، ومن قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) (١) وسعى يسعى سعياً، فهو ساع، وجمعه سعاة، واستسعا في الامر استسعاء. وقال قتادة: ظنوا انهم يعجزون الله أي يفوتونه وأن يعجزوه. وقال مجاهد: معناه مبطلين عن اتباع آيات الله. ومن قرأ (معاجزين) أراد انهم يجادلون عجز الغالب. ومن قرأ (معجزين) بالتشديد أراد طلب اظهار العجز. وقال ابن عباس: معنى (معاجزين) مشاقين. وقيل معنى (معجزين) مسابقين، يقال: أعجزني الشيء بمعنى سبقني وفاتني. وقال أبو علي: معاجزين ظانين ومعتقدين انهم يفوتونا، لانكارهم البعث. ومعجزين أي ينسبون من اتباع النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله واتباعه. وقوله " أولئك أصحاب الجحيم " معناه الذين يسعون في آيات الله طالبين إظهار عجزه ان لهم عذاب الجحيم، وهم ملازمون لها. وقوله " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومحمد بن كعب ومحمد ابن قيس: انهم قالوا: كان سبب نزول الآية انه لما تلا النبي صلى الله عليه وآله " أفرأيتم اللات

(١) سورة الجمعة آية ٩.

والعزى ومناة الثالثة الأخرى " (١) القى الشيطان في تلاوته (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجي) ومعنى الآية التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وأنه لم يبعث الله نبيا، ولا

رسولا إلا إذا تمنى - يعني تلا - القى الشيطان في تلاوته بما يحاول تعطيله، فيرفع الله ما ألقاه

بمحكم آياته. وقال المؤرج: الأمنية الفكرة، بلغة قريش. وقال مجاهد: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا تأخر عنه الوحي تمنى أن ينزل عليه فيلقي الشيطان في أمنيته، فينسخ

الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. وقال أبو علي الجبائي: إنما كان يغلط في القراءة سهوا فيها، وذلك جائز على النبي، لأنه سهو لا يعرى منه بشر، ولا يلبث أن ينبهه الله تعالى عليه. وقال غيره: إنما قال ذلك في تلاوته بعض المنافقين عن اغواء الشياطين، وأوهم أنه من القرآن. وقال الحسن: إنما قال: هي عند الله كالغرائق العلى، يعني الملائكة في قولكم، وإن شفاعتهن لترتجي في اعتقادكم. والتمني في الآية معناه التلاوة، قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخره لاقى حمام المقادر (٢)
وقال الجبائي: إنما سهوا النبي صلى الله عليه وآله في القراءة نفسها. فأما الرواية بأنه قرأ تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجي، فلا أصل لها، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو، وإنما يغلط في المتشابه.

وقوله " فينسخ الله ما يلقي الشيطان " أي يزيل الله ما يلقيه الشيطان من الشبهة " ثم يحكم الله آياته " حتى لا يتطرق عليها ما يشعثها. وقال البلخي: ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما فلما قرأ النبي صلى الله عليه وآله

وسوس بهما إليه الشيطان، وألقاهما في فكره، فكاد أن يجريهما على لسانه، فعصمه الله، ونبهه، ونسخ وسواس الشيطان، وأحكم آياته، بأن قرأها النبي صلى الله عليه وآله محكمة

(١) سورة ٥٣ النجم آية ١٩ - ٢٠

(٢) مر هذا البيت في ١ / ٣١٩

سليمة مما أراد الشيطان. ويحوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله حين اجتمع إليه القوم، واقترحوا عليه أن يترك ذكر آلهتهم بالسوء، أقبل عليهم يعظهم ويدعوهم إلى الله، فلما انتهى رسول الله إلى ذكر اللات والعزى. قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعا بها صوته، فألقاهما في تلاوته في غمار من القوم وكثرة لغتهم، فظن الكفار أن ذلك من قول النبي، فسجدوا عند ذلك.

وقوله "والله عليم حكيم" معناه إنه عالم بجميع المعلومات، واضع الأشياء مواضعها. والآية تدل على أن كل رسول نبي، لأنه تعالى ذكر أنه أرسلهم، وإنما قال من رسول ولا نبي، لاختلاف المعنيين، لأن الرسول يفيد أن الله أرسله، والنبي يفيد أنه عظيم المنزلة يخبر عن الله. وقد قال بعض المفسرين: إن المراد بالتمني في الآية تمني القلب، والمعنى أنه ما من نبي ولا رسول إلا وهو يتمنى بقلبه ما يقربه إلى الله من طاعاته، وإن الشيطان يلقي في أمنيته بوسوسته واغوائه ما ينافي ذلك، فينسخ الله ذلك عن قلبه بأن يلطف له ما يختار عنده ترك ما أغواه به.

وقوله "ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض" بيان من الله تعالى أنه يجعل ما يلقيه الشيطان من الأمنية فتنة، فمعنى (ليجعل) يحتمل أمرين: أحدهما - الحكم والتسمية، كما تقول جعلت حسني قبيحا، ويكون المراد أنه ينسخ ما يلقي الشيطان طلبا للفتنة والاغواء.

والثاني - أنه أراد ليجعل نسخ ما يلقي الشيطان فتنة، لأن نفس فعل الشيطان لا يجعله الله فتنة، لأن ذلك قبيح، والله تعالى منزّه عن القبائح اجمع، فمعنى الفتنة في الآية المحنة، وتغليظ التكليف "للذين في قلوبهم مرض" أي شك ونفاق وقلة معرفة "والقاسية قلوبهم" يعني من قسى قلبه عن اتباع الحق. وقيل: هم الظالمون. ثم أخبر تعالى "إن الظالمين" لنفوسهم "لفي شقاق بعيد" أي مشاقة

بعيدة من الله تعالى، وبين انه يفعل ذلك " ليعلم الذين أوتوا العلم " بالله وصفته وأن أفعاله صواب " انه الحق من ربك " فيصدقوا به " فتخبت له قلوبهم " أي تطمئن إليه وتسكن. وبين ان الله تعالى يهدي من يؤمن إلى صراط مستقيم، بأن يلطف له ما يعلم أنه يهتدي عنده " إلى صراط مستقيم ".

ثم قال " ولا يزال الذين كفروا في مرية منه " يعني من القرآن. ومعناه الاخبار عمن علم الله تعالى من الكفار انهم لا يؤمنون بالآية خاصة. وهو قول ابن جريج إلا أن (تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بغثة) أي فجأة، وعلى غفلة (أو) يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال الضحاك: هو عذاب يوم القيامة. وقال مجاهد وقتادة: هو عذاب يوم بدر. وقيل معنى (عقيم) أي لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة قال الشاعر:

عقم النساء بأن يلدن شبيهه * إن النساء بمثله لعقيم (١)
قوله تعالى:

(الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم

(١) البيت في مجمع البيان ٤ / ٩٢

حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور) (٦٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ ابن عامر " ثم قتلوا " بالتشديد. الباكون بالتخفيف. من شدد أراد التكثير. ومن خفف، فلانه يحتمل القليل والكثير. يقول الله تعالى إن الملك في اليوم الذي وصفه بأنه " عقيم " وانه لا مثل له في عظم الأهوال، فيه الملك لله تعالى وحده. لا ملك لاحد معه. وإنما خص ذلك به، لان في الدنيا قد ملك الله تعالى أقواما أشياء كثيرة. والملك اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، فالله تعالى يملك الأمور لنفسه، وكل مالك سواه، فإنما هو مملك له بحكمه، اما بدليل السمع أو بدليل العقل. وقوله (يحكم بينهم) أي يفصل في ذلك اليوم بين الخلائق، وينصف بينهم في الحكم، والحكم الخبر بالمعنى الذي تدعو إليه الحكمة، ولهذا قيل: الحكم له، لان كل حاكم غيره، فإنما يحكم باذنه واعلام من جهته إما من جهة العقل أو جهة السمع. ثم اخبر تعالى ان (الذين آمنوا) اي صدقوا بوحدانيته، وصدقوا أنبياءه (وعملوا الصالحات) التي أمر الله بها انهم (في جنات النعيم) منعمين فيها. (وإن الذين كفروا) اي جحدوا ذلك (وكذبوا) بآيات الله، فان لهم عذابا مهينا، يهينهم ويذلهم. والهوان الاذلال بتصغير القدر، ومثله الاستخفاف والاحتقار، أهانه يهينه إهانة فهو مهان مذلل. وقيل نزلت الآية في قوم من المشركين أتوا جماعة من المسلمين، فقاتلوهم في الأشهر الحرم بعد ان نهاهم المسلمون عن ذلك، فأبوا، فنصروا عليهم. وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد.

وقوله (والذين هاجروا في سبيل الله) يعني الذين خرجوا من ديارهم وأوطانهم بغضا للمشركين الذين كانوا يؤذونهم بمكة (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) يعني الجنة (وان الله لهو خيرا الرازقين) ثم اقسام تعالى انه ليدخلن هؤلاء المهاجرين في سبيل الله الذين قتلوا (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) ويؤثرونه يعني الجنة، وما فيها من أنواع النعيم. وقرأ نافع " مدخلا " بفتح الميم، يريد المصدر أو اسم المكان، وتقديره: ليدخلنهم فيدخلون مدخلا يرضونه أو مكانا يرضونه. والباقون بضم الميم وهو الأجود، لأنه من ادخل يدخل مدخلا لقوله " وأدخلني مدخل صدق " (١) وإن الله لعليم بأحوالهم، حليم عن معاجلة الكفار بالعقوبة. وقوله " ذلك ومن عاقت بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله " قيل نزلت في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين فقاتلوهم في الأشهر الحرم بعد أن نهاهم المسلمون عن ذلك، فأبوا. فنصروا عليهم. وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد، والأول لم يكن عقوبة، وإنما هو كقولهم الجزاء بالجزاء. والأول ليس بجزاء، وإنما هو لازدواج الكلام. قوله تعالى:

(ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله

لطيف خبير (٦٣) له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥) خمس آيات بلا خلاف قرأ أهل العراق إلا أبا بكر " وإن ما يدعون " بالياء. الباقون بالتاء. معنى ذلك ان " ذلك " الامر " بأن الله يولج الليل في النهار " أي يدخل الليل على النهار، والايلاج الادخال باكره، ولج يلج ولوجا وأولج إيلاجاً وأتلج إتلاجاً. وإنما قال يولج الليل في النهار - ههنا - لان ذلك يقتضي أن ذلك صادر من مقتدر لولاه لم يكن كذلك. وقيل: معنى " يولج الليل في النهار " أن يدخل ما انتقص من ساعات الليل في النهار، وما انتقص من ساعات النهار في الليل. ومعنى " وإن الله سميع بصير " - ههنا - أنه يسمع ما يقول عباده في هذا بصير به، لا يخفى عليه شيء منه حتى يجازي به.

وقوله " بأن الله هو الحق " وصفه بأنه الحق يحتمل أمرين: أحدهما - انه ذو الحق في قوله وفعله.

الثاني - انه الواحد في صفات التعظيم التي من اعتقدها، فهو محق، وقوله " وإن ما يدعون من دونه هو الباطل " من قرأ بالتاء خاطب بذلك الكفار. ومن قرأ بالياء أخبر عنهم بأن ما يدعونه من دون الله من الأصنام والأوثان هو الباطل، على الحقيقة " وإن الله هو العلي الكبير " فالعلي القادر الذي كل شيء سواه تحت معنى صفته، بأنه قادر عليه، ولا يجوز وصفه ب (رفيع) على هذا المعنى،

لان صفة علي منقولة إليه، ولم تنقل صفة (رفيع) ووصفه بأنه الكبير، يفيد أن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته، لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء، العالم الذي لا يخفى عليه شيء.

وقوله " ألم تر " خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين يقول الله لهم ألم تعلموا " أن الله أنزل من السماء ماء " يعني غيثا ومطرا " فتصبح الأرض " بذلك " مخضرة " بالنبات " ان الله لطيف خبير " فاللطيف معناه أنه المختص بدقيق التدبير الذي لا يخفى عنه شيء ولا يتعذر عليه، فهو لطيف باستخراج النبات من الأرض بالماء، وابتداع ما يشاء " خبير " بما يحدث عنه وما يصلح له. وقوله " فتصبح الأرض " إنما رفع (فتصبح) لأنه لم يجعله جوابا للاستفهام، لأن الظاهر وإن كان الاستفهام فالمراد به الخبر، كأنه قال: قد رأيت أن الله ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مخضرة، إلا أنه نبه على ما كان رآه ليتأمل ما فيه قال الشاعر:

ألم تسأل الربع القواء فينطق * وهل يخبرنك اليوم بيذا سملق (١)
لان المعنى قد سألته فنطق. ثم أخبر تعالى أن " له " ملك " ما في السماوات وما في الأرض " لا ملك لاحد فيه. ومعناه إن له التصرف في جميع ذلك لا اعتراض عليه. وأخبر " إن الله هو الغني الحميد " فالغني هو الحي الذي ليس بمحتاج، فهو تعالى المختص بأنه لو بطل كل شيء سواه لم تبطل نفسه القادرة العالمة. الذي لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه، وكل شيء سواه يحتاج إليه، لأنه لو لاه لبطل، لأنه لا يخلو من مقدوره أو مقدور مقدوره. و (الحميد) معناه الذي يستحق الحمد على أفعاله، وهو بمعنى انه محمود.

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٣٤

ثم قال " ألم تر " يا محمد والمراد جميع المكلفين " ان الله سخر لكم ما في الأرض " من الجماد والحيوان اي قد ذلله لكم، تتصرفون فيه كيف شئتم، وينقاد لكم، على ما تؤثرونه. وان الفلك تجري في البحر بأمر الله اي بفعل الله، لأنها تسير بالريح، وهو تعالى المجري لها و (يمسك السماء أن تقع على الأرض) أي يمنعها من الوقوع على الأرض، ولا يقدر على إمساكها أحد سواه مع عظمها وثقلها " الا باذنه " اي لا تقع السماء على الأرض إلا إذا أذن الله في ذلك بأن يريد ابطالها واعدامها. ومعنى (أن تقع) ألا تقع. وقيل معناه كراهية أن تقع. ثم أخبر انه تعالى (بالناس) لرؤف رحيم) أي متعطف منعم عليهم. قوله تعالى:

(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الانسان لكفور (٦٦) لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع إلى ربك إنك لعلی هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩) ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) (٧٠) خمس آيات بلا خلاف.

لما ذكر الله تعالى انه الذي سخر للخلق ما في الأرض من الحيوان وذلها لهم واجري

الفلك في البحر، كنا عنه بأن قال " وهو الذي أحياكم " أيضا بعد ان لم تكونوا كذلك، يقال أحياء الله، فهو محي له " ثم يميتكم " بعد هذا الاحياء " ثم يحييكم " يوم القيامة للحساب إما إلى الجنة، وإما إلى النار ثم اخبر عن الانسان بأنه (كفور) أي جحود لنعم الله بما فعل به من أنواع النعم، وجحوده ما ظهر من الآيات الدالة على الحق في كونه قادرا على الاحياء والإماتة. والاحياء بعدها، لا يعجزه شيء من ذلك.

ثم اخبر تعالى أن " لكل أمة منسكا " أي مذهبا " هم ناسكوه " أي يلزمهم العمل به. وقيل: المنسك جميع العبادات التي أمر الله بها. وقيل: المنسك الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، وهو المألف لذلك. ومناسك الحج من هذا، لأنها مواضع العبادات فيه، فهي متعبات الحج. وفيه لغتان فتح السنين، وكسرها. وقال ابن عباس " منسكا " أي عيدا. وقال مجاهد وقتادة: متعبدا في إراقة الدم بمنى، وغيرها. وقوله " فلا ينازعنك في الامر " لأنهم كانوا يقولون " أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله. وقيل: لا ينازعنك في الامر " نهى لهم عن منازعة النبي صلى الله عليه وآله وقيل: نهى له لان المنازعة تكون من اثنين، فإذا وجه النهي إلى من ينازعه، فقد وجه إليه. وقرئ " فلا ينازعنك " والمعنى لا يغلبنك على الامر. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " وادع إلى ربك " يا محمد " انك لعلي هدى مستقيم " أي على طريق واضح. ثم قال " وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون " معناه إن جادلوك على وجه المراء والتعنّت الذي يعمله السفهاء، فلا تجادلهم على هذا الوجه، وادفعهم بهذا القول. وقل " الله أعلم بما تعملون " وهذا أدب من الله حسن، ينبغي أن يأخذ به كل أحد " الله يحكم بينكم " أي يفصل بينكم " يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون " من توحيد الله وصفاته واخلاص عبادته، وألا نشرك به غيره.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " ألم تعلم " والمراد به جميع المكلفين " أن الله يعلم ما في السماء والأرض " من قليل وكثير، لا يخفى عليه شيء من ذلك " إن ذلك في كتاب " يعني مثبتا في اللوح المحفوظ الذي أطلع عليه ملائكته " أن ذلك على الله يسير " أي سهل غير متعذر.
قوله تعالى:

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير (٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير (٧٢) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز (٧٤) الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير (٧٥) خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مخبرا عن حال الكفار الذين يعبدون مع الله الأصنام، والأوثان:

(٣٣٩)

انهم " يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا " أي لا حجة ولا برهان، وإنما قيل للبرهان سلطان، لأنه يتسلط على انكار المنكر، فكل محق في مذهبه، فله برهان يتسلط به على الانكار لمذهب خصمه.

وقوله " وما ليس لهم به علم " معناه ولا هو معلوم لهم أيضا من جهة الدلالة، لان الانسان قد يعلم صحة أشياء يعمل بها من غير برهان أدى إليها كعلمه بوجوب شكر المنعم، ووجوب رد الوديعة، ومدح الحسن وذم المسيء، وغير ذلك، مما يعلمه بكمال عقله، وإن لم يكن معلوما بحجة، فلذلك قال " وما ليس لهم به علم ". ثم اخبر انه ليس " للظالمين " أنفسهم بارتكاب المعاصي وترك المعرفة بالله من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار وشدة عنادهم، فقال " وإذا تتلى عليهم آياتنا " يعني من القرآن وغيره من حجج الله تعالى الظاهرات البينات " تعرف " يا محمد " في وجوه الذين كفروا " بنعم الله، ووجدوا ربوبيته " المنكر " من القول " يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا " فالسطوة اظهار الحال الهائلة للإخافة، يقال: سطا عليه سطوة وسطوا وسطا به أيضا فهو ساط. والانسان مسطو به. والانسان يخاف سطوات الله ونقماته. والسطوة والاستطالة والبطشة نظائر في اللغة. والمعنى إن هؤلاء الكفار إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم، قاربوا أن يوقعوا بمن يتلوها المكروه.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " يا محمد " أفأنبؤكم بشر من ذلكم " أي بشر من اعتدائكم على التالي لآيات الله. وقيل: بشر عليكم مما يلحق التالي منهم. ثم ابتداء فقال " النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير " وقيل التقدير كان قائلا قال ما ذلك الشر؟ فقيل " النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير " أي بئس

الموضع، وكان يجوز في (النار) الجر على البدل من (ذلكم) لأنه في موضع جر ب (من) وكان يجوز النصب بمعنى أعرفكم شرا من ذلكم النار، والذي عليه القراء الرفع. ثم اخبر تعالى عن النار بأن الله وعدّها الذين كفروا وبئس المرجع. ثم خاطب جميع المكلفين من الناس، فقال " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له " يعني ضرب مثل، جعل، كقولهم ضرب على أهل الذمة الجزية، لأنه كالشيت شبهه بالضرب المعروف، وكذلك الضربة. والمثل: شبه حال الثاني بالأولى في الذكر الذي صار كالعلم. ومن حكم المثل أن لا يتغير، لأنه صار كالعلم. كقولهم " أطري انك فاعلة ".

ثم قال " ان الذين تدعون من دون الله " قرأ يعقوب بالياء على الخبر الباقي بالتاء على الخطاب، كقوله " يا أيها الناس ". والذي عبدوه من دون الله الأصنام والأوثان " لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " على ذلك وعاون بعضهم بعضا مع صغر الذباب، فكيف بالعظيم من الأشياء. ثم زاد في ضرب المثل، فقال " وإن يسلبهم الذباب شيئا... " يعني هؤلاء الكفار، ومن جرى مجراهم لو سلبهم الذباب شيئا وطار، لما قدروا على استنقاذه منه وتخليصه من يديه. ثم اخبر تعالى بأنه " ضعف الطالب " يعني من الأوثان " والمطلوب " من الذباب - وهو قول ابن عباس - ولم يأت بالمثل، لان في الكلام دلالة عليه، كأنه قال يا أيها الناس مثلكم مثل من عبد آلهة اجتمعت لان تخلق ذبابا، فلم يقدروا عليه، وإن يسلبها الذباب شيئا، فلم تستنقذه منه. ومثل ذلك في الحذف قول امرئ القيس:

وجدك لو شئ اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد عنك مدفعا (١)
وتقديره لو أتاننا رسول غيرك لرددناه وفعلنا به، ولكن لم نجد عنك مدفعا،

(١) شرح ديوانه ١٣١ وقد مر في ٥ / ٥٢٩ و ٦ / ٢٥٣ مع اختلاف يسير

فاختصر لدلالة الكلام عليه. وقال قوم: أراد أن الكافرين جعلوا لي الأمثال من الأصنام التي عبدوها فاستمعوا لما ضرب لي من الأمثال. ثم أخبر عنها كيف هي، وكيف بعدها مما جعلوه مثلاً، ويدل عليه قوله " ما قدروا الله حق قدره " واختلفوا في معنى " ما قدروا الله حق قدره " فقال الحسن: معناه ما عظموه حق عظمتهم، إذ جعلوا له شريكاً في عبادته. وهو قول المبرد والفراء. وقال قوم: معناه ما عرفوه حق معرفته. وقال آخرون: ما وصفوه حق صفته. وهو مثل قول أبي عبيدة. قال: يقول القائل: ما عرفت فلاناً على معرفته، أي ما عظمته حق تعظيمه.

وفي ذلك دلالة على أن من جوز عبادة غير الله فهو كافر، وكذلك من جوز أن يكون المنعم - بخلق النفس، والبصر، والسمع، والعقل - غير الله، فهو كافر بالله.

ثم أخبر تعالى عن نفسه، فقال " ان الله لقوي " أي قادر على ما يصح أن يكون مقدوراً " عزيز " لا يقدر أحد على منعه.

ثم قال تعالى " الله يصطفى من الملائكة رسلاً " أي يختار منهم من يصلح للرسالة " ومن الناس " أي ويختار من الناس أيضاً مثل ذلك. وفي ذلك دلالة على أنه ليس جميع الملائكة رسلاً، لأن (من) للتبعية عند أهل اللغة، وكما أن الناس ليس جميعهم أنبياء فكذلك الملائكة.

وقوله " إن الله سميع بصير " أي يسمع جميع ما يدرك بالسمع من الأصوات ودعاء من يدعو خالصاً، ودعاء من يدعو على وجه الاشتراك به بصير بأحوالهم.

قوله تعالى

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) (٧٦)

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير

لعلكم تفلحون (٧٧) وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمىكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول الشاهد عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولىكم فنعم المولى ونعم النصير (٧٨) ثلاث آيات بلا خلاف لما أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه "سميع بصير" وصف أيضا نفسه بأنه "يعلم ما بين أيديهم" يعني ما بين أيدي الخلائق من القيامة وأحوالها، وما يكون في مستقبل أحوالهم، "وما خلفهم" أي ما يخلفونه من دنياهم. وقال الحسن: يعلم ما بين أيديهم: أول أعمالهم، وما خلفهم آخر أعمالهم "واليه ترجع الأمور" يعني يوم القيامة ترجع جميع الأمور إلى الله تعالى بعد إن كان ملكهم في دار الدنيا منها شيئا كثيرا.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا" أي صلوا، على ما أمرتكم به، من الركوع والسجود فيها (واعبدوا ربكم) الذي خلقكم ولا تشركوا به شيئا (وافعلوا الخير) والخير النفع الذي يجلب موقعه، وتعم السلامة به، ونقيضه الشر، وقد أمر الله بفعل الخير، ففعله طاعة له. وقوله (لعلكم تفلحون) أي افعلوا الخير لكي تفوزوا بثواب الجنة وتخلصوا من عذاب النار. وقيل معناه افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على أفعال الخير واجتناب المعاصي والفوز بالثواب. ثم أمرهم بالجهاد فقال (وجاهدوا في الله حق جهاده) قال ابن عباس: معناه

جاهدوا المشركين، ولا تخافوا في الله لومة لائم، وقال الضحاك: معناه اعملوا بالحق لله حق العمل.

وقوله (هو اجتباكم) فالاجتباء هو اختيار الشيء لما فيه من الصلاح. وقيل: معناه اختاركم لدينه. وجهاد أعدائه، والحق يجتبي، والباطل يتقى، ولا بد أن يكون ذلك خطابا متوجها إلى من اختاره الله بفعل الطاعات، دون أن يكون ارتكب الكبائر الموبقات. وإن كل سبق منه جهاد في سبيل الله.

وقوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) معناه لم يجعل عليكم ضيقا في دينكم، ولا ما لا مخرج منه. وذلك أن منه ما يتخلص منه بالتوبة، ومنه ما يتخلص منه برد المظلمة، وليس في دين الاسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من عقابه. وفيه من الدليل - كالذي في قوله (ولو شاء الله لأعنتكم) (١) - على فساد مذهب المجبرة في العدل. ومثله قوله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢)

وقوله (ملة أبيكم إبراهيم) يحتمل نصب (ملة) وجهين: أحدهما - اتبعوا (ملة أبيكم) وألزموا، لان قبله (جاهدوا في الله حق جهاده) والآخر - كملة أبيكم إلا أنه لما حذف حرف الجر اتصل الاسم بالفعل فنصب.

وقال الفراء: نصبه بتقدير: وسع ملتكم، كما وسع ملة أبيكم. وقوله (ملة أبيكم إبراهيم) معناه انه يرجع جميعهم إلى ولادة إبراهيم، وأفاد هذا ان حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد، كما قال (وأزواجه أمهاتهم) (٣) - في قول الحسن.

وقوله "هو سماكم المسلمين" قال ابن عباس ومجاهد: الله سماكم المسلمين، فهو كناية عن الله. وقال ابن زيد: هو كناية عن إبراهيم وتقديره إبراهيم سماكم المسلمين

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٠

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٦

(٣) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٦

بدليل قوله " ومن ذريتنا أمة مسلمة لك " (١).
 وقوله " من قبل " اي من قبل القرآن. - في قول مجاهد - وقيل: ملة إبراهيم
 داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وآله، فلذلك قال " ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم
 المسلمين من
 قبل. وفي هذا " يعني القرآن. وقال السدي: معناه: وفي هذا الأوان ليكون
 الرسول شهيدا عليكم بطاعة من أطاع في تبليغه، وعصيان من عصى " وتكونوا شهداء
 على الناس " بأعمالهم في ما بلغتهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم. ثم أمرهم بإقامة
 الصلاة، فقال " فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله " أي بدين الله الذي
 لطف به لعباده - في قول الحسن - وقيل: معناه امتنعوا بالله من أعدائكم " هو مولاكم "
 أي أولى بكم، وبتدبيركم، وتصريفكم " فنعم " مالكم " المولى " يعني الله " ونعم
 النصير " أي الناصر، والدافع عن الخلق الله تعالى. وقيل: " نعم المولى " من لم
 يمنعكم الرزق لما عصيتموه " ونعم النصير " حين أعانكم لما أطعتموه.
 وروي أن الله أعطى هذه الأمة ثلاث أشياء لم يعطها أحدا من الأمم: جعلها
 الله شهيدا على الأمم الماضية، وقال لهم " ما جعل عليكم في الدين من حرج " (٢)
 وقال (ادعوني استجب لكم) (٣).
 * * *

-
- (١) سورة ٢ البقرة آية ١٢٨
 (٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٨
 (٣) سورة ٤٠ المؤمن آية ٦٠.

٢٣ - سورة المؤمنون

مكية بلا خلاف، وهو قول قتادة ومجاهد: وهي مئة وثمان عشرة آية في الكوفي، وتسع عشرة في البصري، والمدنيين، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، إلا ما روي أنهم كانوا يجيزون الالتفات يمينا وشمالا وإلى ما وراء نسخ ذلك بقوله " في صلاتهم خاشعون " فلم يجيزوا أن ينظر المصلي إلا إلى موضع سجوده.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الذين هم في صلاتهم خاشعون (٢)
والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكاة فاعلون (٤)
والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فإنهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون (٧) سبع آيات
يقول الله تعالى (قد أفلح المؤمنون) أي فازوا بثواب الله، الذين صدقوا

(٣٤٧)

بالله وأقروا بوحدانيته وصدقوا رسله. وقيل: معناه، قد سعدوا، قال لبيد:
فاعقلي ان كنت لما تعقلي * ولقد أفلح من كان عقل (١)
وقيل معنى (أفلح) بقي أي بقيت أعمالهم الصالحة، ومنه قولهم (حي على
الفلاح) أي على بقاء أعمال الخير، ومعنى (قد) تقريب الماضي من الحال، فدل
على أن فلاحهم قد حصل بما هم عليه في الحال، وهذا أبلغ في الصفة من تجريد ذكر
الفعل. ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف، فقال (الذين هم في صلاتهم خاشعون)
أي خاضعون متذللون لله فيها. وقيل: معناه يسعون، مقبلون على الصلاة بالخضوع
والتدلل لربهم. وقيل: معناه خائفون. وقال مجاهد: هو غض الطرف وخفض
الجناح. وقيل: أن ينظر المصلي إلى موضع سجوده. وكان النبي صلى الله عليه وآله برفع
بصره

إلى السماء. فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه، ونظر إلى مصلاه. والخشوع في الصلاة
هو الخضوع بجمع الهمة لها، والاعراض عما سواها، لتدبر ما يجري فيها: من
التكبير، والتسبيح، والتحميد لله، وتلاوة القرآن. وهو موقف الخاضع لربه الطالب
لمرضاته بطاعته.

ثم زاد في صفاتهم فقال (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو هو القول
والفعل الذي لا فائدة فيه يعتد بها، وهو قبيح على هذا الوجه. وقال ابن عباس:
اللغو - ههنا - الباطل. وقال السدي: هو الكذب. وقال الكلبي هو الحلف.
وحكى النقاش: انهم نهوا عن سباب الكفار إذا سبواهم، وعن محادثتهم.
ثم قال (والذين هم للزكاة فاعلون) أي يؤدون ما يجب عليهم في أموالهم من
الصدقات، وسميت زكاة، لأنه يزكو بها المال عاجلا وآجلا. ثم قال (والذين هم لفروجهم
حافظون) قيل عنى بالفروج - ههنا - فرج الرجل خاصة بدلالة قوله (الاعلى أزواجهم

(١) مر هذا البيت في ١ / ٥٩ من هذا الكتاب

أو ما ملكت إيمانهم) ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته، أو ما تملك يمينه من الإمام على ما أباحه الله له، لان التزويج ينبغي أن يكون، على وجه إباحة الله تعالى. و (ملك اليمين) في الآية المراد به الإمام لان الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم. ومن ملك الايمان، لا يجمع بين الأختين في الوطئ، ولا بين الام والبنت. وكل ما لم يجر الجمع بينهم في العقد، فلا يجوز الجمع بينهم في الوطئ بملك اليمين. ولا يخرج من الآية وطؤ المتمتع بها، لأنها زوجة عندنا، وإن خالف حكمها حكم الزوجات في احكام كثيرة، كما أن حكم الزوجات مختلف في نفسه. وذكره تعالى هذه الأوصاف ومدحه عليها يكفي ويغني عن الامر بها، لما فيها من الترغيب كالترغيب في الامر، وأنها مرادة، كما أن المأمور به مراد، وكلها واجب.

وإنما قيل للجارية (ملك يمين) ولم يقل في الدار (ملك يمين) لان ملك الجارية أخص من ملك الدار إذ له نقض بنية الدار، وليس له نقض بنية الجارية، وله عارية الدار، وليس له عارية الجارية، حتى توطأ بالعارية، فلذلك خص الملك في الأمة، وإنما قال " إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين " مع تحريم وطئها على وجوه: كتحریم وطئ الزوجة. والأمة في حال الحيض، ووطئ الجارية إذا كان لها زوج، أو كانت في عدة من زوج. وتحريم وطئ المظاهرة قبل الكفارة، لان المراد بذلك على ما يصح ويجوز، مما بينه الله، وبينه رسوله في غير هذا الموضع، وحذف لأنه معلوم، وهي من الأمور العارضة في هذه الوجوه أيضا، فان من وطأ الزوجة أو الأمة في الأحوال التي حرم عليه وطؤها، فإنه لا يلزمه اللوم من حيث كانت زوجة أو ملك يمين وإنما يستحق اللوم من وجه آخر. واللوم والذم واحد، وضدهما الحمد والمدح.

ثم قال تعالى " فمن ابتغى وراء ذلك " ومعناه من طلب سوى ذلك يعني الزوجية، وملك اليمين، فهو عاد. والابتغاء والبغية الطلب. والبغاء طلب الزنا، والباغي طالب الاعتداء. و (العادون) هم الذين يتعدون الحلال إلى الحرام. وقوله " وراء " - ههنا - قيل: معناه غير. وقال الفراء معناه " إلا على أزواجهم " إلا من أزواجهم " أو ما ملكت أيمانهم " في موضع خفض. قوله تعالى:

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (١١) أربع آيات بلا خلاف. قرأ ابن كثير وحده " لأمانتهم " على التوحيد. الباكون " لأماناتهم " على الجمع، لقوله " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " (١) وقرأ ابن كثير ذلك اختياراً ليطابق قوله (وعهدهم). وقرأ حمزة والكسائي (على صلواتهم) على التوحيد، لأن الصلاة اسم جنس يقع على القليل والكثير، فكذلك قوله (أمانتهم) والأصل فيه المصدر كالعمل. الباكون (صلواتهم) على الجمع، ومن جمع جعله بمنزلة الاسم، لاختلاف أنواعها، لقوله (حافظوا على الصلوات) (٢) قال أبو علي النحوي: الجمع أقوى، لأنه صار اسماً شائعاً شرعياً، وقد بينا الوجه فيه. ثم زاد الله تعالى في صفات المؤمنين الذين وصفهم بالفلاح فقال والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) ومعناه الذين يراعون الأمانات التي يؤتمنون عليها ولا

(١) سورة ٤ النساء آية ٥٧

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٣٨

يحزنون فيها، ويحفظون ما يعاهدون عليه من الايمان والنذور، فلا يحشون ولا ينكثون. والمراعاة قيام الراعي باصلاح ما يتولاه. ثم قال (والذين هم) على صلواتهم يحافظون) أي لا يضيعونها. ويواظبون على أدائها. وفي تفسير أهل البيت إن معناه: الذين يحافظون على مواقيت الصلوات فيؤدونها في أوقاتها، ولا يؤخرونها حتى يخرج الوقت. وبه قال مسروق وجماعة من المفسرين. وإنما أعيد ذكر الصلاة - ههنا - لأنه أمر - ههنا - بالمحافظة عليها، كما أمر بالخشوع فيها، في ما تقدم، كما أعيد ذكر الفلاح، لأنه يجب بالخصال المذكورة بعده كما وجب في - سورة البقرة - (١) بالخصال المذكورة قبله.

ثم أخبر تعالى عمن اجتمعت فيه هذه الخصال، فقال " أولئك هم الوارثون " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - انه يؤول أمره إلى النعيم في الجنة، ويملك ما يعطيه الله، كما يؤول أمر الوارث الثاني - روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (ما منكم أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فان مات على الضلال ورث منزله أهل الجنة، وإن مات على الايمان، ورث هو منزل أهل النار). وقال مجاهد: يهدم منزله في النار، ثم وصف الله تعالى الوارثين، فقال (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وحقيقة الإرث ملك ما يتركه الميت لمن بعده، ممن هو أولى به في حكم الله، فهذا أصله، ثم يشبه به، فيقال: ورث فلان علم فلان أي صار إليه، ومعنى (يرثون الفردوس) أي يصيرون إليها بعد الأحوال المتقدمة. والفردوس البستان الذي يجمع محاسن النبات. وقيل أصله رومي. وقيل: بل هو عربي ووزنه (فعلول) وقيل الفردوس البستان. الذي فيه كرم قال جرير:

(١) انظر ١ / ٤٨ في تفسير آية ٥ من سورة البقرة

ما بعد يبرين ما باب الفراديس (١)
وقال الجبائي (يرثون الفردوس) على التشبيه بالميراث المعروف من جهة
الملك الذي ينتهي إليه أمره.
قوله تعالى:

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين (١٢) ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه
خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤) ثم إنكم بعد ذلك
لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيمة تبعثون) (١٦) خمس
آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم "عظما" في الموضعين على التوحيد. الباكون
على الجمع. فمن وحد، فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير. ومن جمع، فلقوله
"أ إذا كنا عظاما ورفاتا" (٢) وقوله "أ إذا كنا عظاما نخرة" (٣) وقوله "من
يحيي العظام" (٤) وما أشبه ذلك.

(١) ديوانه ٢٥٠ و صدره: (فقلت للرحل إذ جد الرحيل بنا) ويبرين اسم

بلد من بلاد بني سعد. وباب الفراديس بدمشق.

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ٤٩، ٩٨

(٣) سورة ٧٩ النازعات آية ١١

(٤) سورة ٣٦ يس آية ٧٨

يقول الله تعالى على وجه القسم، انه: خلق " الانسان من سلالة من طين " فقال ابن عباس ومجاهد: المراد بالانسان كل انسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة. وقال قتادة: المراد بالانسان آدم، لأنه استل من أديم الأرض. وقيل: استل من طين. والسلالة صفوة الشيء التي تخرج منه، كأنها تستل منه. والسلالة صفوة الشيء التي تجري قبل ثقله، وكدره، لأنها متقدمة على ثقله، كتقديم السلف والاجر على الآخرة. وقد تسمى النطفة سلالة والولد أيضا سلالة وسليلة. والجمع سلاطات، وسلائل، قال الشاعر:

وهل كنت إلا مهرة عربية * سليلة أفراس تجللها بغل (١)
وقال آخر:

فجاءت به غضب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين (٢)
وقال آخر:

يقذفن في أسلابها بالسلائل (٣)
وقال آخر:

إذا نتجت منها المهارى تشابهت * على القود لا بالأنوف سلائله (٤)
وفي الآية دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من نطفة، والمستخرج من سلالة، دون ما يذهب إليه قوم: من أنه الجوهر البسيط، أو شيء لا يصح عليه التركيب والانقسام، على ما يذهب إليه معمر وغيره.

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ١٠٩ والطبري ١٨ / ٦

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٦ وتفسير القرطبي ١٢ / ١٠٩ وقد نسبته لحسان،

وروايته (حملت) بدل (فجاءت)

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ٦.

(٤) تفسير الطبري ١٨ / ٦.

وقوله " ثم جعلناه نطفة في قرار مكين " المعنى جعلنا الانسان، وهو من ولد من نسل آدم " نطفة " وهي القطرة من ماء المني التي يخلق الله منها الحيوان، على مجرى العادة في التناسل، فيخلق الله من نطفة الانسان إنسانا ومن نطفة كل حيوان ما هو من جنسه. ومعنى " مكين " أي مكين لذلك، بأن هيئ لاستقراره فيه إلى بلوغ أمدّه الذي جعل له.

وقوله " ثم خلقنا النطفة علقة " فالعلقة القطعة من الدم إذا كانت جامدة، فبين الله تعالى أنه يصير تلك النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، وهي القطعة من اللحم. ثم اخبر انه يجعل المضغة " عظاما " . وقرئ " عظما " وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم. فمن قرأ " عظاما " أراد ما في الانسان من أقطاع العظم. ومن قرأ " عظما " فلانه اسم جنس يدل على ذلك.

ثم بين تعالى انه يكسو تلك " العظام لحما " ينشئه فوقها، كما تكسى الكسوة. وقوله ثم " أنشأناه خلقا آخر " يعني بنفخ الروح فيه - في قول ابن عباس ومجاهد - وقيل: نبات الأسنان والشعر، واعطاء العقل والفهم. وقيل " خلقا آخر " معناه ذكر أو أنثى. ثم قال " فتبارك الله أحسن الخالقين " ومعنى (تبارك) استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل، ولا يزال، وهو مأخوذ من البروك، وهو الثبوت. وقوله " أحسن الخالقين " فيه دلالة على أن الانسان قد يخلق على الحقيقة، لأنه لو لم يوصف بخالق إلا الله، لما كان لقوله " أحسن الخالقين " معنى. وأصل الخلق التقدير، كما قال الشاعر:

ولانت تفري ما خلقت وبعض * القوم يخلق ثم لا يفري (١)
ثم خاطب الخلق. فقال (ثم إنكم) معاشر الخلق بعد هذا الخلق والاحياء

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٦٩

(لميتون) أي تموتون عند انقضاء آجالكم. يقولون لمن لم يمت ويصح عليه الموت: ميت وماتت. ولا يقولون لمن مات: ماتت. وكذلك في نظائره سيد وسائد. وقوله (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء بعد أن كنتم أمواتا، ولا يدل ذلك على أنه لا يحييهم في القبور للمسألة، لان قوله: انه يميتهم عند فناء آجالهم ويبعثهم يوم القيامة، لا يمنع من أن يحييهم فيما بين ذلك، ألا ترى أن القائل لو قال: دخلت بغداد في سنة مئة. وخرجت منها في سنة عشر ومئة، لم يدل على أنه لم يخرج فيما بينهما وعاد، فكذلك الآية. على أن الله تعالى اخبر انه أحيا قوما، فقال لهم الله موتوا، ثم أحياهم، فلا بد من تقدير ما قلناه للجميع. وفيه دلالة على بطلان قول معمر، والنظام في الانسان. قوله تعالى:

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون (١٨) فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكليين (٢٠) أربع آيات بلا خلاف.

قرأ أين كثير ونافع وأبو عمرو " سيناء " بكسر السين، ولم يصرف، لأنه اسم البقعة. الباكون بفتح السين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " تنبت " بضم التاء

وكسر الباء. الباقون بفتح التاء وضم الياء. من كسر السين من " سيناء "، فلقوله " طور سينين " (١) والسيناء الحسن، وكل جبل ينبت الثمار فهو سينين. ومن فتح السين، فلانه لغتان. وأصله سريان، ومن فتح السين لا يصرفه في المعرفة ولا النكرة، لان الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث، ولا تكون للالحاق، لان (فعلال) لا يكون إلا في المضاعف مثل (الزلال والقلقال) ومن كسر السين، فالهمزة عنده منقلبة عن الياء ك (علياء، وحباء) وهي التي تظهر في قولك (سيناية) لما بنيت للتأنيث. وإنما لم يصرف على هذا القول، وإن كان غير مؤنث، لأنه جعل اسم بقعة أو ارض، فصار بمنزلة امرأة سميت ب (جعفر). ومن ضم التاء من " تنبت " لم يعده بالباء، وأراد تنبت الدهن. قال أبو علي الفارسي: ويحتمل أن يكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر، وتقدر مفعولا محذوفا، وتقديره: تنبت ثمرها وفيها دهن وصبغ. ومن فتح التاء عدى الفعل بالباء. كقولهم: ذهبت يزيد وأذهبت زيدا، ويجوز أن يكون الباء في موضع الحال، ولا يكون للتعدي. مثل ما قلناه في الوجه الأول وتقديره تنبت وفيها دهن.

يقول الله تعالى " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق " يعني سبع سماوات، خلقها الله فوق الخلائق، وسماها طرائق، لان كل طبقة طريقة. وقال الجبائي: لأنها طرائق للملائكة، وقال ابن زيد: الطرائق السماوات الطباق. وقال الحسن: ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والأرض.

وقوله " وما كنا عن الخلق غافلين " معناه ما كنا غافلين ان ينزل عليهم ما يحييهم من المطر. ويحتمل أن يكون أراد ما كنا غافلين عن أفعالهم، وما يستحقون بها من الثواب والعقاب، بل نحن عالمون بجميع ذلك. وقيل " وما كنا عن الخلق

(١) سورة ٩٥ التين آية ٢

غافلين " بل كنا حافظين للسماء من أن تسقط عليهم، فتهلكهم. والغفلة ذهاب المعنى عن النفس. ومثله السهو، فالعالم لنفسه لا يجوز عليه الغفلة، لأنه لا شيء إلا وهو عالم به. وإنما ذكر الغفلة بعد الطرائق، لان من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه الغفلة عن الطرائق التي فوقهم، فتسقط عليهم، فأمسك الله تعالى طرائق السماوات أن تقع على الأرض إلا بأذنه. ولولا إمساكه لها لم تقف طرفة عين. وقوله " وأنزلنا من السماء ماء بقدر " أي أنزلنا المطر والغيث بقدر الحاجة، لا يزيد على قدر الحاجة، فيفسد، ولا ينقص عنها فيهلك، بل وفق الحاجة. وقوله " فأسكناه في الأرض " يعني انه تعالى أسكن الماء المنزل من السماء في الأرض وأثبتته في العيون والأودية. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان). ثم قال تعالى " وإنا على ذهاب به لقادرون " لا يعجزنا عن ذلك شيء، ولو فعلناه لهلك جميع الحيوان، فنبههم بذلك على عظم نعمة الله على خلقه، بانزال الماء من السماء.

ثم اخبر تعالى انه ينشئ للخلق بذلك الماء (جنات) وهي البساتين (من نخيل وأعناب) لتتفعوا بها معاشر الخلق (لكم فيها فواكه كثيرة) تفكهون بها (ومنها تأكلون) وإنما خص النخيل والأعناب، لأنها ثمار الحجاز، من المدنية والطائف. فذكرهم الله تعالى بالنعم التي يعرفونها. وقوله (وشجرة تخرج من طور سيناء) إنما خص الشجرة التي تخرج من طور سيناء، لما في ذلك من العبرة، بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقي، ولا يراعيها أحد من العباد، تخرج الثمرة التي يكون فيها الدهن الذي تعظم الفائدة وتكثر المنفعة به. وسيناء البركة، كأنه قال جبل البركة - وهو قول ابن عباس ومجاهد - وقال قتادة

والضحاك: معناه الحسن. وقال ابن عباس: طور سيناء اسم الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو كثير الشجر قال العجاج:

داني جناحيه من الطور فمر (١)

وقيل يحتمل أن يكون (سيناء: فيعالا) من السنة، وهو الارتفاع. والشجرة قيل إنها شجرة الزيتون. وقوله (تنبت بالدهن) أي تنبت ثمرها بالدهن. ومن فتح التاء فمعناه تنبت بثمر الدهن. وقيل نبت وأنبت لغتان قال زهير: رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا بها حتى إذا أنبت البقل (٢) وقيل الباء زائدة، والمعنى تنبت ثمر الدهن، كما قال الراجز:

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجوا بالفرج (٣) أي نرجو الفرج. وقوله (وصبغ لآكلين) أي وجعلناه مما يتأدم به الانسان ويصطبغون به من الزيت والزيتون. والاصطباغ ان يغمز فيه ثم يخرج به ويأكله. قوله تعالى:

(وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢) ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٢٣) فقال المأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو

(١) مر هذا الرجز في ١ / ٢٨٦

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٦٢

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١٠ والقرطبي ١٢ / ١١٥

شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين (٢٤) إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر ونافع وأبو بكر عن عاصم " نسقيكم " بفتح النون. الباقر بضمها. قال بعضهم: هم لغتان سقيت وأسقيت، قال الشاعر:
سقى قومي بني مجد واسقي * نميرا والقبائل من هلال (١)
ولا يجوز أن يكون المراد في البيت (وأسقى) مثل قوله " وأسقيناكم ماء فراتا " (٢) لأنه لا يكون قد دعا لقومه وخاصته بدون ما دعا للأجنبي البعيد عنه. والصحيح ان سقيت للشفة وأسقيت للأنهار والانعام تقول: دعوت الله ان يسقيه. ومن قرأ بضم النون أراد: انا جعلنا ما في ضروعها من الألبان سقيا لكم، كما يقال: أسقيناهم نهرا إذا جعلته سقيا لهم، وهذا كأنه أعم، لان ما هو سقيا لا يمتنع أن يكون للشفة، وما يكون للشفة - فقط - يمتنع أن يكون سقيا. وما أسقانا الله من البان الانعام أكثر مما يكون للشفة ومن فتح النون جعل ذلك مختصا به الشفاه دون المزارع والمراعي، فلم يكن مثل الماء في قوله " فأسقيناكموه " (٣) وقوله " وأسقيناكم ماء فراتا " لان ذلك يصلح للامرين، ومن ثم قال " وسقاهم ربهم شرابا طهورا " (٤) وإنما قال ههنا " مما في بطونها " وفي النحل " بطونه " (٥) لأنه إذا أنث، فلا كلام لرجوع ذلك إلى الانعام. وإذا ذكر فلان النعم والانعام بمعنى واحد، ولئن التقدير:

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٩٩

(٢) سورة ٧٧ المرسلات آية ٢٧

(٣) سورة ١٥ الحجر آية ٢٢

(٤) سورة ٧٦ الدهر آية ٢١

(٥) سورة ١٦ النحل آية ٦٦

ونسقيكم من بعض ما في بطونه.
يقول الله تعالى " وإن لكم " معاشر العقلاء " في الانعام " وهي الماشية التي
تمشي على نعمة في مشيها، خلاف الحافر في وطئها، وهي الإبل والبقر والغنم (لعبرة)
يعني دلالة تستدلون بها على توحيد الله، وصفاته التي يختص بها دون سواه.
وقوله (نسقيكم مما في بطونها) فالسقي اعطاء ما يصلح للشرب، فلما كان الله
تعالى قد أعطى العباد ألبان الانعام، باجرائه في ضروعها، وتمكينهم منها، من غير
حظر لها، كان قد سقاهاهم إياها.

ثم قال (ولكم فيها) يعني في الانعام " منافع كثيرة " ولذات عظيمة، ببيعها
والتصرف فيها وأكل لحومها، وشرب ألبانها، وغير ذلك من الانتفاع بأصوافها
وأوبارها، واشعارها، وغير ذلك (ومنها تأكلون) يعني اللحم، وغيره من
الألبان وما يعمل منها. ثم قال: ومن منافعها انكم تحملون عليها الأثقال في أسفاركم
بأن تركبوها وتحملوا عليها أثقالكم. ومثل ذلك على الفلك، وهي السفن.
ثم أقسم تعالى انه أرسل نوحا إلى قومه، يدعوهم إلى الله، ويقول لهم
(اعبدوا الله) وحده لا شريك له، فإنه لا معبود لكم غيره. ويحذركم من عقابه،
ويقول (أفلا تتقون) نقمة الله بالاشراك معه في العبادة. ثم حكى أن الملا وهم
- جماعة اشراف قومه - الكفار، قال بعضهم لبعض: ليس نوح هذا إلا مخلوقا
مثلكم، وبشر مثلكم، وليس بملك (يريد أن يتفضل عليكم) فيسودكم ويترأسكم
وأن يكون أفضل منكم " ولو شاء الله " ما قاله من توحيده واختصاصه بالعبادة
(لأنزل ملائكة) عليكم يدعونكم إلى ذلك. ثم قالوا " ما سمعنا بهذا " يعني بما
قال نوح، وبمثل دعوته. وقيل بمثله بشرا أتى برسالة من ربه في أسلافنا الماضين
وآبائنا وأجدادنا الذين تقدمونا. ثم قالوا: (إن هو الا رجل به جنه) اي ليس

هذا - يعنون نوحا - إلا رجلا به جنة أي تعتاده غمرة تنفي عقله حتى يتخيل إليه ما يقوله ويخرجه عن حال الصحة وكمال العقل، فكان اشراف قومه يصدون الناس عن اتباعه، بما حكى الله عنهم، وقالوا: انه لمجنون يأتي بجنونه بمثل هذا. ويحتمل أن يكونوا أرادوا كآئه في طعمه فيما يدعو إليه مجنون. ثم قال بعضهم لبعض: (تربصوا به حتى حين) أي إلى وقت ما، كأنهم قالوا لهم تربصوا به الهلاك وتوقعوه. قوله تعالى:

(قال رب انصرني بما كذبون (٢٦) فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٢٧) فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجينا من القوم الظالمين (٢٨) وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين (٢٩) إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عاصم (منزلا) بفتح الميم. الباقر بضمها. من فتح الميم جعله اسم المكان أو مصدرا ثلاثيا. ومن ضم الميم، فلانه مصدر (أنزل إنزالا)

لقوله (أنزلني) ومثله (أدخلني مدخل صدق) (١) ولو قرئ. (وأنت خير المنزلين) لكان صوابا بتقدير أنت خير المنزلين به، كما تقول: أنزلت حوائجي بك.

وقرا حفص عن عاصم (من كل زوجين) منونا على تقدير اسلك فيها زوجين اثنين من كل، اي من كل جنس، ومن كل الحيوان، كما قال تعالى (ولكل وجهة) اي لكل انسان قبلة (هو مولياها (٢)) لان (كلا، وبعضا) يقتضيان مضافا إليهما. الباقيون بالإضافة إلى (زوجين) ونصب (اثنين) على أنه مفعول به

يقول الله تعالى ان نوحا (ع) لما نسبه قومه إلى الجنة، وذهاب العقل، ولم يقبلوا منه، دعا الله تعالى، فقال " رب انصرني بما كذبون " أي أعني عليهم، فالنصرة المعونة على العدو. فأجاب الله تعالى دعاءه. وأهلك عدوه، فأغرقهم ونجاه من بينهم بمن معه من المؤمنين. وقوله " بما كذبون " يقتضي أن يكون دعا عليهم بالاهلاك جزاء على تكذيبهم إياه. فقال الله تعالى انا " أوحينا إليه أن اصنع الفلك " وهو السفينة " بأعيننا " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - بحيث نراها، كما يراها الرائي من عبادنا بعينه، ليتذكر انه يصنعها، والله (عز وجل) يراه.

الثاني - بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين، فإنهم يحرسونك من منع مانع لك.

وقوله " ووحينا " أي باعلامنا إياك كيفية فعلها. وقوله " فإذا جاء أمرنا " يعني إذا جاء وقت اهلاكناهم " وفار التنور " روي أنه كان جعل الله تعالى علامة

(١) سورة ١٧ الاسراء آية ٨٠

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٤٨

وقت الاهلاك فوران التنور بالماء. فقال له: إذا جاء ذلك الوقت " فاسلك فيها " يعني في السفينة، وكان فوران الماء من التنور المسجور بالنار، معجزة لنوح (ع) ودلالة على صدقه، وأكثر المفسرين على أنها التنور التي يخبز فيها. وروي عن علي (ع) انه أراد طلوع الفجر. ويقال: سلكته وأسلكته، فيه لغتان، كما قال الشاعر:

و كنت لراز خصمك لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب (١)
وقال الهذلي:

حتى إذا أسلكوهم في قتادة * شلا كما تطرد الجمالة الشرذا (٢)
وقيل: سلكته فيه حذف، لان تقديره سلكت به فيه. ومعنى " فأسلك فيها " حمل فيها وادخل إلى السفينة " من كل زوجين اثنين " أي من كل زوجين، من الحيوان. اثنين: ذكرًا وأنثى. والزوج واحد له قرين من جنسه وقوله " وأهلك " أي أجمل أهلك معهم، يعني الذين آمنوا معك (إلا من سبق عليه القول) بالاهلاك منهم (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) اي لا تسلني في الظالمين أنفسهم بالاشراك معي ف (إنهم مغرقون) هالكون. ثم قال له (فإذا استويت أنت) يا نوح (ومن معك على الفلك) واستقررتم فيه وعلوتم عليه، وتمكنتم منه فقل شكرا لله (الحمد لله الذي نجانا) وخلصنا (من القوم الظالمين) لنفوسهم بجحدهم توحيد الله. وقل داعيا (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) وقال الجبائي: المنزل المبارك هو السفينة. وقال مجاهد: قال ذلك حين خرج من السفينة. وقال الحسن: كان في السفينة. سبعة أنفس من المؤمنين، ونوح ثامنهم. وقيل: ستة. وقيل:

(١) انظر ٦ / ٣٨، ٣٢١

(٢) مر تخريجه في ١ / ١٢٨، ١٤٩ و ٦ / ٣٢٢، ٤٥٩

ثمانين. وقيل: انه هلك كل ما كان على وجه الأرض إلا من نجامع نوح في السفينة. وقال الحسن: كان طول السفينة ألفا ومئتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وكانت مطبقة تسير بين ماء السماء وبين ماء الأرض. ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعني فيما أخبرناك به وقصصنا عليك (آيات) ودلالات للعقلاء، يستدلون بها على توحيد الله وصفاته (وإن كنا لمبتلين) أي وإن كنا مختبرين عبادنا بالاستدلال على خالقهم بهذه الآيات، ومعرفته وشكره على نعمه عليهم، وعبادته وطاعته وتصديق رسله. قوله تعالى:

(ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٣٢) وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (٣٤) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) ست آيات بلا خلاف. قرأ أبو جعفر (هيهات هيهات) بكسر التاء. الباقيون بفتحها. ولا خلاف

في ترك التنوين فيهما.
يقول الله تعالى (انا أنشأنا) واخترعنا، من بعد إهلاك قوم نوح بالطوفان
(قوما آخرين) والانشاء والاختراع واحد، وكلما يفعل الله تعالى، فهو إنشاء
واختراع. وقد يفعل الله تعالى الفعل عن سبب بحسب ما تقتضيه المصلحة. والقرن
أهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض، ومنه قرن الكيش لمقارنته القرن الآخر، ومنه
القرينة، وهي الدلالة التي تقارن الكلام. وقوله " فأرسلنا فيهم رسولا منهم " اخبار
منه تعالى انه أرسل رسولا في القرن الذي أنشأهم من بعد قوم نوح. وقال قوم: هو
صالح وقيل: هود، لأنه المرسل بعد نوح " ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " أي أرسلناه
بأن يقول لهم: اعبدوا الله وحده لا شريك له. ويقول لهم: مالكم معبود سواه،
وأن يخوفهم إذا خالفوه. ويقول لهم " أفلا تتقون " عذاب الله، واهلاكه بارتكاب
معاصيه، فموضع (أن) من الاعراب نصب. وتقديره بأن اعبدوا الله، فلما حذفت
الباء نصب ب (أرسلنا).

وقوله " وقال الملا من قومه " يعني - الاشراف، ووجوههم - قالوا لغيرهم
" الذين كفروا " بالله وكذبوا بآياته وحججه وبياناته، وجحدوا " وكذبوا بلقاء
الآخرة " والبعث والنشور يوم القيامة. وقوله " وأترفناهم في الحياة الدنيا " والاطراف
التنعم بضروب الملاذ، وذلك أن التنعيم قد يكون بنعيم العيش، وقد يكون بنعيم
الملبس، فالاطراف بنعيم العيش قال الراجز:
وقد أراني بالديار مترفا

وقوله " ما هذا إلا بشر مثلكم " أي ليس هذا الذي يدعي النبوة من قبل
الله إلا بشرا مثلكم " يأكل مما تأكلون منه " من الأطعمة " ويشرب مما تشربون منه "
من الأشربة. ثم قالوا لهم " لئن أطعتم بشرا مثلكم " وعلى هيئتكم وأحوالكم " إنكم

إذا لخاسرون " فجعلوا اتباع الرسول خسرا، لأنه بشر مثلهم، ولم يجعلوا عبادة الصنم خسرا، لأنه جسم مثلهم، وهذا مناقضة ظاهرة.
ثم حكى انهم قالوا لغيرهم " أيعدكم " هذا الذي يدعي النبوة من قبل الله " أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما " ورفاتا " انكم مخرجون " وقيل في خبر (ان) الأول قولان:

أحدهما - انه قوله (مخرجون) وتكون الثانية للتأكيد.
والثاني - أن يكون الخبر الجملة، وتقديره: أيعدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إخراجكم. ونظير تكرير (ان) قوله " ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم " (١) يعني فله نار جهنم - ذكره الزجاج - إلا أن هذه الثانية عملت في غير ما عملت فيه الأولى. وإنما هي بمنزلة المكرر في المعنى. وموضع " انكم " الأولى نصب، وتقديره: أيعدكم بأنكم. وموضع (ان) الثانية كموضع الأولى، وإنما ذكرت تأكيدا، والمعنى: أيعدكم أنكم تخرجون إذا متم، فلما بعد ما بين (ان) الأولى، والثانية بقوله " إذا كنتم ترابا وعظاما " أعيد ذكر (أن).
ثم قالوا لهم " هيهات هيهات لما توعون " من البعث، والنشور، والجزاء بالثواب والعقاب. ومعنى " هيهات " بعد الامر جدا حتى امتنع، وهو بمنزلة صه. ومه) إلا أن هذه الأصوات الأغلب عليها الأمر والنهي وهذا في الخبر ونظيره (شتان) أي بعدما بينهما جدا، وإنما لم تتمكن هذه الأصوات في الأسماء يخروجهما إلى شبه الافعال التي هي معانيها، وليست مع ذلك افعالا، لأنه لا يضم فيها، ولا لها تصرف الافعال في أصلها، وإنما جعلت هكذا، للأفهام بما تفهم به البهيمة من الزجر بالأصوات، على هذه الجملة. وقال ابن عباس: معنى (هيهات)

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦٤

بعيد بعيد. والعرب تقول: (هيهات) لما تبغي، وهيهات ما تبغي، قال جرير:
 فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات وصل بالعقيق نواصله (١)
 ويروى أيها. وكان الكسائي: يقف بالهاء، فيقول: هيهة، على قياس
 هاء التأنيث في الواحد زائدة نحو (علقة) واختار الفراء الوقف بالتاء، لان قبلها
 ساكنا، فصارت كما تقول: بنت وأخت. قال: ولان من العرب من يخفض التاء،
 فدل ذلك على أنها ليست بهاء التأنيث، وإنما هي بمنزلة دراك، ونظار ماله. ومن
 وقف بالهاء جعلها كالإدارة وقال الزجاج: يجوز هيهات وهيهتا وهيهاتا بالتنوين،
 وترك التنوين. قال الأخفش: يجوز فتح التاء وكسرها ومنهم من يجعل بدل الهاء
 همزة، فيقول: أيها، وهي لغة تميم، غير أنهم يكسرون التاء. ومن العرب من
 إذا جعلها في موضع اسم قال: لم أره مذ أيها من النهار - بضم التاء - وتنوينها.
 ومنهم من يجعل مكان التاء نونا، فيقول: أيهان واحدها أيها، قال الشاعر:
 ومن دوني الاعيار والقيع كله * وكتمان أيهانا أشت وأبعدا (٢)
 قوله تعالى:

(إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) (٣٧)
 إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين (٣٨)
 قال رب انصرني بما كذبون (٣٩) قال عما قليل ليصبحن
 نادمين (٤٠) أربع آيات بلا خلاف.
 حكى الله تعالى عن الملا الذين قالوا " هيهات هيهات لما توعدون " لقومهم

(١) ديوانه ٣٨٥ " دار بيروت "

(٢) تفسير القرطبي ١٢ / ١٢٣

الذين أغووههم، وقالوا أيضا ليست الحياة " إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين " أي لسنا نبعث يوم القيامة على ما يقول هذا المدعي للنبوة من قبل الله. ومعنى " نموت ونحيا " أي يموت منا قوم ويحيا قوم، لأنهم لم يكونوا يقرون بالنشأة الثانية، فلذلك قالوه على هذا الوجه، وشبهتهم في انكار البعث طول المدة في القرون الخالية، فظنوا أنه ابدأ على تلك الصفة، وهذا أبلغ، لأنه إذا اقتضت الحكمة طول المدة لما في ذلك من المصلحة للمكلفين، فلا بد منه، لان الحكيم لا يخالف مقتضى الحكمة، فقال النبي المرسل عند ذلك يا " رب انصرني بما كذبون " أي أهلك هؤلاء جزاء على تكذبي ونصرة لي، ومعونة على صحة قولي. فقال الله تعالى له " عما قليل " أي عن قليل و (ما) زائدة " ليصبحن " هؤلاء القوم " نادمين " على ما فعلوه من تكذيب الرسل، وجحد وحدانية الله، والاشراك مع الله في عبادته غيره واللام في قوله " ليصبحن " لام القسم يجوز أن يقدم ما بعدها عليها وتقدير الكلام: ليصبحن هؤلاء نادمين عن قليل.

قوله تعالى:

(فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين (٤١) ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤) ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون (٤٥) بآياتنا وسلطان مبين (٤٦) إلى فرعون وملائته فاستكبروا وكانوا قوما

عالمين (٤٧) ست آيات في الكوفي والبصري، وسبع في المدنيين، عدوا قوله ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون " آية.

لما قال الله تعالى لصالح (ع) انه عما قليل يصبح هؤلاء الكفار نادمين، على ما فعلوا. حكى الله أنهم " أخذتهم الصيحة بالحق " والصيحة الصوت الشديد الذي يفزع منها، فأهلك الله تعالى (ثمود) بالصيحة وهي صيحة تصدعت منها القلوب. وقوله " بالحق " معناه على وجه الحق، وهو أخذهم بالعذاب من أجل ظلمهم، باذن ربهم وهو وجه الحق. ولو أخذوا بغير هذا، لكان أخذنا بالباطل، وهو كأخذ كل واحد بذنب غيره.

وقوله " فجعلناهم غثاء " فالغثاء القش الذي يجيء به السيل على رأس الماء: قصب وحشيش وعيدان شجر وغير ذلك. وقيل: الغثاء البالي من ورق الشجر، إذا جرى السيل رأيته مخالطا زبده. وقوله " فبعدا لقوم لا يؤمنون " معناه بعدا لهم من الرحمة، وهي كاللعنة التي هي ابعاد من رحمة الله، وقالوا في الدعاء على الشيء: بعدا له، ولم يقولوا في الدعاء له قربا له أي من الرحمة لأنهم طلبوا الانغماس في الرحمة، فتركوا التقابل لهذه العلة. وقال ابن عباس ومجاهد. وقتادة: الغثاء المتفتت البالي من الشجر يحمله السيل. وقيل: ان الله بعث ملكا صاح بهم صيحة ماتوا عندها عن آخرهم.

ثم اخبر تعالى فقال " وأنشأنا من بعدهم " يعني بعد هؤلاء الذين أهلكهم بالصيحة " قرونا " أي أمما " آخرين " وأخبر انه " ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون " وهذا وعيد لهؤلاء المشركين، ومعناه إن كل أمة لها أجل ووقت

مقدر قدره الله لها إذا بلغته لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه، بل تهلك عنده. والأجل: هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور، وليس الأجل الوقت المعلوم أنه يحدث فيه أمر من الأمور، لأن التأجيل فعل يكون به الوقت أجلا لامر، وما في المعلوم ليس بفعل. والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم. والأجل المشروط بحسب الشرط. والمعنى في الأجل المذكور - في الآية - الأجل المحتوم.

ثم اخبر تعالى انه ارسل بعد ان أهلك من ذكره (رسلا تترأ) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين. الباقيون بغير تنوين، ولا خلاف في الوقف انه بألف. فمن نون لم يمل في الوقف، ومن لم ينون فمنهم من يميل، ومنهم من لا يميل. والمواترة المتابعة. وقيل: هي المواصلة يقال: واترت بين الخبرين أي تابعت بينهما. وقال ابن عباس ومجاهد، وابن زيد: معنى "تترا" أي متواترين يتبع بعضهم بعضا، وهي (فعلى) من المواترة فمن صرفها جعل الألف لللاحق، ومن لم يصرفها للتأنيث، ويقال: جاءت كتبه تترى. وأصل (تترى، وترى) من وترت، فقلبت الواو تاء لكرهتهم الواو أولا، حتى لم يزيدها هناك البتة مع شبهها بالتاء في اتساع المخرج، والقرب في الموضع. وأصله في المعنى الاتصال، فمنه الوتر الفرد عن الجمع المتصل، ومنه الوتر لاتصاله بمكانه من القوس. ومنه وترت الرجل أي قطعته بعد اتصال.

ثم اخبر تعالى انه " كلما جاء أمة رسولها " الذي بعثه الله إليهم " كذبوه " ولم يقرؤا بنبوته.

وقوله " فاتبعنا بعضهم بعضا " يعني في الإهلاك أي إهلاكنا قوما بعد قوم " وجعلناهم أحاديث " يتحدثون بهم على وجه المثل في الشر، وهو جمع أحداثثة. ولا يقال في الخير لان الناس يفسرون في الحديث بأسباب الشر أكثر وأغلب.

ثم قال تعالى " فبعدا " من رحمة الله ورسوله " لقوم لا يؤمنون " أي

لا يصدقون بوحدانيته فيقرون بالبعث والنشور والجزاء.
ثم اخبر تعالى انه أرسل - بعد إهلاك من ذكره - " موسى وهارون " نبيين
" بآياتنا وسلطان مبين " بأدلة من الله وحجج ظاهرة " إلى فرعون وملائه " يعني
قومه " فاستكبروا وكانوا قوما عالين " والملا الجماعة التي تملأ الصدر هيبته، وهم
أشراف القوم ورؤساؤهم، وخصوا بالذكر، لان من دونهم أتباع لهم. فلما استكبروا
وردوا دعوة الحق تبعهم غيرهم ممن هو دونهم. وقوله " فاستكبروا " أي تكبروا
وتجبروا عن الإجابة لهما، وطلبوا بذلك الكبر، فكل مستكبر من العباد جاهل، لأنه
يطلب أن يعظم بما فوق العبد، وهو عبد لله مملوك يلزمه التذلل له والخضوع، فهي
صفة ذم للعبد. وكذلك جبار ومتجبر، وهو مدح في صفات الله تعالى، لان صفته
تجل عن صفات المخلوقين، وتعلو فوق كل صفة.
وقوله " وكانوا قوما عالين " أي كانوا قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم
ولهذا كانت صفة ذم. والعالي القاهر القادر الذي مقدوره فوق مقدور غيره لعظمه
يقال: علا فلان إذا ترفع وطغى وتجاوز، ومنه قوله " ألا تعلوا علي " (١) وقوله
" إن فرعون علا في الأرض " (٢) وقوله " قد أفلح اليوم من استعلى " (٣) أي من
علا على صاحبه وقهره بالحجة.
قوله تعالى:

(فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٨)
فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٩) ولقد آتينا موسى الكتاب

(١) سورة ٢٧ النمل آية ٣١

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ٤

(٣) سورة ٢٠ طه آية ٦٤

لعلهم يهتدون (٥٠)
وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآييناهما إلى
ربوة ذات قرار ومعين (٥١) أربع آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى حكاية عن فرعون وقومه بعد ما أخبر عنهم بالاستكبار،
والعلو على موسى وهارون، وترك إجابتهما انهم " قالوا أنؤمن " أي نصدق " لبشرين
مثلنا " أي انسانين خلقهم مثل خلقنا، وسمي الانسان بشرا، لانكشف بشرته،
وهي جلده الظاهرة، حتى احتاج إلى لباس يكنه، لان غيره من الحيوان مغطى
البشرة بريش أو صوف أو شعر أو وبر أو صدف، لطفا من الله تعالى لهم إذ لم
يكن هناك عقل يدبر أمره مع حاجته إلى ما يكنه. وهدى الانسان إلى ما يستغني به
في هذا الباب. وقوله " وقومهما لنا عابدين " معناه انهم لنا مطيعون طاعة العبد
لمولاه. وقال قوم: معناه إنهم يذلون لنا ويخضعون. وقال أبو عبيدة: كل من
دان لملك، فهو عابد له، ومنه سمي أهل الحيرة العباد، لأنهم كانوا يطيعون ملوك
العجم. قال الحسن: كان بنوا إسرائيل يعبدون فرعون. وفرعون يعبد الأوثان.
ثم أخبر عنهم انهم كذبوا موسى وهارون، فكان عاقبة تكذيبهما أن
أهلكهم الله وغرقهم. والاهلاك إلقاء الشئ بحيث لا يحس به، فهؤلاء هلكوا بالعذاب
ويقال للميت: هالك من هذا المعنى.
ثم أقسم تعالى انه أتى موسى الكتاب يعني التوراة التي فيها ما يحتاجون إليه
لكي يهتدوا إلى طريق الحق، من معرفة الله وخلع الأنداد.
وقوله " وجعلنا ابن مريم وأمه آية " معناه جعلناهما حجة، على أنه تعالى
قادر على اختراع الأجسام من غير شئ، كما اخترع عيسى من غير أب. والآية
- ههنا - في عيسى (ع) أنه ولد من غير فحل، ونطق في المهد. وفي أمه أنها حملته

من غير ذكر وبرأها كلامه في المهد من الفاحشة.
وقوله " وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " يقال: آوى إليه يأوي، وآواه غيره ويأويه أي جعله مأوى له. (والربوة) المكان المرتفع على ما حوله، ويجوز ضم الرء وفتحها وكسرهما، وبالفتح قرأ عاصم وابن عامر. الباكون بالضم أيضا. ولم يقرأ أحد بالجر. ويقال: ربوة بفتح الرء وكسرهما والفاء بعد الباء. فصار خمس لغات. والربوة التي أويا إليها هي الرملة - في قول أبي هريرة - وقال سعيد بن المسيب: هي دمشق، وقال ابن زيد: هي مصر. وقال قتادة هي بيت المقدس. وقال أبو عبيدة: يقال: فلان في ربوة من قومه أي في عز وشرف، وعدد. وقوله " ذات قرار " أي تلك الربوة لها ساحة وسعة أسفل منها. و " ذات معين " أي ماء جار، ظاهر بينهم. وقيل: معنى " ذات قرار " ذات استواء يستقر عليه. ومعين ماء جار ظاهر للعيون - في قول سعيد والضحاك - وقال قتادة " ذات قرار " ذات ثمار، ذهب إلى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها. ومعين (مفعول) من عنته أعينه، ويجوز أن يكون (فعيلا) من معن يمعن، وهو الماعون، وهي الشئ القليل - في قول الزجاج - قال الراعي:
قوم على الاسلام لما يمنعوا * ما عونهم ويبدلوا التنزيلا
قيل معناه وفدهم. وقيل: زكاتهم. وأمعن في كذا إذا لم يترك منه إلا القليل. وقال الفراء: المعن الاستقامة. قال عبيد بن الأبرص:
واهية أو معين ممعن * أو هضبة دونها لهوب (١)
واحدها لهب، وهو شق في الجبل، واهية أي هت. ومطر ممعن أي مار.

(١) ديوانه " دار بيروت " ٢٥

قوله تعالى:

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم (٥٢) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٣) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٤) فذرهم في غمرتهم حتى حين (٥٥) أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٦) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٧) ست آيات.

قرأ أهل الكوفة وابن عامر (وإن) بكسر الهمزة، وخفف ابن عامر النون وسكنها. وقرأ الباقون بفتح الهمزة مشددة النون.

قال قوم: هذا خطاب لعيسى (ع) حكاه الله تعالى، قالوا: وذلك لما جرى ذكره كأنه قال: يا عيسى "كلوا من الطيبات" وقال: آخرون: هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله خاصة خاطبه بلفظ الجمع، كما يقال للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا.

وقال قوم: لما ذكر بعض الأنبياء، كأنه قال: وقلنا لهم "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات" والاكل تناول الطعام بالفم، ومضغه وابتلاعه. وصورة "كلوا" صورة الامر، والمراد به الإباحة. وأصل "كلوا" أوكلوا، فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال. والمعنى مفهوم، لأنه من الاكل. و (الطيبات) الحلال، وقيل: هو المستلذ. فعلى الوجه الأول يكون أمرا بنفل. لان تقديره كلوا من الحلال على الوجه الذي يستحق به الحمد. وعلى الثاني يكون على الإباحة، كما قال

تعالى " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " (١).
وقوله " واعملوا صالحا " أمر من الله لهم بأن يعملوا الطاعات، واجباتها
ونوافلها. والصلاح الاستقامة، على ما تدعو إليه الحكمة. وقال قوم: إنما هذا حكاية
لما قيل لجميع الرسل. وهو الوجه. وقال آخرون: المعنى وقلنا ليعسى " يا أيها
الرسل " على الجمع على ما ذكرناه من المثال.
وقوله " وإن هذه أمتكم " موضع (ان) نصب، لان تقديره، ولان (هذه
أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) أي لهذه فاتقون: وقيل: موضعه الجر بالعطف
على (بما تعملون عليهم). ومن كسر الهمزة استأنف الكلام. ومعنى الأمة
- ههنا - الملة سماها بذلك للاجماع عليها بأمر الله. وقال الحسن وابن جريج: معنى
(وإن هذه أمتكم أمة واحدة) أي دينكم دين واحد. وقيل: جماعتكم جماعة واحدة
في الشريعة التي نصبها الله لكم. ونصب (أمة واحدة) على الحال. وقال الجبائي:
معناه (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) في أنهم عبيد الله، وخلقه وتديره.
وقوله " فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا " فالزبر الكتب - في قول الحسن وقتادة
ومجاهد وابن زيد - وهو جمع زبور، كرسول ورسول. والمعنى تفرقوا كتبنا دانوا
بها، وكفروا بما سواها، كاليهود دانوا بالتوراة وكفروا بالإنجيل، والقرآن.
وكالنصارى دانوا بالإنجيل وكفروا بالقرآن. ومن قرأ (زبرا) بفتح الباء، وهو
ابن عامر فمعناها جماعات، لأنه جمع زبرة، وزبر، كبرمة وبرم.
وقوله (كل حزب بما لديهم فرحون) أي كل طائفة بما عندها تفرح لاعتقادها
بأن الحق معها. فقال الله تعالى لنبيه (فذرهم) يا محمد (في غمرتهم) أي جهلهم
وضلالتهم. وقيل: في حيرتهم. وقيل: في غفلتهم. والمعاني متقاربة (حتى حين)

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٣١

أي حين وقت الموت. وقيل: حين العذاب.
ثم قال تعالى منكرًا عليهم (أي يحسبون) أي يظنون هؤلاء الكفار (أنما
نمدهم به من مال وبنين) تمام الكلام أحد شيئين:
أحدهما - أيحسبون أن الذي نمدهم به من أجل مالهم وبنينهم، بل إنما نفعل
ذلك لما فيه من المصلحة.

والثاني - أن يكون فيه حذف، وتقديره أيحسبون أن الذي نمدهم به من
المال والبنين حق لهم لكرامتهم عندنا، لا، بل نفعل ذلك لما فيه من المصلحة التي
ذكرناها، ويكون قوله (نسارع لهم في الخيرات) ابتداء كلام، ولا يجوز أن
يكون الإنكار وقع لظنهم أن ذلك مسارعة لهم في الخيرات، لأنه تعالى قد سارع
لهم في الخيرات، بما فعل بهم من الأموال والبنين، لما لهم في ذلك من اللطف
والمصلحة. والغرض في ذلك أن يعرفوا الله ويؤدوا حقوقه (بل لا يشعرون) أي
وهم لا يشعرون بذلك، ولا يفهمونه لتفريطهم في ذلك.
والمسارعة تقديم العمل في أوقاته التي تدعوا الحكمة إلى وقوعه فيه، وهي سرعة
العمل. ومثله المبادرة. وإنما بني على (مفاعلة) لأن الفعل كأنه يسابق فعلاً آخر.
والخيرات المنافع التي يعظم شأنها، ونقيضها الشرور. وهي المضار التي يشتد أمرها.
والشعور العلم الذي يدق معلومه، وفهمه على صاحبه دقة الشعور. وقيل: هو العلم
من جهة المشاعر، وهي الحواس، ولهذا لا يوصف الله تعالى به. وقيل: نسارع لهم
في الخيرات أي نقدم لهم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم، ومحبتنا إياهم، كلا، ليس الأمر
كذلك، بل نفعله ابتلاء في التعبد لهم.

قوله تعالى:

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون (٥٨) والذين هم بآيات ربهم يؤمنون (٥٩) والذين هم بربهم لا يشركون (٦٠) والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (٦١) أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون (٦٢) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم) أي خوفا من عقابه (مشفقون) والخشية ظن لحوق المصرة. ومثلها المخافة، ونقيضها الامنة، فالخشية انزعاج النفس بتوهم المصرة، والظن كذلك يزعج النفس، فيسمى باسمه على طريق البلاغة، والخشية من الله خشية من عقابه وسخطه على معاصيه، (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) وبحججه من القرآن وغيره يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) أي لا يشركون بعبادة الله غيره، من الأصنام والأوثان، لان خصال الايمان لا تتم إلا بترك الاشراك دون ما يقول أهل الجاهلية إنا نؤمن بالله. وقوله (والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا، من الزكاة والصدقة، وينفقونه في طاعة الله (وقلوبهم وجلة) أي خائفة من عقاب الله لتفريط يقع منهم. قال الحسن: المؤمن جمع إحسانا وشفقة. وقال ابن عمر: ما آتوا من الزكاة (وقلوبهم وجلة) أي خائفة (أنهم إلى ربهم راجعون) أي يخافون من رجوعهم إلى الله

يوم القيامة، وإلى مجازاته اي يخافون ذلك، لأنهم لا يأمنون التفريط. ثم أخبر عمن جمع هذه الصفات وكملت فيه، فقال (أولئك يسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى الطاعات، ويسارعون إليها: من الايمان بالله، ويجتهدون في السبق إليها رغبة فيها ولعلمهم بما لهم بها من حسن الجزاء. وقوله (وهم لها سابقون) قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها - قال ابن عباس انهم: سبقت لهم الساعة.
الثاني - وهم من اجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة.
الثالث - وهم إلى الخيرات سابقون.
قوله تعالى:

(ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق)
وهم لا يظلمون (٦٣) بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون (٦٤) حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجثرون (٦٥) لا تجثروا اليوم إنكم منا لا تنصرون (٦٦) قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (٦٧) مستكبرين به سامرا تهجرون (٦٨) ست آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه " لا نكلف نفسا إلا وسعها " يعنى إلا على قدر طاقتها وقوتها، ومثله قوله تعالى " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " (١) والوسع

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٦

الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل. وقيل: إن الوسع دون الطاقة. والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام، وهو مأخوذ من الكلفة في الفعل، والله تعالى مكلف عباده تعريضا لهم للنفع الذي لا يحسن الابتداء بمثله، وهو الثواب. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: في تكليف ما لا يطاق، لأنه لو كلف ما لا يطيقه العبد لكان قد كلفه ما ليس في وسعه. والآية تمنع من ذلك. وقوله " ولدينا كتاب ينطق بالحق " يريد الكتاب الذي فيه اعمال العباد مكتوبة من الطاعة والمعصية تكتبه عليه الملائكة الموكلون به كما قال " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " (١) ثم أخبر تعالى " انهم لا يظلمون " أي لا يؤاخذون بما لا يفعلونه ولا ينقصون عما استحقوه.

ثم أخبر تعالى فقال " بل قلوبهم في غمرة من هذا " أي في غفلة من هذا اليوم، وهذه المجازاة. وقال الحسن: معناه في حيرة. وهذا اخبار منه تعالى بما يكون منهم في المستقبل من الاعمال القبيحة، زائدة على ما ذكره وحكاية أنه فعلهم " ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون " قيل في معناه قولان: أحدهما - قال قتادة وأبو العالية - وفي رواية عن مجاهد - ان لهم خطايا من دون الحق.

والثاني - قال الحسن وابن زيد - وفي رواية عن مجاهد - أيضا: أعمالا من دون ما هم عليه لابد من أن يعملوها. وقوله " حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون " فالمترف المتقلب في لين العيش ونعومته. ومنه قوله " وأترفناهم في الحياة الدنيا " (٢) و (يجأرون) معناه يضحجون، لشدة العذاب. وقال ابن عباس:

(١) سورة ٥٠ ق آية ١٨

(٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٣٣

يستغيثون. وقال مجاهد: كان ذلك بالسيوف يوم بدر، والجؤار: رفع الصوت، كما يجأر الثور، قال الأعشى:

يراوح من صلوات المليك* طورا سجودا وطورا جؤارا (١)
وقيل معنى " يجأرون " يصرخون بالتوبة، فيقول الله لهم " لا تجأروا اليوم " أي لا تصرخوا في هذا اليوم " إنكم منا لا تنصرون " بقبول التوبة، ولا لكم من يدفع عنكم ما أفعله من العذاب. ثم يقول الله تعالى لهم " قد كانت آياتي " أي حججي وبراهيني " تتلى عليكم " من القرآن وغيره " فكنتم على أعقابكم تنكصون " فالنكص الرجوع القهقري وهو المشي على الأعقاب إلى خلف، وهو أقبح مشية. مثل شبه الله به أقبح حال في الاعراض عن الداعي إلى الحق. وقال سيويه: لأنه يمشي ولا يرى ما وراءه، فهو النكوص. وقال مجاهد: ينكصون معناه يستأخرون. وقيل: يدبرون. وقوله " مستكبرين " نصب على الحال، ومعناه " تنكصون " في حال تكبركم عن الانقياد للحجج الله، والإجابة لأنبيائه. وقال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك: " مستكبرين به " أي يحرم الله أنه لا يظهر عليكم فيه أحد.

وقوله " سامرا تهجرون " فالسامر الذي يحدث بالسمر ليلا، ومنه السمرة والسمار، لأن جميع ذلك من اللون الذي بين السواد والبياض. وقيل: السمر ظل القمر، ويقال له الفخت، ومعنى " سامرا " أي سمارا، فوضع الواحد موضع الجمع لأنه في موضع المصدر، كما يقال قوموا قائما أي قياما قال الشاعر:
من دونهم إن جئتم سمرا* عزف القيان ومجلس غمر (٢)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٨٤ وقد مر في ١ / ٢٦٣

(٢) اللسان (سمر). وتفسير الطبري ١٨ / ٢٦ والقرطبي ١٢ / ١٣٧

وكانوا يسمرون حول الكعبة بالليل. وقيل: إنما وحد، لأنه في موضع الوقت وتقديره لئلا تهجرون، والهجر الكلام المرفوض، وهو المهجور منه، لأنه لا خير فيه. والنائم يهجر في نومه أي يأتي بكلام مختلط لا فائدة فيه. وفي معنى تهجرون قولان:

أحدهما - تهجرون الحق بالاعراض عنه، في قول ابن عباس.
الثاني - تقولون الهجر، وهو السئ من القول، في قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد.

وقرأ نافع وحده " تهجرون " بضم التاء أراد من الهجر، وهو الكلام السئ. الباقيون بفتح التاء وضم الجيم، على ما فسرناه، يقال: هجر يهجر هجرا إذا هذى.

قوله تعالى:

(أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (٦٩)
أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٧٠) أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (٧١) ثلاث آيات بلا خلاف يقول الله تعالى منكرا على هؤلاء الكفار " أفلم يدبروا القول " الذي أتاهاهم به من القرآن ويتفكروا فيه، فيعلموا انه من قبل الله، لعجز الجميع عن الاتيان بمثله. وقوله " أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين " توبيخ لهم على انكار الدعوة من هذه الجهة، ومع ذلك، فقد جاءت الرسل الأمم قبله، متواترة، فهو عيب وخطأ من كل جهة " ألم لم يعرفوا رسولهم " لكونه غريبا فيهم، فلا يعرفون صدقه، ولا أمانته

" فهم له منكرون " لذلك؟! ثم اخبر تعالى أن النبي صلى الله عليه وآله " جاءهم بالحق " من عند الله " وأكثرهم " يعني أكثر الناس " للحق كارهون " أي يكرهونه بمجيئه بما ينافي عادتهم.
قوله تعالى:

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٧٢)
أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين (٧٣) وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم (٧٤) وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون (٧٥) ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) (٧٦) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وأبو عمرو، ونافع، وعاصم " خرجا " بلا ألف " فخراج " بألف. وقرأ حمزة والكسائي " خراجا فخراج " بالألف فيهما. وقرأ ابن عامر " خرجا فخرج " بلا ألف فيهما.

معنى قوله " ولو اتبع الحق أهواءهم " ان الحق لما كان يدعو إلى الأفعال الحسنة . والأهواء تدعو إلى الأفعال القبيحة، فلو اتبع الحق داعي الهوى لدعاه إلى قبيح الاعمال والى ما فيه الفساد والاختلاط، ولو جرى الامر على ذلك " لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن " ووجه فساد العالم بذلك: انه يوجب بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه، وانه لا يؤمن وقوع الظلم، الذي لا ينصف منه، وتختلط

الأمر أقبح الاختلاط ولا يوثق بوعد، ولا وعيد، ولا يؤمن انقلاب عدل الحكيم. وهذا معنى عجيب. وقال قوم من المفسرين: إن الحق - في الآية - هو الله والتقدير: ولو اتبع الحق أعني الله أهواء هؤلاء الكفار، وفعل ما يريدونه لفسدت السماوات والأرض. وقال الجبائي: المعنى لو اتبع الحق - الذي هو التوحيد - أهواءهم في الاشتراك معه معبودا سواه، لوجب أن يكون ذلك المعبود مثالا له ولصح بينهما الممانعة، فيؤدي ذلك إلى الفساد، كما قال تعالى " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (١).

والهوى ميل النفس إلى المشتهى من غير داعي الحق، كما قال تعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " (٢)، فلا يجوز لاحد أن يفعل شيئا لأنه يهواه. ولكن يفعله لأنه صواب، على أنه يهواه أو لأنه يهواه مع أنه صواب حسن جائز. وقال أبو صالح. وابن جريج: الحق هو الله، وقال الجبائي معنى " ولو اتبع الحق أهواءهم " فيما يعتقدون من الآلهة " لفسدت السماوات والأرض " كقوله " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ". وقوله " بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ". قال ابن عباس: معنى الذكر البيان الحق. وقال غيره: الذكر الشرف. كقوله " وانه لذكر لك ولقومك " (٣) ولك ذلك يراد به القران.

ثم قال " أم تسألهم " يا محمد " خرجا " أي اجرا على العمل - في قول الحسن - وأصل الخرج والخراج واحد، وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة منه. ومنه خراج الأرض، وهما مصدران لا يجمعان. ثم قال " فخرج ربك " أي أجر ربك " خير وهو خير الرازقين " يعني الله خير من يرزق. وفي ذلك دلالة على أن

(١) سورة ٢١ لأنبياء آية ٢٢

(٢) سورة ٧٩ النازعات آية ٤١

(٣) سورة ٤٣ الزخرف آية ٤٤

غير الله قد يرزق باذنه، ولولا لم يجز (خير الرازقين).
ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله (وانك) يا محمد (لتدعوهم) أي هؤلاء الكفار
(إلى صراط مستقيم) من التوحيد، وإخلاص العبادة، والعمل بالشرعية (وإن
الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني من لا يصدقون بالبعث يوم القيامة (عن الصراط)
صراط الحق (لناكبون) أي عادلون عن دين الحق. وقال الجبائي: معناه لناكبون
في الآخرة عن طريق الجنة، بأخذهم يمناً ويسرة إلى النار.
ثم قال تعالى (ولو رحمناهم) في الآخرة ورددناهم إلى دار الدنيا، وكلفناهم
فيها (للجوا في طغيانهم يعمهون) كما قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) (١) وقال
ابن جريج يريد في الدنيا أي (لو انا رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) وجوع
ونحوه (للجوا في طغيانهم) أي في غوايتهم (يعمهون) أي يترددون.
قوله تعالى:

(ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون (٧٧) حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم
فيه مبلسون (٧٨) وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة
قليلاً ما تشكرون (٧٩) وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه
تحشرون (٨٠) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار أفلا تعقلون (٨١) خمس آيات.
يقول الله تعالى انا أخذنا هؤلاء الكفار الذين ذكرناهم بالعذاب. وقيل:

(١) سورة ٦ الانعام اية ٢٨

هو الجذب وضيق الرزق، والقتل بالسيف (فما استكانوا لربهم) أي لم يذلوا عند هذه الشدائد، ولم يتضرعوا إليه، فيطلبوا كشف البلاء منه تعالى عنهم بالاستكانة له، والاستكانة طلب السكون خوفا من السطوة. يقال: استكان الرجل استكانة إذا ذل عند الشدة.

وقوله (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) فالفتح فرج الباب بطريق يمكن السلوك فيه، فكأنه فتح عليهم بابا أتاها منه العذاب. وقيل: ان ذلك حين دعا النبي صلى الله عليه وآله فقال: (اللهم سنين كسني يوسف) فجاجعوا

حتى أكلوا العلهز وهو الوبر بالدم في قول مجاهد. وقال ابن عباس: هو القتل يوم بدر. وقال الجبائي فتحنا عليهم بابا من عذاب جهنم في الآخرة. والابلاس الحيرة لليأس من الرحمة، يقال: أبلس فلان إبلاسا إذا بهت عند انقطاع الحجة.

وقوله (وهو الذي أنشأكم) أي أوجدكم، واخترعكم من غير سبب " وجعل لكم السمع والابصار " أي وخلق لكم السمع تسمعون به الأصوات والابصار تبصرون بها المرئيات

وخلق لكم (الأفئدة) وهو جمع فؤاد، وهو القلب (قليلا ما تشكرون) نصب (قليلا) على المصدر و (ما) صلة، وتقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التي أنعم بها عليكم. ثم قال (وهو الذي ذرأكم) أي خلقكم وأوجدكم (وفى الأرض واليه تحشرون) يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم إما الثواب أو العقاب. والمراد إلى الموضع الذي يختص تعالى بالتصرف فيه، ولا يبقى لاحد هناك ملك. وقال الفراء: وهو الذي خلق السماوات والأرض أي اختراعهما، وأنشأهما، وقدرهما على ما فيهما

من أنواع المخلوقات، ليدل بها على توحيده وألا إله سواه " وله اختلاف الليل والنهار " اي له مرورهما يوما بعد ليلة. وليلة بعد يوم، كما يقال إذا أتى الرجل الدار مرة بعد مرة: هو يختلف إلى هذه الدار. وقيل: معناه وله تديرهما بالزيادة والنقصان.

ثم قال (أفلا تعقلون) فتفكرون في جميع ذلك، فتعلمون انه لا يستحق الإلهية سواه، ولا تحسن العبادة إلا له. قوله تعالى:

(بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨٢) قالوا أ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أ إنا لمبعوثون (٨٣) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٤) قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٥) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٦) قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم (٨٧) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٨) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٩) سيقولون لله قل فأنى تسحرون (٩٠) بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون) (٩١) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو " سيقولون الله " في الأخيرتين. الباقيون " لله " بغير الف،

ولا خلاف في الأولى أنها بغير الف.

اخبر الله تعالى حاكيا عن الكفار ممن عاصر النبي صلى الله عليه وآله أنهم لم يؤمنوا بالله ولم يصدقوا رسوله في اخلاص العباداة له تعالى " بل قالوا مثل ما قال الأولون " أي مثل الذي قاله الكفار الأولون: من انكار البعث والنشور والحساب والجنة والنار، فأقوال هؤلاء مثل أقوال أولئك. وإنما دخلت عليهم الشبهة في انكار البعث، لأنهم لم يشاهدوا ميتا عاش، ولا جرت به العادة، وشاهدوا النشأة الأولى من ميلاد من لم يكن موجودا. ولو فكروا في أن النشأة الأولى أعظم منه لعلموا أن من أنكره فقد جهل جهلا عظيما، وذهب عن الصواب ذهابا بعيدا، لان من قدر على اختراع الأجسام لا من شئ، قدر على إعادتها إلى الصفة التي كانت عليها، مع وجودها. ثم حكى ما قال كل منهم، فإنهم قالوا منكرين " أ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون " أي كيف نصير أحياء بعد ان صرنا ترابا ورمما وعظاما نخرة؟! ثم قالوا " لقد وعدنا " بهذا الوعد " نحن وآباؤنا " من قبل هذا الموعد، فلم نر لذلك صحة، ولا لهذا الوعد صدقا، وليس " هذا إلا أساطير الأولين " أي ما سطره الأولون مما لا حقيقة له، وإنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به. والأساطير هي الأحاديث المسطرة في الكتب، واحداها أسطورة. فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث والنشور " لمن الأرض ومن فيها " أي من يملك الأرض ويملك من فيها من العقلاء (وقوله " إن كنتم تعلمون " موافقة لهم في دعواهم. ثم قال في الجواب " سيقولون لله " أي سيقولون إن السماوات والأرض ومن فيهما لله، لأنهم لم يكونوا يجحدون الله. وإنما كذبوا الرسول. وقوله " قل أفلا تذكرون " أي أفلا تتفكرون في مالكمها. وتذكرون قدرته وانه لا يعجزه شئ عن إعادتكم بعد الموت، مرة ثانية كما أنشأكم

أول مرة) (١) ثم قال له " قل " يا محمد لهم أيضا " من رب السماوات السبع " أي من مالكتها والمتصرف فيها؟ ولولاه لبطل كل شيء سواه، لأنه لا يصح إلا مقدوره أو مقدور مقدوره، فقوام كل ذلك به، ولا تستغني عنه طرفة عين لأنها ترجع إلى تدبيره على ما يشاء (عز وجل) وكذلك هو تعالى " رب العرش العظيم " وإنما وجب أن يكون رب السماوات والعرش، من حيث كانت هذه الأشياء جميعها محدثة، لا بد لها من محدث اخترعها وأنشأها، ولا بد لها من مدبر يدبرها ويمسكها، ويصرفها على ما تتصرف

عليه، ولا بد أن يختص بصفات: من كونه قادرا عالما لنفسه ليتأتى منه جميع ذلك، على ما دبره. ولولا كونه على هذه الصفات، لما صح ذلك.

ثم اخبر أنهم يقولون في الجواب عن ذلك رب السماوات ورب العرش هو " الله " ومن قرأ بلا ألف فمعناه أنهم يقولون إنها " لله " فعند ذلك " قل " لهم " أفلا تتقون " الله، ولا تخافون عقابه على جحد توحيده والاشراك في عبادته؟! ثم أمره بان يقول لهم أيضا " من بيده ملكوت كل شيء " والملكوت عظم الملك ووزنه (فعلوت) وهو من صفات المبالغة نحو (جبروت) ومن كلامهم (رهبوت خير من رحموت) أي ترهب خير من أن ترحم. وقال مجاهد: ملكوت كل شيء خزائن كل شيء، والمعنى أنه قادر على كل شيء إذا صح أن يكون مقدورا له.

وقوله " وهو يجير " معناه أنه يعيد بالمنع من السوء، لما يشاء " ولا يجار عليه " أي لا يمكن منع من أراده بسوء منه. وقيل " هو يجير " من العذاب " ولا يجار عليه " منه. والإجارة الإعاذة، والجار المجير المعيد، وهو الذي يمنعك ويؤمنك ومن استجار بالله أعاده، ومن أعاده الله لم يصل إليه أحد. فإنهم " سيقولون الله " الذي له

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه. فقل لهم عند ذلك " أنى تسحرون " ومعناه كيف يخيل إليكم الحق باطلا، والصحيح فاسدا، مع وضوح الحق وتمييزه عن الباطل. ومن قرأ (الله) بآثبات الألف، فلانه يطابق السؤال في قوله (من) رب السماوات السبع ورب الأرض... ومن بيده ملكوت كل شئ) لان جواب ذلك على اللفظ أن يقولوا (الله). ومن قرأ " لله " باسقاط الألف، حملة على المعنى دون اللفظ، كقول القائل لمملوك: من مولاك؟ فيقول انا لفلان، وانشد الفراء لبعض بني عامر:

واعلم انني سأكون رمسا * إذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير (١)
لأنه بمنزلة من قال: من الميت؟ فقالوا له: وزير، وذكر أنها في مصاحف أهل الأمصار بغير الف، ومصحف أهل البصرة فإنها بألف. (٢) فأما الأولى فلا خلاف أنها بلا ألف لمطابقة السؤال في قول (قل لمن الأرض) والجواب يقتضي أن يقولوا: لله. وإنما أخبر الله تعالى عنهم، بأنهم يقولون في جواب السؤال: لله، لأنهم لو أحالوا على غير الله في أنه مالك السماوات والأرض، وأن غيره بيده ملكوت كل شئ وأن غيره رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، لظهر كذبهم. ولعلم كل أحد بطلان قولهم، لظهور الامر في ذلك. وقربه من دلائل العقول.
وقوله (فأنى تسحرون) أي كيف تعمهون عن هذا، وتصدون عنه،
من قولهم: سحرت أعيننا عن ذلك، فلم نبصره. وقيل معنى ذلك: فأنى تخدعون،
كقول امرئ القيس:

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٣٢

(٢) وفي المخطوطة (في مصاحف أهل الشام بغير الف وفي مصاحف أهل الأمصار بالألف)

ونسحر بالطعام وبالشراب (١)
أي نخدع، وقيل معناه أني تصرفون، يقال: ما سحرك عن هذا الامر أي
ما صرفك عنه. ثم أخبر تعالى إنه أتى هؤلاء الكفار بالحق الواضح: من توحيد الله
وصفاته وخلع الأنداد دونه وأنه يبعث الخلق بعد موتهم، ويجازيهم على طاعاتهم
بالثواب، وعلى معاصيهم بالعقاب، وإن الكفار كاذبون فيما يخبرون بخلافه. قال
المبرد: معنى (أنى) كيف، ومن أين.
قوله تعالى:

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل
إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٩٢)
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون (٩٣) قل رب إما تريني
ما يوعدون (٩٤) رب فلا تجعلني في القوم الظالمين (٩٥) وإنا على
أن نريك ما نعدهم لقادرون (٩٦) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ (عالم الغيب) بالجر ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر وحفص عن عاصم. الباقيون
بالرفع. من جر رده على قوله (سبحان الله.... عالم الغيب) فجعله صفة لله.
ومن رفعه، فعلى تقدير هو (عالم الغيب).
يقول الله تعالى مخبرا أنه لم يتخذ ولدا أي لم يجعل ولدا غيره ولد نفسه،
لاستحالة ذلك عليه، لأنه محال أن يكون له ولد، فلا يجوز التشبيه بما هو مستحيل ممتنع

(١) مر تخريجه في ١ / ٣٧٢ و ٥ / ٢٦٨ و ٦ / ٤٨٥

إلا على النفي والتبديد. واتخاذ الولد: أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له. وكذلك التبني إنما هو جعل الجاعل ابن غيره يقوم مقام ابنه الذي يصح أن يكون ولدا له. ولذلك لا يقال: تبني شاب شيخا، ولا تبني الإنسان بهيمة، لما استحال أن يكون ذلك ولدا له، ولا يجوز أن يقال: اتخذه ولدا، إذا اختصه بضرب من المحبة، لأن في ذلك إخراج الشيء عن حقيقته كما أن تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسما إخراج له عن حقيقته.

ثم أخبر أنه كما لم يتخذ ولدا، لو يكن معه إله. وهذا جواب لمحذوف، وتقديره: لو كان معه إله آخر " إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض " وفيه إلزام لمن يعبد الأصنام. وقوله " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (١) دليل عام في نفي مساو للقديم فيما يقدر عليه من جميع الأجناس والمعاني. ومعنى " إذا لذهب كل إله بما خلق " أي لا نفرده به ولحواله من خلق غيره، لأنه لا يرضى أن يضاف خلقه وانعامه إلى غيره.

فان قيل: لم لا يكون كل واحد منهم حكيما، فلا يستعلي على حكيم غيره؟ قلنا: لأنه إذا كان جسما وكل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلي لحاجته، بل لابد من أن يقع ذلك منه، لأنه ليس له مدبر يلطف له حتى يمتنع من القبيح الذي يحتاج إليه، كما يلطف الله لملائكته وأنبيائه بما في معلومه انهم يصلحون به. ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد وأن يكون معه إله غيره، فقال " سبحانه الله عما يصفون " من الاشراك معه، واتخاذ الولد له.

وقوله " عالم الغيب والشهادة " فلذلك يأتي بالحق، وهم يأتون بالجهل. ويحتمل أن يكون معناه إن عالم الغيب والشهادة لا يكون له شريك، لأنه أعلى من كل شيء

(١) سورة ٢١ أنبياء آية ٢٢

في صفته. قال الحسن: هو رد لقول المشركين: الملائكة بنات الله. وقال الجبائي: في الآية دلالة على أنه يجوز ان يدعو الانسان بما يعلم أنه يكون لا محالة وأن الله لا بد أن يفعله.

ثم قال تعالى (فتعالى عما يشركون) أي تعاضم الله عن أن يشرك هؤلاء الكفار معه من الأصنام والأوثان. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله (قل رب اما تريني ما يوعدون) ومعناه إن أريتني ما وعد هؤلاء الكفار به من العذاب والاهلاك. فقل يا (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تجعلني في جملة من يشملهم العذاب بظلمهم، وتقديره: إن أنزلت بهم النقمة، فاجعني خارجا منهم. فقال الله تعالى (وإننا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) معناه إن ما وعدتهم به من العذاب والاهلاك على كفرهم قادر عليه، لكني لا أفعله وأؤخره إلى يوم القيامة لما في تأخيره من المصلحة. قوله تعالى:

(إدفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) (٩٧)
وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين (٩٨) وأعوذ بك رب أن يحضرون (٩٩) حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون (١٠٠)
لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (١٠١) خمس آيات بلا خلاف.
امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يدفع السيئة من إساءة الكفار إليه بالتي هي أحسن

منها. ومعنى ذلك انهم إذا ذكروا المنكر من القول - الشرك - ذكرت الحجة في مقابلته
وذكرت الموعظة التي تصرف عنه إلى ضده من الحق، على وجه التلطف في الدعاء
إليه، والحث عليه، كقول القائل: هذا لا يجوز، وهذا خطأ، وعدول عن الحسن.
وأحسن منه أن يوصل بذكر الحجة والموعظة كما بينا. وقال الحسن: "بالتي هي
أحسن" الاغضاء والصفح. وقيل: هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الأمة،
والمعنى إدفع الافعال السيئة بالافعال الحسنة التي ذكرها.
وقوله "نحن اعلم بما يصفون" معناه نحن اعلم منهم بما يستحقون به من الجزاء
في الوقت الذي يصلح الاخذ بالعقوبة إذا انقضى الأجل المضروب بالامهال. ثم
قال له "قل" يا محمد، وادع فقل يا "رب أعوذ بك من همزات الشياطين" أي
نزغاتهم ووساوسهم، فمعنى (أعوذ) اعتصم بالله من شر الشياطين، في كل ما يخاف
من شره. والمعاذة هي التي يستدفع بها الشر، والهمزات دفعهم بالاغواء إلى المعاصي،
والهمز شدة الدفع. ومنه الهمزة: الحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد.
والعياذ طلب الاعتصام من الشر "وأعوذ بك رب أن يخضرون" هؤلاء الشياطين
فيوسوسون لي ويغووني عن الحق.
وقوله "حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون" اخبار من الله تعالى
عن أحوال هؤلاء الكفار، وأنه إذا حضر أحدهم الموت، وأشرف عليه سأل الله
عند ذلك و"قال رب ارجعون" أي ردني إلى دار التكليف "لعلي أعمل صالحا"
من الطاعات وأتلافى ما تركته، وإنما قال "رب ارجعون" على لفظ الجمع
لاحد أمرين:
أحدهما - انهم استعانوا أولا بالله، ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة بالرجوع إلى

الله - في رواية ابن جريج.
والثاني - انه جرى على تعظيم الذكر في خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر كما يقول ذلك المتكلم، قال الله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (١)
وقال " ولقد خلقنا الانسان " (٢) وما جرى مجراه. وروى النضر بن سمال
قال: سئل الخليل عن قوله " رب ارجعون " ففكر ثم قال: سألتموني عن شيء لا أحسنه ولا أعرف معناه، والله أعلم، لأنه جمع، فاستحسن الناس منه ذلك.
فقال الله تعالى في الجواب عن سؤالهم " كلا " وهي كلمة ردع وزجر أي حقا " إنها كلمة " فالكناية عن الكلمة والتقدير: ان الكلمة التي قالوها " كلمة هو قائلها " بلسانه. وليس لها حقيقة، كما قال " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه " (٣)
وقوله " ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون " فالبرزخ الحاجز - وههنا - هو الحاجز بين الموت والبعث - في قول ابن زيد - وقال مجاهد: هو الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا.

وقال الضحاك: هو الحاجز بين الدنيا والآخرة: وقيل البرزخ الامهال. وقيل: كل فصل بين شيئين برزخ.

وفي الآية دلالة على أن أحدا لا يموت حتى يعرف اضطرابا منزلته عند الله وانه من أهل الثواب أو العقاب - في قول الجبائي وغيره - وفيها دلالة أيضا على أنهم في حال التكليف يقدرّون على الطاعة بخلاف ما تقول المجبرة.
ومعنى " ومن ورائهم " أي أمامهم وقد أمهم، وقال الشاعر:
أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا
ومعنى " يبعثون " يوم يحشرون للحساب والمجازاة، وأضيف إلى الفعل لان ظرف الزمان يضاف إلى الافعال.

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٩، ٢٦

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٩، ٢٦

(٣) سورة ٦ الانعام آية ٢٨

قوله تعالى

(فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (١٠٢)
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (١٠٣) ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون (١٠٤)
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون (١٠٥) ألم تكن آياتي تتلى
عليكم فكنتم بها تكذبون) (١٠٦) خمس آيات بلا خلاف.

قوله تعالى " فإذا نفخ في الصور " ليوم الحشر والجزاء ومعنى نفخ الصور:
هو علامة لوقت إعادة الخلق. وفي تصورهم الاخبار عن تلك الحال صلاح لهم في
الدنيا، لأنهم على ما اعتادوه في الدنيا من بوق الرحيل والقدوم. وقال الحسن:
الصور جمع صورة أي إذا نفخ فيها الأرواح وأعيدت احياء. وقال قوم: هو قرن
بنفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل، على ما وصفه الله. وقوله " فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون " اخبار منه تعالى عن هول ذلك اليوم، فإنهم لا يتواصلون
هناك بالأنساب، ولا يحنون إليها، لشغل كل انسان بنفسه. وقيل معناه: انهم
لا يتناسبون في ذلك اليوم، ليعرف بعضهم بعضا من أجل شغله بنفسه عن غيره.
وقال الحسن: معناه لا أنساب بينهم يتعاطفون بها، وإن كانت المعرفة بأنسابهم
حاصلة بدلالة قوله " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه " (١) فثبت
انهم يعرفون أقاربهم وإن هربهم منهم لاشتغالهم بنفوسهم، والنسب هو إضافة إلى

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٣٤ - ٣٦

قراءة في الولادة.

وقوله " ولا يتساءلون " معناه لا يسأل بعضهم بعضا عن خبره وحاله، كما كانوا في الدنيا، لشغل كل واحد منهم بنفسه. وقيل: لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه من ذنوبه شيئا. ولا يناقض ذلك قوله " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " (١) لان هناك مواطن، فمنها ما يشغلهم من عظيم الامر الذي ورد عليهم عن المسألة، ومنها حال يفيقون فيها فيتساءلون. وقال ابن عباس: قوله " فإذا نفخ في الصور، يعني النفخة الأولى التي يهلك عندها الخلق، فلا أحد يبقى، ولا نسب هناك ولا تساؤل. وقوله (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) فذلك عند دخولهم الجنة، فإنه يسأل بعضهم بعضا، وهو قول السدي.

وقوله " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون " اخبار منه تعالى أن من عظمت طاعاته وسملت من الاحباط - في قول من يقول بذلك - ومن لا يقول بالاحباط فمعناه عندهم: إن من كثرت طاعاته، وهو غير مستحق للعقاب، فان أولئك هم المفلحون الفائزون.

" ومن خفت موازينه " بأن يكون أحببت طاعاته، لكثرة معاصيه. ومن لا يقول بالاحباط، قال: معناه من لم يكن معه شيء من الطاعات وإنما معهم المعاصي، لان الميزان إذا لم يكن فيه شيء يوصف بالخفة، كما يوصف بالخفة إذا كان فيه شيء يسير في مقابله ما هو أضعافه، فان من هذه صورته (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) لأنهم أهلکوها بالمعاصي التي استحقوا بها العقاب بالدائم، وهم (في جهنم) مؤبدون (خالدون).

وقال الحسن والجبائي وغيرهما: هناك ميزان له كفتان ولسان. واختلفوا:

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٢٧

فمنهم من قال: يوزن بها صحف الاعمال. وقال بعضهم: يظهر في احدى الكفتين النور، وفي الأخرى الظلمة، فأيهما رجح تبينت الملائكة المستحق للثواب من المستحق للعقاب. وقال قتادة والبلخي: الميزان عبارة عن معادلة الاعمال بالحق. وبيان أنه ليس هناك مجازفة ولا تفريط.

ثم اخبر تعالى بأن النار التي يجعلون فيها (تلفح وجوههم) وانهم فيها (كالحون) يقال: لفح ونفح بمعنى واحد، غير أن اللفح أعظم من النفخ. وأشد تأثيراً، وهو ضرب من السموم للوجه، والنفح ضرب الريح للوجه، والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان، قال الأعشى:
وله المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كلح (١)
قوله تعالى:

(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين (١٠٧)
ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون (١٠٨) قال اخسؤا فيها ولا تكلمون (١٠٩) إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين (١١٠) فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون (١١١) خمس آيات بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (شقاوتنا) باثبات الألف. الباقون (شقوتنا).

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٠ وروايته " في الحرب " بدل " لا مثل له "

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما ونافع (سخرى) بضم السين. الباقون بكسرهما. حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم يعترفون على نفوسهم بالخطأ، ويقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا) والشفقة المضرة اللاحقة في العقوبة. والسعادة المنفعة اللاحقة في العقوبة، وقد يقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة: شقي، من حيث أنه يؤدي إلى أمر شديدة، فالمعاصي شقوة، تؤدي إلى العقاب الدائم. ويجوز أن يكون المراد بالشفقة العذاب الذي يفعل الله بهم ويغلب عليهم. وقوله " وكنا قوما ضالين " اعتراف منهم على نفوسهم أنهم ضلوا عن الحق في الدنيا وزمان التكليف، ويسألون الله تعالى فيقولون " ربنا أخرجنا منها " أي من هذه النار " فان عدنا فانا ظالمون " ولا يجوز أن يكونوا لو أخرجوا إلى دار التكليف لما عادوا، لان الشهوة العاجلة والاعتزاز بالامهال يعود إليهم فلا يكونون ملجئين. وقد قال الله تعالى " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون " (١). وقال الحسن: هو آخر كلام يتكلمون به أهل النار، فيقول الله تعالى لهم في جوابهم " اخسئوا فيها " يعني في النار " ولا تكلمون " أي ابعدوا، بعد الكلب. وإذا قيل للكلب اخسأ، فهو زجر بمعنى ابعد بعد غيرك من الكلاب، وإذا خوطب به انسان، فهو إهانة له، ولا يكون ذلك إلا عقوبة، وخسأت فلانا أخسأه خسأ، فهو خاسئ إذا أبعدته بمكروه، ومنه قوله " كونوا قردة خاسئين " (٢) وقوله " ولا تكلمون " قيل في معناه قولان: أحدهما - ان ذلك على وجه الغضب اللازم لهم، فذكر ذلك ليدل على هذا المعنى، لان من لا يكلم إهانة له وغضبا، فقد بلغ به الغاية في الاذلال. والثاني - ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم، فاني لا أرفعه عنكم، ولا افتره

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٨

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٦٥

وهو على صيغة النهي، وليس بنهي.
ثم يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار على وجه التهجين لهم (انه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين في دار الدنيا (يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) أي يدعون بهذه الدعوات، عبادة لله، وطلباً لما عنده من الثواب (فاتخذتموهم) أنتم يا معشر الكفار (سخرى) اي كنتم تستهزؤون بهم وتسخرون منهم. وقيل (السخري) بضم السين من التسخير و (السخري) بكسر السين من الهزاء. وقيل: هما لغتان. وقوله (حتى أنسوكم ذكري) معناه لتشاغلكم بالسخرية نسيتم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) فلذلك نسب إليهم انهم أنسوهم ذكر الله، لما كان بسببهم، والاشغال باغوائهم نسوا ذكر الله.
قوله تعالى:

(إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون (١١٢)
قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين (١١٣) قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادين (١١٤) قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون (١١٥) أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٦) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم (١١٧) ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٨) وقل رب اغفر

وارحم وأنت خير الراحمين) (١١٩) ثمان آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة والكسائي وخارجة عن نافع "أنهم هم الفائزون" بكسر الهمزة.
الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير "قل كم لبثتم" على الأمر. الباقون "قال كم
لبثتم" على الخبر. وقرأ حمزة والكسائي "قل" فيهما على الأمر. الباقون "قال"
فيهما على الخبر. وقرأ "ترجعون" بفتح التاء وكسر الجيم حمزة والكسائي. الباقون
بضم التاء وفتح الجيم.

أخبر الله تعالى "أني جزيتهم اليوم" يعني المؤمنين الذين سخر منهم الكفار
في دار التكليف، وأكافئهم على صبرهم ومضضهم في جنب الله، على أقوال الكفار
وهزؤهم بهم بـ "أنهم هم الفائزون" وحذف الباء، ونصب الهمزة، وقيل: إنها في
موضع جر، وتقديره جزيتهم بفوزهم بالجنة. وقيل تقديره: لأنهم هم الفائزون.
ومن خفض الهمزة فاستأنف، فالجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من ثواب أو
عقاب كما يقال: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والصبر حبس
النفس عما تنازع إليه مما لا يحسن، أوليس بأولى، لأن الصبر طاعة الله لما وعد عليه
من الجزاء، والطاعة قد تكون فرضاً، وقد تكون نفلاً.

وقوله "اليوم" يريد به أيام الجزاء لا يوماً بعينه، لأن اليوم هو ما بين طلوع
الفجر الثاني إلى غروب الشمس وليس المراد في الآية ذلك.
قوله "قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين" فمن قرأ "قال" فمعناه قال الله
لهم كم لبثتم. ومن قرأ "قل" معناه قل لهم يا محمد، واللبث هو المكث وهو حصول
الشيء على الحال أكثر من وقت واحد، والابث هو الكائن على الصفة، على مرور
الأوقات. والعدد عقد يظهر به مقدار المعدود، يقال: عدّه يعده عدا وعدداً،

فهو عاد. والحساب واخراج المقدار في الكمية وهي العدة، وهذا السؤال لهم على وجه التوبيخ لانكارهم البعث والنشور، فيقول الله لهم إذا بعثهم (كم لبثتم في الأرض عدد سنين) أي أين ما كنتم تنكرون من أجابت الرسل وما جاءت به وتكذبون به. وقوله " قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) فسأل العادين قال مجاهد: معناه فسأل العادين من الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد. وقال قتادة: العادين هم الحساب الذين يعدون الشهور والسنين، ولا يدل ذلك على بطلان عذاب القبر، لأنهم لم يكونوا يعدون كاملي العقول، وقد صح عذاب القبر بتضافر الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله

واجماع الأمة عليه - ذكره الرماني - ولا يحتاج إلى هذا، لأنه لا يجوز أن يعاقب الله العصاة إلا وهم كاملوا العقول ليعلموا أن ذلك واصل إليهم على وجه الاستحقاق. ووجه اخبارهم بيوم أو بعض يوم، هو الاخبار عن قصر المدة، وقلته، لما مضى لسرعة حصولهم في ما توعدهم الله تعالى، فيقول الله تعالى في الجواب (ان لبثتم الا قليلا) أي لم تلبثوا إلا قليلا، والمراد ما قلناه من قصر المدة كما قال (اقترب للناس حسابهم) (١) وكما قال (اقتربت الساعة) (٢) وكما قال (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) (٣) وقال الحسن: معناه (إن لبثتم إلا قليلا) في طول لبثكم في النار، والقلة والكثرة يتغيران بالإضافة، فقد يكون الشيء قليلا بالإضافة إلى ما هو أكثر منه، ويكون كثيرا بالإضافة إلى ما هو أقل منه (لو أنكم كنتم تعلمون) صحة ما أخبرناكم به.

ثم قال لهم (أفحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث والنشور (أنما خلقناكم عبثا) لا لغرض؟! أي ظننتم، والحسبان والظن واحد، أحد ظننتم انا خلقناكم لا لغرض،

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ١

(٢) سورة ٥٤ القمر آية ١

(٣) سورة ١٦ النحل آية ٧٧.

وحسبتهم (أنكم إلينا لا ترجعون) أي إلى الحال التي لا يملك نفعتكم وضرركم فيها إلا الله، كما كنتم في ابتداء خلقكم قبل أن يملك أحدا شيئا من أمركم. ثم نزه تعالى نفسه عن كل دنس، وأخبر أنه (فتعالى الله الملك الحق) ومعناه: علا معنى صفته، فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم الله تعالى بأن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته. (والملك الحق) هو الذي يحق له الملك، بأنه ملك غير مملك، وكل ملك غيره، فملكه مستعار له، وإنما يملك ما ملكه الله، فكأنه لا يعتد بملكه في ملك ربه، والحق هو الشيء الذي من اعتقده كان على ما اعتقده، فالله الحق، لأنه من اعتقد أنه لا إله إلا هو، فقد اعتقد الشيء على ما هو به. وقوله (رب العرش الكريم) أي خالقه، ووصفه العرش بأنه كريم تعظيم له باتيان الخير من جهته، بما دبره الله لعباده، والكريم في أصل اللغة القادر على التكرم من غير مانع. ثم قال "ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به" ومعناه إن من دعا مع الله إلها سواه لا يكون له على ذلك برهان ولا حجة، لأنه باطل، ولو دعا الله ببرهان لكان محقا، واجري على ذلك قوله "ويقتلون النبيين بغير حق" (١) وقول الشاعر:

على لاحب لا يهتدى بمناره (٢)
وقوله "فإنما حسابه على ربه" يعني الله الذي يبين له مقدار ما يستحقه من ثواب أو عقاب. ثم أخبر تعالى بأنه "لا يفلح الكافرون" يعني الجاحدين لنعم الله، والمنكرين لتوحيده، والدافعين للبعث والنشور. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله فقال له "قل" يا محمد "رب اغفر وارحم" أي اغفر الذنوب، وانعم على خلقك. "وأنت خير الراحمين" معناه أفضل من رحم وانعم على غيره، وأكثرهم نعمة وأوسعهم فضلا.

(١) سورة آل عمران آية ٢١
(٢) انظر ٢ / ٣٥٦، ٤٢٣ و ٦ / ٢١٣

٢٤ - سورة النور

مدنية بلا خلاف، وهي أربع وستون آية
في البصري والكوفي واثنان في المدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات
لعلكم تذكرون) (١) آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وفرضناها) بتشديد الراء. الباقيون بتخفيفها.

وفسر أبو عمرو قراءته بمعنى فصلناها (١) وبينها بفرائض مختلفه، والتقدير هذه
(سورة) لان النكرة لا يتبدأ بها. وقال غيره: معنى التشديد حددنا فيها الحلال

والحرام. وقال قتادة: معنى التشديد: قد بينها. وقيل: معنى التشديد: جعلناها

عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة،

ومن خفف أراد من الفريضة أي فرض فيها الحلال والحرام، والفرض
مأخوذ من فرض القوس وهو الحز الذي فيه الوتر، والفرض أيضا نزول القرآن قال

(١) وفي بعض النسخ الخطية (فمعنى قراءة أبي عمرو: وفصلناها)

الله تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن) أي انزل. وارتفع (سورة) على تقدير هذه (سورة) إلا أنه حذف على تقدير التوقع لما ينزل من القرآن. والسورة المنزلة الشريفة قال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب (٢)
فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة. والفرض هو التقدير - في اللغة - وفصل بينه وبين الواجب، بأن الفرض واجب بجعل جاعل، فرضه على صاحبه، كما أنه أوجبه عليه، والواجب قد يكون واجبا من غير جعل جاعل، كوجوب شكر المنعم، فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل في أنه يدل من غير جعل جاعل كما تجعل العلامة الوضعية، إلا أن الله تعالى لا يوجب على العبد الا ما له صفة الوجوب في نفسه، كما لا يرغب الا في ما هو مرغوب في نفسه. وقوله (أنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) فمعنى (الآيات) الدلالات على ما يحتاج إلى علمه مما قد بينه الله في هذه السورة، ونبه على ذلك من شأنها لينظر فيه طالب العلم ويفوز ببغيته منه، والتقدير، وفرضنا فرائضها. وأضاف الفرائض إلى السورة، وهي بعضها، لدلالة الكلام عليه، لأنها مفهومة منها و (بينات) معناه ظاهرات واضحات. وقوله (لعلكم تذكرون) معناه لكي تذكروا الدلائل التي فيها، فتكون حاضرة لكم لتعملوا بموجبه وتلتزموا معانيه. قوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٨٥

(٢) قائله النابغة الذبياني ديوانه " دار بيروت " ١٨ وقد مر في ١ / ١٩، ٣ / ٣٦٦ من هذا الكتاب.

ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (٢) الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (٣) آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن كثير الا ابن فليح (رأفة) بفتح الهمزة على وزن (فعالة). الباقون بسكونها، وهما لغتان في المصدر، يقال: رأف رأفة مثل كرم كرما. وقيل: رأفة مثل سقم سقامة. والرأفة رقة الرحمة.

أمر الله تعالى في هذه الآية: أن يجلد الزاني، والزانية إذا لم يكونا محصنين (كل واحد منهما مئة جلدة) وإذا كانا محصنين أو أحدهما، كان على المحصن الرجم بلا خلاف. وعندنا انه يجلد أولا مئة جلدة ثم يرجم، وفي أصحابنا من خص ذلك بالشيخ والشيخة إذا زنيا وكانا محصنين، فأما إذا كانا شايعين محصنين لم يكن عليهما غير الرجم، وهو قول مسروق. وفي ذلك خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء. والاحصان الذي يوجب الرجم هو أن يكون له زوج يغدو إليه ويروح على وجه الدوام، وكان حرا. فأما العبد، فلا يكون محصنا، وكذلك الأمة لا تكون محصنة، وإنما عليهما نصف الحد: خمسون جلدة، والحر متى كان عنده زوجة يتمكن من وطئها مخلى بينه وبينها سواء كانت حرة أو أمة، أو كان عنده أمة يطؤها بملك اليمين، فإنه متى زنا وجب عليه الرجم، ومن كان غائبا عن زوجته شهرا فصاعدا أو كان محبوسا أو هي محبوسة هذه المدة، فلا أحصان. ومن كان محصنا على ما قدمناه ثم ماتت زوجته أو طلقها بطل احصانه. وفي جميع ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه

في الخلاف.

والخطاب بهذه الآية وإن كان متوجها إلى الجماعة، فالمراد به الأئمة بلا خلاف، لأنه لا خلاف أنه ليس لأحد إقامة الحدود إلا للامام أو من يوليه الامام. ومن خالف فيه لا يعتد بخلافه.

والزنا هو وطؤ المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد شرعي مع العلم بذلك أو غلبة الظن. وليس كل وطئ حرام زنا، لأنه قد يطؤ امرأته في الحيض والنفاس، وهو حرام، ولا يكون زنا، وكذلك لو وجد امرأة على فراشه، فظنها زوجته أو أمته فوطأها لم يكن ذلك زنا، لأنه شبهة.

وقوله " ولا تأخذهم بهما رأفة في دين الله " قال مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وسعيد بن جبير وإبراهيم: معناه لا تمنعكم الرأفة والرحمة من إقامة الحد. وقال الحسن وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وحماد: لا يمنعكم ذلك من الجلد الشديد. (والرأفة) بسكون الهمزة. والرأفة - بفتح الهمزة - مثل الكأبة والكأبة، والسأمة والسأمة، وهما لغتان، وبفتح الهمزة قرأ ابن كثير على ما قدمناه.

وقوله " إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " أي إن كنتم تصدقون بما وعد الله وتوعد عليه، وتقررون بالبعث والنشور، فلا تأخذكم في من ذكرناه الرأفة، ولا تمنعكم من إقامة الحد على من ذكرناه،

وقوله " وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " قال مجاهد وإبراهيم: الطائفة رجل واحد. وعن أبي جعفر (ع) أن أقله رجل واحد. وقال عكرمة: الطائفة رجالان فصاعدا. وقال قتادة والزهري: هم ثلاثة فصاعدا. وقال ابن زيد: أقله أربعة. وقال الجبائي: من زعم أن الطائفة أقل من ثلاثة فقد غلط من جهة اللغة، ومن جهة المراد بالآية، من احتياطه بالشهادة. وقال: ليس لأحد أن يقيم الحد

إلا الأئمة وولاتهم، ومن خالف فيه فقد غلط، كما أنه ليس للشاهد ان يقيم الحد. وقد دخل المحصن في حكم الآية بلا خلاف.

وكان سيبويه يذهب إلى أن التأويل: في ما فرض عليكم، الزانية والزاني، ولولا ذلك لنصب بالامر. وقال المبرد: إذا رفعته ففيه معنى الجزاء، ولذلك دخل الفاء في الخبر، والتقدير التي تزني، والذي يزني، ومعناه من زنى فاجلدوه، فيكون على ذلك عاما في الجنس.

وقال الحسن: رجم النبي صلى الله عليه وآله الثيب (١) وأراد عمر ان يكتبه في آخر المصحف ثم تركه، لئلا يتوهم انه من القرآن. وقال قوم: إن ذلك منسوخ التلاوة دون الحكم. وروي عن علي (ع) ان المحصن يجلد مئة بالقرآن، ثم يرحم بالسنة. وانه امر بذلك.

وقوله " الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك... " الآية. قيل: انها نزلت على سبب، وذلك أنه استأذن رجل من المسلمين النبي صلى الله عليه وآله ان يتزوج امرأة من أصحاب الرايات، كانت تسافح، فأنزل

الله تعالى الآية. وروي ذلك عن عبد الله بن عمر، وابن عباس: وقال حرم الله نكاحهن على المؤمنين، فلا يتزوج بهن الا زان أو مشرك. وقال مجاهد والزهري والشعبي: ان النبي استؤذن فيها أم مهزول. وقيل النكاح - ههنا - المراد به الجماع، والمعنى الاشتراك في الزنا، يعني انهما جميعا يكونان زانين، ذكر ذلك ابن عباس. وقد ضعف الطبري ذلك، قال: لا فائدة في ذلك. ومن قال بالأول، قال: الآية وإن كان ظاهرها الخبر، فالمراد به النهي. وقال سعيد بن جبير: معناه انها زانية مثله. وهو قول الضحاك وابن زيد. وقال سعيد ابن المسيب: كان ذلك حكم كل

(١) في المخطوط (البت)

زان وزانية، ثم نسخ بقوله (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين) (١)، وبه قال أكثر الفقهاء. وقال الرماني: وجه التأويل انهما مشتركان في الزنا، لأنه لا خلاف انه ليس لأحد من أهل الصلاة ان ينكح زانية وان الزانية من المسلمات حرام على كل مسلم من أهل الصلاة، فعلى هذا له ان يتزوج بمن كان زنى بها. وعن أبي جعفر (ع) (ان الآية نزلت في أصحاب الرايات، فأما غيرهن فإنه يجوز ان يتزوجها، وإن كان الأفضل غيرها، ويمنعها من الفجور). وفي ذلك خلاف بين الفقهاء.

قوله تعالى:

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون (٤) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) (٥) آيتان بلا خلاف.

قال سعيد بن جبیر: هذه الآية نزلت في عائشة. وقال الضحاك في نساء المؤمنين: وهو الأولى، لأنه أعم فائدة، وإن كان يجوز أن يكون سبب نزولها في عائشة، فلا تقصير الآية على سببها.

يقول الله تعالى ان "الذين يرمون المحصنات" أي يقذفون العفاف من النساء بالزنا، والفجور، وحذف قوله بالزنا لدلالة الكلام عليه، ولم يقيموا على ذلك أربعة من الشهود، فإنه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة. وقال الحسن: يجلد

(١) سورة ٢٤ النور آية ٣٢

وعليه ثيابه. وهو قول أبي جعفر (ع). ويجلد الرجل قائما، والمرأة قاعدة. وقال إبراهيم ترمى ثيابه في حد الزنا.

وقوله " ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا " نهى من الله تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأييد، وحكم عليهم بأنهم فساق. ثم استثنى من ذلك الذين تابوا من بعد ذلك.

واختلفوا في الاستثناء إلى من يرجع، فقال قوم: انه من الفساق، فإذا تاب قبلت شهادته حد أولم يحد. وهو قول سعيد بن المسيب. وقال عمر لأبي بكر: إن تبت قبلت شهادتك. فأبى أبو بكر أن يكذب نفسه. وهو قول مسروق والزهري والشعبي وعطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز والضحاك، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (ع). وبه قال الشافعي من الفقهاء وأصحابه، وهو مذهبنا. وقال الزجاج: يكون تقديره، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا إلا الذين تابوا. ثم وصفهم بقوله " وأولئك هم الفاسقون " وقال شريح وسعيد بن المسيب، والحسن وإبراهيم: الاستثناء من الفاسقين دون قوله " ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا " وبه قال أهل العراق، قالوا: فلا يجوز قبول شهادة القاذف ابدا. ولا خلاف في أنه إذا لم يحد - بأن تموت المقدوفة ولم يكن هناك مطالب، ثم تاب - أنه يجوز قبول شهادته. وهذا

يقتضي الاستثناء من المعنيين على تقدير: وأولئك هم الفاسقون في قذفهم، مع امتناع قبول شهادتهم إلا التائبين منهم.

والحد حق المقدوفة لا يزول بالتوبة. وقال قوم: توبته متعلقة باكذابه نفسه. وهو المروي في أخبارنا، وبه قال الشافعي. وقال مالك بن أنس: لا يحتاج إلى ذلك فيه. قال أبو حنيفة: ومتى كان القاذف عبدا أو أمة فعليه أربعون جلدة. وقد

روى أصحابنا: أن الحد ثمانون في الحر والعبد، وظاهر العموم يقتضي ذلك، وبه قال عمر بن عبد العزيز، والقاسم بن عبد الرحمن. قوله تعالى:

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادت إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين (٦) والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين (٧) ويدرونها العذاب أن تشهدا أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين (٨) والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين (٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) (١٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر "فشهادة أحدهم أربع شهادات" برفع العين. الباقر بفتحها. وقرأ نافع ويعقوب "ان لعنة الله... وان غضب الله عليها" بتخفيف النون فيهما، وسكونها، ورفع "لعنة الله" وقرأ نافع "غضب الله" - بكسر الضاد وفتح الباء، ورفع الهاء - من اسم الله. وقرأ يعقوب - بفتح الضاد ورفع الباء وخفض الهاء - من اسم الله. الباقر بفتح الضاد ونصب الباء وخفض الهاء. وقرأ حفص "الخامسة ان غضب الله" بالنصب. الباقر بالرفع. من رفع قوله "اربع" جعله خبر الابتداء، والابتداء "فشهادة أحدهم" قال أبو حاتم: من رفع فقد لحن، لان الشهادة واحدة، وقد أخبر عنها بجمع، فلا يجوز ذلك، كما لا يجوز (زيد أخوتك) وهذا خطأ، لان الشهادة، وإن كانت بلفظ الوحدة فمعناها

الجمع، كقولك صلاتي خمس، وصومي شهر. وقال الزجاج: تقديره " فشهادة أحدهم " التي تدرؤ العذاب " أربع شهادات " ومن قرأ بالنصب جعله مفعولا به أي يشهد أربع شهادات. وقال أبو علي الفارسي: ينبغي أن يكون قوله " فشهادة أحدهم " مبنيا على ما يكون مبتدأ، وتقديره: فالحكم أو فالفرض ان يشهد أحدهم أربع شهادات، أو فعليهم أن يشهدوا، ويكون قوله " انه لمن الكاذبين " على هذا من صلة (شهادة أحدهم)، وتكون الجملة التي هي قوله " انه لمن الصادقين " في موضع نصب، لان الشهادة كالعلم، والجملة في موضع نصب، بأنه مفعول به " وأربع شهادات تنتصب انتصاب المصادر. ومن رفع " أربع شهادات " لم يكن قوله " انه لمن الصادقين " إلا من صلة " شهادات " دون " شهادة " كما أن قوله " بالله " من صلة (شهادات) دون صلة (شهادة) لأنك لو جعلته من صلة (شهادة) فصلت بين الصلة والموصول. ومن نصب " أربع شهادات " فقياسه ان ينصب " والخامسة " لأنها شهادة، وإذا رفع " أربع شهادات " ونصب " الخامسة " قدر له فعلا ينصبها به، وتقديره ويشهد الخامسة. ومن رفع " أربع شهادات " ورفع " الخامسة " جعلها معطوفة عليه، وإذا نصب الخامسة، لم يجعلها معطوفة عليه وجعلها مفعولا، وقدر فعلا ينصبها به. وقال: أبو علي: قراءة نافع في تخفيف (ان) الوجه فيها أنها المخففة من الثقيلة، ولا تخفف في الكلام أبدا وبعدها اسم إلا ويراد إضمار القصة، ومثله قوله " وآخر دعواهم أن الحمد لله " (١). وإنما خففت الثقيلة المفتوحة على إضمار القصة والحديث، ولم تكن المكسورة كذلك، لان الثقيلة المفتوحة موصولة. ويستقبح النحويون قراءة نافع في قوله " ان غضب الله " لان من شأن المخففة من الثقيلة ألا تلي فعلا إلا وفي الكلام عوض، كقوله " ألا يرجع " (٢) وقوله " علم أن

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٠

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٨٩

سيكون " (١) فان (لا) و (السين) عوض من الثقيلة. ووجه قراءة نافع انه قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر، وقد يجيء في الشعر وإن لم يفصل بين (ان) وبين ما يدخل عليها من الفعل، فعلى قول نافع (لعنة الله) رفع بالابتداء و (غضب) فعل ماض، واسم الله رفع بفعله.

ومعنى الآية ان من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا، ولم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين. ومن رمى زوجته بالزنا تلاعنا. والملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف اربع مرات بالله الذي لا إله إلا هو انه صادق فيما رماها به، ويحتاج ان يقول أشهد بالله أني صادق، لان شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود في دفع الحد عنه، ثم يشهد الخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به. (وإذا جحدت المرأة ذلك شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به و) (٢) تشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يفرق بينهما، ولا يجتمعان أبدا، كما فرق رسول الله صلى الله عليه وآله بين هلال بن أمية وزوجته. وقضى أن

الولد لها، ولا يدعى لأب، ولا ترمى هي، ولا يرمى ولدها. وقال ابن عباس: متى لم تحلف وجمت، وإن لم يكن دخل بها جلدت الحد، ولم ترجم إذا لم تلتعن، وعند أصحابنا: انه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها، فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف، ولا لعان بينهما. وفرقة اللعان تحصل عندنا بتمام اللعان من غير حكم الحاكم، وتمام اللعان إنما يكون إذا تلاعن الرجل والمرأة معا. وقال قوم: تحصل بلعان الزوج الفرقة. وقال أهل العراق: لا تقع الفرقة إلا بتفريق الحاكم بينهما. ومتى رجمت عند النكول ورثها الزوج، لان زناها لا يوجب التفرقة بينهما. ولو جلدت - إذا لم يكن دخل بها - فهما على الزوجية. وذلك يدل على أن الفرقة إنما تقع

(١) سورة ٧٣ المزمل آية ٢٠
(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

بلعان الرجل والمرأة معا. قال الحسن: إذا تمت الملاعنة بينهما ولم يكن دخل بها، فلها نصف الصداق، لان الفرقة جاءت من قبله. وإذا تم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء، ولا يتزوجها أبدا بلا خلاف.

وآية اللعان نزلت في عاصم بن عدي. وقيل: نزلت في هلال ابن أمية - في قول ابن عباس - ومتى فرق بينهما اثم اكذب نفسه جلد الحد ولا ترجع إليه امرأته. وقال أبو حنيفة ترجع إليه. وإذا أقر بالولد بعد اللعان ألحق به يرثه الابن ولا يرثه الأب. وقال الشافعي: يتوارثان. و (الدرؤ) الدفع و (العذاب) الذي يدرؤ عنهما بشهادتهما (الحد)، لأنه بمنزلة من يشهد عليها أربعة شهود بالزنا. وقال قوم: هو الحبس لأنه لم تتم البينة بأربعة شهود، وإنما التعان الرجل درأ عنه الحد في رميه. قال الجبائي: في الآية دلالة على أن الزنا ليس بكفر، لأنه ليس لصاحبه حكم المرتد. وفيها دلالة على أنه يستحق اللعن من الله بالزنا. وقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب رحيم) نصب قوله (وان الله) لأنه عطف على موضع (أن) الأولى. وجواب (لولا) محذوف، وتقديره: لولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة، ولعاجلكم بالعقوبة أو لهلكتم وما يجري مجراه. ومثله قولهم: لو رأيت فلانا وفي يده السيف اي لرأيت شجاعا ولرأيت هائلا، قال جرير: كذب العواذل لو رأيت مناخنا * بحزير رامة والمطي سوام (١) وفي المثل (لو ذات سوار لطمتني)

(١) ديوانه " دار بيروت " ٤٥٢

قوله تعالى:

(إن الذين جاؤوا بالافك عصابة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين (١٢) لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤) إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطبا لامة محمد صلى الله عليه وآله " إن الذين جاؤوا بالافك " يعني الذين أتوا

بالافك، وهو الكذب الذي قلب فيه الامر عن وجهه، واصله الانقلاب، ومنه (المؤتفكات) وأفك يافك افكا إذا كذب. لأنه قلب المعنى عن حقه إلى باطله، فهو آفك، مثل كاذب، وقوله " عصابة منكم " يعني جماعة منكم، ومنه قوله " ليوسف واخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة " (١) ويقال: تعصب القوم إذا اجتمعوا على هيئة، فشد

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٨

بعضهم بعضا. والعصبة في النسب العشيرة المقتدرة، لأنه يجمعها التعصب.
وقال ابن عباس: منهم (عبد الله بن أبي بن سلول) وهو الذي تولى كبره،
وهو من رؤساء المنافقين. و (مسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت
جحش) وهو قول عائشة، وكان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها في غزوة بني
المصطلق، وكانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، وحمل هودجها على بغيرها
ظنا منهم بها أنها فيه، فلما صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، وكان صفوان
ابن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمر بها، فلما عرفها أناخ بغيره حتى ركبته،
وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا في قائم الظهيرة. هكذا رواه الزهري
عن عائشة.

وقوله " لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم " خطاب لمن قرب بالافك من
عائشة، ومن اغتم لها، فقال الله تعالى لا تحسبوا غم الافك شرا لكم بل هو خير
لكم، لان الله (عز وجل) يرى ساحته ببراءتها، وينفعها بصبرها واحتسابها، وما
ينل منها من الأذى والمكروه الذي نزل بها، ويلزم أصحاب الافك ما استحقوه
بالاثم الذي ارتكبوه في أمرها.

ثم اخبر تعالى فقال " لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم " أي له جزاء
ما اكتسب من الاثم من العقاب.

ثم قال " والذي تولى كبره منهم " يعني (ان أبي بن سلول) تحمل ومعظمه و (كبره)
مصدر من معنى الكبير من الأمور. قال أبو عبيدة: فرقوا بينه وبين مصدر الكبير
في السن، يقال: فلان ذو كبر أي ذو كبرياء. وقرأ أبو جعفر المدني بضم الكاف.
الباقون بكسرهما، فالكبر بضم الكاف من كبر السن، وهو كبير قومه أي معظمهم،
والكبر والعظم واحد. وقيل: دخل حسان على عائشة فأنشدها قوله في بيته:

حصان رزان ما تزن بريية* وتصبح غرثى من لحوم القوافل (١)
 فقالت له: لكنك لست كذلك. وقوله " له عذاب عظيم " يعني جزاء على
 ما اكتسبه من الاثم. وقوله " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا "
 معناه هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين ظن المؤمنون بالمؤمنين الذين هم كأنفسهم
 خيرا، لان المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور، فإذا جرى
 على أحدهم محنة، فكأنه جرى على جماعتهم، وهو كقوله " فسلموا على أنفسكم " (٢)
 وهو قول مجاهد، قال الشاعر في (لولا) بمعنى (هلا):
 تعدون عقر النيب أفضل مجد لكم* بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا (٣)
 اي فهلا تعدون قتل الكمي. وقوله تعالى " وقالوا هذا افك مبين " معناه
 وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر. ثم قال تعالى " لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء " أي
 هلا جاؤوا على ما قالوه ببينة أربعة من الشهداء " فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك "
 الذين قالوا هذا الافك " هم الكاذبون " عند الله، والمعنى انهم كاذبون في عيبيهم،
 فمن جوز صدقهم، فهو راد لخبر الله تعالى، فالآية دالة على كذب من قذف عائشة،
 وافك عليها. فأما في غيرها إذا رماها الانسان، فانا لا نقطع على كذبه عند الله،
 وإن أقمنا عليه الحد، وقلنا هو كاذب في الظاهر، لأنه يجوز أن يكون صادقا عند
 الله، وهو قول الجبائي.
 ثم قال تعالى على وجه الامتنان على المؤمنين " ولولا فضل الله عليكم ورحمته

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٠٠

(٢) سورة ٢٤ النور آية ٦١

(٣) قائلة جرير ديوانه (دار بيروت) ٢٦٥، وقد مر في ١ / ٣١٩، ٤٣٥

و ٦ / ٣١٩ ورواية الديوان:

تعدون عقر النيب أفضل سعيكم* بني ضو طرى هلا الكمي المقنعا

في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم " جزاء على خوضكم في قصة
الافك وإفاضتكم فيه. وقيل في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والآخرة.
وقوله " إذ تلقونه بألسنتكم " تقديره: لمسكم عذاب عظيم حين تلقونه
بألسنتكم، ومعناه برواية بعضكم عن بعض لتشيعه - في قول مجاهد - وروي عن
عائشة أنها قرأت " تلقونه " من ولق الكذب، وهو الاستمرار على الكذب ومنه:
ولق فلان في السير إذا استمر به، ويقال. في الولق من الكذب: الالق والالق،
تقول: ألق وأنتم تألقونه. أنشد الفراء:
من لي بالمرر واليلامق * صاحب أدهان وألق آلق (١)
فتح الألف من ادهان، وقال الراجز:
إن الحصين زلق وزملق * جاءت به عيس من الشام تلق
وينشد أيضا:
ان الحصين زلق وزملق * جاءت به عنس من الشام تلق
مجوع البطن كالليم الحلق
وقوله " تقولون بأفواهكم ما ليس به علم " من وجه الافك " وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم " اي تظنونه حقيرا وهو عند الله عظيم لأنه
كذب وافتراء.

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٧٠.

قوله تعالى

(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم (١٦) يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين (١٧) ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (١٨) إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى للمؤمنين: وهلا حين سمعتم من هؤلاء العصابة ما قالوا من الافك " قلتم " في جوابهم " ما يكون لنا ان نتكلم بهذا " أي ليس لنا ذلك بل هو محرم علينا، وقلتم " سبحانك " يا ربنا " هذا " الذي قالوه " بهتان عظيم " أي كذب وزور عظيم عقابه في الظاهر. فالبهتان الكذب الذي فيه مكابرة تحير، يقال: بهته يبهته بهتا وبهتانا إذا حيره بالكذب عليه.

ثم قال تعالى " يعظكم الله ان تعودوا " أي كراهة أن تعودوا " لمثله " أو لئلا تعودوا إلى مثله من الافك " أبدا " أي طول أعماركم، لا ترجعوا إلى مثل هذا القول " إن كنتم مؤمنين " مصدقين بالله ونبيه، قابلين وعظ الله. وقال ابن زيد: الوعظ يمنع ان يقول القائل أنا سمعته، ولم أختلقه. " ويبين الله لكم الآيات " يعني الدلالات والحجج " والله عليم حكيم " أي عالم بما يكون منكم، حكيم فيما يفعله،

ولا يضع الشئ إلا في موضعه.
ثم اخبر تعالى " ان الذين يحبون " ويؤثرون " ان تشيع الفاحشة " أي تظهر
الافعال القبيحة " في الذين آمنوا لهم عذاب اليم " أي موجه جزاء على ذلك " في
الدنيا " بإقامة الحد عليهم، وفي " الآخرة " بعذاب النار " والله يعلم " ذلك وغيره
" وأنتم لا تعلمون " ان الله تعالى يعلم ذلك.
ثم قال " ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم " لأهلككم
وعاجلكم بالعقوبة، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه.
وفي الآية على أن العزم على الفسق فسق، لأنه إذا ألزمه الوعيد على محبة
شياع الفاحشة من غيره، فإذا أحبها من نفسه وأرادها كان أعظم.
قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من
يشاء والله سميع عليم (٢١) ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة
أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢) إن
الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا

والآخرة ولهم عذاب عظيم (٢٣) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢٤) يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر المدني " ولا يتأل " على وزن (يتفعل) الهمزة مفتوحة بعد التاء، واللام مشددة مفتوحة. الباقيون " يأتل " على وزن (يفتعل). الهمزة ساكنة. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " يوم يشهد " بالياء، لان تأنيث الألسنة ليس بحقيقي، ولأنه حصل فصل بين الفعل والفاعل. الباقيون بالتاء، لان الألسنة مؤنثة.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسوله، ينهاهم فيه عن اتباع خطوات الشيطان، وخطوات الشيطان تخطية الحلال إلى الحرام. والمعنى لا تسلكوا مسالك الشيطان، ولا تذهبوا مذهبه، والاتباع الذهاب فيما كان من الجهات التي يدعو الداعي إليها بذهابه فيها، فمن وافق الشيطان فيما يدعو إليه من الضلال، فقد اتبعه. والاتباع اقتفاء أثر الداعي إلى الجهة بذهابه فيها، وهو بالثقل والتخفيف بمعنى الاقتداء به. والمعنى لا تتبعوا الشيطان بموافقة فيما يدعو إليه. ثم قال " ومن يتبع خطوات الشيطان " فيما يدعو إليه " فإنه " يعني الشيطان " يأمر بالفحشاء " يعني القبائح " والمنكر " من الأفعال. والفحشاء كل قبيح عظيم. والمنكر الفساد الذي ينكره العقل ويزجر عنه.

ثم قال تعالى " ولولا فضل الله عليكم ورحمته " بان يلطف لكم، ويزجركم عن ارتكاب المعاصي " ما زكى منكم من أحد أبدا " ف (من) زائدة، والمعنى ما فعل أحد منكم الأفعال الجميلة إلا بلطف من جهته أو وعيد من قبله. وقال ابن زيد: معناه لولا فضل الله ما أسلم أحد منكم.

وفى ذلك دلالة على أن أحدا لا يصلح في دينه إلا بلطف الله (عز وجل) له، لان ذلك عام لجميع المكلفين الذين يزكون بهذا الفضل من الله. وقوله " ولكن الله يزكي من يشاء " معناه من يعلم أن له لطفاً يفعل به ليزكو عنده. وقيل: يزكي من يشاء بالثناء عليه. والأول أجود (والله سميع عليم) معناه إنه يفعل المصالح والالطاف على ما يعلمه من المصلحة للمكلفين. لأنه يسمع أصواتهم ويعلم أحوالهم.

وفي الآية دلالة على أنه تعالى يريد لخلقه خلاف ما يريد الشيطان، لأنه ذكره عقيب قوله (يأمر بالفحشاء والمنكر).

وقوله (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) فالأيتلاء القسم، يقال آلى يؤلي إيلاء إذا حلف على أمر من الأمور، ويأتل (يفتعل) من الآلية على وزن (يقتضي) من القضية، ومن قرأ (يتأل) فعلى وزن (يتفعل)، والمعنى لا يحلف أن لا يؤتي.

وقال ابن عباس وعائشة وابن زيد: إن الآية نزلت في أبي بكر، ومسطح بن أثانة، وكان يجري عليه، ويقوم بنفقته، فقطعها وحلف أن لا ينفعه أبداً، لما كان منه من الدخول مع أصحاب الافك في عائشة، فلما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر له إلى ما كان، وقال: والله اني لأحب أن يغفر الله لي، والله لا أنزعها عنه أبداً. وكان مسطح ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً ومهاجراً من مكة إلى المدينة، ومن جملة البدرين. وقال الحسن ومجاهد: الآية نزلت في يتييم كان في حجر أبي بكر، حلف الا ينفق عليه. وروي عن ابن عباس وغيره: أن الآية نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله حلفوا أن لا يواسوا أصحاب الافك. وقال قوم: هذا نهى عام لجميع أولي الفضل والسعة أن يحلفوا ألا يؤتوا أولي القربى والمساكين والفقراء، وهو أولى

وأعم فائدة، ويدخل فيه ما قالوه. وكان مسطح أحد من حده النبي صلى الله عليه وآله في قذف الافك.

وقال أبو علي الجبائي: قصة مسطح دالة على أنه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدرا بخلاف قول النوابت.

وقوله تعالى (وليغفوا وليصفحوا) أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالغفو عمن أساء إليهم، والصفح عنهم. واصل العافي التارك للعقوبة على من أذنب إليه، والصفح عن الشيء أن يجعله بمنزلة ما مر صفحا. ثم قال لهم (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم (والله غفور رحيم) أي سائر عليكم منعم.

ثم أخبر تعالى (إن الذين يرمون المحصنات) ومعناه الذين يقذفون العفائف من النساء (الغافلات) عن الفواحش (لعنوا في الدنيا والآخرة) أي أبعادوا من رحمة الله (في الدنيا) بإقامة الحد عليهم ورد شهادتهم (وفي الآخرة) بأليم العقاب، والابعاد من الجنة (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم) عقوبة لهم على قذفهم المحصنات. وهذا وعيد عام لجميع المكلفين، في قول ابن عباس وابن زيد وأكثر أهل العلم. وقال قوم: في عائشة، لما رأوها نزلت فيها هذه الآية توهموا أن الوعيد خاص فيمن قذفها، وهذا ليس بصحيح، لأن عند أكثر العلماء المحصلين: أن الآية إذا نزلت على سبب لم يجب قصرها عليه، كآية اللعان، وآية القذف، وآية الظهار، وغير ذلك. ومتى حملت على العموم دخل من قذف عائشة في جملتها. وقوله (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) تقديره: ولهم عذاب عظيم في هذا اليوم. وهو يوم القيامة. وشهادة الأيدي والأرجل بأعمال الفجار. قيل في كيفيتها ثلاثة أقوال:

أحدها - ان الله تعالى بينها بنية يمكنهم النطق بها والكلام من جهتها.
الثاني - ان يفعل الله تعالى في هذه البنية كلاما يتضمن الشهادة، فكأنها هي الناطقة.

والثالث - ان يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة، وذلك إذا جحدوا معاصيهم. واما شهادة الألسن فيجوز ان يكونوا يشهدون بألسنتهم إذا رأوا ان لا ينفعهم الجحد. واما قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) فقالوا: إنه يجوز ان يخرج الألسنة ويختتم على الأفواه، ويجوز أن يكون الختم على الأفواه إنما هو في حال شهادة الأيدي والأرجل. وقال الجبائي: ويجوز ان بينها بنية مخصوصة، ويحدث فيها شهادة تشهد بها.

وقوله (يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق) يعني جزاءهم الحق، والدين - ههنا - الجزاء، ويجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق، وحذف المضاف واقام المضاف إليه مقامه (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) اي يعلمون الله ضرورة في ذلك اليوم، ويقرون انه الحق، الذين ابان الحجج والآيات في دار التكليف، وهو قول مجاهد، وقرئ (الحق) بالرفع، والنصب، فمن رفعه جعله من صفة الله، ومن نصبه جعله صفة للدين.
قوله تعالى:

(الخبيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة
ورزق كريم) (٢٦) آية بلا خلاف.

قيل في معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها - قال ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك: معناه (الخبيثات) من الكلم (للخبِيثين) من الرجال أي صادرة منهم.

الثاني - في رواية أخرى عن ابن عباس: أن (الخبيثات) من السيئات (للخبِيثين) من الرجال، والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال.

الثالث - قال ابن زيد: (الخبيثات) من النساء (للخبِيثين) من الرجال، كأنه ذهب إلى اجتماعها للمشاكلتين بينهما.

والرابع - قال الجبائي: (الخبيثات) من النساء الزواني (للخبِيثين) من الرجال الزناة، على التعبد الأول ثم نسخ، وقيل الخبِيثات من الكلم إنما تلزم الخبِيثين من الرجال وتليق بهم. والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات عكس ذلك على السواء في الأقوال الأربعة.

والخبِيث الفاسد الذي يتزايد في الفساد تزايد النامي في النبات، ونقضيه الطيب. والحرام كله خبيث. والحلال كله طيب.

وقوله " أولئك مبرؤون مما يقولون " قال مجاهد معناه: الطيبون من الرجال مبرؤون من خبِيثات القول، يغفرها الله لهم. ومن كان طيباً، فهو مبرؤ من كل قبيح. ومن كان خبيثاً، فهو مبرؤ من كل طيب بأن الله يرده عليه. ولا يقبله منه. وقال الفراء وغيره: يرجع ذلك إلى عائشة، وصفوان بن معطل كما قال " فان كل له أخوة " (١) والام تحجب بالأخوين، فجاء على تغليب لفظ الجمع الذي يجري مجرى الواحد في الاعراب، وإنما قال " مبرؤون.... " الآية، لأنه ذكر صفة الجمع، والمبرأ المنزه عن صفة الدم، المنفي عنه صفة العيب، يقال: برأه الله من كذا، إذا

(١) سورة ٤ النساء آية ١٠

نفاه عنه. والله تعالى يرى المؤمنين من العيوب التي يضيفها إليهم أعداؤهم، ويفضح من يكذب عليهم.

وقوله " لهم مغفرة ورزق كريم " أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم، وعطية من الله كريمة، فالرزق الكريم هو الذي يعطي الخير على الادرار المهناً، من غير تنغيص الامتنان، وهو رزق الله تعالى الذي يعم جميع العباد، ويخص من يشاء بالزيادة في الافعال. وقال قتادة " لهم مغفرة من الله ورزق كريم " في الجنة.
قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧)
فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (٢٨)
ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) (٣٠) أربع آيات بلا خلاف.

(٤٢٥)

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم أن يدخلوا بيوتا لا يملكونها، وهي ملك غيرهم إلا بعد أن يستأنسوا، ومعناه يستأذنوا، والاستئناس الاستئذان - في قول ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم وقتادة - وكأن المعنى يستأنسوا بالاذن. وروى عن ابن عباس أنه قال: القراءة " حتى تستأذنوا " وإنما وهم الكتاب. وهو قول سعيد ابن جبير، وبه قرأ أبي بن كعب. وقال مجاهد: حتى تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستئذان. وقد بين الله تعالى ذلك في قوله " وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا " (١) قال عطاء: وهو واجب في أمه وسائر أهله والاستئناس طلب الانس بالعلم أو غيره، كقول العرب: اذهب فاستأنس هل ترى أحدا، ومنه قوله " فان أنستم منهم رشدا " (٢) اي علمتم. وقوله " وتسلموا على أهلها " معناه على أهل البيوت ينبغي أن تسلموا عليهم وإذا أذنوا لكم في الدخول فادخلوها. وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

(الاستئذان ثلاث، فان أذنوا، وإلا فارجع) فدعاه عمر، فقال لتأتيني بالبينة وإلا عاقبتك، فمضى أبو موسى، فأتى بمن سمع الحديث معه. والفرق بين الاذن في الدخول، وبين الدعاء إليه، أن الدعاء إليه، يدل على إرادة الداعي، وليس كذلك الاذن. وفي الدعاء رغبة الداعي أو المدعو، وليس كذلك الاذن وقوله " ذلكم خير لكم " يعني الاستئذان خير لكم من تركه، لتذكروا في ذلك، فلا تهجموا على العورات. وقوله " فإن لم تجدوا فيها أحدا " يعني ان لم تعلموا في البيوت أحدا يأذن لكم في الدخول " فلا تدخلوها " لأنه ربما كان فيما مالا يجوز أن تطلعوا عليه إلا بعد أن يأذن أربابها في ذلك، يقال: وجد إذا علم.

(١) سورة ٢٤ النور آية ٥٩

(٢) سورة ٤ النساء آية ٥

وقوله (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي لا تدخلوا إذا قيل لكم: لا تدخلوا، فان ذلك (أزكى لكم) أي أظهر (والله بما تعملون علیم) أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها.

ثم قال (ليس عليكم جناح) أي حرج وإثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) أي منافع. وقيل: في معنى هذه البيوت أربعة أقوال: أحدها - قال قتادة: هي الخانات، فان فيها استمتعا لكم من جهة نزولها، لا من جهة الأثاث الذي لكم فيها.

والثاني - قال محمد بن الحنفية: هي الخانات التي تكون في الطرق مسبلة. ومعنى (غير مسكونة) أي لا ساكن لها معروف.

والثالث - قال عطاء: هي الخرابات للغائط والبول.

والرابع - قال ابن زيد: هي بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس.

وقال قوم: هي بيوت مكة. وقال مجاهد: هي مناخات الناس في أسفارهم يرتفقون بها. وقال قوم: هي جميع ذلك حملوه على عمومته لان الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يجوز من العورة. وهو الأقوى، لأنه أعم فائدة.

وقوله (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي لا يخفى عليه ما تظهرونه، ولا ما تكتمونه، لأنه عالم بجميع ذلك.

ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال (قل) يا محمد (للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عن عورات النساء وما يحرم النظر إليه. وقيل: العورة من النساء ما عدا الوجه والكفين والقدمين، فأمرُوا بغض البصر عن عوراتهن، ودخلت (من) لابتداء الغاية. ويجوز أن تكون للتبعض، والمعنى أن يطرق وإن لم يغمض. وقيل: العورة من الرجل العانة إلى مستغلظ الفخذ من أعلى الركبة، وهو العورة من الإماء، قالوا:

ويدل على أن الوجه والكفين والقدمين ليس من العورة من الحرة، ان لها كشف ذلك في الصلاة، وإذا كانت محرمة مثل ذلك، بالاجماع، والقدمان فيهما خلاف. وقوله (ويحفظوا فروجهم) أمر من الله تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام، وعن إبدائها حيث ترى فإنهم متى فعلوا ذلك كان أزكى لأعمالهم عند الله وإن الله خبير بما يعملون ويصنعون أي عالم بما يعملونه أي على أي وجه يعملونه. وقال مجاهد: قوله (فإن لم تجدوا فيها أحدا) معناه فإن لم يكن لكم فيها متاع، فلا تدخلوها إلا باذن، فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، وهذا بعيد، لان لفظة (أحد) لا يعبر بها إلا عن الناس، ولا يعبر بها عن المتاع. قوله تعالى:

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا آية المؤمنون لعلكم تفلحون) (٣١) آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر (غير أولي الإربة) نصبا.
الباقون بالجر. وقرأ ابن عامر (أيه المؤمنون) بضم الهاء، ومثله (يا أيه الساحر) (١)
و (أيه الثقلان) (٢). الباقيون (أيها) بفتح الهاء مع الألف فيها. وكلهم وقف
بلا ألف إلا الكسائي، وأهل البصرة والزبيبي من طريق العطار، والمالكي، فإنهم
وقفوا بألف.

قال أبو علي: الوقف بالألف أجود، لأنها سقطت في الوصل لاجتماع الساكنين.
لما أمر الله تعالى الرجال المؤمنين في الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات
النساء، وأمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات في هذه الآية
أيضا من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، وما لا يحل النظر إليه.
وأمرهن أن يحفظن فروجهن إلا عن أزواجهن على ما أباحه الله لهن، ويحفظن أيضا
أظهارها بحيث ينظر إليها، ونهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها. قال ابن
عباس: يعني القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعضد والمنحر، فإنه يجوز لها
إظهار ذلك لغير الزوج، فاما الشعر فلا يجوز أن تبديه إلا لزوجها.
والزينة المنهي عن إبدائها زينتان، فالظاهرة الثياب، والخفية الخلخال،
والقرطان والسوار - في قول ابن مسعود - وقال إبراهيم: الظاهر الذي أبيح
الثياب فقط. وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن الذي أبيح الكحل والخاتم
والحذاء والخضاب في الكف. وقال قتادة: الحذاء والسوار والخاتم. وقال عطاء:
الكفان والوجه. وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال قوم: كلما ليس بعورة يجوز
أظهاره. واجمعوا أن الوجه والكفين ليسا بعورة، لجواز أظهارها في الصلاة،
والأحوط قول ابن مسعود، والحسن بعده.

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٤٩

(٢) سورة ٥٥ الرحمن آية ٣١

وقوله " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خمر، وقال الجبائي: هي المقانع.

ثم كرر النهي عن اظهار الزينة تأكيدا وتغليظا واستثنى من ذلك: الأزواج وآباء النساء. وإن علوا، وآباء الأزواج وأبنائهم، أو اخوانهن وبني اخوانهن أو بني أخواتهن، أو نسائهن يعني نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله " أو ما ملكت أيمانهن " أي ما الإمام - في قول ابن جريج - فإنه لا بأس باظهار الزينة لهؤلاء المذكورين، لأنهم محارم.

وقوله " أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال " قال ابن عباس: هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في النساء، وهو الأبله. وبه قال قتادة وسعيد بن جبير وعطاء. وقال مجاهد: هو الطفل الذي لا أرب له في النساء لصغره. وقيل: هو العنين، ذكره عكرمة، والشعبي. وقيل: هو المجبوب. وقيل: هو الشيخ الهم.

والإربة الحاجة، وهي فعلة من الإرب، كالمشية من المشي، والجلسة من الجلوس. وقد أربت لكذا أرب له أربا إذا احتجت إليه، ومنه الإربة - بضم الألف - العقدة، لأن ما يحتاج إليه من الأمور يقتضي العقدة عليه، ولأن الحاجة كالعقدة حتى تنحل بسد الخلة، ولأن العقدة التي تمنع من المنفعة يحتاج إلى حلها، ولأن العقدة عمدة الحاجة.

وقوله " أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء " يعني الصغار الذين لم يراهقوا، فإنه يجوز إبداء الزينة لهم.

وقوله " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن " معناه لا تضرب امرأة برجلها، ليعلم صوت الخلخال في رجلها، كما كان يفعل نساء أهل الجاهلية. وذلك

يدل على أن إظهار الخلخال لا يجوز.
ثم أمر الله تعالى المكلفين، فقال " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " أي لتفوزوا بثواب الجنة.

ومن نصب (غير) يجوز أن يكون على الاستثناء، ويجوز أن يكون على الحال. ومن كسر جعله نعتا لـ " التابعين، غير " وإن لم يوصف به المعارف، وإنما المراد بـ (التابعين) ليس بمعين. وابن عامر إنما ضم الهاء ووقف بلا ألف في (أيه) اتباعا للمصحف. قال أبو علي: وقراءته ضعيفة، لأن آخر الاسم هو الياء الثانية في أي، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم ولا يجوز ضم الهاء، كما لا يجوز ضم الميم في قوله " اللهم " ولأنه آخر الكلام، وها للتنبيه، فلا يجوز حذف الألف بحال. قوله تعالى:

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم
إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢)
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله
والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم
فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي آتيكم ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن
يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) (٣٣) آيتان
بلا خلاف.

هذا خطاب من الله للمكلفين من الرجال يأمرهم الله تعالى أن يزوجوا الأيامي اللواتي لهم عليهن ولاية، وأن يزوجوا الصالحين المستورين الذين يفعلون الطاعات من المماليك والإماء إذا كانوا ملكا لهم، والأيامى جمع (أيم) وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا. ويقال للرجل الذي لا زوجة له: أيم أيضا ووزن أيم (فيعل) بمعنى (فعليل) فجمعت كجمع يتيم ویتيمة ویتامى، وقال جميل: أحب الأيامى إذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا (١) ويجوز جمعه أيايم، ويقال: امرأة أيم وايمه إذا لم يكن لها زوج، قال الشاعر: فان تنكحي أنكح وإن تتأيمي * يدا الدهر ما لم تنكحي أتأيم (٢) وقال قوم: الأيم التي مات زوجها، ومنه قوله (عليه السلام): (والأيم أحق بنفسها) يعني الثيب. ومعنى أنكحوا زوجوا، يقال: نكح إذا تزوج، وأنكح غيره إذا زوجه. وقيل: ان الامر بتزويج الأيامى إذا أردن ذلك أمر فرض، والامر بتزويج الأمة إذا أرادت ندب، وكذلك العبد.

وقوله " ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم " معناه لا تمتنعوا من انكاح المرأة أو الرجل إذا كانوا صالحين، لأجل فقرهما، وقلة ذات أيديهما، فإنهم وإن كانوا كذلك، فان الله تعالى يغنيهم من فضله، فإنه تعالى واسع المقدور، كثير الفضل، عليم بأحوالهم وبما يصلحهم، فهو يعطيهم على قدر ذلك. وقال قوم: معناه إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنيهم الله بذلك عن الحرام. فعلى الأول تكون الآية خاصة في الأحرار. وعلى الثاني عامة في الأحرار، والمماليك.

وقوله " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله " أمر

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٨

(٢) لسان العرب (أيم) وتفسير الطبري ١٨ / ٨٨ والقرطبي ١٢ / ٢٤٠

من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج، بأن لا يجد طولا من المهر، ولا يقدر على القيام بما يلزمها من النفقة والكسوة، أن يتعفف، ولا يدخل في الفاحشة، ويصبر حتى يغنيه الله من فضله.

وقوله " والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم " معناه إن الإنسان إذا كانت له أمة أو عبد يطلب المكاتبه. وهي أن يقوم على نفسه وينجم عليه ليؤدي قيمة نفسه إلى سيده، فإنه يستحب للسيد أن يجيبه إلى ذلك ويساعده عليه لدلالة قوله تعالى " فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا " وهذا أمر ترغيب بلا خلاف عند الفقهاء. وقال عمرو بن دينار، وعطاء والطبري: هو واجب عليه إذا طلب. وصورة المكاتبه أن يقول الإنسان لعبده، أو أمته: قد كاتبتك على أن تعطيني كذا وكذا دينارا أو درهما في نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر، فيرضى العبد بذلك، ويكاتبه عليه ويشهد بذلك على نفسه، فمتى أدى ذلك، وهو مال الكتابة في النجوم التي سماها صار حرا، وإن عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده في الرق. وعندنا ينعق منه بحساب ما أدى ويبقى مملوكا بحساب ما بقي عليه إذا كانت الكتابة مطلقة، فإن كانت مشروطة بأنه متى عجز رده في الرق، فمتى عجز جاز له رده في الرق. و (الخير) الذي يعلم منه هو القوة على التكسب. وتحصيل ما يؤدي به مال الكتابة. وقال الحسن: معناه ان علمتم منهم صدقا. وقال ابن عباس وعطاء: ان علمتم لهم مالا. وقال ابن عمرو: ان علمتم فيهم قدرة على التكسب، قال: لأنه إذا لم يقدر على ذلك قال اطعمني (١) أو ساخ أيدي الناس، وبه قال سلمان.

(١) في المخطوطة (استطعم) بدل (قال اطعمني).

واختلفوا في الامر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك وعلم مولاه أن فيه خيرا. فقال عطاء: هو الفرض. وقال مالك، والثوري، وابن زيد: هو على النذب. وهو مذهبنا. وقوله " وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " أمر من الله تعالى أن يعطي السيد مكاتبه من ماله الذي أنعم الله عليه، بأن يحط شيئا منه. وروى عبد الرحمن السلمي عن علي (ع) أنه قال: يحط عنه ربع مال الكتابة. وقال سفیان أحب أن يعطيه الربع، أو أقل، وليس بواجب وقال ابن عباس وعطاء وقتادة: أمره بأن يضع عنه من مال الكتابة شيئا. وقال الحسن وإبراهيم: حثه الله تعالى على معونته. وقال قوم: المعنى آتوهم سهمهم من الصدقة الذي ذكره في قوله " وفي الرقاب " (١) ذكره ابن زيد عن أبيه، وهو مذهبنا. واختلفوا في الحط عنه، فقال قوم: هو واجب. وقال آخرون - وهو الصحيح - أنه مرغّب فيه.

وقوله " ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا " نهى عن إكراه الأمة على الزنا. قال جابر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، حين إكراه أمته مسيكة على الزنا، وهذا نهى عام لكل مكلف عن أن يكره أمته على الزنا طلبا لمهرها وكسبها. وقوله " ان أردن تحصنا " صورته صورة الشرط وليس بشرط وإنما ذكر لعظم الافحاش في الإكراه على ذلك. وقيل: إنها نزلت على سبب وقوع النهي عن المعنى على تلك الصفة. وقوله " ومن يكرههن " يعني على الفاحشة " فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم " أي لهن " غفور رحيم " ان وقع منها صغير في ذلك، والوزير على المكروه.

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦١

قوله تعالى:

ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا
من قبلكم وموعظة للمتقين (٣٤) الله نور السماوات والأرض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها
كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم (٣٥)
آيتان بلا خلاف.

قرأ " دري " مشددة، بضم الدال من غير همز، ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم. وقرأ - بكسر الدال والهمز - أبو عمرو، والكسائي. وقرأ
- بضم الدال والهمز - حمزة وعاصم، في رواية أبي بكر. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
" توقد " بفتح التاء والدال. وقرأ - بالياء مخففة مرفوعة مضموم الياء - نافع وابن
عامر وحفص عن عاصم والكسائي. - وقرأ - بضم التاء والدال مخففة مرفوعة - حمزة،
وأبو بكر عن عاصم.

فمن قرأ " دري " بكسر الدال، فهو من (درأت) اي رفعت. والكوكب
(دري) لسرعة رفعه في الانقضا، والجمع الدراري، وهي النجوم التي تجي
وتذهب. وقال قوم: هي أحد الخمسة المضيئة: زحل، والمشتري، والمريخ،
والزهرة، وعطارد.

ومن قرأ - بضم الدال - نسبه إلى الدر في صفائه وحسنه. ومن ضم الدال وهمز، فهو غير معروف عند أهل اللغة، لأنه ليس في الكلام (فعل) - ذكره الفراء - وقال أبو عبيدة: وجهه أن يكون - بفتح الدال - كأنه (فعل). قال سيبويه: ليس في الكلام (فعل) وإنما تكسر الفاء مثل (سكيت). وروى المفضل عن عاصم انه قرأ - بكسر الدال - من غير همز، ولا مد، ومعناه: انه جاز كالنجوم الدراري الجارية. مأخوذ من در الوادي إذا جرى،

ووجه قراءة ابن كثير في "توقد" أنه على (فعل) ماض، وضم الدال ابن محيصن أراد (تتوقد). ومن ضم الياء مثل نافع وابن عامر، رده على الكوكب. وقال الفراء: رده على المصباح. ومن ضم التاء والدال رده على الزجاجية. أقسم الله تعالى انها انزل "آيات" يعني دلالات "مبينات" يعني مفصلات، بينهن الله وفصلهن، فيمن قرأ - بفتح الياء - ومن كسر الياء: معناه ان هذه الآيات والحجج تبين المعاني وتظهر ما بطن فيها.

وقوله "ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين" معناه انه انزل إليكم اخبار من كان قبلكم من أمم الرسل، وجعل ذلك عبرا لنا. وقيل لتعبروا بذلك وتستدلوا به على ما يرضاه الله منكم فتفعلوه وعلى ما يسخطه فتتجنبوه. وقوله "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة" قيل في معناه قولان: أحدهما - ان الله هادي أهل السماوات والأرض - ذكره ابن عباس - في رواية، وأنس.

والثاني - انه منور السماوات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها - في رواية أخرى - عن ابن عباس، وقال أبو العالية والحسن مثل ذلك. ثم قال تعالى "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح" الهاء في قوله "نوره" قيل

إنها تعود على المؤمن، وتقديره مثل النور الذي في قلبه بهداية الله، وهو قول أبي ابن كعب والضحاك. وقال ابن عباس: هي عائدة على اسم الله، ومعناه مثل نور الله الذي يهدي به المؤمن. وقال الحسن: مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة. وقيل: مثل نوره وهو طاعته - في قول ابن عباس - في رواية: وقيل: مثل نور محمد صلى الله عليه وآله. وقال سعيد بن جبير: النور محمد، كأنه قال مثل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله

فالهاء كناية عن الله. والمشكاة الكوة التي لا منفذ لها - في قول ابن عباس وابن جريج - وقيل: هو مثل ضرب لقلب المؤمن، والمشكاة صدره، والمصباح القرآن، والزجاجة قلبه - في قول أبي ابن كعب، وقال: فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق. وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وهو مثل الكوة. وقال كعب الأحمري: المشكاة محمد صلى الله عليه وآله والمصباح قلبه، شبه صدر النبي بالكوكب الدري.

ثم رجع إلى المصباح أي قلبه شبهه بالمصباح كأنه في زجاجة و " الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ " أي يتبين للناس ولو لم يتلکم انه نبي. ومن قال " الله نور السماوات " يعني منورها بالشمس والقمر والنجوم، ينبغي ان يوجه ضرب المثل بالمشكاة على أن ذلك مثل ما في مقدوره، ثم تنبث الأنوار الكثيرة عنه.

ضرب الله تعالى المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة، وهي الكوة التي لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح، وهو السراج، ويكون المصباح في زجاجة، وتكون الزجاجة مثل الكوكب الدري - فمن ضم الدال - منسوب إلى الدر في صفائه ونوره. ومن كسر الدال شبهها بالكوكب في سرعة تدفعه بالانقضاء. ثم عاد إلى وصف المصباح، فقال " يوقد من شجرة مباركة زيتونة " أي

يشتعل من دهن شجرة مباركة، وهي الزيتون الشامية، قيل لان زيتون الشام ابرك. وقيل: وصفه بالبركة لان الزيتون يورق من أوله إلى آخره. وقوله " لا شرقية ولا غربية " قال ابن عباس - في رواية - معناه لا شرقية بشروق الشمس عليها فقط ولا غربية بغروبها عليها فقط، بل هي شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين، فهو أجود لزيتها. وقيل: معناه انها وسط البحر، روي ذلك عن ابن عباس أيضا. وقال قتادة: هي صاحبة للشمس، وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا " يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسه نار " اي زيتها من صفائه وحسنه يكاد يضيئ من غير أن تمسه نار وتشتعل فيه. وقال ابن عمر الشجرة إبراهيم (ع) والزجاجة التي كأنها كوكب دري محمد صلى الله عليه وآله. وقوله " نور على نور " قيل: معناه نور الهدى إلى توحيد، على نور الهدى بالبيان الذي اتى به من عنده. وقال زيد بن أسلم " نور على نور " معناه يضيئ بعضه بعضا. وقيل " نور على نور " معناه انه يتقلب في خمسة أنوار، فكلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومسيره نور إلى النور يوم القيامة إلى الجنة. وقال مجاهد: ضوء النار على ضوء النور على ضوء الزيت على ضوء المصباح على ضوء الزجاجة. وقوله " يهدي الله لنوره من يشاء " أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفا يختار عنده الايمان إذا علم أن له لطفا. وقيل: معناه يهدي الله لنبوته من يشاء، ممن يعلم أنه يصلح لها. وقيل: معناه " يهدي الله لنوره " اي يحكم بايمانه لمن يشاء، ممن آمن به. وقوله " ويضرب الله الأمثال للناس " معناه يضرب الله الأمثال للذين يفكرون فيها ويعتبرون بها " والله بكل شئ عليم " لا يخفى عليه خافية.

قوله تعالى:

(في بيوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب
والابصار (٣٧) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله
والله يرزق من يشاء بغير حساب) (٣٨) ثلاث آيات في الكوفي
والبصري تمام الآية الأولى " الآصال " وفي الباقي آيتان آخرهما
الابصار " و " حساب " .

قرأ ابن عامر وأبو بكر وابن شاهي عن حفص " يسبح " بفتح الباء. الباقيون بكسرهما،
فمن فتح الباء، وقرأ علي ما لم يسم فاعله احتملت قراءته في رفع (رجال) وجهين:
أحدهما - أن يكون الكلام قد تم عند قوله " والآصال " ثم قال " رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله " فالتجارة الجلب، والبيع ما يبيع الإنسان على يده.
والوجه الثاني - أن يرفع (رجال) باضمار فعل يفسره الأول، فيكون الكلام تاماً
عند قوله " والآصال " ثم يتدئ " رجال " بتقدير يسبحه رجال. وقال أبو علي:
يكون أقام الجار والمجرور مقام الفاعل، ثم فسر من يسبحه، فقال " رجال " أي
يسبحه رجال، ومنه قول الشاعر:

(٤٣٩)

ليبيك يزيد ضارع لخصومة (١)
كأنه قال ليبيك يزيد. قيل من يبيكيه؟ فقال: يبيكيه ضارع. وقال المبرد:
يجوز أن يكون يسبح نعتا للبيوت، وتقديره في بيوت اذن الله برفها وذكر اسمه ويسبح
له فيها رجال لا تلهيهم تجارة. ومن قرأ بكسر الباء - ورفع رجالا بفعلهم، فعلى هذه
القراءة لا يجوز الوقف إلا على " رجال " وعلى الأول على قوله " والآصال ".
والآصال جمع أصيل. وقرأ أبو محلم " الاصال " بكسر الألف جعله مصدرا.
وقوله " في بيوت اذن الله " قيل في العامل في (في) قولان:
أحدهما - (المصاييح) في بيوت، والعامل استقرار المصاييح، وهو قول
ابن زيد.

والثاني - توقد في بيوت، وهذه البيوت هي المساجد - في قول ابن عباس
والحسن ومجاهد - وقال عكرمة: هي سائر البيوت وقال الزجاج: يجوز أن تكون (في)
متصلة ويسبح ويكون فيها كقولك في الدار قام زيد فيها.
وقوله " اذن الله ان ترفع " قال مجاهد: معناه أذن الله أن تبني، وترفع
بالبناء، كما قال " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل " (٢) وقال الحسن:
معناه أن تعظم، لأنها مواضع الصلوات.
وقوله " ويذكر فيها اسمه " أي يذكر الله في هذه البيوت. وقيل تنزه من
النجاسات والمعاصي.
وقوله " يسبح له فيها بالغدو والآصال " قال ابن عباس: معناه يصلي له فيها
بالغداة والعشي، وهو قول الحسن والضحاك. وقال ابن عباس: كل تسبيح في
القرآن فهو صلاة.

(١) انظر ٤ / ٣١٠ تعليقة ٢ و ٦ / ٣٢٩

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٢٧

وقوله " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " أي لا تشغلهم ولا تصرفهم التجارة والبيع عن ذكر الله وتعظيمه.

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) انه تعالى مدح قوما إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم وبيعهم، واشتغلوا بالصلاة.

وقوله " واقام الصلاة وايتاء الزكاة " أي لا تصرفهم تجارتهم عن ذكر الله، وعن إقامة الصلاة، وحذف التاء لان الإضافة عوض عنها، لأنه لا يجوز أن تقول: أقمته إقاما، وإنما يجوز إقامة، والهاء عوض عن محذوف، لان أصله أقوام، فلما اضافته قامت الإضافة مقام الهاء " وايتاء الزكاة " أي ولا يصرفهم ذلك عن اعطاء الزكاة التي افترضها الله عليهم. وقال ابن عباس: الزكاة الطاعة لله وقال الحسن: هي الزكاة الواجبة في المال قال الشاعر (في حذف الهاء والعوض عنها بالإضافة).

إن الخليط أجد والبين فانجردوا* واخلفوك عدى الامر الذي وعدوا (١)

يريد عدة الامر فحذف الهاء لما أضاف.

وقوله تعالى " يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار " أي يخافون عذاب يوم أو أهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله، والابصار من شدة ما يعاينوه. وقيل تتقلب فيه القلوب ببلوغها الحناجر، وتقلب الابصار بالعمى بعد النظر وقال البلخي: معناه إن القلوب تنتقل من الشك الذي كانت عليه، إلى اليقين والایمان. وإن الابصار تتقلب عما كانت عليه، لأنها تشاهد من أهوال ذلك اليوم ما لم تعرفه، ومثله قوله " لقد كنت في غفلة من هذا " (٢) الآية. وقال الجبائي:

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٠٢ واللسان (وعد)

(٢) سورة ٥٠ ق آية ٢٢.

تتقلب القلوب والابصار عن هيئاتها بأنواع العقاب كتقلبها على الجمر.
وقوله " ليجزيهم الله أحسن ما عملوا " أي يفعلون ذلك طلبا لمجازاة الله
إياهم بأحسن ما عملوا من ثواب الجنة، ويزيدهم على ذلك من فضله وكرمه. ثم اخبر
تعالى انه " يرزق " على العمل بطاعته تفضلا منه تعالى " من يشاء بغير حساب "
والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب.
قوله تعالى:

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله
سريع الحساب (٣٩) أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج
يده لم يكدر يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٤٠)
آيتان بلا خلاف.

ثم اخبر تعالى عن أحوال الكفار، فقال والذين كفروا بتوحيد الله
واخلاص العبادة وجحدوا أنبياءه " أعمالهم " التي عملوها يعني التي يعتقدون أنها
طاعات وقربات " كسراب بقيعة " فالسراب شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض
نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والأرض - كالماء -
ضحوة النهار، والال يرفع الشخص فيه. وإنما قيل سراب، لأنه يتسرب أي يجري
كالماء و (قبيعة) جمع قاع، وهو المنبسط من الأرض الواسع. وفيه يكون السراب

ومثله جار وجيرة، ويجمع أيضا على (اقواع، وقيعان)، والشعاع بالقاع يتكثف فيرى كالماء، فإذا قرب منه صاحبه انفس كالضباب، فلم يرده شيئا، كما كان. وقال ابن عباس: القيعا الأرض المستوية. والمعنى: إن الكافر لم يجد شيئا على ما قدر. وقوله " ووجد الله عنده فوفاه حسابه " والمعنى ان الذي قدره من جزاء أعماله لا يجده، ويعلمه الله عند عمله فيوفيه جزاءه على سوء أفعاله. وقوله " والله سريع الحساب " أي سريع المجازاة، لان كل ما هو آت سريع قريب. وقال الجبائي:، لأنه تعالى يحاسب الجميع في وقت واحد، وذلك يدل على أنه لا يتكلم بآلة. وانه ليس بجسم، لأنه لو كان متكلمًا بآلة لما تأتى ذلك إلا في أزمان كثيرة.

ثم شبه الله تعالى أفعال الكافر بمثال آخر، فقال " أو كظلمات في بحر لحي " أي أفعاله مثل ظلمات، يعني ظلمة البحر وظلمة السحاب، وظلمة الليل، لان الكافر حاله ظلمة، واعتقاده ظلمة، ومصيره إلى ظلمة، وهو في النار يوم القيامة نعوذ بالله منها. وتلخيص الكلام أن اعمال هؤلاء الكفار كالسراب يحسبه الظمآن - من بعد - ماء يرويه حتى إذا دنى منه لم يجده شيئا أي حتى إذا مات لم يجد عمله شيئا لأنه بطل بكفره، ووجد الله عند عمله يجازيه عليه. ثم ضرب مثلا آخر فقال أو كظلمات يعني انه في حيرة من كفره مثل هذه الظلمات " ومن لم يجعل الله له نورا " في قلبه ويهديه به " فما له من نور " يهتدي به.

وقوله " في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض " مبالغة في تشبيه هذه الأفعال بالظلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى، ولجة البحر

معظمة، الذي تتراكب فيه أمواجه لا يرى ساحله. والظلمات مثل التحير، والتحير الجهل الذي يغشى القلب. وقوله " حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها " إنما قال لم يكد يراها مع أنه

بدون هذه الظلمات لا يراها، لان (كاد يراها) معناه قارب ان يراها، ولم يكد يراها
لم يقارب أن يراها، فهي نفي مقارنة الرؤية على الحقيقة. وقيل دخل (كاد)
بمعنى النفي كما يدخل الظن بمعنى اليقين، كأنه قال: يكفيه أن يكون على هذه المنزلة
فكيف أقصى المنازل. وقيل يراها بعد جهد وشدة، رؤية تخيل لصورتها. وقال الحسن
لم يكد يراها لم يقارب الرؤية قال الشاعر:
ما كدت اعرفه إلا بعد الإنكار
وقالوا كاد العروس يكون أميرا. وكاد النعام يطير. وقوله " ومن لم يجعل
الله له نورا، فما له من نور " معناه من لم يجعل الله له هداية إلى الرشده، فما له من
نور، أي فما له ما يفلح به على وجه من الوجوه. وقيل: من لم يجعل الله له نورا
يوم القيامة يهديه إلى الجنة، فما له من نور يهديه إليها.
وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه لا يصح
مع المعرفة الضرورية الحسابان.
قوله تعالى:

(ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (٤١)
ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير (٤٢) ألم تر أن الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج
من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من

يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار (٤٣)
يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (٤٤)
أربع آيات في البصري والكوفي وثلاث في غيرها. لأنهم لم يعدوا " بالابصار " آخر آية.

قرأ أبو جعفر المدني " يذهب بالابصار " بضم الياء. الباقون بفتحها. وقد مضى ذكر مثله.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله " ألم تر " يا محمد والمراد به جميع المكلفين

أي ألم تعلم أن الذي ذكره في الآية لا يرى بالابصار وإنما يعلم بالأدلة، " أن الله يسبح له من في السماوات والأرض " فالتسبيح التنزيه لله تعالى عن جميع ما لا يجوز عليه، ولا يليق به، فمن نفى عنه الصاحبة والولد، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، ومن نفى عنه أن يكون له شريك في ملكه أو عبادته، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، وكذلك من نفى عنه فعل القبيح، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه. وتسبيح من في السماوات والأرض إنما هو بما فيها من الدلالات على توحيده، ونفي الصاحبة عنه، ونفي تشبيهه بخلقه وتنزيهه عما لا يليق به، مما يدل على ذلك ويدعو إليه، كأنه المسبح له.

وقوله " والطير صافات " معناه وتسبحه الطير صافات في حال اصطفاها في الهواء، لأنها إذا صفت أجنحتها في الهواء وتمكنت من ذلك كان في ذلك دلالة وعبرة على أن ممكنها من ذلك لا يشبه شيئا من المخلوقات.
وقوله " كل قد علم صلاته وتسبيحه " معناه: إن جميع ذلك قد علم الله تعالى

صلاته، يعني دعاءه إلى توحيده، وتسبيحه، وتنزيهه عما لا يليق به. وقال مجاهد: الصلاة للانسان، والتسبيح لكل شئ. وقيل: كل قد علم صلاته أي صلاة نفسه، وتسبيح نفسه، فيكون الضمير في علم ل (كل)، وعلى الأول يعود على اسم الله، والأول أجود، لأن هذه الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها غير الله. وإنما الله تعالى عالم بذلك، ويقويه قوله " والله عليم بما يفعلون " أي عالم بأفعالهم، لا يخفى عليه شئ منها، فيجازيهم بحسبها.

ثم اخبر تعالى فقال " ولله ملك السماوات والأرض "، والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير، فملك السماوات والأرض لا يصح إلا لله وحده لا شريك له، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام غيره، وليس مما يصح أن يملكه العبد، لأنه لا يمكنه أن يصرفه أتم التصريف، فالملك التام، لا يصح الا لله تعالى. وقوله " والى الله المصير " اي إليه المرجع يوم القيامة، إلى ثوابه أو عقابه. ثم قال " ألم تر " اي ألم تعلم (ان الله يزجي سحابا) أي يسوق سحابا إلى حيث يريد، ومنه زجا الخراج إذا انساق إلى أهله وازجاه فلان أي ساقه " ثم يؤلف بينه " أي بين بعضه وبعض، لان لفظ سحاب جمع، واحده سحابة، وهو كقولهم: جلس بين النخل، لان لفظ بين لا تستعمل إلا في شيئين فصاعدا.

وقوله " ثم يجعله ركاما " وهو المتراكب بعضه فوق بعض " فترى الودق " يعني المطر، يقال: ودقت السحابة، تدق ودقا إذا أمطرت قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها* ولا ارض اقبل إبقالها (١)

" يخرج من خلاله " فالخلال جمع خلل. وقوله " وينزل من السماء من جبال فيها من برد " معنى (من) الأولى، لا ابتداء الغاية، لان (من السماء) ابتداء

(١) مر تخريجه في ١ / ٢١٦ و ٥ / ٣٦١

الانزال بالمطر، والثانية للتبعيض، لان البرد بعض الجبال التي في السماء، والثالثة لتبيين الجنس، لان جنس الجبال جنس البرد. وقيل في السماء جبال برد مخلوقة في السماء. وقال البلخي: يجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها. وقيل السماء هو السحاب، لان كل ما علا مطبقا فهو سماء. وقال الفراء: يجوز أن يكون المراد وينزل من السماء قدر جبال من برد، كما تقول: عندي بيتان من تبين أي قدر بيتين. وقال الحسن: في السماء جبال برد، وقيل المعنى: قدر جبال يجعل منها بردا على ما حكيناه عن الفراء.

وقوله " فيصيب به " يعني بذلك البرد " فيصيب به من يشاء " ان يهلك أو يهلك ماله " ويصرفه عمن يشاء " على حسب اقتضاء المصلحة. وقوله " يكاد سنا برقه " أي ضياء البرق، فسنا البرق مقصور، وسناء المجد ممدود. وقال ابن عباس وابن زيد: يعني ضوء برقه يكاد يختطف الابصار. وقال قتادة: لمعان برقه.

وقوله " يقلب الله الليل والنهار " يعني يجيء بالنهار عقيب الليل، وبالليل عقيب النهار. وقيل: يزيد من هذا في ذاك وينقص من ذاك في هذا " ان في ذلك لعبرة " اي دلالة (لأولي الأبصار) يعني ذوي العقول الذين يبصرون بقولهم. وفي الآية دلالة على وجوب النظر، وفساد التقليد، لأنه تعالى مدح المعتبرين بعقولهم بما نبه من الدلالات والآيات الدالة على توحيده وعدله وغير ذلك. قوله تعالى

(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله

ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) (٤٥) آية بلا خلاف.
قرا حمزة والكسائي وخلف (والله خالق) على وزن (فاعل). الباقيون
(خلق) على فعل ماض. من قرأ (خالق) فلقوله (خالق كل شيء) (١) ومن
قرأ خلق، فلانه فعل ذلك فيما مضى، ولقوله (ألم تر ان الله خلق السماوات) (٢)
وقوله (خلق كل شيء فقدره تقديرا) (٣).

اخبر الله تعالى انه خالق كل شيء يدب من الحيوان من ماء. ثم فصله فقال
منهم من يمشي على بطنه كالحياة والسمك والدود، وغير ذلك. ومنهم من يمشي
على رجلين كالطير وابن آدم، وغير ذلك، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم
والسباع وغير ذلك. ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع، لأنه كالذي يمشي على
أربع في مرءى العين، فترك ذكره، لان العبرة تكفي بذكر الأربع. وقال البلخي:
لان عند الفلاسفة أن ما زاد على الأربع لا يعتمد عليها. واعتماده على الأربع فقط،
وإنما قال (من ماء) لان أصل الخلق من ماء، ثم قلب إلى النار، فخلق الجن منه،
وإلى الريح فخلق الملائكة منه، ثم إلى الطين فخلق آدم (ع). ودليل أن أصل الحيوان
كله الماء قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٤) وإنما قال منهم تغليبا
لما يعقل على ما لا يعقل إذا اختلط في خلق كل دابة. وقيل (من ماء) أي من
نطفة، ذكره الحسن، وجعل قوله (كل دابة) خاصا، فيمن خلق من نطفة.
وقوله (يخلق الله ما يشاء) أي يخترع ما يشاء، وينشئه من الحيوان،

(١) سورة ٤٠ المؤمن آية ٦٢ وسورة ٦ الانعام آية ١٠٢ وسورة ١٣ الرعد آية ١٨

(٢) سورة ١٤ إبراهيم آية ١٩

(٣) سورة ٢٥ الفرقان آية ٢

(٤) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٠

وغيره (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ يريد. قوله تعالى:

(لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٤٦) ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٧) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

اقسم الله تعالى في هذه الآية انه انزل (آيات مبينات) أي دلالات واضحات تظهر بها المعاني، وتتميز، مما خالفها حتى تعلم مفصلة. ومن كسر الياء، جعلها من المبينة المظهرة مجازاً، من حيث يتبين بها، فكأنها المبينة. وقوله (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) معناه والله يلطف لمن يشاء بما يعلم أنه يهتدي عنده (إلى صراط مستقيم) واضح: من توحيده وعد له وصدق أنبيائه. والهداية الدلالة التي يهتدي بها صاحبها إلى الرشد، وقد تطلق على ما يصح أن يهتدى بها، كما قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على

الهدى) (١) لان المراد في الآية اللطف على ما قلناه. وقال الجبائي: قوله (يهدي من يشاء) يعني المكلفين دون من ليس بمكلف، ويجوز أن يكون المراد هدايتهم في الآخرة إلى طريق الجنة، والصراط المستقيم الايمان لأنه يؤدي إلى الجنة. وقوله (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) قيل إنها نزلت في صفة المنافقين، لأنهم يقولون بألسنتهم: آمنا بالله وصدقنا رسوله، فإذا انصرفوا إلى أصحابهم قالوا خلاف ذلك، فأخبر الله تعالى أن هؤلاء ليسوا بمؤمنين على الحقيقة. ثم اخبر عن حال هؤلاء فقال: " وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم " في شئ يختلفون فيه " إذا فريق منهم " يعني المنافقين " معرضون " عن ذلك. ولا يختارونه، لأنه يكون الحق عليهم. ثم قال " وإن يكن لهم الحق " وتتوجه لهم الحكومة " يأتوا إليه " يعني إلى النبي صلى الله عليه وآله

منقادين " مدعين " والاذعان هو الانقياد من غير اكراه، فهؤلاء المنافقون إذا دعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليحكم بينهم في شئ اختلفوا فيه، امتنعوا ظلماً، لأنفسهم،

وكفروا بنبيهم، ففضحهم الله بما أظهر من جهلهم ونفاقهم. وقيل إنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف. وقيل إنها نزلت في علي (ع) ورجل من بني أمية دعاه علي إلى رسول الله، ودعاه الأموي إلى اليهود، وكان بينهما منازعة في ماء وأرض. وحكى البلخي انه كانت بين علي (ع) وعثمان منازعة في أرض اشتراها من علي، فخرجت فيها أحجار، وأراد ردها بالعيب، فلم يأخذها، فقال بيني وبينك رسول الله، فقال الحكم ابن أبي العاص ان حاكمته إلى ابن عمه حكم له، فلا تحاكمه إليه، فأنزل الله الآية.

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٧

ثم قال تعالى منكرًا عليهم " أفي قلوبهم مرض " أي شك في قلوبهم، وسمي الشك مرضًا، لأنه آفة تصد القلب عن ادراك الحق، كالأفة في البصر تصد عن ادراك الشخص، وإنما جاء على لفظ الاستفهام، والمراد به الإنكار، لأنه أشد في الذم والتوبيخ أي ان هذا كفر، قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينة، كما جاز في نقيضه على طريق الاستفهام، لأنه أشد مبالغة في المدح، كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح (١)

فقال الله تعالى " أفي قلوبهم مرض " أي شك في النبي " أم ارتابوا " بقوله وبحكمه (أم يخافون أن يحيف الله ورسوله عليهم) أي يجور عليهم، والحيف الجور بنقض الحق، ويحيف عليهم: يظلمهم، لأنه لا وجه للامتناع عن المجئ إلا أحد هذه الثلاثة. ثم اخبر تعالى فقال: ليس لشيء من ذلك، بل لأنهم الظالمون نفوسهم وغيرهم، والمانعون لهم حقوقهم، وإنما افرد قوله (ليحكم بينهم) بعد قوله (إلى الله ورسوله)، لأنه حكم واحد يوقعه النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله. قوله تعالى:

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (٥٢) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون (٥٣) قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

(١) قائله جرير، ديوانه (دار بيروت) ٧٧

فان تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٥٤) أربع آيات بلا خلاف قرأ أبو بكر وأبو عمرو (ويتقه) ساكنة القاف. لان الهاء لما اختلطت بالفعل وصارت مزدوجة ثقلت الكلمة، فخففت بالاسكان. وقيل: انهم توهّموا أن الجزم واقع عليها. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وورش (ويتقهي) بكسر الهاء لمجاورة القاف المكسورة، وبعد الهاء ياء. وروى قالون باختلاس الحركة، وهو الأجود عند النحويين، لان الأصل يتقيه باختلاس الحركة، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلصة، كما كانت. وروى حفص باسكان القاف وكسر الهاء، لأنه كره الكسرة في القاف واسكنها تخفيفاً، كما قال الشاعر: عجت لمولود وليس له أب * ومن والد لم يلد له أبوان (١) ويجوز أن يكون أسكن القاف والهاء ساكنة، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، ولان من العرب من يقول لم يتق مجزوم القاف بعد حذف الياء. لما اخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله في الحكم بينهم فيما يتنازعون فيه، فإنهم عند ذلك يعرضون عن ذلك، ولا يجيبون إليه، أخبر أن المؤمنين بخلافهم وانهم إذا قيل لهم تعالوا (إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) ينبغي (ان يقولوا) في الجواب عن ذلك (سمعنا وأطعنا) أي قبلنا هذا القول وانقذنا إليه وأجبنا إلى حكم الله ورسوله. ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأنهم (هم الفائزون) الذين فازوا بثواب الله وكريم نعمه. وعن أبي جعفر (ع) أن المعني بالآية أمير المؤمنين (ع) وصفه

(١) مر تخريجه في ٧ / ٤

بخلاف ما وصف خصمه الذي ذكره في الآية الأولى.
ثم قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله) بأن يفعل ما أمره به ويأمر به إليه
(ويخشى الله ويتقاه) بأن يخاف عقابه، فيجتنب معاصيه، فإن من هذه صفته من
الفائزين. و (الفوز) اخذ الحظ الجزيل من الخير، تقول: فاز يفوز فوزاً، فهو
فائز. وسميت المهلكة مفازة تفاقلاً، فكأنه قيل: منجاة.
ثم أخبر تعالى عن جماعة من المنافقين بأنهم " أقسموا بالله جهد أيمانهم " أي
حلفوا به أغلظ أيمانهم، وقدر طاقتهم " لئن امرتهم " يا محمد بالخروج " ليخرجن "
يعني إلى الغزو، فقال الله تعالى لهم " لا تقسموا " أي لا تحلفوا " طاعة معروفة "
وقيل: في معناه قولان:
أحدهما - هذه طاعة معروفة منكم يعني بالقول دون الاعتقاد. أي إنكم تكذبون
ذكره مجاهد.

والثاني - طاعة وقول معروف أمثل من هذا القسم، والقول المعروف هو
المعروف صحته. فإن ذلك خير لكم من هذا الحلف.
ثم أخبر تعالى بأنه " خير " أي عالم " بما تعملون " لا يخفى عليه شيء على
أي وجه توقعون أفعالكم، فيجازيكم بحسبها. وفي ذلك تهديد. ثم قال " فإن تولوا
فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم " أي تتولوا، فحذفت التاء، وليس كقوله " فإن
تولوا فإنما هم في شقاق " (١) لأن الأول مجزوم، وهو للمخاطبين، لأنه قال " وعليكم
ما حملتم " ولو كان لغير المخاطبين، لقال وعليهم، كما قال " فإن تولوا فإنما هم في
شقاق "

وكان يكون في موضع نصب لأنه بمنزلة قولك: فإن قاموا، والجزاء يصلح فيها لفظ
المستقبل والماضي من (فعل يفعل) كما قال (فإن فاقوا فإن الله) (٢). وقوله (فإن

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٣٧

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٦

تولوا فإنما هم في شقاق) في موضع نصب ذكره الفراء، وقوله (فإنما عليه) يعني على المتولي جزاء ما حمل أي كلف، فإنه يجازى على قدر ذلك، وعليكم جزاء ما كلفتم إذا خالفتم (وإن تطيعوه تهتدوا) يعني ان أطعتم رسوله تهتدوا. ثم أخبر أنه ليس (على الرسول إلا البلاغ) الظاهر والقبول يتعلق بكم، ولا يلزمه عهده، ولا يقبل منكم اعتذار تركه بامتناع غيره. قوله تعالى:

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٥٥) آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم (وليبدلنهم) بالتخفيف. الباقر بالتشديد. وقرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء على ما لم يسم فاعله. الباقر بفتحها. قال أبو علي: الوجه فتح التاء، لأن اسم الله قد تقدم ذكره، والضمير في (يستخلفنهم) يعود إلى الاسم، فكذلك قوله (كما استخلف) لأن المعنى ليستخلفنهم استخلافاً كاستخلافه الذين من قبلهم. ومن ضم التاء ذهب إلى أن المراد به مثل المراد بالفتح. في هذه الآية وعد من الله تعالى للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وعملوا

الصالحات، بأن يستخلفهم في الأرض، ومعناه يورثهم أرض المشركين من العرب والعجم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعني بني إسرائيل بأرض الشام بعد اهلاك الجابرة بأن أورثهم ديارهم وجعلهم سكانها. وقال الجبائي: (استخلف الذين من قبلهم) يعني في زمن داود وسليمان. وقال النقاش: يريد بالأرض أرض مكة، لأن المهاجرين سألوا ذلك، والأول قول المقداد بن الأسود، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله

أنه قال: (لا يبقى على الأرض بيت مدر، ولا وبر إلا ويدخله الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل). وفي ذلك دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنه أخبر عن غيب وقع مخبره على ما أخبر، وذلك لا يعلمه إلا الله تعالى (وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني يمكنهم من إظهار الاسلام الذي ارتضاه ديناً لهم (وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً) أي نصرهم بعد أن كانوا خائفين بمكة وقت غلبة المشركين آمنين بقوة الاسلام وانبساطه. ثم أخبر عن المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعبدون الله تعالى وحده لا يشركون بعبادته سواه من الأصنام والأوثان وغيرهما. ويجوز أن يكون موضعه الحال. ويجوز أن يكون مستأنفاً.

ثم قال (ومن كفر بعد ذلك) يعني بعد الذي قصصنا عليك ووعدناهم به (فأولئك هم الفاسقون) وإنما ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق، لاحد أمرين:

أحدهما - انه أراد الخارجين في كفرهم إلى أفحشه، لان الفسق في كل شئ هو الخروج إلى اكبره.

الثاني - أراد من كفر تلك النعمة بالفساد بعدها، فسق وليس يعني الكفر بالله، ذكره أبو العالية.

والتبديل - تغيير حال إلى حال أخرى، تقول: بدل صورته تبديلاً، وتبدل تبدلاً، والاببدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه، قال أبو النجم:
عزل الأمير بالأمير المبدل (١)

والتبديل رفع الحال إلى حال أخرى. والاببدال رفع النفس إلى نفس أخرى.
والأصل واحد، وهو البذل.

واستدل الجبائي، ومن تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بأن قال: الاستخلاف المذكور في الآية لم يكن إلا لهؤلاء، لأن التمكين المذكور في الآية إنما حصل في أيام أبي بكر وعمر، لأن الفتوح كانت في أيامهم، فأبو بكر فتح بلاد العرب وطرفاً من بلاد العجم، وعمر فتح مدينتي كسرى إلى حد خراسان وسجستان وغيرهما، فإذا كان التمكين والاستخلاف ههنا ليس هو إلا لهؤلاء الأئمة الأربعة. وأصحابهم علمنا أنهم محقون.

والكلام على ذلك من وجوه:

أحدها - أن الاستخلاف - ههنا - ليس هو الامارة والخلافة. بل المعنى هو ابقاؤهم في أثر من مضى من القرون، وجعلهم عوضاً منهم وخلفاء، كما قال " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض " (٢) وقال " عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض " (٣) وقال " وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء " (٤) وكقوله " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة " (٥) أي جعل كل واحد منهما خلف صاحبه، وإذا ثبت ذلك، فالاستخلاف والتمكين الذي ذكره الله

(١) قد مر تخريجه في ٧ / ٧٩

(٢) سورة ٣٥ فاطر آية ٣٩

(٣) سورة ٧ الأعراف آية ١٢٨

(٤) سورة ٦ الانعام آية ١٣٣

(٥) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٢

في الآية، كانا في أيام النبي صلى الله عليه وآله حين قمع الله أعداءه وأعلا كلمته ونشر ولايته،

واظهر دعوته، وأكمل دينه، ونعوذ بالله أن نقول: لم يمكن الله دينه لنبيه في حياته حتى تلا في ذلك متلاف بعده، وليس ذلك التمكين كثرة الفتوح والغلبة على البلدان، لأن ذلك يوجب أن دين الله لم يتمكن بعد إلى يومنا هذا لعلمنا ببقاء ممالك للكفر كثيرة لم يفتحها المسلمون، ويلزم على ذلك إمامة معاوية وبني أمية، لأنهم تمكنوا أكثر من تمكن أبي بكر وعمر، وفتحوا بلادا لم يفتحوها.

ولو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الإمامة للزم أن يكون منصوبا عليهم، وذلك ليس بمذهب أكثر مخالفينا، وإن استدلووا بذلك على صحة إمامتهم احتاجوا أن يدلوا على ثبوت امامتهم بغير الآية، وانهم خلفاء الرسول حتى تتناولهم الآية. فان قالوا: المفسرون ذكروا ذلك.

قلنا: لم يذكر جميع المفسرين ذلك، فان مجاهدا قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وآله. وعن ابن عباس وغيره: قريب من ذلك.

وقال أهل البيت (ع) إن المراد بذلك المهدي (ع) لأنه يظهر بعد الخوف، ويتمكن بعد إن كان مغلوبا، فليس في ذلك اجماع المفسرين. وهذا أول ما فيه. قد استوفينا ما يتعلق بالآية في كتاب الإمامة، فلا نطول بذكره - ههنا - وقد تكلمنا على نظير هذه الآية، وإن ذلك ليس بطعن على واحد منهم، وإنما المراد الممانعة من أن يكون فيها دلالة على الإمامة، وكيف يكون ذلك. ولو صح ما قالوه لما احتيج إلى اختياره، ولكان منصوبا عليه، وليس ذلك مذهبا لأكثر العلماء، فصح ما قلناه.

قوله تعالى:

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (٥٦) لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأويهم النار ولبئس المصير) (٥٧) آيتان بلا خلاف.

قرأ حفص وابن عامر وحمزة " لا يحسبن " بالياء. الباقر بالتاء. فمن قرأ - بالياء - فموضع (الذين) رفع. ومن قرأ - بالتاء - فموضعه نصب، و (معجزين) المفعول الثاني، والمفعول الثاني لمن قرأ - بالياء - قوله " في الأرض ". وقال أبو علي: المفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، وتقديره: ولا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين. وقال الأخفش: من قرأ - بالياء - يجوز أن يكون (الذين) في موضع نصب، على تقدير لا يحسبن محمد الذين، فيكون محمد الفاعل. أمر الله تعالى في الآية الأولى جميع المكلفين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين أوجبهما عليهم وان يطيعوا الرسول فيما يأمرهم به ويدعوهم إليه، ليرحموا جزاء على ذلك، ويثابوا بالنعم الجزيلة.

ثم قال " لا تحسبن " يا محمد أي لا تظنن " الذين كفروا معجزين في الأرض " أي لا يفوتوني. ومن قرأ - بالياء - قال تقديره: لا يظنن من كفر أنه يفوتني، ويعجزني أي مكان ذهب في الأرض.

ثم أخبر تعالى: ان مأوى الكافرين ومستقرهم النار، عقوبة لهم على كفرهم وانها بئس المرجع وبئس المستقر والمأوى. وإنما وصفها بذلك لما ينال الصائر إليها من العذاب والآلام والشدائد، وإن كانت من فعل الله وحكمته صوابا.

قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (٥٨) وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم (٥٩) والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم (٦٠) ثلاث آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة إلا حفصا " ثلاث عورات " بفتح الشاء. الباكون بالرفع. قال أبو علي النحوي: من رفع، فعلى أنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره هذه ثلاث عورات، لأنه لما قال " الذين ملك أيمانكم، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات " وفصل الثلاث بقوله " من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء " صار كأنه قال: هذه ثلاث عورات، فاجمل بعد التفصيل. ومن

نصب جعله بدلا من قوله " ثلاث مرات " وإنما أبدل " ثلاث عورات " وليس بزمان من (ثلاث مرات) وهي زمان، لأنه مشتمل على زمان من حيث إن التقدير: أوقات ثلاث عورات، فلما حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه.

و (العورات) جمع عورة، وحكم ما كان على وزن (فعلة) من الأسماء أن تحرك العين منه، نحو صفحة وصفحات، وجفنة وجفنتات إلا أن عامة العرب يكرهون تحريك العين فيما كان عينه واوا أو ياء، لأنه كان يلزمه الانقلاب إلى الألف، فاسكنوا لذلك، فقالوا عورات وجوزات وبيضات. وقرأ الأعمش - بفتح الواو - من (عورات) ووجهه ما حكاه المبرد أن هذيانا يقولون في جمع جوزة وعورة ولوزة: جوزات، وعورات، ولوزات، فيحركون العين فيها، وأنشد بعضهم:

أبو بيضات رائح متأوب * رفيق بمسح المنكبين سبوح (١)

فحرك الياء من بيضات، والأجود عند النحويين ما ذكرناه.

هذه الآية متوجهة إلى المؤمنين بالله المقرين برسوله، يقول الله لهم: مروا عبداكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم. وقال ابن عباس وأبو عبد الرحمن: الآية في النساء والرجال من العبيد. وقال ابن عمر: هي في الرجال خاصة. وقال الجبائي: الاستئذان واجب لي كل بالغ في كل حال، ويجب على الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر هذه الآية. وقال قوم: في ذلك دلالة على أنه يجوز أن يؤمر الصبي الذي يعقل، لأنه أمره بالاستئذان. وقال آخرون: ذلك أمر للآباء أن يأخذوا الأولاد بذلك، فظاهر الآية يدل على وجوب الاستئذان ثلاث مرات في ثلاث أوقات من ساعات الليل والنهار. ثم فسر الأوقات فقال " من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء " الآخرة

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٣٠٥ واللسان (بيض)

لان الغالب على الناس أن يتعروا في خلواتهم في هذه الأوقات ذكره مجاهد. ثم بين أنه ليس عليكم ولا عليهم جناح فيما بعد ذلك من الأوقات أن يدخلوا عليكم من غير اذن، يعني في الذين لم يبلغوا الحلم، وهو المراد بقوله "طوافون عليكم بعضكم على بعض" ثم قال: مثل ما بين لكم هذه العورات بين الله لكم الدلالات على الاحكام "والله عليم" بما يصلحكم "حكيم" فيما ذكره وغيره من أفعاله. ثم قال "وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم" يعني يرتفع من دخوله بغير اذن إذا بلغ، وصار حكمه حكم الرجال في وجوب الاستئذان على كل حال. ثم قال مثل ما بين لكم هذا بين لكم أدلته "والله عليم حكيم" ثم قال "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا" يعني المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج، لأنه لا يرغب في تزويجهن. وقيل: هن اللاتي ارتفع حيضهن، وقعدن على ذلك، اللاتي لا يطمعن في النكاح أي لا يطمعن في جماعهن لكبرهن "فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن" قيل هو القناع الذي فوق الخمار وهو الجلباب، والرداء الذي يكون فوق الشعار. وفي قراءة أهل البيت (ع) "ان يضعن من ثيابهن" وبه قرأ أبي.

وقوله "غير متبرجات بزينة" أي لا تقصد بوضع الجلباب اظهار محاسنها، وما ينبغي لها أن تستره. والتبرج إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره. ثم اخبر تعالى أن الاستعفاف عن طرح الجلباب خير لهن في دينهن "والله سميع" لأقوالكم "عليم" بما تضررونه "حليم" عليكم لا يعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم. وإنما ذكر القواعد من النساء، لان الشابة يلزمها من التستر أكثر مما يلزم العجوز، ومع ذلك فلا يجوز للعجوز أن تبدي عورة لغير محرم، كالساق والشعر والذراع.

قوله تعالى:

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) (٦١) آية بلا خلاف.

يقول الله تعالى انه " ليس على الأعمى حرج " وهو الذي كف بصره " ولا على الأعرج حرج " وهو الذي يعرج من رجله أو إحداهما " ولا على المريض حرج " وهو الذي يكون عليلا، والرجل الضيق في الدين، مشتق من الحرجة، وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه. وخرج فلان إذا أثم. وخرج من كذا إذا تأثم من فعله.

نفى الله الحرج عن هؤلاء لما يقتضيه حالهم من الآفات التي بهم مما تضيق على غيرهم. واختلفوا في تأويل ذلك، فقال الحسن وابن زيد والجبائي: ليس عليهم حرج في التحلف عن الجهاد، ويكون قوله " ولا على أنفسكم " كلاما مستأنفا. وقال

ابن عباس: ليس من مؤاكلتهم حرج، لأنهم كانوا يتخرجون من ذلك. قال
الفراء: كانت الأنصار تتخرج من ذلك، لأنهم كانوا يقولون: الأعمى لا يبصر
فتأكل جيد الطعام دونه ويأكل رديئة. والأعرج لا يتمكن من الجلوس. والمريض
يضعف عن المأكل. وقال مجاهد: ليس عليكم في الأكل من بيوت من سمي على جهة
حمل قراباتهم إليهم يستتبعونهم في ذلك حرج. وقال الزهري: ليس عليهم حرج في
أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيه بأذنهم. وقيل: كان المخلف في المنزل المأذون
له في الأكل يتخرج، لئلا يزيد على مقدار المأذون له فيه. وقال الجبائي: الآية منسوخة
بقوله " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين
أنه " (١) ويقول النبي صلى الله عليه وآله (لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه)
والذي روي عن أهل البيت (ع): انه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم
الله بغير اذنهم، قدر حاجتهم من غير اسراف.
وقوله " ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم " قال الفراء: لما نزل قوله
" لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة " (٢) ترك الناس مؤكلة
الصغير والكبير ممن أذن الله تعالى في الأكل معه، فقال تعالى وليس عليكم في
أنفسكم، وفي عيالكم حرج أن تأكلوا منهم ومعهم إلى قوله " أو صديقكم " أي
بيوت صديقكم " أو ما ملكتم مفاتحه " أي بيوت عبيدكم وأموالهم. وقال ابن
عباس: معنى ما ملكتم مفاتحه هو الوكيل وما جرى مجراه. وقال مجاهد والضحاك:
هو ما ملكه الرجل نفسه في بيته. وواحد المفاتيح مفتاح - بكسر الميم - وفي المصدر
(مفتح) بفتح الميم. وقال قتادة: معنى قوله " أو صديقكم " لأنه لا بأس في الأكل
من بيت صديقه بغير اذنه.

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٥٣

(٢) سورة ٤ النساء آية ٢٨

وقوله " ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا " قيل: يدخل فيه أصحاب الآفات على التغليب للمخاطب كقولهم: أنت وزيد قمتما، ولا يقولون قاما. وقال ابن عباس: معناه لا بأس ان يأكل الغني مع الفقير في بيته. وقال ابن عباس والضحاك: هي في قوم من العرب كان الرجل منهم يتخرج أن يأكل وحده. وقال ابن جريج: كانوا من كنانة. وقال أبو صالح: كانوا إذا نزل بهم ضيف تخرجوا أن يأكلوا معه، فأباح الله الاكل منفردا ومجتمعاً. والأولى حمل ذلك على عمومته، وانه يجوز الاكل وحدانا وجماعاً.

وقوله " فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم " قال الحسن: معناه ليسلم بعضكم على بعض. وقال إبراهيم: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقال قوم: أراد بالبيوت المساجد. والأولى حملة على عمومته. فاما رد السلام، فهو واجب على المسلمين. وقال الحسن: يجب الرد على المعاهد، ولا يقول الراد ورحمة الله.

وقوله تعالى " تحية من عند الله مباركة طيبة " يعني هذا السلام تحيون به تحية من عند الله مباركة طيبة، لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم. ثم قال كما يبين الله لكم هذه الأحكام والآداب " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " أي يبين الله لكم الأدلة على جميع الأحكام، وجميع ما يتعبدكم به لتعقلوا ذلك، وتعملوا بموجبه.

قوله تعالى

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك

أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم (٦٢) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤) ثلاث آيات بلا خلاف يقول الله تعالى ليس المؤمنون على الحقيقة إلا "الذين آمنوا بالله" أي صدقوا بتوحيده وعدله، وأقروا بصدق رسوله وإذا كانوا مع رسوله "على أمر جامع" وهو الذي يقتضي الاجتماع عليه والتعاون فيه: من حضور حرب أو مشورة في أمر، أو في صلاة جمعة، وما أشبه ذلك، لم ينصرفوا عن رسوله أو عن ذلك الأمر، إلا بعد أن يأذن لهم الرسول في الانصراف متى طلبوا الاذن من قبله. والاستئذان طلب الاذن من الغير.

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله "إن الذين يستأذنوك" يا محمد، فهم الذين يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة، دون الذين ينصرفون بلا استئذان. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله أيضا متى ما استأذنوك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم "فأذن لمن شئت منهم" فخيره بين أن يأذن وألا يأذن، وهكذا

حكم الامام. وقوله " واستغفر لهم الله " أي اطلب لهم المغفرة من الله. واستغفار النبي صلى الله عليه وآله هو دعاؤه لهم باللطف الذي تقع معه المغفرة " إن الله غفور رحيم

أي سائر لذنوبهم منعم عليهم. ثم أمر المكلفين فقال تعالى " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا " وقيل في معناه قولان: أحدهما - احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره، ذكره ابن عباس. والثاني - قال مجاهد وقتادة: ادعوه بالخضوع والتعظيم، وقولوا له " يا رسول الله، يا نبي الله، ولا تقولوا: يا محمد، كما تقول بعضكم لبعض. وقوله " قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذا " معناه إذا تسلل واحد منكم من عند النبي صلى الله عليه وآله فإن الله عالم به. وقال الحسن: معنى " لوذا " فرارا من

الجهاد. قال الفراء: كان المنافقون يحضرون مع النبي الجمعة، فإذا نزلت آية فيها ذم للمنافقين ضجروا، وطلبوا غره (١) واستتر بعضهم ببعض، يقال: لا وذت بفلان ملاوذة، ولوذا. قال الزجاج: الملاوذة المخالفة، ولذت به ألوذ لياذا. ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله " فليحذر الذين يخالفون عن أمره " وإنما دخلت (عن) في قوله " عن أمره " لأن المعنى يعرضون عن أمره. وفي ذلك دلالة على أن أوامر النبي صلى الله عليه وآله على الإيجاب، لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر من مخالفته، وليس المخالف هو ان يفعل خلاف ما أمره فقط، لأن ذلك ضرب من المخالفة. وقد يكون مخالفاً بآلا يفعل ما أمره به. ولو كان الأمر على الندب لجاز

(١) معناه طلبوا اختصار الحديث أي طيه على غره

تركه، وفعل خلافه.
وقوله " أن تصيبهم فتنة " أي فليحذروا من أن تصيبهم فتنة: أي بلية
تظهر ما في قلوبهم من النفاق. والفتنة شدة في الدين تخرج ما في الضمير " أو يصيبهم
عذاب اليم " في الآخرة جزاء على خلافهم الرسول. ويجوز أن يكون المراد: أن
تصيبهم عقوبة في الدنيا، أو يصيبهم عذاب مؤلم في الآخرة. وقيل: معناه " أن
تصيبهم فتنة " أي قبل أن يصيبهم عذاب في الآخرة. وقوله " ألا إن لله ما في
السموات والأرض " المعنى أن له ملك ما في السموات والأرض، والتصرف في
جميع ذلك، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه، ولا يجوز مخالفة أمر رسوله، ولا يخالف
أمره، لأن الهاء في قوله " عن أمره " يحتمل أن تكون راجعة إلى الرسول ويحتمل
أن تكون راجعة إلى الله، وقد مضى ذكرهما قبلها. ثم بين أنه " يعلم ما أنتم عليه "
من الإيمان والنفاق، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم لا سرا ولا علانية.
وقوله " ويوم يرجعون إليه " أي يوم يردون إليه يعني يوم القيامة، الذي
لا يملك فيه أحد شيئا سواه. ومن ضم الياء: أراد يردون. ومن فتحها نسب الرجوع
إليهم. وقوله " فينبئهم بما عملوه " أي يعلمهم جميع ما عملوه من الطاعات والمعاصي
ويوافيهم عليها. " والله بكل شيء عليم " لا يخفى عليه شيء من ذلك الذي عملوه
سرا وجهرا.

٢٥ - سورة الفرقان

قال مجاهد وقتادة: هي مكية. وقال ابن عباس نزلت ثلاث آيات منها بالمدينة من قوله " والذين لا يدعون مع الله إلها آخر " إلى قوله " رحيمًا " عدد آياتها سبع وسبعون آية ليس فيها خلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

نذيرا (١) الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (٢) واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (٣) وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة

(٤٦٩)

وأصيلا (٥) قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا (٦) ست آيات.

معنى تبارك: تقدس وجل، بما لم يزل عليه من الصفات، ولا يزال كذلك، ولا يشاركه فيها غيره. وأصله من بروك الطير على الماء، فكأنه قال: ثبت فيما لم يزل ولا يزال الذي نزل الفرقان على عبده. وقال ابن عباس: تبارك (تفاعل) من البركة، فكأنه قال ثبت بكل بركة أو حل بكل بركة. وقال الحسن: معناه الذي تجيء البركة من قبله، والبركة الخير الكثير. والفرقان هو القرآن، سمي فرقانا لأنه يفرق به بين الصواب والخطأ، والحق والباطل في أمور الدين، بما فيه من الوعظ والزجر عن القبائح والحث على أفعال الخير.

ثم بين تعالى أنه إنما نزل هذا القرآن، وغرضه أن يكون نذيرا للعالمين، أي مخوفا وداعيا لهم إلى رشدهم، وصارفا لهم عن غيهم وضلالتهم، يقال: أنذره إنذارا إذا دعاه إلى الخير، بأن يخوفه من تركه: إذا كان غافلا عنه، وقال ابن زيد: النذير هو النبي صلى الله عليه وآله. وقال آخرون: هو القرآن.

ثم وصف تعالى (الذي نزل الفرقان) بأنه (الذي له ملك السماوات والأرض) والتصرف فيهما، بسعة مقدورة بسياستها. وأنه (لم يتخذ ولدا) كما يدعيه النصارى في أن المسيح ابن الله، ويزعم جماعة من العرب أن الملائكة بنات الله. وأنه ليس له شريك في الملك، بل هو المالك لجميع ذلك وحده، وأنه (خلق كل شيء) وقيل في معناه قولان: أحدهما - أن كل شيء يطلق عليه اسم مخلوق، فإنه خلقه، لأن أفعالنا لا يطلق عليها اسم الخلق حقيقة، لأن الخلق يفيد الاختراع، وإنما يسمونا بذلك مجازا.

والثاني - انه لا يعتد بما يخلقه العبد في جنب ما خلقه الله، لكثرة ذلك وقلة ما يخلقه العبد.

ويحتمل أن يكون المراد قدر كل شيء، لان أفعال العباد مقدره لله، من حيث بين ما يستحق عليها فاعلها من الثواب والعقاب أولا يستحق شيئا من ذلك. ويقوي ذلك قوله (فقدرة تقديره) لان المعنى فيه، وكل شيء على مقدار حاجتهم إليه وصلاحه لهم.

ثم اخبر تعالى عن الكفار، فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) من الأصنام والأوثان، ووجهوا عبادتهم إليها من دون الله. ثم وصف آلهتهم بما ينبئ أنها لا تستحق العبادة، بأن قال (لا يخلقون شيئا) ولا يقدرون عليه، وهم مع ذلك مخلوقون، ومصرفون، وانهم (لا يملكون) أي لا يقدرون (لأنفسهم) على ضر ولا على نفع (ولا يملكون) أي لا يقدرون على موت، ولا على حياة، ولا على بعث بعد الموت. والنشور هو البعث بعد الموت، يقال: نشر الميت، فهو ناشر نشورا، وانشره الله انشارا، ومنه قوله (ثم إذا شاء أنشره) (١) وجميع ذلك يختص الله بالقدرة عليه، والعبادة تستحق بذلك، لأنها أصول النعم، ثم أخبر عن الكفار بأنهم يقولون: ليس هذا القرآن الذي أنزلناه (إلا إفك) يعني كذب افتعله النبي صلى الله عليه وآله (واعانه عليه قوم آخرون) قال الحسن: قالوا أعانه عليه عبد حبشي يعني الحضرمي. وقال مجاهد: قالوا أعانه عليه اليهود. ثم حكى تعالى عنهم بأنهم قالوا ذلك و (جاؤوا) في هذا القول (ظلما وزورا) أي جاؤوا بظلم، فلما حذف الباء نصبه أي انهم أضافوه إلى غير من صدر عنه، وكذبوا فيه.

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٢٢

وحكى عنهم انهم قالوا أيضا: هذا القرآن (أساطير الأولين) ورفع (أساطير) بأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره هذا أساطير الأولين. قال ابن عباس: الذي قال ذلك النضر بن الحارث بن كلدة، يعني اخبار قد سطرها الأولون من الأمم اكتتبها هو، وانتسخها (فهي تملئ عليه) حتى ينسخها (بكرة وأصيلا) يعني غداة وعشيا. والأصيل العشي، لأنه أصل الليل وأوله. ومعناه: إنه يقرأ عليه على هوى النفس، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لهم، تكذبا لقولهم (قل أنزله)

يعني القرآن (الذي يعلم السر) يعني الخفايا (في السماوات والأرض) والمعنى انه أنزله على ما يعلم من المصلحة وبواطن الأمور وخفاياها، لا على ما تقتضيه أهواء النفوس وشهواتها. وقال الجبائي: السر - ههنا - الغيب. والسر اخفاء المعنى في القلب أسر إليه إسرارا أي ألقى إليه ما يخفيه في قلبه، وساره مسارة وسرارا: إذا اخفى ما يليق به إليه من السر عن غيره.

وقوله (انه كان غفورا) معناه الذي يعلم السر في السماوات والأرض لا يعاجلهم بالعقوبة، بل يستر عليهم، وهكذا كان على من تقدم من الكفار والعصاة (رحيما) أي منعما عليهم.

قوله تعالى:

(وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا (٧) أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٨) أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون

سبيلا (٩) تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) (١٠) أربع آيات. قرأ حمزة والكسائي (نأكل) بالنون. الباقر بالياء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم (ويجعل لك قصورا) بالرفع. الباقر بالجزم. من قرأ (يأكل) بالياء أراد النبي صلى الله عليه وآله فإنهم كرهوا أن يكون نبي من قبل الله يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وقالوا: هلا كان معه ملك؟ فيكون معه معيناً مخوفاً لعباده (وداعياً) لهم. ومن قرأ بالنون أراد: نأكل نحن، فيكون له بذلك مزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته. ومن جزم (ويجعل) عطفه على موضع (جعل) لأن موضع (جعل) جزم، لأنه جزاء الشرط، فعطف (ويجعل) على الموضع كما قرأ من قرأ قوله (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم) (١) بالجزم ومن رفع استأنفه وقطعه عن الأول، كمن قرأ (ويذرهم) بالرفع.

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم أنهم قالوا أي شيء " لهذا الرسول يأكل الطعام " كما نأكل " ويمشي في الأسواق " في طلب المعاش، كما نمشي " لولا أنزل إليه " ومعناه هلا أنزل الله عليه ملكاً إن كان صادقا، فيكون معيناً له على الإنذار والتخويف. وإن لم ينزل إليه ملك، هلا " يلقى إليه كنز " يستغني به ويكون عوناً له على دنياه وما يريده " أو تكون له جنة " أي بستان " يأكل منها " هو نفسه. ومن قرأ - بالنون - أراد نأكل نحن معه، ونتبعه.

ثم حكى: ان الظالمين نفوسهم بارتكاب المعاصي والكفر، قالوا لا تبعهم ومن سمع منهم (إن تتبعون) أي ليس تتبعون إن تبعتموه (الا رجلا مسحورا) وقيل

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٨٥.

إنما يخاطبون بذلك المؤمنين المقرين بنبوته، ليصرفوهم عنه. ومعنى (مسحورا) انه قد سحر. والسحر ما خفي سببه حتى يظن أنه معجز. فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله (انظر)

كيف ضربوا لك الأمثال) يعني الأشباه، لأنهم قالوا تارة: هو مسحور. وتارة مثله بالمحتاج المتروك، حتى تمنوا له الكثر. وتارة بأنه ناقص عن القيام بالأمور، وكل ذلك جهل منهم وذهاب عن وجه الصواب. فقال الله تعالى (فضلوا) بضرب هذه الأمثال عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) معناه لا يستطيعون طريقا إلى الحق، مع تمسكهم بطريق الجهل وعدولهم عن الداعي إلى الرشد. وقيل معناه (لا يستطيعون سبيلا) إلى ابطال امرك.

ثم قال تعالى (تبارك الذي) أي تقدس وتعظم الله الذي (ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) يعني مما قالوه - في قول مجاهد - ثم فسر (ذلك) فقال الذي هو خير مما قالوه (جنات تجري من تحتها الأنهار. ويجعل لك قصورا) وهو جمع قصر، وهو البيت المشيد المبني - في قول مجاهد - وسمي القصر قصرا، لأنه يقصر من فيه عن أن يوصل إليه. ومن جزم "يجعل" عطفا على موضع (جعل)، لأنه جواب الشرط. ومن رفع استأنف. وكان يجوز النصب على الظرف (١). قوله تعالى:

(بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (١١)
إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (١٢) وإذا ألقوا
منا مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) لا تدعوا اليوم

(١) يقصد بالظرف (واو المعية)

ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١٤) قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا (١٥) لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا (١٦) ست آيات.

يقول الله تعالى مخبرا عن حال هؤلاء الكفار الذين وصفهم وذكرهم بأنهم كفروا بالله وجحدوا البعث والنشور، أنهم لم يكفروا لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، بل لأنهم لم يقرؤا بالبعث والنشور، والثواب والعقاب، وهو معنى قوله " بل كذبوا بالساعة " يعني بالقيامة، وما فيها من الثواب والعقاب.

ثم اخبر تعالى انه أعد " لمن كذب بالساعة سعيرا " و (اعتدنا) أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء، لقرب مخرجهما. و (السعير) النار الملتهبة، يقال: أسعرتها اسعارا، واستعرت استعارا، وتسعرت تسعرا، وسعرها الله تسعيرا. والأسعار تهيج النار بشدة الايقاد.

ثم وصف تلك النار المستعرة، فقال " إذا رأتهم من مكان بعيد " ونسب الرؤية إلى النار - وإنما هم يرونها - لان ذلك أبلغ، كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظا، فهم يرونها على تلك الصفة، ويسمعون منها تلك الحال الهائلة. و (التغيظ) انتفاض الطبع لشدة نفور النفس. والمعنى صوت التغيظ من التلهب والتوقد. وقال الجبائي: معناه " إذا رأتهم " الملائكة الموكلون بالنار " سمعوا لها " للملائكة " تغيظا وزفيرا " للحرص على عذابهم. وهذا عدول عن ظاهر الكلام مع حسن ظاهره وبلاغته من غير حاجة داعية ولا دلالة صارفة. وإنما شبهت النار بمن له تلك الحال، وذلك في نهاية البلاغة.

وقوله " وإذا ألقوا " يعني الكفار " منها " يعني من النار " مكانا ضيقا " أي

في مكان ضيق " مقرنين " قيل: معناه مغللين، قد قرنت أعناقهم إلى أيديهم في الأغلال، كما قال " مقرنين في الأصفاد " (١) وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل والأغلال. وقيل يقرن الانسان والشيطان الذي كان يدعوهم إلى الضلال " دعوا هنالك " يعني في ذلك الموضع، يدعون " ثبورا " قال ابن عباس: الثبور الويل، وقال الضحاك: هو الهلاك. وقيل: أصله الهلاك من قولهم ثبر الرجل إذا هلك. قال ابن الزبيري.

إذا جاري الشيطان في سنن ال * غي فمن مال ميله مثور (٢)
ويقال: ما ثبرك عن هذا الامر ما صرفك عنه صرف المهلك عنه، فيقولوا: وا إنصرفاه عن طاعة الله. وقيل: واهلاكاه. فقال الله تعالى انه يقال لهم عند ذلك " لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا " أي لا تدعوا ويلا واحدا، بل ادعوا ويلا كثيرا. والمعنى إن ذلك لا ينفعكم سواء دعوتهم بالويل قليلا أو كثيرا. ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " لهم يا محمد " أذلك خير " يعني ما ذكره من السعير وأوصافه خير " أم جنة الخلد " وإنما قال ذلك على وجه التنبيه لهم على تفاوت ما بين الحالين. وإنما قال " إذ لك خير أم جنة الخلد " وليس في النار خير، لأن المراد بذلك أي المنزلين خير؟! تبكتا لهم وتقريعا. وقوله " التي وعد المتقون " أي وعد الله بهذه الجنة من يتقي معاصيه ويخاف عقابه " كانت لهم جزاء ومصيرا " يعني الجنة مكافأة وثوابا على طاعاتهم، ومرجعهم إليها ومستقرهم فيها، و " لهم فيها ما يشاؤون " ويشتهون
من اللذات والمنافع " خالدين " أي مؤبدين لا يفنون فيها " كان على ربك وعدا مسؤولا " وقيل في معناه قولان:

(١) سورة ١٤ إبراهيم آية ٤٩ وسورة ٣٨ ص آية ٣٨

(٢) مر تخريجه في ٦ / ٥٢٨

أحدهما - ان المؤمنين يسألون الله عز وجل الرحمة في قولهم " ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا " (١) وقولهم: (وآتتنا ما وعدتنا على رسلك) (٢).
والثاني - انه بمنزلة قولك: لك ما تمنيت مني أي متى تمنيت شيئا فهو لك،
فكذلك متى سألوا شيئا، فهو لهم بوعدهم الله (عز وجل) إياهم.
وقرأ ابن كثير (ضيقا) بتخفيف الياء. الباقيون بالتشديد، وهما لغتان
بالتشديد والتخفيف، مثل سيد وسيد، وميت وميت. وقيل: ذلك هو الوعد المسول
في دار الدنيا.
قوله تعالى:

(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ء أنتم
أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١٧) قالوا سبحانه
ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم
وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (١٨) فقد كذبوكم
بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا * ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا (١٩) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون
وكان ربك بصيرا) (٢٠) اربع آيات.

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ١١٠

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٩٤

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحفص ويعقوب (ويوم يحشرهم) بالياء. الباقون بالنون. وقرأ ابن عامر (فنقول) بالنون. الباقون بالياء. وقرأ أبو جعفر (ان نتخذ) بضم النون وفتح الخاء. الباقون بفتح النون وكسر الخاء. وقرأ حفص (فما تستطيعون) بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ (يحشرهم) بالياء فتقديره: قل يا محمد يوم يحشرهم الله ويحشر الأصنام التي يعبدونها من دون الله. قال قوم: حشر الأصنام افناءها. وقال آخرون يحشرها كما يحشر سائر الحيوان ليبكت من جعلها آلهة.

ومن قرأ بالنون أراد: ان الله المخبر بذلك عن نفسه وابن عامر جعل المعطوف مثل المعطوف عليه في أنه حمله على أنه إخبار من الله. ومن قرأ الأولى بالنون والثانية بالياء عدل من الإخبار عن الله إلى الإخبار عن الغائب.

يقول الله تعالى (ويوم يحشرهم) يعني هؤلاء الكفار الجاحدين للبعث والنشور ويحشر (ما يعبدون من دون الله) قال مجاهد: يعني عيسى وعزير. وقال قوم: هو كل ما عبده من دون الله ليبكتوا بذلك (فيقول) أي فيقول الله لهم (أنتم أضللتم عبادي هؤلاء) يعني الكفار أي يقول الله للذين عبدوهم أنتم الذين دعوتهم الكفار إلى عبادتكم، فأجابوكم (أم هم ضلوا السبيل) من قبل نفوسهم عن طريق الحق وأخطأوا طريق الصواب؟؟ فيجيب المعبودون بما حكاها الله فيقولون: (سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) ندعوهم إلى عبادتنا.

ومن ضم النون أراد: لم يكن لنا ان نتخذ أولياء من دونك، وضعف هذه القراءة النحويون. فقالوا: لان (من) هذه تدخل في الاسم دون الخبر، نحو ما علمت من رجل راكبا. ولا تقول: ما علمت رجلا من راكب. وقال الزجاج: لا يجوز ذلك

كما لا يجوز في قوله (فما منكم من أحد عنه حاجزين) (١) ما أحد عنه منكم من حاجزين.

وقال الفراء يجوز ذلك على ضعف، ووجهه أن يجعل الاسم في (من أولياء)، وإن كانت وقعت موقع الفعل (وقوله (ما كان ينبغي لنا)، (كان) زائدة، والتقدير: ما ينبغي لنا - ذكره أبو عبيدة - وهذا لا يحتاج إليه، لأن هذا إخبار عنهم يوم القيامة أنهم يقولون: " ما كان ينبغي لنا " في دار الدنيا ان نتخذ أولياء من دونك) (٢) وقوله " ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا " تمام الحكاية عما يقول المعبودون من دون الله، فإنهم يقولون يا ربنا انك متعت هؤلاء الكفار ومتعت آباءهم في نعيم الدنيا " حتى نسوا الذكر " أي ذكرك " وكانوا قوما بورا " أي هلكى فاسدين. والبور الفاسد، ويقال: بارت السلعة تبور بورا إذا بقيت لا تشتري بقاء الفاسد الذي لا يراد. والبائر الباقي على هذه الصفة. والبور مصدر كالزور، لا يشى ولا يجمع ولا يؤنث. وقيل هو جمع (بائر) قال ابن الزبيري: يا رسول الملوك إن لساني * راتق ما فتقت إذا أنا بور (٣) ونعوذ بالله من بوار الاثم. وقوله " فقد كذبوكم بما تقولون " قيل في معناه قولان:

أحدهما - كذبكم الملائكة والرسول، في قول مجاهد.
والثاني - قال ابن زيد: أيها المؤمنون كذبكم المشركون بما تقولون: عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وغيره من أنبياء الله.
قال الفراء: من قرأ بالياء معناه كذبوكم بقولهم. وقوله " فما تستطيعون صرفا

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٤٧

(٢) ما بين القوسين كان في المطبوعة مؤخرا عن موضعه.

(٣) انظر ٦ / ٢٤٩ من هذا الكتاب.

ولا نصرا " قال مجاهد: يعني بذلك، فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف العذاب عن أنفسهم، ولا نصر أنفسهم من عذاب الله تعالى. وقيل: معناه فما يستطيعون لك يا محمد صرفا عن الحق، ولا نصر أنفسهم من البلاء الذي هم فيه، من التكذيب لك. وليس: ما يستطيعون نصرا من بعض لبعض. ومن قرأ - بالتاء - خاطبهم بذلك بتقدير قل لهم.

ثم قال تعالى " ومن يظلم منكم " نفسه بارتكاب المعاصي وجحد آيات الله " صرفه " في مقابلة ذلك جزاء عليه " عذابا كبيرا " أي عظيما. ثم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وآله فقال " وما أرسلنا قبلك " يا محمد " من المرسلين

إلا أنهم ليأكلون الطعام " مثلك " ويمشون في الأسواق " طلبا للمعاش، كما تطلبها (؟؟؟)، وهو جواب لقولهم " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق " (١) وكسرت (إن) في قول " إلا أنهم " لأنه موضع ابتداء، كأنه قال: إلا هم يأكلون الطعام، كما تقول: ما قدم علينا أمير إلا إنه مكرم لي، ولا يجوز أن تكون مكسورة لاحتلام، لأن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع. وقال قوم (من) محذوفة والتقدير إلا من أنهم ليأكلون الطعام نحو " وما منا إلا له مقام معلوم " (٢) أي إلا من له مقام معلوم، ذكره الفراء. وقال الزجاج: هذا لا يجوز، لأن قوله " أنهم ليأكلوا الطعام " صلة (من) ولا يجوز حذف الموصول وبقاء الصلة، ومثل الآية قول الشاعر: ما أعطياني ولا سألتهما * إلا وأني لحاجز كرمي (٣) وقوله " وجعلنا بعضكم لبعض فتنة " قال الحسن: معناه يقول هذا الأعمى: لو شاء لجعلني بصيرا مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء لجعلني غنيا مثل فلان

(١) سورة الفرقان آية ٧

(٢) سورة الصافات آية ١٦٤

(٣) البيت في مجمع البيان ٤ / ١٦٣

ويقول هذا السقيم: لو شاء لأصحنى مثل فلان.
وقوله " وكان ربك بصيرا " أي بصيرا بمن يصبر ممن يجزع، في قول ابن جريج. وقال الفراء: كان الشريف إذا أراد أن يسلم، وقد سبق المشروف إلى الاسلام، فيقول: أسلم بعد هذا؟! فكان ذلك فتنة. وقيل " وجعلنا بعضكم لبعض فتنة " للعداوات التي كانت بينهم في الدين. والفتنة شدة في التعبد تظهر ما في نفس العبد من خير وشر، وهي الاختبار. وأصله اخلاص الشئ باحراق ما فيه من الفساد من قولهم: فتنن الذهب بالنار إذا أخلصته من الغش باحراقه، ومنه قوله " يومهم على النار " يفتنون " (١) أي يحرقون إحراق ما يطلب اخلاصه من الفساد. وقوله " أتصبرون وكان ربك بصيرا " معناه اصبروا فقد عرفت ما وعد الصابرون به من الثواب، والله بصير بمن يصبر ومن يجزع.
قوله تعالى:

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا (٢١) يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا (٢٢) وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢٣) أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (٢٤) ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (٢٥) خمس آيات. حكى الله تعالى عن الكفار الذين لا يرجون لقاء ثواب الله، ولا يخافون عقابه

(١) سورة ٥١ الذاريات آية ١٣.

أنهم قالوا ما ذكره. والرجاء ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه، تقول: رجا يرجو رجاء وارتجى ارتجاء، وترجى ترجيا، ومثل الرجاء الطمع والأمل. والمعنى لا يرجون لقاء جزائنا، وإذا استعملوا الرجاء مع النفي أرادوا به الخوف، كقوله " لا ترجون لله وقارا " (١) وهي لغة تهامة وهذيل. واللقاء المصير إلى الشيء من غير حائل ولهذا صح لقاء الجزاء من الثواب والعقاب، لان العباد يصيرون إليه في الآخرة وعلى هذا يصلح أن يقال: لا بد من لقاء الله تعالى.

وقوله " لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا " معناه هلا أنزل الملائكة لتخبرنا بأن محمد نبي " أو نرى ربنا " فيخبرنا بذلك. قال الجبائي: وذلك يدل على أنهم كانوا مجسمة، فلذلك جوزوا الرؤية على الله التي تقتضي التشبيه.

ثم اقسم تعالى فقال " لقد استكبروا " بهذا القول " في أنفسهم " أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق، تقول: استكبر استكبارا " وعتوا " بذلك أي طغوا به " عتوا كبيرا " والعتو الخروج إلى أفحش الظلم.

وقوله " يرم يرون الملائكة " يجوز أن يكون المراد به اليوم الذي تقبض فيه أرواحهم، ويعلمون أين مستقرهم. ويجوز أن يكون يوم القيامة " لا بشرى يومئذ للمجرمين " أي لا بشرى لهم في ذلك اليوم. قال الفراء: ليس (اليوم) من صلة (بشرى) ولا منصوبا به، بل أضمرت (الفاء) كقولك: أما اليوم، فلا مال لك.

وقال الزجاج: يجوز على تقدير لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة، ويكون (يومئذ) مؤكدا ل (يوم)، ولا يكون منصوبا ب (لا بشرى) لان ما يتصل ب (لا) لا يعمل فيما قبلها، لكن لما قيل: " لا بشرى للمجرمين " بين في أي يوم ذلك فكأنه قال يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة، وهو يوم القيامة و (المجرمين) معناه

(١) سورة ٧١ نوح آية ١٣

الذين أجرموا وارتكبوا المعاصي " ويقولون حجرا محجورا " حراما محرما. وقال قتادة، والضحاك: هو من قول الملائكة يقولون لهم: حراما محرما عليكم البشرى. وقال مجاهد وابن جريج: هو من قول المجرمين، كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل، قالوا " حجرا محجورا " أي حراما محرما دماؤنا. وأصل الحجر الضيق، يقال: حجر عليه يحجر حجرا إذا ضيق. والحجر الحرام لضيقه بالنهي عنه، قال المتلمس:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاريس (١)
وقال آخر:

فهممت أن ألقى إليها محجرا * ولمثلها يلقي إليه المحجر (٢)
أي حراما. ومنه حجر القاضي عليه يحجر. وحجر فلان على أهله. ومنه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه، لتضييقه بالنهي عنه وقوله " لذي حجر " (٣) أي لذي عقل، لما فيه من التضييق في القبيح، والحجر الأنثى من الخيل، ومنه الحجرة، وحجر الإنسان.

وقوله " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " قال البلخي: معناه قدم أحكامنا بذلك. وقال مجاهد: معنى " قدمنا " عمدنا قال الراجز: وقدم الخوارج الضلال * إلى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال (٤)

وفي الكلام بلاغة حسنة، لأن التقدير: كان قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه، ما لم يكن رآه قبل فيغيره. والهباء غبار كالشعاع، لا يمكن القبض عليه

(١) أنظر ٤ / ٣١٣ تعليقة ١ من هذا الكتاب.

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ٢

(٣) سورة الفجر آية ٥

(٤) تفسير القرطبي ١٣ / ٢١ والطبري ١٩ / ٣

وقال الحسن ومجاهد وعكرمة: هو غبار يدخل الكوة في شعاع الشمس. وقال عكرمة: هو رهج الخيل. وقال ابن عباس وغيره: هو الماء المهرق.

ثم قال تعالى " أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا " ومعناه: إن الذين يحصلون في الجنة - مثابين منعمين في ذلك اليوم - مستقرهم خير من مستقر الكفار في الدنيا والآخرة. وإنما قال ذلك على وجه المظاهرة، بمعنى أنه لو كان لهم مستقر خير ومنفعة، لكان هذا خيرا منه، " وأحسن مقيلا " معناه أحسن موضع قائلة، وإن لم يكن في الجنة نوم، إلا أنه من تمهيده يصلح للنوم، لأنهم خوطبوا بما يعرفون، كما قال " ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " (١) على ما اعتادوه. وقال البلخي: معنى " مستقرا وأحسن مقيلا " أنه خير في نفسه، وحسن في نفسه، لا أنه أفضل من غيره، كما قال " وهو أهون عليه " (٢) أي هو هين. وقال قوم: معنى " خير مستقرا وأحسن " أي انفع من مستقرهم. وقال ابن عباس وإبراهيم وابن جريج: لأنه يفرغ من حسابهم إلى وقت القائلة.

وقوله " يوم تشقق السماء بالغمام " أي عن الغمام، وهو كقولهم: رميت بالقوس، وعن القوس بمعنى واحد.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " تشقق " مشددة ومعناه تشقق، فادغم إحدى التائين في الشين لقرب مخرجيهما. ومن قرأ بالتخفيف أراد أيضا ذلك. ولكنه حذف إحدى التائين، وهي تاء (تفعل) لأن الأخرى علامة الاستقبال، لا يجوز حذفها. وقال أبو علي الفارسي: المعنى " تشقق السماء " وعليها الغمام. وفي التفسير: أنه يتشقق سماء سماء. وقال الفراء: تشقق السماء عن الغمام الأبيض. وقرأ الباقر بالتخفيف. وقرأ ابن كثير " ونزل الملائكة " بنونين. وقرأ الباقر بنون

(١) سورة ١٩ مريم آية ٦٢

(٢) سورة ٣٠ الروم آية ٢٧

واحدة مشددة.

والمعني بذلك الاخبار عن هول ذلك اليوم وعظم شدائده، وان الملائكة تنزل للمؤمنين بالاكرام والاعظام، وللكافرين بالاستخفاف والإهانة. ومن قرا بالنونين أراد ان الله المخبر بذلك عن نفسه. ومن قرأ بنون واحدة فعلى ما لم يسم فاعله. والمعنيان واحد. والتشديد أجود لقوله " تنزيلا " والآخر يجوز، كما قال " وتبتل إليه تبتيلا " (١) وقوله (والله أنبتكم من الأرض نباتا) (٢) فجاء المصدر على غير الفعل وذلك سائغ جيد. قوله تعالى:

(الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا (٢٦) ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا (٢٩) وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) (٣٠) خمس آيات.

يقول الله تعالى إن (الملك) الذي هو السلطان بسعة المقدور وتدير العباد في ذلك اليوم ووصفه بأنه الحق " للرحمن " الذي أنعم على جميع خلقه، وأن ذلك

(١) سورة ٧٣ المزملة آية ٨

(٢) سورة ٧١ نوح آية ١٧

اليوم كان على الكافرين عسيرا، يعني صعبا شديدا، والعسير هو الذي يتعذر طلبه، ونقيضه اليسير. والحق هو ما كان معتقده على ما هو به، معظم في نفسه، ولذلك وصفه تعالى بأنه الحق ووصف ملكه أيضا بأنه الحق لما ذكرناه. وقيل "الملك" على ثلاثة أضرب: ملك عظمة، وهو لله تعالى وحده. وملك ديانة بتملك الله تعالى. وملك جبرية بالعلبة.

ثم قال تعالى أن في ذلك اليوم "يعض الظالم على يديه" تلهفا على ما فرط في جنب الله، في ارتكاب معصيته. وقيل: إن الآية نزلت في أبي بن خلف، وعقبة ابن أبي معيط، وكانا خليلين ارتد أبي، لما صرفه عن الاسلام عقبة. وقتل عقبة ابن أبي معيط يوم بدر صبورا. وقتل أبي بن خلف يوم أحد، قتله النبي صلى الله عليه وآله بيده، ذكره قتادة. وقال مجاهد: الخليل - ههنا - الشيطان، وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس، لأنه معرفة. وقال ابن دريد، عن أبي حاتم عن العرب: أنهم يكنوا عن كل مذكر بفلان، وعن كل مؤنث بفلانة. وإذا كنوا عن البهائم أدخلوا الألف واللام، فقالوا الفلان والفلانة. ثم بين أنه يتبرأ منه بأن يقول: والله "لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني"

يعني أغواني عن اتباع الذكر الذي هو النبي صلى الله عليه وآله ويحتمل أن يكون أراد القرآن.

ثم بين فقال "وكان الشيطان للانسان خذولا" يخذله في وقت حاجته ومعاونته، لأنه على باطل "وقال الرسول" أي ويقول الرسول "ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" وقيل في معناه قولان: أحدهما - قال محمد، وإبراهيم: انهم قالوا فيه هجرا أي شيئا من القول القبيح لزعيمهم انه سحر، وانه أساطير الأولين. والثاني - قال ابن زيد: هجروا القرآن باعراضهم عنه، وترك ما يلزمهم فيه

ويشهد لهذا قوله " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه " (١) ومثل (قال) بمعنى (يقول) قول الشاعر:

مثل العصافير أحلاما ومقدرة * لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا (٢)
أي ما يوزنون، وأما قول الشاعر:
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا (٣)
فهذا في الجزاء.
قوله تعالى:

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى
بربك هاديا ونصيرا (٣١) وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (٣٢)
ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (٣٣) الذين
يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا)
(٣٤) أربع آيات.

معنى قوله " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " قيل فيه قولان:
أحدهما - قال ابن عباس: جعل لمحمد صلى الله عليه وآله عدوا من المجرمين، كما
جعل لمن قبله.

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٢٦

(٢) مجمع البيان ٤ / ١٦٨

(٣) مجاز القرآن ١ / ١٧٧ انظر ٥ / ٤٤ تعلية ٢ من هذا الكتاب

والثاني - كما جعلنا النبي يعادي المجرم مدحا له وتعظيما، كذلك جعلنا المجرم يعادي النبي ذما له وتحقيرا. والمعنى إن الله تعالى حكم بأنه على هذه الصفة. وقيل " جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " ببياننا أنهم أعداؤهم، كما يقال جعله لصا أو خائنا. وقيل: معناه أمرنا بأن يسموهم أعداء. والجعل وجود ما به يصير الشيء على ما لم يكن، ومثله التصيير، والعدو المتباعد من النصرة للبغضة، ونقيضه الولي، واصله البعد. ومنه عدوتا الوادي أي جانباه، لأنهما بعده ونهايته، وعدا عليه يعدو عدوا إذا باعد خطوة للايقاع به، وتعدى في فعله إذا أبعد في الخروج عن الحق. ثم قال تعالى " وكفى بربك " يا محمد " هاديا ونصيرا " أي حسبك الله الهادي إلى الحق، والناصر على العدو، و (هاديا) منصوب على الحال أو التمييز، فالحال كفى به في حال الهداية والنصرة، والتمييز من الهادين والناصرين - ذكره الزجاج - ولا يقدر أحد أن يهدي كهداية الله، ولا أن ينصر كنصرته، فلذلك قال " وكفى بربك هاديا ونصيرا " ثم حكى أن الكفار، قالوا " لولا " أي هلا " نزل عليه القرآن " على النبي " جملة واحدة " ف قيل لهم إن التوراة أنزلت جملة، لأنها أنزلت مكتوبة على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأما القرآن، فإنما انزل متفرقا، لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي، وهو محمد صلى الله عليه وآله وقيل: إنما لم ينزل جملة

واحدة، لان فيه الناسخ والمنسوخ، وفيه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، وفيه ما هو إنكار لما كان. وفي الجملة المصلحة معتبرة في إنزال القرآن، فإذا كانت المصلحة تقتضي انزاله متفرقا كيف ينزل جملة واحدة؟! فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله إنا أنزلناه

متفرقا (لنثبت به فؤادك) وقال أبو عبيدة: معناه لنطيب به نفسك ونشجعك. وقوله (ورتلناه ترتيلا) فالترتيل التبيين في تثبت وترسل. وقوله (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق) أي لم ننزل القرآن جملة واحدة لأنهم لا يأتونك بشيء

يريدون به ابطال امرك (الا جئناك بالحق) الذي يطله (وأحسن تفسيراً) أي
نجيؤك بأحسن تفسيراً مما يأتونك به وأجود معاني.
ثم قال (الذين يحشرون على وجوههم) يوم القيامة (إلى جهنم) يعني الكفار
يسحبون على وجوههم. وفي الحديث أن الذي امشاهم على أقدامهم، قادر على أن
يمشيهم على وجوههم.
ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يحشرون على وجوههم بأنهم (شر مكاناً
وأضل سبيلاً) عن الحق وعن الثواب والجنة.
قوله تعالى:

(ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون
وزيراً (٣٥) فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم
تدميراً (٣٦) وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم
للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً (٣٧) وعادا وثمود وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيراً (٣٨) وكلا ضربنا له الأمثال
وكلا تبرنا تنبيراً (٣٩) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء
أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) (٤٠) ست آيات.
أقسم الله تعالى بأنه أتى موسى الكتاب يعني التوراة، وأنه جعل معه (أخاه) هارون
وزيراً، يحمل عنه أثقاله، وأنه قال لهما وأوحى إليهما وأمرهما بأن يذهبا إلى القوم

الذين كذبوا بآيات الله وجحدوا أدلته، يعني فرعون وقومه، وأخبر أنهم لم يقبلوا منهما
وجحدوا نبوتهما، فأهلكهم الله ودمرهم تدميرا، والتدمير الإهلاك بأمر عجيب
ومثله التنكيل، يقال: دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكرهه.
ثم قال " وقوم نوح " أي أغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل " أغرقناهم وجعلناهم للناس
آية " وعلامة. والتغريق الإهلاك بالماء الغامر، وقد غرق الله تعالى قوم نوح
بالطوفان، وهو مجيء ماء السماء المنهمر، وماء الأرض الذي فجر الله تعالى عيونها
حتى التقى الماء، أي أتى على أمر على قد قدره الله، فطبق الأرض ولم ينج إلا نوحا ومن
كان معه راكبا في السفينة، ويقال: فلان غريق في النعمة تشبيها بذلك.
وقوله " لما كذبوا الرسل " يعني نوحا ومن تقدم من الأنبياء. وقيل:
المعني نوحا والرسل من الملائكة. وقيل: نوحا ومن بعده من الرسل، لان الأنبياء
يصدق بعضهم بعضا في توحيد الله وخلع الأنداد، فمن كذب بواحد منهم فقد
كذب بهم جميعهم، وقال الحسن: تكذيبهم بنوح تكذيب لسائر الرسل.
ثم قال تعالى: إنا مع إهلاكهم العاجل (اعتدنا للظالمين) نفوسهم (عذابا
أليما) أي مؤلما موجعا.
وقوله (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا) معناه
أهلكنا هؤلاء أيضا، يقال: (عاد) هم القوم الذين بعث الله إليهم هودا، و (ثمود) هم الذين
بعث الله إليهم صالحا، وأصحاب الرس قال عكرمة: الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي
ألقوه فيها. وقال قتادة: هي قرية باليمامة، يقال لها: (فلج) وقال أبوا عبدة: الرس
كل محفور - في كلام العرب - وهو المعدن، قال الشاعر:
سبقت إلى فرط ناهل* تنابلة يحفرون الرساسا (١)

(١) قائله لنا بغة الجعدي. تفسير القرطبي ١٣ / ٣٢ والطبري ١٩ / ٩ واللسان (رسم)

اي المعادن. وقيل: الرس البئر التي لم تطو بحجارة، ولا غيرها، يقال: رسه يرسه رسا إذا دسه. وقيل: أصحاب الرس هم أصحاب (ياسين) بأنطاكية الشام، ذكره النقاش. وقال الكلبي: هم قوم بعث الله تعالى إليهم نبيا فاكلوه، وهم أول من عمل نساؤهم السحر. وعن أهل البيت (ع) انهم قوم كانت نساؤهم سحاقيات.

وقوله (وقرونا بين ذلك كثيرا) اي أهلكنا قرونا بين هؤلاء الذين ذكرناهم كثيرا. وقيل: القرن سبعون سنة. وقال إبراهيم: أربعون سنة. وقوله (وكلا ضربنا له الأمثال) تقديره ودللنا كلا ضربنا له الأمثال، فلما كفروا بها دمرناهم تدميرا (وكلا تبرنا تتبيرا) اي أهلكنا كلا منهم إهلاكا. والتتبير تكبير الإهلاك، والتبر مكسر الزجاج، ومكسر الذهب. وقوله (ولقد اتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني ان هؤلاء الكفار قد جاؤوا إلى القرية التي أهلكها الله بالمطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) فيعتبروا بها. والقرية هي قرية (سدوم) قرية قوم لوط، والمطر السوء الحجارة التي رموا بها - في قول ابن عباس - ثم قال (بل) رأوها، وإنما لم يعتبروا بها، لأنهم (كانوا لا يرجون نشورا) اي لا يخافون البعث لاعتقادهم جحده، قال الهذلي: إذا لسعته الدير لم يرج لسعها* وخالفها في بيت نوب عوامل (١) فالدبر النحل اي لم يخف. وقيل: ركبوا المعاصي، لأنهم لا يرجون ثواب من عمل خيرا بعد البعث.

(١) مر تخريجه في ٢ / ٢١٠ و ٣ / ٣١٥

قوله تعالى:

(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا لهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا (٤٤) أربع آيات.

يقول الله تعالى حاكيا عن الكفار الذين وصفهم بأنه " إذا رأوك " يا محمد وشاهدوك لا يتخذونك " إلا هزوا " أي سخريا، والهزو إظهار خلاف الباطن لاستصغار القدر على وجه اللهو. وانهم ليقولون " لهذا الذي بعث الله رسولا " متعجبين من ذلك، ومنكرين له، لأنهم يعتقدون في الباطن انه ما بعثه الله. وقوله " إن كاد ليضلنا عن آلهتنا " أي قد قارب أن يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا، على وجه يؤدي إلى هلاكنا. والاضلال الاخذ بالشئ إلى طريق الهلاك. وقوله " لولا أن صبرنا عليها " أي على عبادتها لازلنا عن ذلك، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه. فقال الله تعالى متوعدا لهم " وسوف يعلمون " فيما بعد إذا رأوا العذاب الذي ينزل بهم " من أضل سبيلا " عن طريق الحق: هم أم غيرهم؟ ثم قال لنبيه يا محمد " أرايت من اتخذ إلهه هواه " لأنه ينقاد له ويتبعه في جميع ما يدعوه إليه. وقيل: المعني من جعل إلهه ما يهوى، وذلك نهاية الجهل،

لان ما يدعو إليه الهوى باطل، والإله حق يعظم بما لا شئ أعظم منه، فليس يجوز أن يكون الاله ما يدعو إليه الهوى، وإنما الاله ما يدعو إلى عبادته العقل. ومعنى " أفأنت تكون عليه وكيلا " أي لا تكون له أنت حافظا من الخروج إلى هذا الفساد. قال المبرد: الوكيل أصله واحد، ويشتمل على فروع ترجع إليه، فالوكيل من تتكل عليه وتعتمد في أمورك عليه. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " أم تحسب " يا محمد وتظن

" أن أكثر " هؤلاء الكفار " يسمعون " ما تقول سماع طالب للأفهام " أو يعقلون " ما تقوله لهم؟ بل سماعهم كسماع الانعام، وهم أضل سبيلا من الانعام، لأنهم مكنوا من طريق الفهم، ولم تمكن النعم من ذلك، وهم مع ذلك لا يعقلون ما تقول، إذ لو عقلوا عقل الفهم به لدعاهم عقلهم إليه، لأنه نور في قلب المدرك له. وقيل " بل هم أضل سبيلا " لأنها لا تعتقد بطلان الصواب وإن كانت لا تعرفه، وهم قد اعتقدوا ضد الصواب الذي هو الجهل. وقيل: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن صورة منه ترك الأول وعبد الثاني. وقيل: لان الانعام تهتدي إلى منافعها ومضارها. وهؤلاء لا يهتدون إلى ما يدعون إليه من طريق الحق، فهم أضل. قوله تعالى:

(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا
يسيرا) (٤٦) آيتان.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وهو متوجه إلى جميع المكلفين " ألم تر " يا محمد
" إلى ربك " ومعناه ألم تعلم ربك " كيف مد الظل " قال ابن عباس والضحاك وسعيد

ابن جبير: الظل حده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وقال أبو عبيدة: الظل بالغداة،
والفي بالعشي، لأنه يرجع بعد زوال الشمس
وقوله " ولو شاء لجعله ساكنا " أي دائما لا يزول، في قول ابن عباس ومجاهد.
وقوله " ثم جعلنا الشمس عليه دليلا " قال ابن زيد: يعني باذهابها له عند
مجيئها. وقيل: لان الظل يتبع الشمس في طوله وقصره، فإذا ارتفعت في أعلى
ارتفاعها قصر، وإن انحطت طال بحسب ذلك الانحطاط ولو شاء لجعله ساكنا
بوقوف الشمس. والظل يتبع الدليل الذي هو الشمس، كما يتبع السائر في المفازة الدليل.
وقوله " ثم قبضناه " يعني الظل يقبضه الله، من طلوع الشمس. وقيل:
بغروبها، فالقبض جمع الاجزاء المنبسطة قبضه يقبضه قبضا، فهو قابض والشئ
مقبوض، وتقابضا تقابضا، وقبضه تقبضا، وتقبض تقبضا، وانقبض انقباضا.
واليسير السهل القريب واليسير نقيض العسير، يسر يسر يسرا، وتيسر تيسرا،
ويسره تيسرا، وأيسر إيسارا أي ملك من المال ما تيسر به الأمور عليه. واليد
اليسرى لأنها تيسر بها العمل مع اليمنى، وتياسر أخذ في جهة اليد اليسرى.
وقيل: معناه قبضا خفيفا، لان ظلمة الليل تجيء شيئا بعد شئ، فلا تهجم دفعة واحدة
عقيب غروب الشمس. وقيل: معناه قبضا سريعا.
قوله تعالى:

(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل
النهار نشورا) (٤٧) وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وأنزّلنا من السماء ماء طهورا (٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه

مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩) ولقد صرفناه بينهم ليعلموا
فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٥٠) أربع آيات.
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو "نشرا" بضم النون والشين. وقرأ ابن عامر
- بضم النون وسكون الشين - وروى ذلك هارون عن أبي عمرو. وقرأ حمزة
والكسائي - بفتح النون وسكون الشين - وقرأ عاصم "بشرا" بالباء وسكون الشين.
قال أبو علي النحوي: من ثقل أراد جمع (نشور) مثل رسول ورسول، ومن سكن
الشين، فعلى قول من سكن (كتب) في (كتب) و (رسل) في (رسل). ومن فتح النون
جعله مصدرا واقعا موقع الحال، وتقديره يرسل الرياح حياة أي يحيي بها البلاد الميتة.
ومن قرأ بالباء أراد جمع (بشور) أي تبشر بالغيث من قوله "الرياح مبشرات" (١)
يعني بالغيث المحيي للبلاد. وقرأ حمزة والكسائي "ليذكروا" خفيفة الذال. الباقيون
بتشديددها. من شدد الذال أراد (ليذكروا) فأدغم التاء في الذال، وهو الأجود
لان التذكير والأذكاء في معنى واحد وهو في معنى الاتعاظ، وليس الذكر
كذلك. وقد حكى أبو علي ان الذكر يكون بمعنى التذكر، كقوله تعالى "إنها تذكرة
فمن شاء ذكره" (٢) وقوله "خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه" (٣)، والأول
أكثر. والمعنى ليتفكروا في قدرة الله، وموضع نعمته بما أحيا بلادهم به من الغيث.
يقول الله تعالى معددا لنعمه على خلقه منها أنه "جعل لكم الليل لباسا" ومعناه
أن ظلمته تلبس كل شخص، وتغشيه حتى تمنع من ادراكه. وإنما جعله كذلك للهدوء
فيه والراحة من كد الاعمال، مع النوم الذي فيه صلاح البدن. وقوله "والنوم سباتا"

(١) سورة ٣٠ الروم آية ٤٦

(٢) سورة ٨٠ عبس آية ١١ - ١٢

(٣) سورة ٢ البقرة آية ٦٣ وسورة ٧ الأعراف آية ١٧٠

أي جعل نومكم ممتدا طويلا تكثر به راحتكم وهدوؤكم. وقيل: انه أراد جعله قاطعا للأعمال التي يتصرف فيها. والسبات قطع العمل، ومنه سبت رأسه يسبته سبتا إذا حلقه، ومنه يوم السبت، وهو يوم ينقطع فيه العمل. قال المبرد: يعني سباتا سكوتا يقال: أسبت الرجل إذا اخذته سكتة.

وقوله " وجعل النهار نشورا " أي للانبساط والتصرف في الحوائج. والنشور الانبساط في تصرف الحي، يقال: نشر الميت إذا حيي وانشره الله فنشر، قال الأعشى:

حتى يقول الله مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر (١) ثم قال " وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته " وفي الرحمة تجمع

الرياح، لأنه جمع الجنوب والشمال والصبأ. وفي العذاب (ريح) لأنها هي الدبور وحدها وهي عقيم، لا تلقح، فكل الرياح لواقح غيرها. والرحمة التي ينزلها من السماء هي الغيث، وذكر انه قد يرسل الرياح لينشئ السحاب. ثم ينزل " من السماء ماء طهورا " أي طاهرا مطهرا مزيلا للآحداث والنجاسات مع طهارته في نفسه. وإنما نزل هذا الماء " ليحيي به بلدة ميتا " قد مات بالجذب. قال أبو عبيدة: زعم بعضهم انه أراد إذا لم يكن فيها نبات، فهو بغير (هأ) وإذا كانت حية روحانية فماتت، فهي ميتة. وقال غيره: أراد بالبلدة المكان، فلذلك قال ميتا بالتذكير، ومعنى نسقيه نجعله سقيا للأنعام التي خلقها الله تعالى.

وقوله " وأناسي كثيرا " جمع إنسان الياء جعلت عوضا من النون، وقد قالوا: (أناسين) نحو بستان وبساتين. ويجوز أن يكون (أنسي) نحو كرسي وكراسي. وقد قالوا: أناسية كثيرة.

(١) ديوانه (دار بيروت) ٩٣ وقد مر في ٤ / ٤٦٠

ثم قال تعالى " ولقد صرفناه بينهم " قيل: معناه قسمناه بينهم يعني المطر قال ابن عباس: ليس من غمام إلا يمطر، وإنما يصرف من موضع إلى موضع. والتصريف تصيير الشيء دائرا في الجهات. فالمطر يصرف بدوره في جهات الأرض. ثم بين أنه صرفه كذلك " ليتذكروا " ويتفكروا، فيستدلوا على سعة مقدور الله وأنه لا يستحق العبادة سواه. ثم أخبر عن حال الكفار، فقال " فأبى أكثر الناس إلا كفورا " أي جحودا لهذه النعم التي عددناها وانكارها. ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا. قوله تعالى:

(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (٥١) فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهادا كبيرا (٥٢) وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا (٥٤) ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (٥٥) خمس آيات. يقول الله تعالى " لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا " يخوفهم بالله ويحذرهم من معاصيه. والمعنى: لو شئنا لقسمنا النذر بينهم، كما قسمنا الأمطار بينهم، ففي ذلك أخبار عن قدرته على ذلك، لكن دبرنا على ما اقتضته مصلحتهم، وما هو أعود

عليهم في دينهم ودنياهم. وفيه امتنان على النبي صلى الله عليه وآله بأنا " لو شئنا لبعثنا في كل

قرية نذيرا " فيخف عنك كثير من عبء ما حملته، لكننا حملناك ثقل أوزار جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه إذا صبرت عظيم المنزلة وجزيل الكرامة. والنذير هو الداعي إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب، والانداز الاعلام بموضع المخافة. والنذر عقد البر على انتفاء الخوف، يقال تناذر القوم تناذرا إذا انذر بعضهم بعضا. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فلا تطع الكافرين " يا محمد بالإجابة إلى ما يريدون

" وجاهدكم " في الله " جهادا كبيرا " شديدا، والهاء في قوله " به " عائدة إلى القرآن - في قول ابن عباس والحسن - وقال الحسن: معنى " فلا تطع الكافرين " لا تطعهم فيما يصرفك عن طاعة الله. وقيل: فلا تطعهم: بمعاونتهم فيما يريدونه مما يبعد عن دين الله، وجاهدكم بترك طاعتهم.

ثم عاد تعالى إلى تعديد نعمه عليهم فقال (وهو الذي مرج البحرين) ومعناه أرسلهما في مجاريهما، كما ترسل الخيل في المرج، فهما يلتقيان، فلا يبغي الملح على العذب

ولا العذب على الملح، بقدرة الله. والعذب الفرات: وهو الشديد العذوبة، والملح الأجاج يعني المر.

ثم قال (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا يمنع كل واحد منهما من تغيير الآخر (وحجرا محجورا) معناه يمنع أن يفسد أحدهما الآخر. وقال المبرد: شبه الخلط بحجر البيت الحرام. وأصل المرج الخلط. ومنه قوله " في امر مريج " (١) أي مختلط.

وفي الحديث: مرجت عهودهم أي اختلطت، وسمي المرج بذلك، لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب. ومرجت دابتك إذا ذهبت بتخليتك حيث شاءت قال الراجز: رعى بها مرج ربيع ممرجا (٢)

(١) سورة ٥٠ ق آية ٥

(٢) اللسان (مرج)

و (مرج البحرين) معناه خلا بينهما، تقول: مرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى. ثم قال تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشرا) يعني من النطفة. وقيل الماء الذي خلق الله منه آدم بشرا أي انسانا، فجعل ذلك الانسان (نسبا وصهرا) فالنسب ما رجع إلى ولادة قريبة، والصهر خلطة تشبه القرابة. وقيل الصهر المتزوج بنت الرجل أو أخته. وقال الفراء: النسب الذي لا يحل نكاحه، والصهر النسب الذي يحل نكاحه، كبنات العم، وبنات الخال ونحوهما. وقيل: النسب سبعة أصناف ذكرهم الله في (حرمت عليكم أمهاتكم...) إلى قوله (وبنات الأخوت). والصهر خمسة أصناف ذكرهم في (أمهاتكم اللاتي أرضعنكم...) إلى قوله (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) (١) ذكره الضحاك. وقوله (وكان ربك قديرا) أي قادرا على جميع ما أنعم به عليكم. ثم اخبر عن الكفار فقال (ويعبدون من دون الله) الأصنام والأوثان التي لا تنفعهم ولا تضرهم، لان العبادة ينبغي أن توجه إلى من يملك النفع والضرر مطلقا. ثم قال (وكان الكافر على ربه ظهيرا) قال الحسن ومجاهد وابن زيد: يظهر الشيطان على معصية الله. وقيل: (ظهيرا) معناه هينا كالمطرح. والأول هو الوجه. وقيل: معني (ظهيرا) معينا. ووصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، يدل على بطلان فعل الطباع، لأنها موات مثلها. والفعل لا يصح إلا من حي قادر. قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) (٥٦) قل ما أسئلكم

(١) سورة ٤ النساء آية ٢٢

عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (٥٧) وتوكل على
الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده
خبيرا (٥٨) الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة
أيام ثم استوى على العرش الرحمن فستل به خبيرا (٥٩) وإذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا
وزادهم نفورا (٦٠) خمس آيات.
قرأ حمزة والكسائي لما " يأمرنا " بالياء. الباقون بالتاء.
من قرأ - بالتاء - جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقيل: معناه أنسجد لأمرك
فجعلوا (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر،
ومن قرأ - بالياء - جعل الياء لمسيلمة الكذاب، لأنه كان يسمي نفسه الرحمن
فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله إنا لا نعرف الرحمن إلا نبي اليمامة. فقال الله تعالى " قل
ادعوا
الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى " (١).
وقال أبو علي: من قرأ - بالتاء - أراد أنسجد لما تأمرنا يا محمد على وجه
الانكار، لأنهم أنكروا أن يعرف الرحمن، فلا يحمل على رحمان اليمامة.
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " ما أرسلناك " يا محمد " إلا مبشرا " بالجنة
وثواب الله لمن أطاعه ومخوفا لمن عصاه بعقاب الله. وقال الحسن: ما بعث الله نبيا
قط إلا وهو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالمتعة في الدنيا والآخرة، وينذر الناس إن

عصوا عذاب الله في الآخرة. والبشارة الاخبار عما يظهر سروره في بشرة الوجه، تقول: بشره تبشيرا وبشارة. وبشارة الأنبياء مضمنة باخلاص العبادة لله تعالى. والندارة هو الاخبار بما فيه المخافة، ليحذر منه. أنذره إنذارا وندارة، وتناذر القوم إذا أنذر بعضهم بعضا. ثم امره، فقال: يا محمد " قل " لهؤلاء الكفار: إني لست أسألكم على ما أبشركم به وأحذرکم منه " اجرا " تعطوني " إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا " استثناء من غير الجنس، ومعناه انه جعل أجره على دعائه اتخاذ المدعو سبيلا إلى ربه وطاعته إياه كقول الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيس* إلا اليعافير وإلا العيس (١)
جعلها أنيس ذلك المكان. وقيل: " إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا " بانفاقه ماله في طاعة الله، وابتغاء مرضاته.

ثم امره ان يتوكل على ربه " الحي الذي لا يموت " والمراد به جميع المكلفين لأنه يجب على كل أحد ان يتوكل على الله، ويسلم لامره، ومعنى " وسبح بحمده " أي احمده منزها له مما لا يجوز عليه في صفاته، بان تقول: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمه واحسانه الذي لا يقدر عليه غيره، الحمد لله حمدا يكافئ نعمه في عظم المنزلة وعلو المرتبة، وما أشبه ذلك.

وقوله " وكفى به " اي كفى الله " بذنوب عبادة خبيرا " أي عالما " الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما " يعني بين هذين الصنفين، كما قال القطامي:
ألم يحزنك أن جبال قيس* وتغلب قد تباينت انقطاعا (٢)
وقال الآخر:

(١) قد مر في ١ / ١٥١ و ٣ / ٣٢٧ و ٥ / ٤٩٨

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٦٣ والطبري ١٩ / ١٧

إن المنية والحتوف كلاهما * توقي المحارم يرقبان سوادي
وقوله في ستة أيام قيل: كان ابتداء الخلق يوم الأحد، وانتهاءه يوم الجمعة
" ثم استوى على العرش " وقيل " ثم استوى على العرش " تمام الحكاية. ثم ابتداء
فقال " الرحمن فسأل به خبيرا " ومعنى " فسأل به خبيرا " أي فاسأل سؤالك إياه
خبيرا، قال ابن جريج: الخبير - ههنا - هو الله. وقيل معناه فاسأل به أيها الانسان
عارفا يخبرك بالحق في صفته.

ثم حكى انه إذا قيل لهؤلاء الكفار " اسجدوا للرحمن " الذي أنعم عليكم
" قالوا وما الرحمن " أي أي شيء الرحمن؟ أي لا نعرفه " أنسجد لما تأمرنا " وقد
فسرناه " وزادهم نفورا " أي ازدادوا عند ذلك نفورا عن قبول قول النبي صلى الله عليه
 وآله

والرجوع إلى طاعة الله.
قوله تعالى:

(تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
وقمرا منيرا (٦١) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا (٦٢) وعباد الرحمن الذين يمشون على
الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (٦٣) والذين
يبيتون لرَبِّهم سجدا وقياما (٦٤) والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) (٦٥) خمس آيات.
قرأ حمزة والكسائي " سرجا " على الجمع. الباقيون " سراجا " على التوحيد.

وقرأ حمزة وحده " أن يذكر " خفيفة. الباقون بالتشديد.
من قرأ على التوحيد فلقوله " وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ". ومن قرأ
على الجمع، فلقوله " زينا السماء الدنيا بمصابيح " (١) تشبيها بالكواكب أعني المصابيح
كما شبهت المصابيح بالكواكب، في قوله " الزجاجه كأنها كوكب دري " (٢) وقيل:
من وحد أراد الشمس وحدها. ومن جمع أراد الكواكب المضيئة كلها. واتفقوا على
" وقمرا " إلا الحسن، فإنه قرأ - بضم القاف والميم - ويجوز أن يكون فيه لغتان
مثل (ولد، وولد) ويجوز أن يكون أراد الجمع غير أن العرب لا تعرف جمع القمر
قمرا، وإنما يجمعونه أقمارا.
قوله تعالى " تبارك " قيل في معناه قولان:
أحدهما - تقدس الله، وجل بما هو ثابت لم يزل ولا يزال، لان أصل
الصفة الثبوت.

والثاني - انه من البركة، والتقدير جل تعالى، وتقدس بما به تقدر على جميع
البركات " الذي جعل في السماء بروجا " والبروج منازل النجوم الظاهرة، وهي اثنتا
عشرة برجا معروفة أولها الحمل وآخرها الحوت. وقيل: البروج منازل الشمس
والقمر، وقال إبراهيم: البروج القصور العالية، واحدها برج، ومنه قوله (ولو
كنتم في بروج مشيدة) (٣) قال الأخطل:
كأنها برج رومي يشيده * لزبحص وآجر وأحجار (٤)
وقال قتادة: البروج النجوم. وقال أبو صالح: هي كبار النجوم، والبرج
تباعد ما بين الحاجبين قال: الزجاج: كل ظاهر مرتفع يقال له: برج، وسميت

(١) سورة ٦٧ تبارك (الملك) آية ٥

(٢) سورة ٢٤ النور آية ٣٥

(٣) سورة ٤ النساء آية ٧٧

(٤) تفسير الطبري ١٩ / ١٨

الكواكب بروجاً لظهورها.
وقوله (وجعل فيها سراجاً) يعني الشمس التي يستضيء بها جميع الخلق.
وقوله (وقمراً منيراً) أي مضيئاً بالليل، إذا لم يكن شمس.
فمن قرأ (سراجاً) أراد الشمس وحدها. ومن قرأ (سراجاً) أراد جميع
النجوم، لأنه يهتدى بها، كما يهتدى بضوء السراج.
وقوله (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) أي يخلف كل واحد منهما
صاحبه، فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فاته الليل استدركه بالنهار، ومن فاته
عمل النهار استدركه بالليل. قال عمر بن الخطاب، وابن عباس، والحسن: يخلف
أحدهما الآخر في العمل. وقال مجاهد: معناه أحدهما اسود الآخر ابيض، فهما
مختلفتان. وقال أبو زيد: معناه أحدهما يذهب ويحى الآخر قال زهير:
بها العين والأرآم يمشين خلفه * وإطلاؤها ينهضن من كل مجثم (١)
وقوله (لمن أراد أن يذكر) أي خلقناه كذلك لمن أراد أن يتفكر
ويستدل بها على أن لها مدبراً ومصرفاً، لا يشبهها ولا تشبهه فيوجه العبادة إليه.
وقوله (أو أراد شكوراً) أي يشكر الله، على ما أنعم به عليه فيتمكن
من ذلك، لأن بهذه الأدلة وأمثالها يتوصل إلى ما قلناه.
وقوله (وعباد الرحمن) يعني عباده المخلصين، الذين يعبدونه، المعظمون
ربهم (الذين يمشون على الأرض هونا) يعني بالسكينة والوقار - في قول مجاهد -
وقال الحسن: معناه حلما وعلماء، لا يجهلون وإن جهل عليهم. وقال ابن عباس:
بالتواضع لا يتكبرون على أحد (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه أو يثقل
عليهم، قالوا في جوابه (سلاماً) أي سداداً من القول - ذكره مجاهد - وقيل:

(١) ديوانه " دار بيروت " ٧٥

معناه إنهم قالوا قولاً يسلمون به من المعصية لله. وقال قوم: هذا منسوخ بآية القتال. وليس الأمر على ذلك، لأن الأمر بالقتال لا ينافي حسن المحاورة في الخطاب وحسن العشرة.

وقوله (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) يعني يعبدون الله في لياليهم ويقومون بالصلاة، ويسجدون فيها "والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً" أي يدعون بهذا القول، ومعنى "غراماً" لازماً ملحاً دائماً ومنه الغريم، لملازمته وإلحاحه، وفلان مغرم بالنساء أي ملازم لهن، لا يصبر عنهن قال الشاعر:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يعط * جزياً فإنه لا يبالي (١)
وقال بشر بن أبي حازم:

فيوم النصار ويوم الجفا * ركانا عذاباً وكانا غراماً (٢)
وقال الحسن: ليس غريم إلا مفارق غريمه غير جهنم، فإنها لا تفارق غريمها. قوله تعالى:

(إنها ساءت مستقراً ومقاماً) (٦٦) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) (٦٧) والذين لا يدعون

(١) قائله الأعشى ديوانه: ١٦٧

(٢) اللسان (جفر) وتفسير الطبري ١٩ / ٢١ وروايته (النصار) بدل (النصار).

مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا
يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (٦٨) يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا
فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما (٧٠) خمس آيات.
قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي عن أبي بكر " يفتروا " بضم الياء
وكسر التاء، وقرأ أهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء. الباقيون بفتح
الياء وضم التاء، وهم أهل الكوفة إلا الكسائي عن أبي بكر. وقرأ ابن عامر، وأبو
بكر " يضاعف... ويخلد " بالرفع فيهما. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر
ويعقوب " يضعف " بتشديد العين وإسقاط الألف. الباقيون " يضاعف " باثبات
الألف وتخفيف العين. تقول: قتر يقتري ويقتري - بكسر التاء، وضمها - لغتان.
واقتر إقتارا لغة.
واختلفوا في (السرف) في النفقة، فقال قوم: كلما أنفق في غير طاعة الله،
فهو سرف، لقوله تعالى " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " (١).
وقال علي (ع): ليس في المأكول والمشروب سرف وإن كثر.
وقال قوم: الاسراف في الحلال فقط، لأن الحرام لا يجوز الانفاق فيه
ولو ذرة.

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٢٧

ومن قرأ " يضاعف " فمن المضافة. ومن شدد، فمن التضعيف ذهب إلى التكثير، والمعنيان متقاربان. ومن - جزم - جعله بدلا من جواب الشرط، لان الشرط قوله " ومن يفعل ذلك " وجزاءه " يلق أثاما " وعلامة الجزم سقوط الألف من آخره. و (يضاعف) بدل منه و (يخلد) عطف عليه. ومن - رفع - استأنف لان الشرط والجزاء قد تم. وكان يجوز النصب على الظرف - في مذهب الكوفيين. وباضمار (ان) على مذهب البصريين - ولم يقرأ به أحد.

لما اخبر الله تعالى أن عذاب جهنم كان غراما، بين بأنها " ساءت مستقرا ومقاما " أي موضع قرار وإقامة لما فيها من أنواع العذاب، ونصبها على التمييز.

ثم عاد إلى وصف المؤمنين فقال " والذين إذا انفقوا لم يسرفوا " أي لم يخرجوا عن العدل في الانفاق يقال: فلان مسرف على نفسه إذا أكثر من الحمل على نفسه في المعصية، فشبه بالمسرف في النفقة " ولم يقتروا " أي لم يقصروا عن العدل في الانفاق، وهو مأخوذ من القتر، وهي الدخان. والافتقار مشبه به في الامحاق والاضرار. وفيه ثلاث لغات: قتر يقتري، ويقتري، وأقتر إقتارا. وقال أبو علي الفارسي: من قرأ " يقتروا " بضم التاء أراد لم يقتروا في إنفاقهم، لان المسرف مشرف على الافتقار، لسرفه، ومن فتح التاء أراد لم يضيقوا في الانفاق، فيقصروا عن المتوسطين، فمن كان في هذا الطرف، فهو مذموم، كما أن من جاوز الاقتصاد كان كذلك مذموم. وبين ذلك بقوله " وكان بين ذلك قواما " أي كان إنفاقهم بين ذلك، لا إسرافا يدخل في حد التبذير، ولا تضيقا يصير به في حد المانع لما يجب. وقال ابن عباس: الاسراف الانفاق في معصية الله، قل أو كثر، والافتقار منع حق الله من المال. وقال إبراهيم: السرف مجاوزة الحد في النفقة، والافتقار التقصير فيما لا بد منه. والقوام - بفتح القاف - العدل، - وبكسرهما - السداد، يقال:

هو قوام الامر وملاكه، ويقال: هي حسنة القوام في اعتدالها، قال الحطيئة:
طافت امامة بالركبان آونة* يا حسنهما من قوام زان منتقبا (١)
ثم زاد في وصفهم بأن قال " والذين لا يدعون مع الله إلها آخر " يوجهون
عبادتهم إليه " ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق " والنفس المحرمة هي نفس
المسلم والمعاهد والمستثنى نفس الحربي، ومن يجب عليه القتل على وجه القود،
والارتداد، والزنا مع الاحصان (ولا يزنون) فالزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج.
ثم قال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) قال قوم: يلقي جزاء الآثام. وقال
آخرون: الآثام العقاب، قال بلعا بن قيس الكناني.
جزى الله ابن عروة حيث أمسى* عقوقا والعقوق له أثام (٢)
أي عقاب، وقال ابن عمر، وقتادة: هو اسم واد في جهنم، وهو قول
مجاهد وعكرمة. وقال أهل الوعيد: ان قوله (ومن يفعل ذلك) راجع إلى كل
واحد من المعاصي المذكورة. وقال أهل الارضاء إنما يرجع إلى جميعه، ويجوز - أن
يكون راجعا - إلى الكفر وحده، لان الفسوق لا يستحق به العقاب الدائم والا لأدى
إلى اجتماع الاستحقاقين على وجه الدوام. وذلك خلاف الاجماع، لان الاحباط
عندهم باطل، والكلام على ذلك استوفيناه في كتاب الأصول.
ثم زاد في الوعيد، فقال (ومن يفعل ذلك يلق) جزاء آثامه ويضاعف
له العذاب في كثرة الاجزاء لا انه يضاعف استحقاقه، لان الله تعالى لا يعاقب
بأكثر من المستحق، لان ذلك ظلم يتعالى الله عن ذلك. وقيل يضاعف عذابه على
عذاب الدنيا، وبين تعالى أنه (يخلد) مع ذلك في النار (مهانا) مستخفا به.

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٣

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٧٦ والطبري ١٩ / ٢٤

ثم استثنى من جملتهم من تاب وندم على معاصيه، وعمل عملا صالحا، فان الله تعالى (يبدل سيئاته حسنات) أي يجعل مكان عقاب سيئاته ثواب حسناته قال الشاعر في التبديل:

بدلن بعد خره صريعا * وبعد طول النفس الوجيعا (١)
وقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيمًا) أي ساترا لمعاصي عباده إذا تابوا منها، منعما عليهم بالثواب والتفضل.
قوله تعالى:

(ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١)
والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صما وعميانا (٨٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما (٧٥) خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما (٧٦) قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (٧٧) سبع آيات.
قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر إلا حفصا " وذريتنا " على

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٨

التوحيد، الباقون على الجمع. وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا " ويلقون " بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف. الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. من وحد " الذرية " فلانه في معنى الجمع لقوله " ذرية من حملنا مع نوح " (١) ومن جمع فكما تجمع الأسماء الدالة على الجمع، نحو (قوم، وأقوام) وقد يعبر ذلك عن الواحد، كقوله " هب لي من لدنك ذرية طيبة " (٢) ويعبر به عن الجمع كقوله " وليخش الذين لم تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم " (٣) ومن جمع فللازدواج.

ومن شدد " يلقون " فعلى أن المعنى يلقون التحية والسلام مرة بعد مرة لان التشديد للتكثير، وشاهده قوله " ولقاهم نضرة وسرورا " (٤). ومن خفف أراد يلقون هم تحية، كما قال " فسوف يلقون غيا " (٥) وقال بعضهم: لو كان بالتشديد لقال (ويلقون) لأنهم يقولون تلقيته بالتحية، و (لقى) فعل متعد إلى مفعول واحد فإذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين، وقوله " تحية " المفعول الثاني. يقول الله تعالى " ومن تاب " من معاصيه واقلع عنها، وندم عليها وأضاف إلى ذلك الاعمال الصالحات " فإنه يتوب إلى الله متابا " أي يرجع إليه مرجعا عظيما جميلا، وفرق الرماني بين التوبة إلى الله، والتوبة من القبيح لقبحه، بان التوبة إلى الله تقتضي طلب الثواب، وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه. ثم عاد تعالى إلى وصف المؤمنين فقال " والذين لا يشهدون الزور " أي لا يحضرونه، ولا يكون بحيث يذكرونه بشئ من حواسهم الخمس: البصر، والسمع،

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٣

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٣٨

(٣) سورة ٤ النساء آية ٨

(٤) سورة ٧٦ الدهر (الانسان) آية ١١

(٥) سورة ١٩ مريم آية ٥٩

والانف، والفم، والبشرة. ومن لا يشهد الزور، فهو الذي لا يشهد به ولا يحضره لأنه لو شاهده لكان قد حضره، فهو أعم في الفائدة من أن لا يشهد به. و (الزور) تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. وقال مجاهد: الزور - ههنا - الكذب. وقال الضحاك: هو الشرك. وقال ابن سيرين: هو أعياد أهل الذمة كالشعانيين وغيرها. وقيل: هو الغناء، ذكره مجاهد. وأهل البيت (ع).

وقوله " وإذا مروا باللغو مروا كراما " معناه: مروا من جملة الكرماء الذين لا يرضون باللغو، لأنهم يجلون عن الاختلاط بأهله، والدخول فيه، فهذه صفة الكرام، وقيل: مروهم كراما كمروهم بمن يسبهم فيصفحون عنه، وكمروهم بمن يستعين بهم على حق فيعينونه. وقيل: هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه. ذكره محمد بن علي (ع) ومجاهد. واللغو الفعل الذي لا فائدة فيه. وليس معناه أنه قبيح، لان فعل الساهي لغو، وهو ليس بحسن ولا قبيح - عند قوم - ولهذا يقال: الكلمة التي لا تفيد لغو.

وقوله " والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا " معناه انهم إذا ذكروا بأدلة الله تعالى التي نصبها لهم نظروا فيها، وفكروا في مقتضاها، ولم يكونوا كالمشركين في ترك التدبر لها حتى كأنهم صم وعميان عنها، ذكره الحسن، وقيل معناه يخرون سجدا وبكيا سامعين لله مطيعين. قال الشاعر:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم * ولم تكثروا القتلى بها حين سلت (١)
أي بأيدي رجال شاموا سيوفهم، وقد كثرت القتلى، ومعنى شاموا أغمدوا ذكره الزجاج.

(١) اللسان (شيم) نسبه إلى الفرزدق، ولم أجده في ديوانه (طبع - دار صادر - دار بيروت)

ثم وصف المؤمنين بأنهم يدعون " يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين " ومعناه بأن نراهم مطيعين لله، في قول الحسن. و " قرة أعين " يكون
من القر، وهو بردها عند السرور، ويكون من استقرارها عنده.
وقوله " واجعلنا للمتقين إماما " أي يسألون الله تعالى أن يجعلهم ممن يقتدى
بأفعالهم الطاعات. وفي قراءة أهل البيت (ع) و " اجعل لنا من المتقين إماما "
وإنما وحد (إماما) لأنه مصدر، من قولهم: أم فلان فلانا إماما، كقولهم: قام
قياماً وصام صياماً. ومن جمعه فقال: (أئمة) فلانه قد كثر في معنى الصفة. وقيل:
إنه يجوز أن يكون على الجواب، كقول القائل: من أميركم؟ فيقول: هؤلاء أميرنا
قال الشاعر:

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي * إن العواذل ليس لي بأمر (١)
ثم اخبر تعالى عمن جمع هذه الأوصاف من المؤمنين بأن قال " أولئك يجزون
الغرفة بما صبروا " على طاعاتهم التي ذكرها. و (الغرفة) في الجنة المنازل العالية
ثواباً على ما صبروا في جنب الله، وعلى مشاق الدنيا. وصعوبة التكليف، وغير ذلك
وانهم " يلقون فيها تحية وسلاماً " من الملائكة، بشارة لهم بعظيم الثواب.
وقوله " خالدين فيها " نصب على الحال أي هم في الجنة مؤبدين، لا يخرجون
منها ولا يفنون. وأخبر أن الجنة مستقرهم، وانها " حسنت مستقراً " من مواضع
القرار، وموضع الإقامة ونصب على التمييز.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " يا محمد لهؤلاء " ما يعبؤ بكم ربي " ومعناه
ما يصنع بكم ربي - في قول مجاهد وابن زيد - واصله تهيئة الشيء، ومنه عبأت الطيب
أعبؤه عباء، إذا هيأته، قال الشاعر:

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٣٢ والقرطبي ١٣ / ٨٣

كأن بنحره وبمنكبيه * عبيرا بات يعبؤه عروس (١)
أي تهيئه، وعبأت الجيش - بالتشديد، والتخفيف - إذا هيأته. والعبء
الثقل. وما أعبأ به أي لا أهى به امرا. وقال قوم: مالا يعبأ به، فوجوده
وعدمه سواء.

وقوله " لولا دعاؤكم " قال مجاهد: معناه لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته، لم يكن
في فعلكم ما تطالبون به، وهو مصدر أضيف إلى المفعول، كقولهم: أعجبني بناء هذه
الدار، وخياطة هذا الثوب. وقال الزجاج: معناه لولا توحيدكم وإيمانكم، وقال
البلخي: معناه لولا كفركم وشرككم ما يعبأ بعذابكم، وحذف العذاب وأقام المضاف
إليه مقامه.

ثم قال " فقد كذبتكم " يا معاشر الكفار بآيات الله، وجحدتم رسوله
" فسوف يكون لزاما " عليكم، ويكون تأويله، فسوف يكون تكذيبكم (لزاما) فلا
تعطون الثواب عليه، وتكون العقوبة لزاما تلزمكم على ذلك. وقال مجاهد: معناه
القتل يوم بدر ويكون الخطاب متوجها إلى الذين قتلوا يوم بدر. وقيل (اللزام) عذاب
الآخرة، وقال أبو ذؤيب - في اللزام:
ففاجأه بعادية لزاما * كما يتفجر الحوض اللقيف (٢)
لزام: كثيرة يلزم بعضها بعضا، ولقيف متساقط متهدم، وقال صخر الغي -
في اللزام:

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٣٢ والقرطبي ١٣ / ٨٤ واللسان (عبأ)
(٢) اللسان (لزم).

فاما ينجوا من حتف ارض * فقد لقيا حتوفهما لزاما (١)
أي انه واقع لا محالة. وقال الضحاك: هو لزوم الحجة لهم في الآخرة. وقال
أبو عبيدة: معناه فيصلا.

وقوله " أولئك يجزون الغرفة " قال الزجاج: الأحسن أن يكون خبرا
ل (عباد الرحمن) (٢) فيكون قوله " الذين يمشون على الأرض هونا " وما بعده صفة له
ويجوز أن يكون " الذين يمشون على الأرض هونا " خبر، وما بعده عطف عليه (٣)
تم المجلد السابع من التبيان
ويليه المجلد الثامن وأوله أول سورة الشعراء
ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ
آب سنة ١٩٦٢ م

(١) اللسان (لزم)

(٢) آية ٦٣ من هذه السورة

(٣) هذه الثلاثة أسطر ملفقة من المخطوطة والمطبوعة